| صحيفة | | صحيفة | |
|---|---|---|---|
| ٤٣ | ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان وأخذها منه | ٤٨ | ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة |
| ٤٤ | ذكر عدة حوادث | ٤٩ | ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل |
| ٤٤ | (سنة أربع وسبعين وأربعمائة) | ٥٠ | ذكر عصيان تكش على أخيه السلطان ملكشاه |
| ٤٤ | ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه | ٥٠ | ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية |
| ٤٤ | ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وامارة ولده منصور | ٥١ | ذكر قتل شرف الدولة وملك أخيه ابراهيم |
| ٤٤ | ذكر محاصرة تميم بن المعز مدينة قابس | ٥١ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٤ | ذكر عدة حوادث | ٥٢ | (سنة ثمان وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٥ | (سنة خمس وسبعين وأربعمائة) | ٥٢ | ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة |
| ٤٥ | ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك | ٥٢ | ذكر استيلاء ابن جهير على آمد |
| ٤٦ | ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة | ٥٣ | ذكر ملكه ايضا ميافارقين |
| ٤٦ | ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة | ٥٣ | ذكر ملك جزيرة ابن عمر |
| ٤٦ | ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها | ٥٣ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٧ | ذكر عدة حوادث | ٥٤ | (سنة تسع وسبعين وأربعمائة) |
| ٤٧ | (سنة ست وسبعين وأربعمائة) | ٥٤ | ذكر قتل سليمان بن قتلمش |
| ٤٧ | ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر | ٥٥ | ذكر ملك السلطان حلب وغيرها |
| ٤٧ | ذكر عصيان أهل حران على شرف الدولة وفتحها | ٥٥ | ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة |
| ٤٧ | ذكر وزارة أبي شجاع محمد بن الحسين للخليفة | ٥٦ | ذكر وقعة الزلاقة بالاندلس وهزيمة الفرنج |
| ٤٨ | ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا | ٥٧ | ذكر دخول السلطان الى بغداد |
| ٤٨ | ذكر استيلاء مالك بن علوي على القيروان وأخذها منه | ٥٨ | ذكر عدة حوادث |
| ٤٨ | ذكر عدة حوادث | ٥٩ | (سنة ثمانين وأربعمائة) |
| ٤٨ | (سنة سبع وسبعين وأربعمائة) | ٥٩ | ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة |
| | | ٦٠ | ذكر عدة حوادث |
| | | ٦٠ | (سنة احدى وثمانين وأربعمائة) |
| | | ٦٠ | ذكر الفتنة ببغداد |
| | | ٦١ | ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة |
| | | ٦١ | ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها |

صحيفة



صحيفة

صحيفة



صحيفة

صحيفة



صحيفة

صحيفة



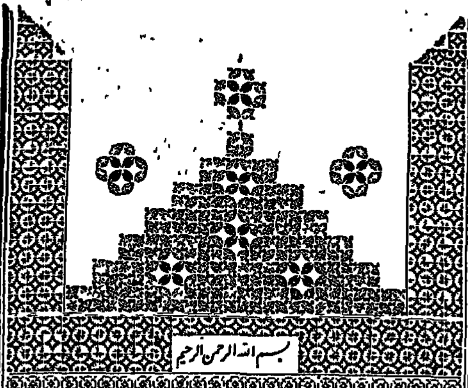
صحيفة

صحيفة

•(تمت)•

الجزء العاشر من تاريخ الكامل للعلامة أبي الحسن على
ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن
عبد الواحد الشيباني المعروف بابن
الاثير الجزري الملقب بعز
الدين رحمه
الله

* (وبهامش هذا الجزء تاريخ العلامة أبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبي رحمه الله تعالى) *




(ثم دخلت سنة احدى وخمسين واربعمائة)

(ذكر وفاة فرخزاد صاحب غزنة وملك أخيه ابراهيم)

في هذه السنة في صفر توفي الملك فرخزاد بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان قد ثار به مماليكه سنة خمسين واتفقوا على قتله فقصدوه وهو في الحمام وكان معه سيف فاخذه وقاتلهم ومنعهم عن نفسه حتى أدركه اصحابه وخلصوه وقتلوا أولئك الغلمان وصار بعد ان نجا من هذه الحادثة يكثر ذكر الموت ويحتقر الدنيا ويزدريها وبقي كذلك الى هذه السنة فاصابه قولنج فمات منه وملك بعده أخوه ابراهيم بن مسعود بن محمود فاحسن السيرة فاستعد لجهاد الهند ففتح حصونا امتنعت على أبيه وجده وكان يصوم رجبا وشعبان ورمضان

(ذكر الصلح بين الملك ابراهيم وجغري بك داود)

في هذه السنة استقر الصلح بين الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين وبين داود بن ميكائيل بن سلجوق صاحب خراسان على أن يكون كل واحد منهما على ما بيده ويترك منازعة الآخر في ملكه وكان سبب ذلك ان العقلاء من الجانبين نظروا فرأوا ان كل واحد من الملكين لا يقدر على أخذ ما بيد الآخر وليس يحصل غير اتفاق الاموال واتعاب العساكر ونهب البلاد وقتل النفوس فسعوا في الصلح فوقع الاتفاق واليمين وكتبت النسخ بذلك فاستبشر الناس وسرهم لما أشرفوا عليه من العافية

(ذكر وفاة داود وملك ابنه ألب ارسلان)

في هذه السنة في رجب توفي جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق أخو السلطان طغرلبك

وقيل

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله الظاهر بآياته الباطن بذاته القريب برحمته البعيد بعزته الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر فلا عاجز والقاهر فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والملك الذي له الاقضية والاحكام الذي تفرد بالبقاء وتوحد بالعزة والسناء واستأثر بأحسن الاسماء ودل على قدرته بخلق الارض والسماء كان ولا مكان ولا زمان ولا بنيان ولا ملك ولا انسان فأنشأ المعدوم ابداعا وأحدث مالم يكن انشاء واختراعا جل وتعالى فيما خلق عن احتذاء صوره واستدعاء مشوره واقتفاء رسم ومثال وافتقار الى نظير وقياس واستدلال ففي كل ما أبدع وصنع وفطر وقدر دليل على أنه الواحد بلا شريك ووزير

وقيل كان موته في صفر سنة اثنتين وخمسين وعمره نحو سبعين سنة وكان صاحب خراسان وهو مقابل آل سبكتكين ومقاتلهم ومانعهم عن خراسان فلما توفي ملك بعده خراسان ابنه السلطان ألب ارسلان وخلف داود عدة أولاد ذكورمنهم السلطان ألب ارسلان وياقوتي وسليمان وقاروت بك فتزوج أم سليمان السلطان طغرلبك بعد أخيه داود ووصى له بالملك بعده وكان من أمره ما نذكره وكان خيرا عادلا حسن السيرة معترفا بنعمة الله تعالى عليه شاكرا عليها فمن ذلك انه أرسل الى أخيه طغرلبك مع عبد الصمد قاضي سرخس يقول له بلغني اخرابك البلاد التي فتحتها وملكتها وجلا أهلها عنها وهذا ما لاخفاء به في مخالفة أمر الله تعالى في عباده وبلاده وأنت تعلم ما فيه من سوء السمعة وايحاش الرعية وقد علمت انا لقينا أعداءنا ونحن في ثلاثين رجلا وهم في ثلثمائة فغلبناهم وكنا في ثلثمائة وهم في ثلاثة آلاف فغلبناهم وكنا في ثلاثة آلاف وهم في ثلاثين ألفا فدفعناهم وقاتلنا بالامس شاه ملك وهو في اعداد كثيرة متوافرة فقهرناه وأخذنا مملكته بخوارزم وهرب من بين أيدينا الى خمسمائة فرسخ من موضعه فظفرنا به وأسرناه وقتلناه واستولينا على ممالك خراسان وطبرستان وسجستان وصرنا ملوكا متبوعين بعد ان كنا أصاغر تابعين وما تقتضي نعم الله علينا ان نقابلها بهذه المقابلة فقال طغرلبك قل له في الجواب يا أخي انت ملكت خراسان وهي بلاد عامرة فخربتها ووجب عليك مع استقرار قدمك عمارتها وانا وردت بلادا خربها من تقدمني واجتاحها من كان قبلي فما أتمكن من عمارتها والاعداء محيطة بها والضرورة تقود الى طرقها بالعساكر ولا يمكن دفع مضرتها عنها وله مناقب كثيرة تركناها خوف التطويل

*(ذكر حريق بغداد)*

في هذه السنة احترقت بغداد الكرخ وغيره وبين السورين واحترقت فيه خزانة الكتب التي وقفها اردشير الوزير ونهبت بعض كتبها وجاء عميد الملك الكندري فاختار من الكتب خيرها وكان بها عشرة آلاف مجلد وأربعمائة مجلد من أصناف العلوم منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق فأزالهم عميد الملك وقعد يختارها فنسب ذلك الى سوء سيرته وفساد اختياره وشتان بين فعله وفعل نظام الملك الذي عمر المدارس ودون العلم في بلاد الاسلام جميعها ووقف الكتب وغيرها

*(ذكر انحدار السلطان الى واسط وما فعل العسكر واصلاح دبيس)*

في هذه السنة انحدر السلطان طغرلبك الى واسط بعد فراغه من أمر بغداد فرآها قد نهبت وحضر عنده هزارسب بن بنكير وأصلح معه حال دبيس بن مزيد وأحضره معه الى خدمة السلطان وأصعد في صحبته الى بغداد وكذلك صدقة بن منصور بن الحسين وضمن واسطا أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار وضمن البصرة الاغر أبو سعد سابور بن المظفر وعبر السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة وسار الى قرب البطائح فنهب العسكر ما بين واسط والبصرة والاهواز واصعد السلطان الى بغداد في صفر سنة اثنتين وخمسين ومعه أبو الفتح ابن ورام وهزارسب بن بنكير بن عياض ودبيس بن مزيد وأبو علي بن الملك أبي كاليجار وصدقة ابن منصور بن الحسين وغيرهم واجتمع السلطان بالخليفة وأمر الخليفة بعمل طعام كثير

والقادر بلا ظهير ونصير
والعالم بلا تبصير وتذكير
والحكيم بلا روية وتفكير
الحي الذي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شئ قدير رفع
السماء عبرة للنظار وعلة
الظلم والانوار وسببا للغيوث
والامطار وحياة للحقول
والقفار ومعاشا للوحوش
والاطيار ووضع الارض
مهادا للابدان وقرارا
للحيوان وفراشا للجنوب
والمضاجع وبساطا
للمكاسب والمنافع وذلولا
لطلاب الرزق وأرباب
البضائع وأشخص الجبال
أوتادا راسية وأعلاما
بادية وعيونا جارية وأرحاما
لاجنة الاعلاق حاوية
وجعل البحار مغايض
لفضول الانهار ومغاير
لسيول الامطار ومراكب
لرفاق التجار ومضارب
لمصالح الامصار ومناجح
الاوطار تحوي من الدر
والمرجان بيانا وتنبع من
بين الملح الاجاج عذبا فراتا

حضره السلطان والامراء وأصحابهم وعمل السلطان أيضا سماطا حضر فيه الجماعة وخلع
عليهم وسار الى بلاد الجبل في شهر ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وجعل ببغداد شحنة الامير
برسق وضمنها أبو الفتح المظفر بن الحسين ثلاث سنين بأربعمائة ألف دينار

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عزل أبو الحسين بن المهتدي من الخطابة بجامع المنصور لانه خطب للعلوي ببغداد
في الفتنة وأقيم مقامه بها الشريف أبو علي الحسن بن عبد الودود بن المهتدي بالله وفيها توفي علي
ابن محمود بن ابراهيم الزوزني أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصري وروى عن أبي عبد الرحمن
السلمي وهو الذي ينسب اليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور وفيها في جمادى الاولى توفي
محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن علي أبو طالب العشاري ومولده في المحرم سنة ست وستين
وثلثمائة وسمع الدارقطني وغيره

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة)

(ذكر عود ولي العهد الى بغداد مع أبي الغنائم بن المحلبان)

في جمادى الآخرة وردت عدة الدين أبو القاسم المقتدي بأمر الله ولي العهد ومعه جدته أم الخليفة
وخرج الناس لاستقباله وجلس في الزبزب وعلى رأسه أبو الغنائم بن المحلبان وقدم له بباب
الغربة فرس فحمله ابن المحلبان على كتفه وأركبه وسلمه الى مجلس الخليفة فشكره وخرج ابن
المحلبان فركب في الزبزب وانحدر الى دار افردت له بباب المراتب ودخل الى الخليفة واجتمع به
وكان سبب مسير ولي العهد مع ابن المحلبان انه دخل داره فوجد زوجة رئيس الرؤساء وأولاده
بها وهم مطلوبون من البساسيري فعرفوه أن رئيس الرؤساء أمرهم بقصده فادخلهم الى أهله
واقام لهم من حملهم الى ميافارقين فسار مع قريش لما أصعد من بغداد ولم يعلم بهم ثم لقيه
أبو الفضل محمد بن عامر الوكيل وعرفه ما عليه ولي العهد ومن معه من ايثار الخروج من بغداد
وما هم عليه من تناقص الحال فبعث ابن المحلبان زوجته فاتتهم سرا فتركهم عنده غاية
أشهر وكان يحضر ابن البساسيري وأصحابه ويعمل لهم الدعوات وولي العهد ومن معه مستترون
عنده يسمعون ما يقول أولئك فيهم ثم اكترى لهم وسار هو في صحبتهم الى قريب سنجار ثم جاؤا
الى حران وسار مع صاحبها أبي الزمام منيع بن وثاب النميري حين قصد الرحبة وفتح قرقيسيا
وعقد لعدة الدين على بنت منيع وانحدروا الى بغداد

(ذكر ملك محمود بن شبل الدولة حلب)

في هذه السنة في جمادى الآخرة حصر محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس الكلابي مدينة
حلب وضيق عليها واجتمع معه جمع كثير من العرب فاقام عليها فلم يتسهل له فتحها فرحل عنها
ثم عاودها فحصرها فملك المدينة عنوة في جمادى الآخرة بعد ان حصرها وامتنعت القلعة عليه
وأرسل من بها الى المستنصر بالله صاحب مصر ودمشق يستنجدونه فأمر ناصر الدولة أبا محمد
الحسين بن الحسن بن حمدان الامير بدمشق ان يسير بمن عنده من العساكر الى حلب يمنعها
من محمود فسار الى حلب فلما سمع محمود بقربه منه خرج من حلب ودخلها عسكر ناصر الدولة
فنهبوها ثم ان الحرب وقعت بين محمود وناصر الدولة بظاهر حلب واشتد القتال بينهم فانهزم

وتقذف للآكلين لحما
طريا وتحمل للابسين
جواهر وحليا واستخلف
على عمارة عالمه من انتجبهم
من خلقه وآثرهم بالهامه
ودبرهم بأوامره وأحكامه
وكان أعلم بهم من ملائكته
حيث قالوا أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء
ونحن نسبح بحمدك ونقدس
لك قال اني أعلم ما لا تعلمون
وأقام عليهم مهيمنا من لدنه
يهديهم الرشاد ويحذرهم
الفساد ويرجيهم الثواب
ويحذرهم العقاب ولم
يقتصر على ما أقامه به من
الحجة وأوضحه من المحجة
حتى ابتعث الانبياء صلوات
الله عليهم بالمعجزات الباهرة
والدلالات الزاهرة والبينات
المتظاهرة داعين الى توحيده
ونادين الى تسبيحه وتمجيده
فأزاح بهم العلة وأزال
الشبهة وأفاد سكون
النفس وثلج خلاج الشكوك
واللبس وأزاله

ناصر الدولة وعاد مقهورا الى مصر وملك محمود حلب وقتل عمه معز الدولة واستقام أمره بها وهذه الوقعة تعرف بوقعة الفنيدق وهي مشهورة

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة خلع السلطان طغرلبك على محمود بن الاخرم الخفاجي وردت اليه امارة بني خفاجة وولاية الكوفة وسقي الفرات وضمن خواص السلطان هناك بأربعة آلاف دينار كل سنة وصرف عنها رجب بن منيع وفيها توفي أبو محمد النسوي صاحب الشرطة ببغداد وقد جاوز ثمانين سنة وفيها سد بثق النهروانات وشرع العميد أبو الفتح في عمارة بثوق الكرخ وفيها في ذي القعدة توفيت خاتون زوجة السلطان طغرلبك بزنجان فوجد عليها وجدا شديدا وحمل تابوتها الى الري فدفنت بها وفيها ثالث جمادى الآخرة انقض كوكب عظيم القدر عند طلوع الفجر من ناحية المغرب الى ناحية المشرق فطال لبثه وفيها اجتمع عطية بن صالح بن مرداس جمعا وحصر الرحبة وضيق على أهلها فملكها في صفر من هذه السنة وفيها توفيت والدة الخليفة القائم بأمر الله واسمها قطر الندى وقيل بدر الدجى وقيل علم وهي جارية أرمينية وفيها توفي محمد بن الحسين بن محمد بن الحسن أبو علي المعروف بالجازري النهرواني وكان مكثرا من الرواية (الجازري بالجيم وبعد الالف زاي ثم راء) وفيها توفي بابي أبو منصور الفقيه الحنبلي بالباء الموحدة وبعد الالف ياء تحتها نقطتان ومحمد بن عبيد بن أحمد بن محمد أبو عمرو بن أبي الفضل الفقيه المالكي

*(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة)*

*(ذكر وزارة ابن دارست للخليفة)*

لما عاد الخليفة الى بغداد استخدم أبا تراب الاثيري في الانهاء وحضور المواكب ولقبه حاجب الحجاب وكان قد خدمه بالحديثة وقرب منه فخاطب الشيخ أبو منصور بن يوسف في وزارة أبي الفتح منصور بن أحمد بن دارست وقال انه يخدم بغير اقطاع ويحمل مالا فأجيب الى ذلك فأحضر من الاهواز الى بغداد وخلع عليه خلعة الوزارة منتصف ربيع الآخر وجلس في منصبه ومدحه الشعراء فممن مدحه وهناه أبو الحسن الخباز بقصيدة منها

امن الملك بالامين أبي الفتـ * ـح وصدت عن صفوه الاقذاء
دولة أصبحت وأنت ولي الـسر أي فيها الدولة غـــراء

وهي طويلة وكان ابن دارست في أول امره تاجرا للملك أبي كاليجار

*(ذكر موت المعز بن باديس وولاية ابنه تميم)*

في هذه السنة توفي المعز بن باديس صاحب أفريقية من مرض أصابه وهو ضعف الكبد وكانت مدة ملكه سبعا وأربعين سنة وكان عمره لما ملك احدى عشرة سنة وقيل ثماني سنين وستة أشهر وكان رقيق القلب خاشعا متجنبا لسفك الدماء الا في حد حليما يتجاوز عن الذنوب العظام حسن الصحبة مع عبيده وأصحابه مكرما لاهل العلم كثير العطاء لهم كريما وهب مرة مائة ألف دينار للمستنصر الزناتي وكان عنده وقد جاء هذا المال فاستكثره فأمر به فأفرغ بين يديه ثم وهبه له فقيل له لم أمرت باخراجه من أوعيته قال لئلا يقال لو رآه ما سمحت نفسه به وكان

يستحدث من يشاء من خليقته موسوم بسنن الانبياء ومثل من قام بعدهم على مناهجهم من الولاة والامراء حتى انتهت نوبة الخلق الى زمن النبي المصطفى الاريحي المرتضى الابطحي المجتبى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فأرسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وجعل أمته به أفضل الامم وكلمتهم أعدل الكلم وملتهم أوسط الملل وقبلتهم أسد القبل وسنتهم أقوم السنن وكتابهم أشرف الكتب ووعدهم أن يكونوا يوم العدل والقضاء الفصل شهداء على من يظهر الجحود ويشكر الواحد المعبود قال تعالى وهو أصدق القائلين وأحكم الحاكمين لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فنسخت بشريعته الشرائع

له شعر حسن ولما مات رثاه الشعراء فمنهم أبو الحسن بن رشيق فقال

لكل حي وان طال المدى هلك • لا عز مملكة يبقى ولا ملك
ولى المعز على اعقابه فرما • أو كاد ينهد من أركانه الفلك
مضى فقيدا وأبقى فى خزائنه • هام الملوك وما أدراك ما ملكوا
ما كان الا حساما سله قدر • على الذين بغوا فى الارض وانهمكوا
كأنه لم يخض للموت بحر وغى • خضر البحار اذا قيست به برك
ولم يجد بقناطير مقنطرة • قد أرعبت باسمه ابريزها السكك
روح المعز وروح الشمس قد قبضا • فانظر بأى ضياء يصعد الفلك

ولما توفى ملك بعده ابنه تميم وكان مولد تميم بالمنصورية التى هى مقره منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وولاه المهدية فى صفر سنة خمس وأربعين فأقام بها الى ان وافاه أبوه المعز لما انتزح عن القيروان من العرب وقام بخدمة أبيه وأظهر من طاعته وبره ما بان به كذب ما كان نسب اليه ولما استبد بالملك بعد أبيه سلك طريقه فى حسن السيرة ومحبة أهل العلم الا انه كان أصحاب البلاد قد طمعوا بسبب العرب وزالت الهيبة والطاعة عنهم فى أيام المعز فلما مات ازداد طمعهم واظهر كثير منهم الخلاف فمن أظهر الخلاف القائد حمو بن مليك صاحب سفاقس واستعان بالعرب وقصد المهدية ليحاصرها فخرج اليه تميم وصافه فاقتتلوا فانهزم حمو وأصحابه وكثر القتل فيهم ومضى حمو ونجا بنفسه وتفرقت خيله ورجاله وكان ذلك سنة خمس وخمسين وسار تميم الى سوسة وكان أهلها قد خالفوا أباه المعز وعصوا عليه فملكها وعفا عن أهلها

• (ذكر وفاة قريش صاحب الموصل وامارة ابنه شرف الدولة) •

فى هذه السنة توفى قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين أصابه خروج الدم من فيه وأنفه وعينه وأذنيه فحمله ابنه شرف الدولة الى نصيبين حتى حفظ خزائنه بها وتوفى هناك وجمع فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير جماعة فسار من دارا الى نصيبين وجمع بنى عقيل على ان يؤمروا ابنه أبا المكارم مسلم بن قريش عليهم وكان القائم بأمره جابر بن ناشب فزوجه فخر الدولة باخت مسلم وزوج مسلما بابنة نصر بن منصور

• (ذكر وفاة نصر الدولة بن مروان) •

فى هذه السنة توفى نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله نصر الدولة وكان عمره نيفا وثمانين سنة وامارته اثنتين وخمسين سنة واستولى على الامور ببلاده استيلاء تاما وعمر الثغور وضبطها وتنعم تنعما لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه وملك من الجوارى المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك وملك خمسمائة سرية سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان فى مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة وأرسل طباخين الى الديار المصرية وغرم على ارسالهم جملة وافرة حتى تعلموا الطبخ من هناك وأرسل الى السلطان طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها الجبل الياقوت الذى كان لبنى بويه اشتراه من الملك العزيز أبى منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف

وبصنيعه الصنائع وبدليله الادله ويديه الاقار والاهله وانتشرت نبوته مسداة بالخلاص ملحمة بالاخلاص معلمة بالتمام مطرزة بالدوام على تعاقب الليالى والايام لم يفرط فيما من شئ يقتضى تماما ويستدعى دوامه ولهذا قال تعالى جده اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فاطلق على الدين لفظ الكمال لاستقامته على غاية الاعتدال واستفائه عن عوارض النقص والاختلال الى أن قبضه الله جل ذكره اليه مشكور السعى والاثر ممدوح النصر والظفر مرضى السمع والبصر محمود العيان والاثر فاستخلف فى أمته الثقلين اللذين يعصمان الاقدام أن تزل والاحلام أن تضل والقلوب أن تمرض والشكوك أن تعترض فمن تمسك بهما فقد أمن العثار وربح اليسار ومن صدف عنهما فقد أساء

دينار سوى ذلك ووزر له أبو القاسم بن المغربي وفخر الدولة بن جهير ورخصت الاسعار في أيامه وتظاهر الناس بالاموال ووفد اليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه ان الطيور في الشتاء تخرج من الجبال الى القرى فتصاد فأمر ان يطرح لها الحب من الاهراء التي له فكانت في ضيافته طول عمره ولما مات اتفق وزيره فخر الدولة ابن جهير وابنه نصر فرتب نصرا في الملك بعد أبيه وجرى بينه وبين أخيه سعيد حروب شديدة كان الظفر في آخرها النصر فاستقر في الامارة بميافارقين وغيرها وملك أخوه سعيد آمد

*(ذكر عدة حوادث)*

في رجب خلع على الكامل ابي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وقلد نقابة النقباء ولقب الكامل ذا الشرفين وفيها تولى شمس الدين أسامة بن أبي عبد الله بن علي نقابة العلويين ببغداد ولقب المرتضى وفيها في جمادى الاولى انكسفت الشمس جميعها فظهرت الكواكب واظلمت الدنيا وسقطت الطيور الطائرة وفيها في شهر رمضان توفي شكر العلوي الحسيني أمير مكة وله شعر حسن فمنه

قوض خيامك عن أرض تضام بها * وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة * فالمندل الرطب في أوطانه حطب

وفيها توفي أبو القاسم علي بن محمد بن يحيى الشمشاطي بدمشق وكان عالما بالهندسة والرياضيات من علوم الفلاسفة واليه ينسب الرباط الذي عند جامع دمشق

*(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة)*

*(ذكر نكاح السلطان طغرلبك ابنة الخليفة)*

في هذه السنة عقد للسلطان طغرلبك على ابنة الخليفة القائم بأمر الله وكانت الخطبة تقدمت سنة ثلاث وخمسين مع أبي سعد قاضي الري فانزعج الخليفة من ذلك وأرسل في الجواب أبا محمد التميمي وأمره ان يستعفي فان أعفي والاتمم الامر على ان يحمل السلطان ثلثمائة ألف دينار ويسلم واسطا وأعمالها فلما وصل الى السلطان ذكر لعميد الملك الوزير ما ورد فيه من الاستعفاء فقال لا يحسن أن يرد السلطان وقد سأل وتضرع ولا يجوز مقابلته أيضا بطلب الاموال والبلاد فهو يفعل اضعاف ما طلب منه فقال التميمي الامر لك ومهما فعلته فهو الصواب فبنى الوزير الامر على الاجابة وطالع به السلطان فسر به وجمع الناس وعرفهم ان همته سمت به الى الاتصال بهذه الجهة النبوية وبلغ من ذلك ما لم يبلغه سواه من الملوك وتقدم الى عميد الملك الوزير ان يسير ومعه ارسلان خاتون زوجة الخليفة وان يصحبها مائة ألف دينار برسم الحمل وما شاكلها من الجواهر وغيرها ووجه معه فرامرز بن كاكويه وغيره من وجوه الامراء واعيان الري فلما وصل الى الامام القائم بأمر الله وأوصل خاتون زوجة الخليفة الى دارها وأنهى حضوره وحضور من معه وذكر حال الوصلة فامتنع الخليفة من الاجابة اليها وقال ان اعفينا والا خرجنا من بغداد فقال عميد الملك كان الواجب الامتناع من غير اقتراح وعند الاجابة الى ما طلب فالامتناع سعي على دم وأخرج خيامه الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ أبو منصور بن يوسف وانهيا الى الخليفة عاقبة انصرافه على هذا الوجه وصنع

الاختيار وركب الناس وارتدف الادبار أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فصلى الله عليه وعلى آله ما انبلج عن الليل الصباح واقترن العز باطراف الرماح ونادى المنادي بحي على الفلاح صلاة تكافئ حسن بلائه وتضاهي سابق غنائه وتقضي فرض طاعته وتقتضي فضل شفاعته وسلم تسليما (وبعد) فان الدين والملك توأمان فالدين أس والملك حارس وما لا حارس له فضائع وما لا أس له فمهدوم والسلطان ظل الله في أرضه وخليفته على خلقه وأمينه على رعاية حقه به تتم السياسة وعليه تستقيم الخاصة والعامة وبهيبته ترتفع الحوادث والفتن وبايالته تنحسم المخاوف والمحن ولولاه لانحل النظام وتساوى الخاص والعام

له ابن دارست وزير الخليفة دعوة فحضر عنده فرأى على مسجد مكتوباً معاوية فقال على قامر
بحكه وكتب من الديوان الى خمارتكين الطغرائي كتاباً يتضمن الشكوى من عميد الملك فورد
الجواب عليه بالرفق وكتب الخليفة الى عميد الملك فحضر ترددالامر الى وأيك ونعول على أمانتك
ودينك فحضر يوماً عند الخليفة ومعه جماعة من الامراء وأحجاب والقضاة والشهود فأخذ
المجلس لنفسه ولم يتكلم سواه وقال للخليفة اسأل مولانا أمير المؤمنين التطول بذكر ما شرف
به العبد المخلص شاهنشاه ركن الدين فيما رغب فيه ليعرفه الجماعة فغالطه وقال قد سطر في
المعنى ما فيه كفاية فانصرف عميد الملك مغتاظاً ورحل في السادس والعشرين من جمادى الآخرة
وأخذ المال معه الى همذان وعرف السلطان ان السبب في اتفاق الحال من خمارتكين
الطغرائي فتغير السلطان عليه فهرب في ستة غلمان وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ
أبي منصور بن يوسف يعتب ويقول هذا جزائي من الخليفة الذي قتلت أخي في خدمته وانفقت
أموالي في نصرته وأهلكت خواصي في محبته وأطال العتاب وعاد الجواب اليه بالاعتذار
وأما الطغرائي فانه أدرك ببروجرد فقال أولاد ابراهيم ينال للسلطان ان هذا قتل أبانا ونسأل
ان نمكن من قتله وأعانهم عميد الملك فاذن لهم في قتله فساروا الى طريقه وقتلوه وجعل مكانه
ساوتكين وبسط الكندري لسانه وطلب طغرلبك ابنة أخيه زوجة الخليفة لتعاد اليه وجرى
ما كان يفضي الى الفساد الكلي فلما رأى الخليفة شدة الامر أذن في ذلك وكتب الوكالة باسم
عميد الملك وسيرت الكتب مع أبي الغنائم ابن المحلبان وكان العقد في شعبان سنة أربع وخمسين
بظاهر تبريز وهذا ما لم يجر للخلفاء مثله فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء
لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله وحمل السلطان أموالاً كثيرة وجواهر نفيسة للخليفة
ولولي العهد وللجهة المطلوبة ولوالدتها وغيرهم وجعل بعقوبا وما كان بالعراق للخاتون زوجة
السلطان التي توفيت للسيدة ابنة الخليفة

## (ذكر عزل ابن دارست ووزارة ابن جهير)

في هذه السنة عزل أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست من وزارة الخليفة وسببه انه وصل معه
انسان يهودي يقال له ابن علان فضمن أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كر غلة
ومائة ألف دينار فصح منها الفا كر وثلاثون ألف دينار وانكسر الباقي فظهر عجز ابن دارست
ووهنه فعزل وعاد الى الاهواز فتوفي بها سنة سبع وستين وكان فخر الدولة أبو نصر بن جهير
وزير نصر الدولة بن مروان قد أرسل يخطب الوزارة وبذل فيها بذولاً كثيرة فأجيب اليها
وأرسل كامل طراد الزينبي الى ميافارقين كأنه رسول فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له
فتمم السير معه وخرج ابن مروان في اثره فلم يدركه فلما وصل الى بغداد خرج الناس الى استقباله
وخلع عليه خلع الوزارة يوم عرفة ولقب فخر الدولة واستقر في الوزارة ومدحه وهناه ابن الفضل
وغيره من الشعراء

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عم الرخص جميع الاصقاع فبيع بالبصرة ألف رطل من التمر بثمانية قراريط
وفيها توفي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي بمصر وفيها سار السلطان طغرلبك

وشمل الهرج والمرج
وعم الاضطراب والهيج
واشرأبت النفوس الى
ما في طباعها من التباغي
والتباين والتفاضل
والتغاير حتى يشغلهم ذلك
عن مصالحهم معاشاً ومعاداً
ويقيم أودهم يوماً وغداً
والى هذا المعنى يلتفت قول
عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ما يزع السلطان أكثر
مما يزع القرآن اذ كان
أكثر الناس يرون ظاهر
السياسات فيردعهم خوف
المعاقبة وحذار المؤاخذة
عن تنكب الحدود والعدول
عن السمت والمقصد ومن
الناس من يستقري آي كتاب
الله تعالى بفكره ويتدبرها
بعقله ويجعل لنفسه منها
اماماً يهديه الى الاصلح
وزماماً يثنيه عن الاقبح
فيكون مؤدب نفسه ومقوم
ذاته ورائض اخلاقه
وعاداته ومعنى حديث عمر
رضي الله عنه منتزع من
قوله تعالى لأنتم أشد رهبة
في صدورهم من الله ذلك
بأنهم قوم لا يفقهون

إلى

الى قلعة الطرم من بلاد الديلم وقرّر على مسافر ملكها مائة ألف دينار وألف ثوب وفيها مات أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب معز الدولة بحلب وقام أخوه عطية مقامه وتوفى الحسن ابن على بن محمد أبو محمد الجوهرى ومولده سنة ثلاث وستين وثلثمائة وكان من الائمة المكثرين من سماع الحديث وروايته وهو آخر من حدث عن أبى بكر القطيعى والابهرى وابن شاذان وغيرهم

(ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة)

*(ذكر ورود السلطان بغداد ودخوله بابنة الخليفة)*

فى هذه السنة فى المحرم توجه السلطان طغرلبك من ارمينية الى بغداد وأراد الخليفة ان يستقبله فاستعفاه من ذلك وخرج الوزير ابن جهير فاستقبله وكان مع السلطان من الامراء أبو على بن الملك أبى كاليجار وسرخاب بن بدر وهزارسب وأبو منصور فرامرز بن كاكويه ونزل عسكره فى الجانب الغربى فزاد بهم أذى ووصل عميد الملك الى الخليفة وطالب بالجهة وبات بالدار فقيل له خطك موجود بالشرط وان المقصود بهذه الوصلة الشرف لا الاجتماع وانه ان كانت مشاهدة فتكون فى دار الخلافة فقال السلطان نفعل هذا ولكن تفرد له من الدور والمساكن ما يكفيه ومعه خواصه وحجابه ومماليكه فانه لا يمكنه مفارقتهم فحينئذ نقلت الى دار المملكة فى منتصف صفر فجلست على سرير ملبس بالذهب ودخل السلطان اليها وقبل الارض وخدمها ولم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت هى له وحمل لها أشياء كثيرا من الجواهر وغيرها وبقى كذلك يحضر كل يوم يخدم وينصرف وخلع على عميد الملك وعمل السماط عدة أيام وخلع على جميع الامراء وظهر عليه سرور عظيم وعقد ضمان بغداد على أبى سعيد القاينى بمائة وخمسين ألف دينار فأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس وقبض على الاعرابى سعد ضامن البصرة وعقد ضمان واسط على أبى جعفر بن صقاب بمائتى ألف دينار

*(ذكر وفاة السلطان طغرلبك)*

فى هذه السنة سار السلطان من بغداد فى ربيع الاول الى بلد الجبل فوصل الى الرى واستصحب معه ارسلان خاتون ابنة أخيه زوجة الخليفة لانها شكت اطراح الخليفة لها فأخذها معه فمرض وتوفى يوم الجمعة ثامن شهر رمضان وكان عمره سبعين سنة تقريبا وكان عقيما لم يلد ولدا وكان وزيره الكندرى على سبعين فرسخا فأتاه الخبر فسار ووصل اليه فى يومين وهو بعد لم يدفن فدفنه وجلس له الوزير فخر الدولة بن جهير ببغداد للعزاء حكى عنه الكندرى انه قال رأيت وأنا بخراسان فى المنام كأنى رفعت الى السماء وأنا فى ضباب لا أبصر معه شيأ غير انى اشم رائحة طيبة وانى أنادى انك قريب من البارى جلت قدرته فاسأل حاجتك لتقضى فقلت فى نفسى اسأل طول العمر فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب ما يكفينى فقيل لك سبعون سنة فقلت يارب لا يكفينى فقيل لك سبعون سنة فلما مات حسب عميد الملك عمره على التقريب فكان سبعين سنة وكانت مملكته بحضرة الخلافة سبع سنين وأحد عشر شهرا واثنى عشر يوما واما الاحوال بالعراق بعد وفاته فانه كتب من ديوان الخلافة الى شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل الى نور الدولة دبيس بن مزيد والى هزارسب والى بنى ورام والى بدر بن المهلهل

موضوع السيف العابة* ومجموع القرآن الخاصة* وان كان الجميع فى معانيه مشتركا* وبأوامره ونواهيه مرتبطا ومتمسكا* غير ان العامى يرى السيف فيرتدع* والخاصى يرى الحق فيتبع* وشتان ما بين مدبر ومسحر بغيره* ومؤدب ومهذب بنور ربه* وقد كان يختلج فى صدرى معنى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز لجمعه بين الكتاب والميزان والحديد على تنافر ظاهرها من المناسبة* وبعدها قبل الروية والاستنباط عن جواز المشاكلة والمجانسة وسألت عنه عدة من أعيان العلماء المذكورين بالتفسير* والمشهورين ممن بينهم بالتذكير* فلم أحصل منهم على جواب يزيح العلة*

بالاستدعاء الى بغداد وأرسل لشرف الدولة تشريفا وعمل أبو سعد القايني ضامن بغداد سورا على قصر عيسى وجمع الغلات فانحدر ابراهيم بن شرف الدولة الى أوانا وتسلم أصحابه الانبار وانتشرت البادية في البلاد وقطعوا الطرقات وقدم الى بغداد دبيس بن مزيد وخرج الوزير ابن جهير لاستقباله وقدم أيضا ورام ونزل ببغداد أبو الفتح بن ورام مقدم الاكراد الجاوانية فحمل الجسر براياه وفارق شرف الدولة مسلم بغداد ونهب النواحي فسار نور الدولة والاكراد وبنو خفاجة الى قتاله ثم أرسل اليهم من ديوان الخليفة رسول معه خلعة له وكوتب بالرضا عنه وانحدر اليه نور الدولة دبيس فعمل لشرف الدولة سماطا كثيرا وكان في الجماعة الاشرف أبو الحسين بن فخر الملك أبي غالب بن خلف كان قصد شرف الدولة متضيفا فضغط لقمة فمات من ساعته وحكى عنه بعض من صحبه انه سمعه ذلك اليوم يقول اللهم اقبضني فقد ضجرت من الاضاقة فلما توفي ورفع من السماط خاف شرف الدولة ان يظن من حضر انه تناول طعاما مسموما قصد به غيره فقال يا معشر العرب لا يبرح منكم أحد ونهض وجلس مكان ابن فخر الملك المتوفى وجعل يأكل من الطعام الذي بين يديه فاستحسن الجماعة فعله وعادوا عنه وخلع على دبيس وولده منصور وعاد الى حلته ولما رأى الناس ببغداد انتشار الاعراب في البلاد ونهبها حملوا السلاح لقتالهم وكان ذلك سببا لكثرة العيارين وانتشار المفسدين

•(ذكر شيء من سيرته)•

كان عاقلا حليما من أشد الناس احتمالا وأكثرهم كتمانا للسر ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه الى الملك أبي كاليجار فلم يطلعه على ذلك ولا تغير عليه حتى أظهره بعد مدة طويلة لغيره وحكى عنه أقضى القضاة الماوردي قال لما أرسلني القائم بأمر الله اليه سنة ثلاث وثلاثين كتبت كتابا الى بغداد أذكر فيه سيرته وخراب بلاده وأطعن عليه بكل وجه فوقع الكتاب من غلامي فحمل اليه فوقف عليه وكتمه ولم يحدثني فيه بشيء ولا تغير عما كان عليه من اكرامي وكان رحمه الله يحافظ على الصلوات ويصوم الاثنين والخميس وكان لبسه الثياب البياض وكان ظلوما غشوما قاسيا وكان عسكره يغصبون الناس أموالهم وأيديهم مطلقة في ذلك نهارا وليلا وكان كريما فمن كرمه ان أخاه ابراهيم ينال أسر من الروم لما غزاهم بعض ملوكهم فبذل في نفسه أربعمائة ألف دينار فلم يقبل ابراهيم منه وحمله الى طغرلبك فأرسل ملك الروم الى نصر الدولة ابن مروان حتى خاطب طغرلبك في فكاكه فلما سمع طغرلبك رسالته أرسل الرومي الى ابن مروان بغير فداء وسير معه رجلا علويا فأنفذ ملك الروم الى طغرلبك ما لم يحمل في الزمان المتقدم وهو ألف ثوب ديباج وخمسمائة ثوب أصناف وخمسمائة رأس من الكراع الى غير ذلك وأنفذ مائتي ألف دينار ومائة لبنة فضة وثلثمائة شهري وثلثمائة حمار مصري وألف عنز بيض الشعور سود العيون والقرون وأنفذ الى ابن مروان عشرة أمناء مسكا وعمر ملك الروم الجامع الذي بناه مسلمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وعمر منارته وعلق فيه القناديل وجعل في محرابه قوسا ونشابة وأشاع المهادنة

•(ذكر ملك السلطان ألب أرسلان)•

لما مات السلطان طغرلبك أجلس عميد الملك الكندري في السلطنة سليمان بن داود جغرى

ويشفي الصدور ويقمع الغلة• حتى أعملت التفكر• وأنعمت التدبر• فوجدت الكتاب قانون الشريعة• ودستور الاحكام الدينية• يبين سبل المراشد• ويفصل جمل الفرائض• ويتضمن مصالح الابدان والنفوس ويتضمن جوامع الاحكام والحدود• قد حظر فيه التعادي والتظالم• ورفض التباغي والتخاصم• وأمر بالتناصف والتعادل في أقسام الارزاق المخرجة لهم بين رجع السماء وصدع الارض لتكون ما يصل منها الى أهل الطلاب بحسب الاستحقاق دون التغلب والتوثب واحتاجوا في استدامة حياتهم بأقواتهم مع النصفة المندوب اليها الى استعمال آلة العدل يقع بها التعامل• ويتم معها التساوي والتعادل• فالهمهم الله تعالى اتخاذ الآلة التي هي الميزان فيما يأخذونه ويعطونه لئلا يتظالموا بمخالفته فيتكاوا اذ لم يكن ينتظم لهم عيش مع سوغ ظلم البعض منهم

بك أخى السلطان طغرلبك وكان طغرلبك قد عهد اليه بالملك وكانت والدة سليمان عند طغرلبك فلما خطب له بالسلطنة اختلف الامراء فمضى باغى سيان واردم الى قزوين وخطبا لعضد الدولة الب ارسلان محمد بن داود جغرى بك وهو حينئذ صاحب خراسان ومعه نظام الملك وزيره والناس مائلون اليه فلما رأى عميد الملك الكندرى انعكاس الحال عليه أمر بالخطبة بالرى للسلطان الب ارسلان وبعده لاخيه سليمان

*(ذكر خروج حمو عن طاعة تميم بن المعز بافريقية)*

فى هذه السنة خالف حمو بن مليك صاحب مدينة سفاقس بافريقية على الامير تميم بن المعز بن باديس بجمع أصحابه واستعان بالعرب وسار الى المهدية فسمع تميم الخبر فسار اليه بعساكره ومعه أيضا طائفة من العرب من زغبة ورياح ووصل حمو الى سلقطة والتقى الفريقان بها وكان بينهما حرب شديدة فانهزم حمو ومن معه وأخذتهم السيوف فقتل اكثر رجاله وأصحابه ونجا بنفسه وتفرقت رجاله وعاد تميم مظفرا منصورا ثم قصد بعد هذه الحادثة مدينة سوسة وكان أهلها قد خالفوا عليه فلكها وعفا عنهم وحقن دماءهم

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى المحرم قبض بمصر على الوزير أبى الفرج بن المغربى وفيها ادخل الصليحى صاحب اليمن الى مكة مالكا لها فاحسن السيرة فيها وجلب اليها الاقوات ورفع جور من تقدم وظهرت منه افعال جميلة وفيها فى ربيع الآخر انقض كوكب عظيم وكان له ضوء كثير وفيها فى شعبان كان بالشام زلزلة عظيمة خرب منها كثير من البلاد وانهدم سور طرابلس وفيها ملك أمير الجيوش بدر دمشق للمستنصر صاحب مصر فوصل اليها فى الثالث والعشرين من ربيع الآخر وأقام بها واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة فضعف عنهم ففارقها فى رجب سنة ست وخمسين وفيها توفى سعيد بن نصر الدولة بن مروان صاحب آمد من ديار بكر وزهير بن الحسين بن على أبو نصر الجذامى الفقيه الشافعى تفقه على أبى حامد الاسفراينى وسمع الحديث الكثير ورواه وكان موته بسرخس

(ثم دخلت سنة ست وخمسين واربعمائة)

*(ذكر القبض على عميد الملك وقتله)*

فى هذه السنة قبض السلطان الب ارسلان على الوزير عميد الملك ابى نصر منصور بن محمد الكندرى وزير طغرلبك وسبب ذلك ان عميد الملك قصد خدمة نظام الملك وزير الب ارسلان وقدم بين يديه خمسمائة دينار واعتذر وانصرف من عنده فسار أكثر الناس معه فخوف السلطان من غائلة ذلك فقبض عليه وأنفذه الى مرو الروذ وأتى عليه سنة فى الاعتقال ثم نفذ اليه غلامين فدخلا عليه وهو محموم فقالا له تب مما أنت عليه ففعل ودخل فودع أهله وخرج الى مسجد هناك فصلى ركعتين وأراد الغلامان خنقه فقال لست بلص وخرق خرقة من طرف كمه وعصب عينيه فضربوه بالسيف وكان قتله فى ذى الحجة ولف فى قميص دبيقى من ملابس الخليفة وخرقة كانت البردة التى عند الخلفاء فيها وحملت جثته الى كندر فدفن عند أبيه وكان عمره يوم قتل نيفا واربعين سنة وكان سبب اتصاله بالسلطان طغرلبك ان السلطان لما ورد

للبعض ويدل على هذا المعنى قوله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان وذلك انه تعالى جعل السماء علة للارزاق والاقوات * من أنواع الحبوب والنبات* وكان ما يخرج منها من أحسن أغذية العباد وهما فى حياتهم مضطرا الى أن يكون اقتسامه بينهم على الانصاف * دون الجزاف والاسراف * ولم يكن يتم ذلك الا بهذه الآلة المذكورة فنبه الله تعالى على وضع الفائدة فيه * والعائدة به شكر وذكره ومعانيه * فكان ما تقدم ذكر معنى الكتاب والميزان ثم انه من المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية * والآلة الموضوعة للتعامل بالسوية * انما يحفظ العالم على اتباعهما * ويضطر العالم الى التزام أحكامهما * بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند * ونزع عن صفقة الجماعة اليد * وهو بارق سطوته * وشهاب نقمته *

نيسابور وطلب رجلا يكتب له ويكون فصيحا بالعربية فدل عليه الموفق والد أبي سهل واعطته
السعادة وكان فصيحا فاضلا واشتهر من شعره ما قاله في غلام تركي صغير السن كان واقفا على
رأسه يقطع بالسكين قصبة فقال عميد الملك فيه

أنا مشغول بحبه • وهو مشغول بلعبه
لو أراد الله خيرا • وصلاحا لمحبه
نقلت رقة خديه • الى قسوة قلبه
صانه الله فإنا • كشعاع في بحبه

ومن شعره ان كان بالناس ضيق من منافستي • فالموت قد وسع الدنيا على الناس
مضيت والشامت المغبون يتبعني • كل لكاس المنايا شارب حاسي

وقال أبو الحسن الباخرزي يخاطب ألب ارسلان عند قتل الكندري

وعمك أدناه وأعلى محله • وبوأه من ملكه كنفا رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده • فخوله الدنيا وخولته العقبى

وكان عميد الملك خصيا قد خصاه طغرلبك لأنه أرسله يخطب عليه امرأة فتزوجها هو
وعصى عليه فظفر به وخصاه وأقره على خدمته وقيل بل أعداؤه أشاعوا عنه انه تزوجها فخصى
نفسه ليخلص من سياسة السلطنة فقال فيه علي بن الحسن الباخرزي

قالوا محا السلطان عنه بعزه • سمة الفحول وكان قرما صائلا
قلت اسكتوا فالآن زاد فحولة • لما اغتدى عن أنثييه عاطلا
فالفحل يأنف أن يسمى بعضه • أنثى لذلك جذه مستأصلا

يعني بالأنثى واحدة الانثيين وكان شديد التعصب على الشافعية كثير الوقيعة في الشافعي رضي
الله تعالى عنه بلغ من تعصبه انه خاطب السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان فأذن في
ذلك فأمر بلعنهم وأضاف اليهم الاشعرية فأنف من ذلك أئمة خراسان منهم الامام أبو القاسم
القشيري والامام أبو المعالي الجويني وغيرهما ففارقوا خراسان وأقام امام الحرمين بمكة
أربع سنين الى ان انقضت دولته يدرس ويفتي فلهذا لقب امام الحرمين فلما جاءت الدولة
النظامية أحضر من انتزح منهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقيل انه تاب من الوقيعة في الشافعي
فان صح فقد أفلح والا فعلى نفسها براقش تجني ومن العجب أنه ذكره دفن بخوارزم لما خصي
ودمه مسفوح بمرو وجسده مدفون بكندر ورأسه ما عدا قحفه مدفون بنيسابور ونقل قحفه
الى كرمان لان نظام الملك كان هناك فاعتبروا يا أولي الابصار ولما قرب القتل قال للقاصد اليه
قل لنظام الملك بئسما عودت الاتراك قتل الوزراء وأصحاب الديوان ومن حفر قليبا وقع فيه
ولم يخلف عميد الملك غير بنت

•(ذكر ملك ألب ارسلان ختلان وهراة وصغانيا)•

لما توفي طغرلبك وملك ألب ارسلان عصى عليه أمير ختلان بقلعته ومنع الخراج فقصده السلطان
فرأى الحصن منيعا على شاهق فأقام عليه وقاتله فلم يصل منه الى مراده ففي بعض الأيام باشر ألب
ارسلان القتال بنفسه وترجل وصعد في الجبل فتبعه الخلق وتقدموا عليه في الموقف وألحوا في
الزحف والقتال وكان صاحب القلعة على شرافة من سورها يحرض الناس على القتال فأتته
نشابة من العسكر فقتلته وتسلم ألب ارسلان القلعة وصارت في جملة الملك وكان عم فخر الملك

وبذوة عقابه وعقبة عذابه • فهذا السيف هو الحديد الذي وصفه الله بالبأس الشديد • يجمع بالقول الوجيز معاني كثيرة الشعوب متدانية الجنوب • محكمة المطالع • مقومة المبادي والمقاطع • تظهر بهذا التأويل معنى الآية وبان أن السلطان خليفة الله في أرضه على خلقه • وأمينه على رعاية حقه • بما قلده من سيفه ومكن له في أرضه • وأحق الولاة بأن يكون شريفا نبيها وعند الله كريما وجيها • من كانت عنايته بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام والمسلمين • أوفر وأوفى • ومجادته لأعداء الله المارقين عن شرائعه • المارين دون حدوده وفرائضه • بنفسه وماله ورهطه ورجاله • أشرح للصدور وأشفى • وقد علم أبناء البدو والحضر وأنشاء المدر والوبر من حيث مد الصبح جناحيه الى أن ضمها بالوقوع في أفق الغرب أن راية الاسلام لم تظل على سلطان أحسن دينا وأصدق

يغو بن ميكائيل في هراة فعصى أيضا عليه وطمع في الملك لنفسه فسار اليه الب ارسلان في العساكر العظيمة فحصره وضيق عليه وادام القتال ليلا ونهارا فتسلم المدينة وخرج عمه اليه فابقى عليه وأكرمه واحسن صحبته وسار من هناك الى صغانيان وأميرها اسمه موسى وكان قد عصى عليه فلما قاربه الب ارسلان صعد موسى الى قلعة على رأس جبل شاهق ومعه من الرجال الكماة جماعة كثيرة فوصل السلطان اليه وباشر الحرب لوقته فلم ينتصف النهار حتى صعد العسكر الجبل وملكوا القلعة قهرا وأخذ موسى اسيرا فامر بقتله فبذل في نفسه أموالا كثيرة فقال السلطان ليس هذا أوان تجارة واستولى على تلك الولاية بأسرها وعاد الى مرو ثم منها الى نيسابور

*(ذكر عود ابنة الخليفة الى بغداد والخطبة للسلطان الب ارسلان ببغداد)*

في هذه السنة أمر السلطان الب ارسلان السيدة ابنة الخليفة بالعود الى بغداد واعلمها انه لم يقبض على عميد الملك الا لما اعتمده من نقلها من بغداد الى الري بغير رضا الخليفة وأمر الامير ايتكين السليماني بالمسير في خدمتها الى بغداد والمقام بها شحنة وانفذ أبا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق للمسير في الصحبة وأمر بالمخاطبة في اقامة الخطبة له فمات في الطريق مجدرا وهذا أبو سهل من رؤساء أصحاب الشافعي بنيسابور وكان يحضر طعامه في رمضان كل ليلة أربعمائة متفقه ويصلهم ليلة العيد بكسوة ودنانير تعمهم فلما سمع بموته أرسل العميد أبا الفتح المظفر بن الحسين فمات أيضا في الطريق فالزم السلطان رئيس العراقين بالمسير فوصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر وخرج عميد الدولة ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم واقترح السلطان ان يخاطب بالولد المؤيد فاجيب الى ذلك ولقب ضياء الدين عضد الدولة وجلس الخليفة جلوسا عاما سابع جمادى الاولى وشافه الرسل بتقليد الب ارسلان السلطنة وسلمت الخلع بمشهد من الخلق وأرسل اليه من الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبي فوصلوا اليه وهو بنقجوان من اذربيجان فلبس الخلع وبايع الخليفة

*(ذكر الحرب بين الب ارسلان وقتلمش)*

سمع الب ارسلان ان شهاب الدولة قتلمش وهو من السلجوقية أيضا وهو جد الملوك أصحاب قونية وقيصرية واقصرا وملطية وهذا قد عصى عليه وجمع جموعا كثيرة وقصد الري ليستولي عليها فجهز الب ارسلان جيشا عظيما وسيرهم على المفازة الى الري فسبقوا قتلمش اليها وسار الب ارسلان من نيسابور أول المحرم من هذه السنة فلما وصل الى دامغان ارسل الى قتلمش ينكر عليه فعله وينهاه عن ارتكاب هذه الحال ويأمره بتركها فانه يرعى له القرابة والرحم فأجاب قتلمش جواب مغتر بمن معه من الجموع ونهب قرى الري وأجرى الماء على وادي الملح وهي سبخة فتعذر سلوكها فقال نظام الملك قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك ولا يخذلونك ويرمون دونك بسهام لا تخطي وهم العلماء والزهاد فقد جعلتهم بالاحسان اليهم من أعظم اعوانك وقرب السلطان من قتلمش فلبس نظام الملك السلاح وعبا الكتائب واصطف العسكران وكان قتلمش يعلم علم النجوم فوقف ونظر فرأى ان طالعه في ذلك اليوم قد قارنه نحوس لا يرى معها ظفرا فقصد المحاجزة وجعل السبخة بينه وبين الب ارسلان ليمتنع من اللقاء فسلك

يقينا * وأوسع علما وأوقع حلما * واسد سيره * وأخلص سريره * وأتم وفاء * وأعم سخاء * وأوفر حياء * وأغنى غناء * واعظم قدرا * وأفخم ذكرا * وامتد باعا * وأشد امتناعا * وأجل جلاله * واكمل عدة وآله * وأرفع ملكا وسلطانا * وأطوع أنصارا وأعوانا * وأروع سيفا وسنانا * وأحمى للاسلام وذويه * وأنفى للشرك ومنتحليه * وأعدى للباطل ومن يليه * اكتسابا ووراثة * وطباعا واستفادة * من الامير السيد الملك المؤيد عين الدولة * وأمين الملة * أبي القاسم محمود بن ناصر الدين أبي منصور سبكتكين * ملك الشرق بجنبيه * والصدور من العالم ويديه * لانتظام الاقليم الرابع وما يليه من ثالث الاقاليم وخامسها في حوزة ملكه * وحصول انتظام ممالكها الفسيحة وولاياتها العريضة في قبضة ملكه * ومصير امرائها * وذوي الالقاب الملوكية من عظمائها *

الب ارسلان طريقا فى الماء وخاض نهرنه وتبعه العسكر فطلع منه ضالماء وعسكره أصاروا مع قتلمش واقتتلوا فلم يثبت عسكر قتلمش لعسكر السلطان وانهزموا الساعتهم ومضى منهزما الى قلعة كردكوه وهى من جملة حصونه ومعاقله واستولى القتل والاسر على عسكره فاراد السلطان قتل الاسرى فشفع فيهم نظام الملك فعفا عنهم وأطلقهم ولما سكن الغبار ونزل العسكر وجد قتلمش ميتا ملقى على الارض لايدرى كيف كان موته قيل انه مات من الخوف والله أعلم فبكى السلطان لموته وقعد لعزائه وعظم عليه فقده فسلاه نظام الملك ودخل الب ارسلان الى مدينة الرى آخر المحرم من السنة ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم قد أتقنه مع انه تركى ويعلم غيره من علوم القوم ثم ان أولاده من بعده لم يزالوا يطلبون هذه العلوم الاولية ويقربون أهلها فنالهم بهذا غضاضة فى دينهم وسيرد من أخبارهم مايعلم منه ذلك وغيره من أحوالهم

*(ذكر فتح الب ارسلان مدينة آنى وغيرها من بلاد النصرانية)*

ثم سار السلطان من الرى أول ربيع الاول وسار الى اذربيجان فوصل الى مرند عازما على قتال الروم وغزوهم فلما كان بمرند أتاه أمير من أمراء التركمان كان يكثر غزو الروم اسمه طغدكين ومعه من عشيرته خلق كثير قد ألفوا الجهاد وعرفوا تلك البلاد وحثه على قصد بلادهم وضمن له سلوك الطريق المستقيم اليها فسار معه فسلك بالعساكر فى مضايق تلك الارض ومخارمها فوصل الى نقجوان فأمر بعمل السفن لعبور نهر أرس فقيل له ان سكان خوى وسلماس من اذربيجان لم يقوموا بواجب الطاعة وانهم قد امتنعوا ببلادهم فسير اليهم عميد خراسان ودعاهم الى الطاعة وتهددهم ان امتنعوا فأطاعوا وصاروا من جملة حزبه وجنده واجتمع عليه هناك من الملوك والعساكر مالا يحصى فلما فرغ من جمع العساكر والسفن سار الى بلاد الكرج وجعل مكانه فى عسكره ولده ملكشاه ونظام الملك وزيره فسار ملكشاه ونظام الملك الى قلعة فيها جمع كثير من الروم فنزل أهلها منها وتخطفوا من العسكر وقتلوا منهم خلقا كثيرا فنزل نظام الملك وملكشاه وقاتلوا من بالقلعة وزحفوا اليهم فقتل امير القلعة وملكها المسلمون وساروا منها الى قلعة سرمارى وهى قلعة فيها المياه الجارية والبساتين فقاتلوها وملكوها وانزلوا منها أهلها وكان بالقرب منها قلعة أخرى ففتحها ملكشاه وأراد تخريبها فنهاه نظام الملك عن ذلك وقال هى ثغر للمسلمين وشحنها بالرجال والذخائر والاموال والسلاح وسلم هذه القلاع الى أمير نقجوان وسار ملكشاه ونظام الملك الى مدينة مريم نشين وفيها كثير من الرهبان والقسيسين وملوك النصارى وعامتهم يتقربون الى أهل هذه البلدة وهى مدينة حصينة سورها من الاحجار الكبار الصلبة المشدودة بالرصاص والحديد وعندها نهر كبير فأعد نظام الملك لقتالها مايحتاج اليه من السفن وغيرها وقاتلها وواصل قتالها ليلا ونهارا وجعل العساكر عليها يقاتلون بالنوبة فضجر الكفار وأخذهم الاعياء والكلال فوصل المسلمون الى سورها ونصبوا عليه السلالم وصعدوا الى اعلاه لان المعاول كانت عن نقبه لقوة حجره فلما رأى أهلها المسلمين على السور فت ذلك فى اعضادهم وسقط فى أيديهم ودخل ملكشاه البلد ونظام الملك وأحرقوا البيع وخربوها وقتلوا كثيرا من أهلها واسلم كثير فنجوا من القتل واستدعى الب ارسلان اليه ابنه ونظام الملك وفرح بمايسره الله من الفتح على يد ولده وفتح ملكشاه فى طريقه



تحت حمايته وحياطته * واستدرائهم من آفات الزمان بظل ولايته ورعايته * واذعان ملوك الارض على بعدهم لعزته * وارتياعهم من فائض هيبته * واحترامهم على تقاذف الديار * وتحاجز الانجاد والاغوار * من فاجئ ركضته * واستخفاء الهند والروم تحت جيوبها عند ذكره * واقشعرارهم لهبوب الرياح من أرضه * وقد كان أدام الله دولته منذ لفظه المهد وجفاه الرضاع وانحلت عن لسانه عقدة الكلام * واستغنى من الاشارة بالافهام * مشغول اللسان بالذكر والقرآن * مشغوف النفس بالسيف والسنان * ممدود الهمة الى معالى الامور * معقود الامنية بسياسة الجمهور * لعبه مع الاتراب جد * وجده مستكد * بالم الا يعلم حتى يقتله خبرا * ويعزن لما يعزن حتى يدمثه قسرا وقهرا * وكان الامير الماضى سبكتكين أنار الله

عدة من القلاع والحصون وأسر من النصارى مالا يحصون كثرة وساروا الى سبذشهر فجرى بين أهلها وبين المسلمين حروب شديدة استشهد فيها كثير من المسلمين ثم ان الله تعالى يسر فتحها فملكها الب ارسلان وسار منها الى مدينة اعال لال وهي حصينة عالية الاسوار شاهقة البنيان وهي من جهة الشرق والغرب على جبل عال وعلى الجبل عدة من الحصون ومن الجانبين الآخرين نهر كبير لا يخاض فلما رآها المسلمون علموا عجزهم عن فتحها والاستيلاء عليها وكان ملكها من الكرج وهكذا ما تقدم من البلاد التي ذكرنا فتحها وعقد السلطان جسرا على النهر عريضا واشتد القتال وعظم الخطب فخرج من المدينة رجلان يستغيثان ويطلبان الامان والتمسا من السلطان ان يرسل معهما طائفة من العسكر فسير جمعا صالحا فلما جازوا الفصيل أحاط بهم الكرج من أهل المدينة وقاتلوهم فاكثروا القتل فيهم ولم يتمكن المسلمون من الهزيمة لضيق المسلك وخرج الكرج من البلد وقصدوا العسكر واشتد القتال وكان السلطان ذلك الوقت يصلي فاتاه الصريخ فلم يبرح حتى فرغ من صلاته وركب وتقدم الى الكفار فقاتلهم وكبر المسلمون عليهم فولوا منهزمين فدخلوا البلد والمسلمون معهم ودخلها السلطان وملكها واعتصم جماعة من أهلها في برج من ابراج المدينة فقاتلهم المسلمون فامر السلطان بالقاء الحطب حول البرج واحراقه ففعل ذلك وأحرق البرج ومن فيه وعاد السلطان الى خيامه وغنم المسلمون من المدينة ما لا يحد ولا يحصى ولما جن الليل عصفت ريح شديدة وكان قد بقي من تلك النار التي أحرق بها البرج بقية كثيرة فاطارتها الريح فاحترقت المدينة باسرها وذلك في رجب سنة ست وخمسين وملك السلطان قلعة حصينة كانت الى جانب تلك المدينة وأخذها وسار منها الى ناحية قرس ومدينة آني وبالقرب منها ناحيتان يقال لهما دسل ورده ونورة فخرج أهلهما مذعنين بالاسلام وخربوا البيع وبنوا المساجد وسار منها الى مدينة آني فوصل اليها فرآها مدينة حصينة شديدة الامتناع لا ترام ثلاثة ارباعها على نهر ارس والربع الآخر نهر عميق شديد الجرية لو طرحت فيه الحجارة الكبار لدحاها وحملها والطريق اليها على خندق عليه سور من الحجارة الصم وهي بلدة كبيرة عامرة كثيرة الاهل فيها ما يزيد على خمسمائة بيعة فحصرها وضيق عليها الا ان المسلمين قد ايسوا من فتحها لما رأوا من حصانتها فعمل السلطان برجا من خشب وشحنه بالمقاتلة ونصب عليه المنجنيق ورماة النشاب فكشفوا الروم عن السور وتقدم المسلمون اليه لينقبوه فاتاهم من لطف الله ما لم يكن في حسابهم فانهدمت قطعة كبيرة من السور بغير سبب فدخلوا المدينة وقتلوا من أهلها ما لا يحصى بحيث ان كثيرا من المسلمين عجزوا عن دخول البلد من كثرة القتلى واسروا نحوا مما قتلوا وسارت البشرى بهذه الفتوح في البلاد فسر المسلمون وقرئ كتاب الفتح ببغداد في دار الخلافة فبرز خط الخليفة بالثناء على الب ارسلان والدعاء له ورتب فيها أميرا في عسكر جرار وعاد عنها وقد راسله ملك الكرج في الهدنة فصالحه على اداء الجزية كل سنة فقبل ذلك ولما رحل السلطان عائدا قصد اصبهان ثم سار منها الى كرمان فاستقبله أخوه قاورت بك بن جغري بك داود ثم سار منها الى مرو فزوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك ما وراء النهر وزفت اليه في هذا الوقت وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة واتحد البيتان البيت السلجوقي والبيت المحمودي واتفقت الكلمة

برهانه يرى الدنيا بعينه* ويسمع بأذنه وينطق بلسانه* ويستحلي مذاق العيش به* ويستطيب روح الهواء بقربه* ويستفتح مغالق الامور بيمنه* ويستحمد عواقب الخطوب بأسه* ولم يزل يدين بحره ونحره الى أن استنزلته رؤية البلوغ وبصيرة الادراك عن حجره ولم ينفك يتدرج بين الطافه وكراماته* وولاياته واقطاعاته* من رتبة الى اخرى أعلى منها مكانا* وأرفع شانا* الى أن ولي قيادة الجيوش والعساكر بخراسان وهي الرتبة التي طالما تناحر عليها كباش الرجال* وقروم الابطال* فلم يحظ بها الا اليسير الذين سار ذكرهم في الآفاق* وتسامع بهم رجال خراسان والعراق* سناء وقدرا* ودهاء ونكرا* ومهابة وحشمه* ونباهة ونعمه* هذا على طراءة سنه* ونضارة غصنه* وعنفوان امره* وريعان شبابه وعمره*

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الأول ظهر بالعراق وخوزستان وكثير من البلاد جماعة من الأكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خيما سودا وسمعوا منها لطما شديدا وعويلا كثيرا وقائلا يقول قد مات سيدوك ملك الجن وأي بلد لم يلطم أهله عليه ويعملوا له العزاء قلع أصله وأهلك أهله فخرج كثير من النساء في البلاد الى المقابر يلطمن وينحن وينشرن شعورهن وخرج رجال من سفلة الناس يفعلون ذلك وكان ذلك ضحكة عظيمة ولقد جرى في أيامنا نحن في الموصل وما والاها من البلاد الى العراق وغيرها نحو هذا وذلك ان الناس سنة ستمائة أصابهم وجع كثير في حلوقهم ومات منه كثير من الناس فظهر ان امرأة من الجن يقال لها أم عنقود مات إبنها عنقود وكل من لا يعمل له مأتما أصابه هذا المرض فكثر فعل ذلك وكانوا يقولون يا أم عنقود اعذرينا قد مات عنقود ما درينا وكان النساء يلطمن وكذلك الأوباش وفيها ولي أبو الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي نقابة العلويين ببغداد وإمارة الموسم ولقب بالطاهر ذي المناقب وكان المرتضى أبو الفتح أسامة قد استعفى من النقابة وصاهر بني خفاجة وانتقل معهم الى البرية وتوفى اجابة بمشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام في رجب سنة اثنتين وسبعين وفيها في جمادى الآخرة توفي أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان الأسدي النحوي المتكلم كان له اختيار في الفقه وكان عالما بالنسب ويمشي في الأسواق مكشوف الرأس ولم يقبل من أحد شيئا وكان موته في جمادى الآخرة وقد جاوز ثمانين سنة وكان يميل الى مذهب مرجئة المعتزلة ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار وفيها انقض كوكب عظيم وكثر نوره فصار أكثر من نور القمر وسمع له دوي عظيم ثم غاب

## (ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة)

*(ذكر الحرب بين بني حماد والعرب)*

في هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربة من صنهاجة ومن زناتة ومن العرب عدي والأثبج وبين رياح وزغبة وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيري الزناتي على مدينة سبتة وكان سببها ان حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف وموت باديس محاصرا القلعة حماد ما هو مذكور ولولا تلك القلعة لأخذ سريعا وانما امتنع هو وأولاده بعده بها وهي من أمنع الحصون وكذلك ما استقر بين حماد والمعز ابن باديس ودخول حماد في طاعته ما تقدم ذكره وكذلك أيضا ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز والعجز عنه من ذلك فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم خلع الطاعة واستبد بالبلاد وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد بن حماد وكل منهم متحصن بالقلعة وقد جعلوها دار ملكهم فلما رحل المعز من القيروان وصبرة الى المهدية تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد وانتقل كثير من أهلها الى بلاد بني حماد لكونها جبالا وعرة يمكن الامتناع بها من العرب فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم وفي نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولادهم يرثه صغير عن كبير وولي تميم بن المعز بعد أبيه فاستبد كل من هو ببلد وقلعة

كما قيل

قاد الجياد لخمس عشرة حجة
ولداته إذ ذاك في أشغال
قعدت بهم هماتهم وسمت به
همم الملوك وسورة الأبطال

وحلم بر الى أن ملك خراسان بأسرها * وزاولستان عن نهرها * وبلاد نيمروز بحذافيرها * وجبال الغور على حصانتها * وتوغل السند فاستباحها * وغزا الملتان فاجتاحها * وتوغل الهند عودا على بدء فنكأ جراحها * وأذل لقاحها * وحاس مغانيها وربوعها * واقتحم صياصيها وقلاعها * وأقام عن بيوت الأصنام * مساجد الإسلام * وعن مشاهد البهتان * معاهد التوحيد والإيمان * فصارت الأطفال تهدد في بطاح الاتها بأقدامه * وتفزع بإقبال ألويته وأعلامه * وظل أشبالهم وحبالهم وكأنهم أبطالهم كما قال الأشجعي السلمي

وعلى عدوك يا ابن عم محمد
رصدان ضوء الصبح والإظلام

بمكانه وتميم صابر يدارى ويتجلد واتصل بتميم ان الناصر بن علناس يتبجح فى مجلسه ويذمه وانه عزم على المسير اليه ليحاصره بالمهدية وانه قد حالف بعض صنهاجة وزناتة وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية فلما صح ذلك عنده ارسل الى امراء بنى رياح فاحضرهم اليه وقال انتم تعلمون ان المهدية حصن منيع اكثره فى البحر لا يقاتل منه فى البر غير اربعة ابراج يحميها اربعون رجلا وانما جمع الناصر هذه العساكر اليكم فقالوا والله الذى تقوله حق وتحب منك المعونة فاعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع والدرق فجمعوا اقوامهم وتحالفوا واتفقوا على لقاء الناصر وارسل الى من مع الناصر من بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخوفونهم منه ان قوى وانه يهلكهم بمن معه من زناتة وصنهاجة وانهم انما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد اذا تم الخلف وضعف السلطان فاجابهم بنو هلال الى الموافقة وقالوا اجعلوا اول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس ونعود عليهم ويكون لنا ثلث الغنيمة فاجابهم الى ذلك واستقر الامر وارسل المعز بن زيرى الزناتى الى من مع الناصر من زناتة بنحو ذلك فوعدوه ايضا ان ينهزموا وحينئذ رحلت رياح وزناتة جميعها وسار اليهم الناصر بصنهاجة وزناتة وبنى هلال فالتقت العساكر بمدينة سبتة فحملت رياح على بنى هلال وحمل المعز على زناتة فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين ووقع فيهم القتل فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس اخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة وزناتة اربعا وعشرين الفا ودخل الناصر فى نفر يسير وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك فاقتسموها على ما استقر بينهم وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد فانهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم وقل المحامى عن البلاد وارسلوا الالوية والطبول وخيم الناصر بدوابه الى تميم فردها وقال يقبح بى ان آخذ سلب ابن عمى فارضى العرب بذلك

*(ذكر بناء مدينة بجاية)*

لما كانت هذه الوقعة بين بنى حماد والعرب وقويت العرب فاهتم تميم بن المعز لذلك واصابه حزن شديد فبلغ ذلك الناصر وكان له وزير اسمه أبو بكر بن ابى الفتوح وكان رجلا جيدا يحب الاتفاق بينهم ويهوى دولة تميم فقال للناصر الم اشر عليك ان لا تقصد ابن عمك وان تتفقوا على العرب فانكما لو اتفقتما لاخرجتما العرب فقال الناصر لقد صدقت ولكن لامرد لما قدر فاصلح ذات بيننا فارسل الوزير رسولا من عنده الى تميم يعتذر ويرغب فى الاصلاح فقبل تميم قوله واراد ان يرسل رسولا الى الناصر فاستشار اصحابه فاجتمع رأيهم على محمد بن البعبع وقالوا له هذا رجل غريب وقد احسنت اليه وحصل له منك الاموال والاملاك فاحضره واعطاه مالا ودواب وعبيدا وارسله فسار مع الرسول حتى وصل الى بجاية وكانت حينئذ منزلا فيه رعية من البربر فنظر اليها محمد بن البعبع وقال فى نفسه ان هذا المكان يصلح ان يكون به مرسى ومدينة وسار حتى وصل الى الناصر فلما وصل الكتاب وادى الرسالة قال للناصر معى وصية اليك واحب ان تخلى المجلس فقال الناصر انا لا اخفى عن وزيرى شيأ فقال بهذا امرنى الامير تميم فقام الوزير ابو بكر وانصرف فلما خرج قال الرسول يا مولاى ان الوزير مخامر عليك هواه

فاذا اتته رعته واذا هدا سلت عليه سيوف الاحلام وما زاد الله له من البسطة فى الحلم والعلم والهيبة بالاسم والجسم والظفر باحايش الاعداء فى وقائع يعز صبر النفوس على أمثالها وتكاد الارض تمور من أهوالها مالم يسمع بمثله حيز لاحد من الملوك الاعن أساطير الاولين أريد بها التطويل والتهويل والتعجيب والتغريب دون الحقيقة التى يشهد بها العيان ويقوم عليها البيان والبرهان فلو نشرت صحائف الدول الاسلاميه وأيام الملة الحنفيه لكانت دولته غرة تلك الدول ومساعيه فيها طراز تلك الحلل اذ لم يقتن أحد من سائف الملوك من غر المآثر وزهر المناقب والمفاخر ما اقتناه هو بنفسه وآبيه وآثاره ومساعيه ولما خلق الله له كرائم الخصال ووفاه طبع الكمال فى معانى

مع الامير تميم لايخفى عنه من امورك شئ وتميم مشغول مع عبيده قد استبد بهم واطرح صنهاجة وغير هؤلاء ولو وصلت بعسكرك ما ثبت الا البعض الجند والرعية لتميم وانا اشير عليك بما تملك به المهدية وغيرها وذكر له عمارة بجاية واشار عليه ان يتخذها دار ملك ويقرب من بلاد افريقية وقال له انا انتقل اليك باهلي واد برّ دولتك فاجابه الناصر الى ذلك وارتاب بوزيره وسار مع الرسول الى بجاية وترك الوزير بالقلعة فلما وصل الناصر والرسول الى بجاية اراه موضع البناء والبلد والدار السلطانية وغير ذلك فامر الناصر من ساعته بالبناء واهل وصير ذلك وشكره وعاهده على وزارته اذا عاد اليه ورجعا الى القلعة فقال الناصر لوزيره ان هذا الرسول محب لنا وقد اشار ببناء بجاية ويريد الانتقال الينا فكتب له جواب كتبه ففعل وسار الرسول وقد ارتاب به تميم حيث تجدد بناء بجاية عقيب مسيره اليهم وحضوره مع الناصر فيها وكان الرسول قد طلب من الناصر ان يرسل معه بعض ثقاته ليشاهد الاخبار ويعود بها فارسل معه رسولا يثق به فكتب معه انني لما اجتمعت بتميم لم يسألني عن شئ قبل سؤاله عن بناء بجاية وقد عظم امرها عليه واتهمني فانظر الى من تثق به من العرب ترسلهم الى موضع كذا فاني سائر اليهم مسرعا وقد اخذت عهود زغبة وغيرها على طاعتك وسير الكتاب فلما قرأه الناصر سلمه الى الوزير فاستحسن الوزير ذلك وشكره واثنى عليه وقال لقد نصح وبالغ في الخدمة فلا تؤخر عنه انفاذ العرب ليحضر معهم ومضى الوزير الى داره وكتب نسخة الكتاب وارسل الكتاب الذي بخط الرسول الى تميم وكاتبه بذكر الحال من اوله الى آخره فلما وقف تميم على الكتاب عجب من ذلك وبقي لا يوقع له سببا يأخذه به الا انه جعل عليه من يحرسه في الليل والنهار من حيث لا يشعر فاتى بعض اولئك الحرس الى تميم واخبره ان الرسول صنع طعاما واحضر عنده الشريف القهري وكان هذا الشريف من رجال تميم وخواصه فاحضره تميم فقال كنت واصلا اليك وحدثه ان ابن البعبع الرسول دعاني فلما حضرت عنده قال انا في ذمامك احب ان تعرفني مع من اخرج من المهدية فمنعته من ذلك وهو خائف فاوقفه تميم على الكتاب الذي بخطه وامر باحضاره فاحضره الشريف فلما وصل الى باب السلطان لقيه رجل بكتاب العرب الذين سيرهم الناصر ومعهم كتاب الناصر اليه يامره بالحضور عنده فاخذ الكتاب وخرج الامير تميم فلما رآه ابن البعبع سقطت الكتب منه فاذا عنوان احدها من الناصر بن علناس الى فلان فقال له تميم من اين هذه الكتب فسكت فاخذها وقرأها فقال الرسول ابن البعبع العفو يا مولانا فقال لا عفا الله عنك وامر به فقتل وغرقت جثته

## (ذكر ملك الب ارسلان جند وصيران)

في هذه السنة عبر الب ارسلان جيحون وسار الى جند وصيران وهما عند بخارا وقبر جده سلجوق بجند فلما عبر النهر استقبله ملك جند واطاعه واهدى له هدايا جليلة فلم يغير الب ارسلان عليه شيئا واقره في ما بيده وعاد عنه بعد ان احسن اليه واكرمه ووصل الى كركانج خوارزم وسار منها الى مرو

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ابتدئ بعمارة المدرسة النظامية ببغداد وفيها انقض كوكب عظيم وصار له



الكمال سياسة أزرت باردشير في زمانه والمنصور في سلطانه وهيبة خفقت لها جنادب الهبالي الناشه وخدت عليها عيون الاراقم العارمه وعدلا ضم بين الضدين سوق النار الى الماء وألف بين الذئاب الطلس والشاء فكفت الانياب شبا الاظفار والقرون صلابة الاجواف وكانت أيامه مشغولة بعز السياسه عن غر الدراسه ويعرض السياده عن نقل الاستفاده لطف الله له باولاد كالنجوم الزواهر بل الليوث الخوادر بل السيوف البواتر بل العقبان الكواسر من ارتوق الالحاظ اشخاصا وارتهم شامة وجمالا ووسامة وجمالا وسعادة واقبالا وسماحة وافضالا وعلوما وآدابا ولطائف كتابا وخصالا وسجايا واخلاقا حرة وعذابا ثم وصرامة ومضاء وشجاعة واباء وسيادة وعلاء ونجابة

شعاع كثيراً كغير من شعاع القمر وسمع له صوت مفزع وفيها توفي محمد بن احمد ابو الحسين بن الابنوسي روى عن الدارقطني وغيره

*(ثم دخلت سنة ثمان وخمسين واربعمائة)*

*(ذكر عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه)*

في هذه السنة سار الب ارسلان من مرو الى راذكان فنزل بظاهرها ومعه جماعة امراء دولته فاخذ عليهم العهود والمواثيق لولده ملكشاه بانه السلطان بعده واركبه ومشى بين يديه يحمل الغاشية وخلع السلطان على جميع الامراء وامرهم بالخطبة له في جميع البلاد التي يحكم عليها ففعل ذلك واقطع البلاد فاقطع مازندران للامير اينانج بيغو وبلخ لاخيه سليمان بن داود جغري بك وخوارزم لاخيه ارسلان ارغو ومرو لابنه الآخر ارسلان شاه وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس وولاية بغشور ونواحيها لمسعود بن ارتاش وهو من اقارب السلطان وولاية اسفزار لمودود بن ارتاش

*(ذكر استيلاء تميم على مدينة تونس)*

في هذه السنة سير تميم صاحب افريقية عسكرا كثيفا الى مدينة تونس وبها احمد بن خراسان قد اظهر عليه الخلاف وسبب ذلك ان المعز بن باديس ابا تميم لما فارق القيروان والمنصورية ورحل الى المهدية على ما ذكرناه استخلف على القيروان وعلى قابس قائد بن ميمون الصنهاجي واقام بها ثلاث سنين ثم غلبته هوارة عليها فسلمها اليهم وخرج الى المهدية فلما ولي الملك تميم بن المعز بعد ابيه رده اليها واقام عليها الى الآن ثم اظهر الخلاف على تميم والتجأ الى طاعة الناصر بن علناس ابن حماد فسير اليه تميم الآن عسكرا كثيرا فلما سمع بهم قائد بن ميمون علم انه لا طاقة له بهم فترك القيروان وسار الى الناصر فدخل عسكر تميم القيروان وخربوا دور القائد وسار العسكر الى قابس وبها ابن خراسان فحصروه بها سنة وشهرين ثم اطاع ابن خراسان تميما وصالحه واما قائد فانه اقام عند الناصر ثم ارسل الى امراء العرب فاشترى منهم امارة القيروان فاجابوه الى ذلك فعاد اليها فبنى سورها وحصنها

*(ذكر ملك شرف الدولة الانبار وهيت وغيرهما)*

في هذه السنة سار شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل الى السلطان الب ارسلان فاقطعه الانبار وهيت وحربي والسن والبوازيج ووصل الى بغداد فخرج الوزير فخر الدولة بن جهير في الموكب فلقيه ونزل شرف الدولة بالحريم الطاهري وخلع عليه الخليفة

*(ذكر عدة حوادث)*

في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر وغاب ثم ظهر ايضا آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا ولما أظلم الليل صار له ذوائب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل وفيها في جمادى الآخرة كانت بخراسان والجبال زلزلة عظيمة بقيت تتردد اياما تصدعت منها الجبال واهلكت خلقا كثيرا وانخسف منها عدة قرى وخرج الناس الى الصحراء فاقاموا هنالك وفيها

ورياسه وجلالة ونفاسه وايالة وسياسه واسامة وحراسه وفروسية وفراسه فجمع الله له تمام السعاده وقصر عليه أدوات السياده ومازال يربيهم في حضن الحدب ويصنعهم في مضمار الادب ويروضهم بين الكتاب والكتب حتى تجافى حجاب الملك منهم عن شموس الانام وبدور الظلام وبحور الكرام وليوث الزحام وحدود الحسام وفرائد النظام وزبد الليالي والايام فاشرأبت اليهم الآمال والهمم وتباهت بهم الدواة والقلم كذلك يصنع الله لعباده في كل زمان ويلطف لذوي العلوم في جنب كل سلطان وقيض الشيخ الجليل شمس الكفاة ابا القاسم احمد بن الحسن لوزارته وتدبير امور مملكته من ذخره الله لزمان صادف فترة من أحرار الرجال وأبناء الفعال فلم يطبع مثله على غراره ولم يضع شروا في مضمار

في جمادى الاولى وقع حريق بنهر معلى فاحترق من باب الطريد الى آخر السوق الجديد من الجانبين وفيها ولدت صبية بباب الازج ولدا برأسين ورقبتين ووجهين واربع ايدي على بدن واحد وفي جمادى الآخرة توفي الامام ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ومولده سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وكان اماما في الحديث والفقه على مذهب الشافعي وله فيه مصنفات اجلها السنن الكبير عشر مجلدات وغيره من المصنفات الحسنة كان عفيفا زاهدا ومات بنيسابور وفي شهر رمضان منها توفي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة وعنه انتشر مذهب احمد رضي الله عنه وكان اليه قضاء الحريم ببغداد بدار الخلافة وهو مصنف كتاب الصفات اتى فيه بكل عجيبة وترتيب ابوابه يدل على التجسيم المحض تعالى الله عن ذلك وكان ابن تميمي الحنبلي يقول لقد خرى ابو يعلى الفراء على الحنابلة خرية لا يغسلها الماء

(ثم دخلت سنة تسع وخمسين واربعمائة)

(ذكر عصيان ملك كرمان على الب ارسلان وعوده الى طاعته)

في هذه السنة عصى ملك كرمان وهو قرا ارسلان على السلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه كان له وزير جاهل سولت له نفسه الاستبداد بالبلاد عن السلطان وأن صاحبه اذا عصى احتاج الى التمسك به فحسن لصاحبه الخلاف على السلطان فاجاب الى ذلك وخلع الطاعة وقطع الخطبة فسمع ألب ارسلان فسار الى كرمان فلما قاربها وقعت طليعته على طليعة قرا ارسلان فانهزمت طليعة قرا ارسلان بعد قتال فلما سمع قرا ارسلان وعسكره بانهزام طليعتهم خافوا وتحيروا فانهزموا لا يلوي احد على آخر فدخل قرا ارسلان الى جيرفت وامتنع بها وارسل الى السلطان الب ارسلان يظهر الطاعة ويسأل العفو عن زلته فعفا عنه وحضر عند السلطان فأكرمه وبكى وأبكى من عنده فاعاده الى مملكته ولم يغير عليه شيأ من حاله فقال السلطان ان لي بنات تجهيزهن اليك وامورهن اليك فاجابه الى ذلك واعطى كل واحدة منهن مائة الف دينار سوى الثياب والاقطاعات ثم سار منها الى فارس فوصل الى إصطخر وفتح قلعتها واستنزل واليها فحمل اليه الوالي هدايا عظيمة جليلة المقدار من جملتها قدح فيروزج فيه منوان من المسك مكتوب عليه اسم جمشيد الملك واطاعه جميع حصون فارس وبقي قلعة يقال لها بهزادفا ونظام الملك اليها وحصرها تحت جبلها واعطى كل من رمى بسهم واصاب قبضة من الدنانير ومن رمى حجرا ثوبا فاتفق ان فتح القلعة في اليوم السادس عشر من نزوله ووصل السلطان اليه بعد الفتح فعظم محل نظام الملك عنده فاعلى منزلته وزاد في تحكيمه

(ذكر عدة حوادث)

في المحرم منها توفي الاغر أبو سعد ضامن البصرة على باب السلطان بالري وعقدت البصرة وواسط على هزارسب بثلاثمائة الف دينار وفي صفر منها وصل الى بغداد شرف الملك أبو سعد المستوفي وبنى على مشهد ابي حنيفة رضي الله عنه مدرسة لاصحابه وكتب الشريف ابو جعفر بن البياضي على القبة التي احدثها

ألم تر أن العلم كان مشتتا * فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة * فانشرها فضل العميد أبي سعد

صباحة شيم ورجاحة كرم وسماحة كف وفصاحة قلم وهمة ترى النياهبا دون أجوائها الثائره بل نقطة وهو مرمة من نقط الدائرة وغدت سدته سوقا نافقا للفضل وأهليه وسوقا للادب ومنتحليه تجلب اليه البضاعات الفضائل بين منظوم ومنثور ومختوم ومنشور وقد صنف طبقات الادباء والكتاب تصانيف في ذكر ايامهم وتصاريف احوال الزمان بحسب قوتهم في البيان وسموهم في بلاغة الطامار والبنان حتى ان ابا اسحق ابراهيم بن هلال الصابي عمل كتابه المعروف بالتاجي في اخبار الديلم موشى بحبر الفاظه الساحرة ومغشى جمال معانيه الزاهرة بحلل عقد البيان بما ابدعه ويضر وجه البلاغة بما سوده فان تكن دولة تقتضي اثبات محاسنها بالتخليد وتقييد ما ترجحها التأبيد فهذه هي التي تقتضي الادباء أن يخلدوا بتقرير معاليها

وفيها في جمادى الاولى وصلت ارسلان خاتون اخت السلطان الب ارسلان وهي زوجة الخليفة الى بغداد واستقبلها فخر الدولة بن جهير الوزير على فراسخ * وفيها في ذي القعدة احترقت تربة معروف الكرخي رحمة الله عليه وسبب حريقها ان قيمها كان مريضا فطبخ لنفسه ماء الشعير فاتصلت النار بخشب وبواري كانت هنالك فاحرقته واتصل الحريق فامر الخليفة اباسعد الصوفي شيخ الشيوخ بعمارتها وفيها في ذي القعدة فرغت عمارة المدرسة النظامية وتقرر التدريس بها للشيخ ابي اسحق الشيرازي فلما اجتمع الناس لحضور الدرس وانتظروا مجيئه تأخر فطلب فلم يوجد وكان سبب تأخره انه لقيه صبي فقال له كيف تدرس في مكان مغصوب فتغيرت نيته عن التدريس بها فلما ارتفع النهار وايس الناس من حضوره اشار الشيخ ابو منصور ابن يوسف بابي نصر ابن الصباغ صاحب كتاب الشامل وقال لا يجوز ان ينفصل هذا الجمع الا عن مدرس ولم يبق ببغداد من لم يحضر غير الوزير فجلس ابو نصر للدرس وظهر الشيخ ابو اسحق بعد ذلك ولما بلغ نظام الملك الخبر أقام القيامة على العميد ابي سعد ولم يزل يرفق بالشيخ ابي اسحق حتى درس بالمدرسة وكان مدة تدريس ابن الصباغ عشرين يوما وفيها في ذي القعدة قتل الصليحي امير اليمن بمدينة المهجم قتله احد امرائها واقيمت الدعوة العباسية هنالك وكان قد ملك مكة على ما ذكرناه سنة خمس وخمسين وامن الحاج في ايامه فاثنوا عليه خيرا وكسا البيت بالحرير الابيض الصيني ورد على البيت اليه وكان بنو حسن قد اخذوه وجلوا الى اليمن فاتباعه الصليحي منهم وفيها توفي عمر بن اسمعيل بن محمد ابو علي الطوسي قاضيها وكان يلقب العراقي لطول مقامه ببغداد وتفقه على ابي طاهر الاسفرايني الشافعي وابي محمد الشاشي وغيرهما

*(ثم دخلت سنة ستين واربعمائة)*

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة كانت حرب بين شرف الدولة بن قريش وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري فكسرهم شرف الدولة واخذ اسلابهم وارسل اعلاما كانت معهم عليها اسماء المصري الى بغداد وكسرت وطيف بها في البلد وارسلت الخلع الى شرف الدولة وفيها في جمادى الاولى كانت بفلسطين ومصر زلزلة شديدة خربت الرملة وطلع الماء من رؤس الآبار وهلك من اهلها خمسة وعشرون الف نسمة وانشقت الصخرة بالبيت المقدس وعادت باذن الله تعالى وعاد البحر من الساحل مسيرة يوم فنزل الناس الى ارضه يلتقطون منه فرجع الماء عليهم فاهلك منهم خلقا كثيرا وفيها في رجب ورد ابو العباس الحلواني بغداد عميدا من جهة السلطان وفيها عزل فخر الدولة بن جهير من وزارة الخليفة فخرج من بغداد الى نور الدولة دبيس بن مزيد بالفلوجة وارسل الخليفة الى ابي يعلى والد الوزير ابي شجاع يستحضره ليوليه الوزارة وكان يكتب لهزارسب ابن بنكير فسار فادركه اجله في الطريق فمات ثم شفع نور الدولة في فخر الدولة بن جهير فأعيد الى الوزارة سنة احدى وستين في صفر وفيها كان بمصر غلاء شديد وانقضى سنة احدى وستين واربعمائة وفيها حاصر الناصر بن علناس مدينة الاربس بافريقية ففتحها وأمن اهلها وفيها في المحرم توفي الشيخ ابو منصور بن عبد الملك بن يوسف ورثاه ابن الفضل وغيره من الشعراء

كلامهم ويحلوا بتحرير مساعيها أقلامهم فلو ادركها الماضون من ارباب التصانيف لودوا لو كانت الفاظهم عن غيرها معزوله والى ذكر محاسنها منقوله ولحدثتهم انفسهم بأن يعتذروا اعتذار أبي نواس بقوله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح
فأنت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة
لغيرك انسانا فأنت الذي نعني

وقد كنت أقدر ان بعض صنائع هذه الدولة ممن له حظ في الصناعه وتوجه في طرق البراعه يرتاح لتقييد أخبارها وجمع كتاب في تصاريف أحوالها وأطوارها من لدن قام الامير الماضي انار الله برهانه اميرا الى ان اجلى اباعلي محمد بن محمد بن ابراهيم ابن سيمجور عن خراسان كسيرا وحصله من بعد في يده أسيرا وولي امورها سياسة وتدبيرا وما تقدر له في اثناء ذلك كله من اعانة

وعم مصابه المسلمين وكان من اعيان الزمان من افعاله انه تسلم المارستان العضدي وكان قد دثر واستولى عليه الخراب فجدد عمارته وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيبا وثلاثة من الخزان الى غير ذلك واشترى له الاملاك النفيسة بعد ان كان ليس به طبيب ولا دواء وكان كثير المعروف والصلات والخير ولم يكن يلقب في زمانه احد بالشيخ الاجل سواه وفي المحرم أيضا توفي ابو جعفر الطوسي فقيه الامامية بمشهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

(ثم دخلت سنة احدى وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في صفر اعيد فخر الدولة بن جهير الى وزارة الخليفة على ما ذكرناه فلما اعاد مدحه ابن الفضل فقال

قد رجع الحق الى نصابه ‎ * ‎ وانت من كل الورى اولى به
ما كنت الا السيف سلته يد ‎ * ‎ ثم اعادته الى قرابه

وهي طويلة وفي شعبان احترق جامع دمشق وكان سبب احتراقه انه وقع بدمشق حرب بين المغاربة اصحاب المصريين والمشارقة فضربوا دارا مجاورة للجامع بالنار فاحترقت واتصلت بالجامع وكانت العامة تعين المغاربة فتركوا القتال واشتغلوا باطفاء النار من الجامع فعظم الخطب واشتد الامر واتى الحريق على الجامع فدثرت محاسنه وزال ما كان فيه من الاعمال النفيسة

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين واربعمائة)

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة اقبل ملك الروم من القسطنطينية في عسكر كثيف الى الشام ونزل على مدينة منبج ونهبها وقتل اهلها وهزم محمود بن صالح بن مرداس وبني كلاب وابن حسان الطائي ومن معهما من جموع العرب ثم ان ملك الروم ارتحل وعاد الى بلاده ولم يمكنه المقام لشدة الجوع وفيها سار امير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن ابي عقيل فلما حصر وارسل القاضي الى الامير قرلو مقدم الاتراك المقيمين بالشام يستنجده فسار في اثني عشر الف فارس فحصر مدينة صيدا وهي لامير الجيوش بدر فرحل حينئذ بدر فعاد الاتراك عنها وبدر حصر صور برا وبحرا سنة وضيق على اهلها حتى أكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار ولم يبلغ غرضه فرحل عنها وفيها سارت دار ضرب الدنانير ببغداد في يد وكلاء الخليفة وسبب ذلك ان البهرج كثر في أيدي الناس على السكك السلطانية وضرب اسم ولي العهد على الدينار وسمي الاميري ومنع من التعامل بسواه وفيها ورد رسول صاحب مكة محمد بن أبي هاشم ومعه ولده الى السلطان ألب ارسلان يخبره باقامة الخطبة للخليفة القائم بامر الله والسلطان بمكة واسقاط خطبة العلوي صاحب مصر وترك الاذان بحي على خير العمل فاعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلعا نفيسة واجرى له كل سنة عشرة آلاف دينار وقال اذا فعل أمير المدينة مثلها كذلك اعطيناه عشرين ألف دينار وكل سنة خمسة آلاف دينار وفيها تزوج عميد الدولة بن جهير بابنة نظام الملك بالري وعاد الى بغداد وفيها في شهر

الامير الرشي ابي القاسم نوح ابن منصور ولنصرته واستجابة ما طلب اليه من دعوته والمدافعة عن بيته وخلته واستبقاء ما فضل عن ذوبان الترك من ولايته وكفهم بترغيبه وترهيبه عن اذالة حشمته واستباحة ما سلم عليهم من نعمته محافظة على حقوق سلفه الاولى طالما صنعوا الصنائع وأودعوا الودائع وبنوا المعارف والرغائب وانفقوا الاموال والمراتب حتى كنزوا المحامد والمناقب وعرفوا الحرمات اقدارها وحفظوا على البيوتات استارها وقضوا لنفوس المنقطعين اليهم أوطارها الى ان ورث السلطان المؤيد يمين الدولة وأمين الملة مكانه خلافة في ترتيب الامور وتدبير الجمهور وتألف الاخوة والاقارب واستمالة القلوب بذل الرغائب الى ان ابتقل بهم سرير الملك مطاعا وتناهضت ولاة الاطراف

رمضان توفي تاج الملوك هزارسب بن بنكير بن عياض باصبهان وهو عائد من عند السلطان الى خوزستان وكان قد علا أمره وتزوج باخت السلطان وبغى على نور الدولة دبيس بن مزيد وأغرى السلطان به ليأخذ بلاده فلما مات سار دبيس الى السلطان ومعه شرف الدولة مسلم صاحب الموصل فخرج نظام الملك فلقيهما وتزوج شرف الدولة باخت السلطان التي كانت امرأة هزارسب وعادا الى بلادهما من همذان وفيها كان بمصر غلاء شديد ومجاعة عظيمة حتى أكل الناس بعضهم بعضا وفارقوا الديار المصرية وورد بغداد منهم خلق كثير هربا من الجوع وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلات نهبت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة احدى وثمانين وثلثمائة ومما نهب أيضا في فتنة البساسيري وخرج من خزائنهم ثمانون ألف قطعة بلور كبار وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم واحد عشر ألف كزاغند وعشرون ألف سيف محلى وقال ابن الفضل يمدح القائم بامر الله ويذكر الحال بقصيدة فيها

قد علم المصري ان جنوده * سنو يوسف منها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منه خيفة أي ايجاس

في ابيات وفيها توفي أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الواسطي كان اديبا شاعرا حسن القول فمن قوله

واحسرتي من قولها * خان عهودي ولها
وحق من صيرني * وقفا عليها ولها
ماخطرت بخاطري * الا كستني ولها

وتوفي محمد بن أحمد أبو غالب بن بشران الواسطي الأديب وانتهت الرحلة اليه في الادب وله شعر فمنه في الزهد

يا شائدا للقصور كهلا * أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمع شمل أهل قصر * الا قصاراهم الشتات
وانما العيش مثل ظل * منتقل ما له ثبات

وفيها توفي القاضي أبو الحسين محمد بن ابراهيم بن حزم قاضي دمشق وأبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي العجائز الخطيب بدمشق

*(ثم دخلت سنة ثلاث وستين واربعمائة)*

*(ذكر الخطبة للقائم بامر الله والسلطان بحلب)*

في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لامير المؤمنين القائم بامر الله وللسلطان الب ارسلان وسبب ذلك انه رأى اقبال دولة السلطان وقوتها فخاف أن يقصده فجمع أهل حلب وقال هذه دولة جديدة ومملكة شديدة ونحن تحت الخوف منهم وهم يستحلون دماءكم لاجل مذاهبكم والرأي ان نقيم الخطبة قبل ان يأتي وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل فاجاب المشايخ الى ذلك ولبس المؤذنون السواد وخطبوا للقائم بامر الله والسلطان فاخذت العامة حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي بن أبي طالب فليأت أبو بكر بحصر يصلي عليها بالناس وأرسل الخليفة الى محمود

الى بعثه سراعا فوجدتهم قد عولوا في معانيها على ماسار في اكناف الحضرة من الاشعار الفارسية لازدحام شعرائها على بابه الرفيع بقصائدهم التي قد غبروا بها في ديباجة الرودكي وصنعة العنصري والدقيقي ولعمري انها كافية شافيه ومن وراء الاشباع والاقناع آتيه ولكنها دواجن خراسان لا تعرف عن ديارها ارتحالا ولا تألف غير اقطارها مجالا فاقتضاني حكم ما أسلفته في هذا البيت الرفيع من خدمه وتعرفته ايام الامير الماضي قدس الله روحه من بركة اصطناع ونعمه ان امتع اهل العراق بكتاب في هذا الباب عربي اللسان كأبي البيان يتخذونه سميرا على السهر وانيسا في المقام والسفر ويعرفون به عجائب آيات الله تعالى في تبديل الابدال وتقليب الامور من حال الى حال مبتدئا بذكر

الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حيوس وقال أبو عبد الله بن عطية يمدح القائم بأمر الله ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة

كم طائع لك لم تجلب عليه ولم ٭ تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز وذا ٭ داعي دمشق وذا المبعوث من حلبا

٭(ذكر استيلاء السلطان ألب ارسلان على حلب)٭

في هذه السنة سار السلطان ألب ارسلان الى حلب وجعل طريقه على ديار بكر فخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وخدمه بمائة ألف دينار وحمل اليه اقامة فعرف السلطان أنه قسطها على البلاد فأمر بردها ووصل الى آمد فرآها ثغرا منيعا فتبرك به وجعل يمر يده على السور ويمسح بها صدره وسار الى الرها فحصرها فلم يظفر منها بطائل فسار الى حلب وقدم اليها نقيب النقباء أبو الفوارس طراد بالرسالة القائمية والخلع فقال له محمود صاحب حلب اسأل الخليفة في الى السلطان واستعفاء لي من الحضور وعنده فخرج نقيب النقباء وأخبر السلطان بأنه قد لبس الخلع القائمية وخطب فقال أي شيء تساوي خطبتهم وهم يؤذنون حي على خير العمل ولا بد من الحضور ودوس بساطي فامتنع محمود من ذلك فاشتد الحصار على البلد وغلت الاسعار وعظم القتال وزحف السلطان يوما وقرب من البلد فوقع حجر منجنيق في فرسه فلما عظم الامر على محمود خرج ليلا ومعه والدته منيعة بنت وثاب النميري فدخلا على السلطان وقالت له هذا ولدي فافعل به ما تحب فتلقاهما بالجميل وخلع على محمود وأعاده الى بلده فأنفذ الى السلطان مالا جزيلا

٭(ذكر خروج ملك الروم الى خلاط وأسره)٭

في هذه السنة خرج ارمانوس ملك الروم في مائتي الف من الروم والفرنج والغرب والروس والبجناك والكرج وغيرهم من طوائف تلك البلاد فجاؤا في تجمل كثير وزي عظيم وقصد بلاد الاسلام فوصل الى ملازكرد من أعمال خلاط فبلغ السلطان ألب ارسلان الخبر وهو بمدينة خوي من اذربيجان قد عاد من حلب وسمع ما فيه ملك الروم من كثرة الجموع فلم يتمكن من جمع العساكر لبعدها وقرب العدو فسير الاثقال مع زوجته ونظام الملك الى همذان وسار هو ومن عنده من العساكر وهم خمسة عشر ألف فارس وجد في السير وقال لهم انني اقاتل محتسبا صابرا فان سلمت فنعمة من الله تعالى وان كانت الشهادة فان ابني ملكشاه ولي عهدي وساروا فلما قارب العدو جعل له مقدمة فصادفت مقدمته عند خلاط مقدم الروسية في نحو عشرة آلاف من الروم فاقتتلوا فانهزمت الروسية وأسر مقدمهم وحمل الى السلطان فجدع انفه وانفذ بالسلب الى نظام الملك وأمره ان يرسله الى بغداد فلما تقارب العسكران ارسل السلطان الى ملك الروم يطلب منه المهادنة فقال لا هدنة الا بالري فانزعج السلطان لذلك فقال له امامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي انك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واظهاره على سائر الاديان وأرجو ان يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي تكون الخطباء على المنابر فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة فلما كان تلك الساعة صلى بهم وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ودعا ودعوا معه وقال لهم من اراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهى والقى القوس

والنشاب

---

الامير الماضي اكرم الله مآبه واجزل ثوابه من حيث نشأت نبعته وتفرعت دوحته الى ان استعان به الامير ابو القاسم نوح بن منصور برد الله مضجعه في تلافي دولته والانتقام له من ابي علي بن سيمجور حين نزع يده من طاعته واستجره بحق مسألته عن دار اقامته لكفاية ما دهاه من امره وامر من طابقهم من الترك على جحوده واطمعهم برسالته ورسائله في تورد مملكته وما جرى على يده من الفتوح المأثورة والمقامات المشهورة ومتبعا ذلك باللواحق من وقائع السلطان الاجل يمين الدولة وامين الملة في الهند والترك والخلج وما أتيح له فيها من النصر والفلج وما يتصل بها من اخباره واخبار ولاة الاطراف في جواره والله ولي المعونة على درك المنشود واصابة الغرض المقصود بمنه وجوده

والنشاب واخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل عسكره مثله ولبس البياض وتحنط وقال ان قتلت فهذا كفني وزحف الى الروم وزحفوا اليه فلما قارب بهم ترجل وعفر وجهه على التراب وبكى واكثر الدعاء ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه فحصل المسلمون في وسطهم وحجز الغبار بينهم فقتل المسلمون فيهم كيف شاؤا وانزل الله نصره عليهم فانهزم الروم وقتل منهم مالا يحصى حتى امتلأت الارض بجثث القتلى وأسر ملك الروم اسره بعض غلمان كوهرائين فاراد قتله ولم يعرفه فقال له خادم مع الملك لا تقتله فانه الملك وكان هذا الغلام قد عرضه كوهرائين على نظام الملك فرده استحقارا له فاثنى عليه كوهرائين فقال نظام الملك عسى ان يأتينا بملك الروم اسيرا فكان كذلك فلما أسر الغلام الملك احضره عند كوهرائين فقصد السلطان واخبره باسر الملك فامر باحضاره فلما أحضر ضربه السلطان الب ارسلان ثلاثة مقارع بيده وقال له الم أرسل اليك في الهدنة فابيت فقال دعني من التوبيخ وافعل ما تريد فقال السلطان ما عزمت ان تفعل بي ان اسرتني فقال افعل القبيح قال له فما تظن انني افعل بك قال اما ان تقتلني واما ان تشهرني في بلاد الاسلام والاخرى بعيدة وهي العفو وقبول الاموال واصطناعي نائبا عنك قال ما عزمت على غير هذا ففداه بألف الف دينار وخمسمائة الف دينار وان يرسل اليه عساكر الروم اي وقت طلبها وان يطلق كل أسير في بلاد الروم واستقر الامر على ذلك وانزله في خيمة وارسل اليه عشرة آلاف دينار يتجهز بها فاطلق له جماعة من البطارقة وخلع عليه من الغد فقال ملك الروم اين جهة الخليفة فدل عليها فقام وكشف رأسه واومأ الى الارض بالخدمة وهادنه السلطان خمسين سنة وسيره الى بلاده وسير معه عسكرا أوصلوه الى مأمنه وشيعه السلطان فرسخا واما الروم فلما بلغهم خبر الوقعة وثب ميخائيل على المملكة تلك البلاد فلما وصل ارمانوس الملك الى قلعة دوقية بلغه الخبر فلبس الصوف واظهر الزهد وارسل الى ميخائيل يعرفه ما تقرر مع السلطان وقال ان شئت ان تفعل ما استقر وان شئت امسكت فاجابه ميخائيل بايثار ما استقر وطلب وساطته وسؤال السلطان في ذلك وجمع ارمانوس ما عنده من المال فكان مائتي الف دينار فارسله الى السلطان وطبقا ذهبا عليه جواهر بتسعين الف دينار وحلف له انه لا يقدر على غير ذلك ثم ان ارمانوس استولى على اعمال الارمن وبلادهم ومدح الشعراء السلطان وذكروا هذا الفتح فاكثروا

*(ذكر ملك اتسز الرملة وبيت المقدس)*

في هذه السنة قصد اتسز بن اوق الخوارزمي وهو من امراء السلطان ملكشاه بلد الشام فجمع الاتراك وسار الى فلسطين ففتح مدينة الرملة وسار منها الى البيت المقدس وحصره وفيه عساكر المصريين ففتحه وملك ما يجاورهما من البلاد ما عدا عسقلان وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لاعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها فضاق الامر بالناس فصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد فعاد عنه وادام قصد اعماله وتخريبها حتى قلت الاقوات عندهم

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة توفي ابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن فوران الفوراني الفقيه الشافعي مصنف كتاب الابانة وغيرها وفي هذه السنة في ذي الحجة توفي الخطيب ابو بكر أحمد بن علي

(ذكر ايام الامير الماضي ابي منصور سبكتكين رحمه الله تعالى وأحواله)

قد كان ذلك الامير قدس الله روحه في جبلته ابي النفس حمي الانف جري القلب قوي البطش كريم الخيم رضي التدبير كبير الهمة كثير الحكمة يتبين ذلك كله في خصاله وخلاله ومتصرفات عزائمه واحواله وحكى لي ابو الحسين جعفر بن محمد الخازن انه كان ورد بخارا ايام الامير السيد منصور بن نوح في جملة ابي اسحق بن البتكين صاحب جيوش خراسان ومن جملة آل سامان وهو اذ ذاك حاجبه الكبير ووجهه الغرير وعليه مدار اموره وبيديه مناظم شؤنه وعرفه اركان تلك الدولة بشهامته وغنائه وصرامته ومضائه وتوسموا فيه الارتفاع الى اليفاع فحين صرف ابو اسحق الى غزنة والياعليها وسادا مسد أبيه بها انصرف هو بانصرافه على جلته في زعامة رجاله ومراعاة

ابن ثابت البغدادى صاحب التاريخ والمصنفات الكثيرة ببغداد وكان امام الدنيا فى زمانه
وممن حمل جنازته الشيخ ابو اسحق الشيرازى وتوفى ايضا فيها فى شهر رمضان ابو يعلى محمد بن
الحسين بن حمزة الجعفرى فقيه الامامية وحسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن عبد الله المنيعى
المخزومى من اهل مرو الروذ كان كثير الصدقة والمعروف والعبادة والقنوع بالقليل من
القوت والاعراض عن زينة الدنيا وبنى جامعا وكان السلاطين يزورونه ويتبركون به واكثر من
بناء المساجد والخانقاهات والقناطر وغير ذلك من مصالح المسلمين وتوفيت ايضا كريمة بنت
احمد ابن محمد المروزية وهى التى تروى صحيح البخارى توفيت بمكة واليها انتهى علو الاسناد الصحيح
الى ان جاء ابو الوقت

(ثم دخلت سنة اربع وستين واربعمائة)

●(ذكر ولاية سعد الدولة كوهرائين شحنكية بغداد)●

فى ربيع الاول من هذه السنة ورد ايتكين السليمانى شحنة بغداد من عند السلطان الى بغداد
فقصد دار الخلافة وسأل العفو عنه واقام اياما فلم يجب الى ذلك وكان سبب غضب الخليفة عليه
انه كان قد استخلف ابنه عند مسيره الى السلطان وجعله شحنة ببغداد فقتل أحد المماليك
الدارية فانفذ قميصه من الديوان الى السلطان ووقع الخطاب فى عزله وكان نظام الملك يعنى
بالسليمانى فاضاف الى اقطاعه تكريت فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن
تسليمها فلما رأى نظام الملك والسلطان اصرار الخليفة على الاستقالة من ولايته شحنكية
بغداد سير سعد الدولة كوهرائين الى بغداد شحنة وعزل السليمانى عنها اتباعا لما امر به الخليفة
القائم بامر الله ولما ورد سعد الدولة خرج الناس لتلقيه وجلس له الخليفة

●(ذكر تزويج ولى العهد بابنة السلطان)●

فى هذه السنة ارسل الامام القائم بامر الله عميد الدولة بن جهير ومعه الخلع للسلطان ولولده
ملكشاه وكان السلطان قد ارسل يطلب من الخليفة ان يأذن فى ان يجعل ولده ملكشاه ولى
عهده فأذن وسيرت له الخلع مع عميد الدولة وامر عميد الدولة ان يخطب ابنة السلطان
الب ارسلان من سفرى خاتون لولى العهد المقتدى بامر الله فلما حضر عند السلطان خطب
ابنته فاجيب الى ذلك وعقد النكاح بظاهر نيسابور وكان عميد الدولة الوكيل فى قبول
النكاح ونظام الملك الوكيل من جهة السلطان فى العقد وكان النثار جواهر وعاد عميد الدولة
من عند السلطان الى ملكشاه وكان ببلاد فارس فلقيه باصبهان فافاض عليه الخلع فلبسها
وسار الى والده وعاد عميد الدولة الى بغداد فدخلها فى ذى الحجة

●(ذكر ولاية ابى الحسن بن عمار طرابلس)●

فى هذه السنة فى رجب توفى القاضى ابو طالب بن عمار قاضى طرابلس وكان قد استولى عليها
واستبد بالامر فيها فلما توفى قام مكانه ابن اخيه جلال الملك ابو الحسن بن عمار فضبط البلد
احسن ضبط ولم يظهر لفقد عمه اثر لكفايته

●(ذكر ملك السلطان الب ارسلان قلعة فضلون بفارس)●

فى هذه السنة سير السلطان الب ارسلان وزيره نظام الملك فى عسكر الى بلاد فارس وكان بها

فاورا اباه فلبس أبو اسحق
بمعاودته اياها أن قضى
نحبه وودع عمره ولم يبق من
قرابته وبطانته من يصلح
لها ومكانته واضطر العدد
الدهم من مواليه وموالى
أبيه الى من يتولى زعامتهم
ويتكفل بحسن الايالة
خاصتهم وعامتهم فلم
يتفكوا متقلقين فى الاختيار
ومتاملين فى الاختبار
الى أن اجتمعت كلمتهم على
تأميره واتفقت أهواؤهم
على الرضا بتدبيره والاذعان
لحكم تقديمه وتأخيره
فاموه وبايمانهم طائعين
وسالموه بايمانهم مبايعين
فولى أمورهم برأى صليب
وحزم عجيب واهتمام شديد
وقيام بمصالحهم حميد ولم يزل
يركض بهم على اطراف الهند
غازيا مجاهدا اعداء الله
الكفرة فيها ومفتتحا قلاعها
ومستخلصا ديارها ورباعها
ومحكما سيوفه فى أهلها مؤمنا
من اسلم وشهد وقاتلا من
أشرك وجحد وجرت بينه
وبين عساكر الهند حين
عبوا بأمره وتضافروا على

حصين من أمنع الحصون والمعاقل وفيه صاحبه فضلون وهو لا يعطي الطاعة فنازله وحصره ودعاه الى طاعة السلطان فامتنع فقاتله فلم يبلغ بقتاله غرضا لعلو الحصن وارتفاعه فلم يطل مقامهم عليه حتى نادى أهل القلعة بطلب الامان ليسلموا الحصن اليه فعجب الناس من ذلك وكان السبب فيه ان جميع الآبار التي بالقلعة غارت مياهها في ليلة واحدة فقادتهم ضرورة العطش الى التسليم فلما طلبوا الامان امنهم نظام الملك وتسلم الحصن والتجأ فضلون الى قلة القلعة وهي أعلى موضع فيها وفيه بناء مرتفع فاحتمى فيها فسير نظام الملك طائفة من العسكر الى الموضع الذي فيه أهل فضلون وأقاربه ليحملوهم اليه وينهبوا أموالهم فسمع فضلون الخبر ففارق موضعه مستخفيا فيمن عنده من الجند وسار ليمنع عن أهله فاستقبله طلائع نظام الملك فقاتلهم فتفرق من معه واختفى في نبات الارض فوقع فيه بعض العسكر فأخذه أسيرا وحمله الى نظام الملك فأخذه وسار به الى السلطان فامنه وأطلقه

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة توفي القاضي أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الصمد بن المهتدي بالله الخطيب بجامع المنصور وكان قد أضر ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وكان اليه قضاء واسط وخليفته عليها أبو محمد بن السمال

(ثم دخلت سنة خمس وستين واربعمائة)

*(ذكر قتل السلطان الب ارسلان)*

في أول هذه السنة قصد السلطان الب ارسلان واسمه محمد وانما غلب عليه الب ارسلان ما وراء النهر وصاحبه شمس الملك تكين فعقد على جيحون جسرا وعبر عليه في نيف وعشرين يوما وعسكره يزيد على مائتي ألف فارس فأتاه أصحابه بمستحفظ قلعة يعرف بيوسف الخوارزمي في سادس شهر ربيع الاول وحمل الى قرب سريره مع غلامين فتقدم ان تضرب له أربعة أوتاد وتشد اطرافه اليها فقال له يوسف يا مخنث مثلي يقتل هذه القتلة فغضب السلطان الب ارسلان وأخذ القوس والنشاب وقال للغلامين خلياه ورماه السلطان بسهم فاخطأه ولم يكن يخطئ سهمه فوثب يوسف يريده والسلطان على سدة فلما رأى يوسف يقصده قام عن السدة ونزل عنها فعثر فوقع على وجهه فبرك عليه يوسف وضربه بسكين كانت معه في خاصرته وكان سعد الدولة واقفا فجرحه يوسف أيضا جراحات ونهض السلطان فدخل الى خيمة أخرى وضرب بعض الفراشين يوسف بمرزبة على رأسه فقتله وقطعه الاتراك وكان أهل سمرقند لما بلغهم عبور السلطان النهر وما فعل عسكره بتلك البلاد لاسيما بخارا اجتمعوا وختموا ختمات وسألوا الله ان يكفيهم أمره فاستجاب لهم ولما جرح السلطان قال ما من وجه قصدته وعدو أردته الا استعنت بالله عليه ولما كان أمس صعدت على تل فارتجت الارض تحتي من عظم الجيش وكثرة العسكر فقلت في نفسي انا ملك الدنيا وما يقدر أحد علي فعجزني الله تعالى باضعف خلقه وانا استغفر الله تعالى واستقيله من ذلك الخاطر فتوفي عاشر ربيع الأول من السنة فحمل الى مرو ودفن عند ابيه ومولده سنة أربع وعشرين واربعمائة وبلغ من العمر اربعين سنة وشهورا وقيل كان مولده سنة عشرين وأربعمائة وكانت مدة ملكه منذ خطب له بالسلطنة الى ان قتل

مداومته واستكفاف عاديته حروب ابيض قراجلد النمر وأرث نارها تأريث المتذمر وامطر على اعداء الله بوائق السيف المنهمر وعض في معاناتها على جذم التصبر وجافى الجنب عن الضجعة وأقنع النفس بالطوى والخمصة وامضى تحته مركب الجمه وحث اصحابه ورفقاءه على لذة الامنية اوراحة المنية كانما عناه عمرو بن الاطنابة الانصاري بقوله

ابت لي عفتي وأبى بلائي
واخذي الحمد بالثمن الربيح
واجشامي على المكروه نفسي
وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت
مكانك تحمدي او تستريحي

(وحكى لي رحمه الله) في غمار ما كان يذكره من مواقفه ومقاماته وآثاره في عدوه ونكاياته انى واقعتهم في بعض وقائعهم بهؤلاء الرفقاء ونحن في العدد اليسير وهم في الجم الغفير وطالت بنا وبهم ممارسة الحروب حتى اقوى الناس من الزاد

تسع سنين وستة أشهر وأياما ولما وصل خبر موته الى بغداد جلس الوزير فخر الدولة بن جهير للعزاء به في صحن السلام

*(ذكر نسب ألب أرسلان وبعض سيرته)*

هو ألب ارسلان محمد بن داود جغري بك بن ميكائيل بن سلجوق وكان كريما عادلا عاقلا لا يسمع السعايات واتسع ملكه جدا ودان له العالم وبحق قيل له سلطان العالم وكان رحيم القلب رفيقا بالفقراء كثير الدعاء بدوام ما انعم الله به عليه. اجتاز يوما بمرو على فقراء الخراتين فبكى وسأل الله تعالى ان يغنيه من فضله وكان يكثر الصدقة فيتصدق في رمضان بخمسة عشر ألف دينار وكان في ديوانه اسماء خلق كثير من الفقراء في جميع ممالكه عليهم الادرارات والصلات ولم يكن في جميع بلاده جناية ولا مصادرة قد قنع من الرعايا بالخراج الاصلي يؤخذ منهم كل سنة دفعتين رفقا بهم وكتب اليه بعض السعاة سعاية في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه من الرسوم والاموال وتركت على مصلاه فأخذها فقرأها ثم سلمها الى نظام الملك وقال له خذ هذا الكتاب فان صدقوا في الذي كتبوه فهذب اخلاقك واصلح احوالك وان كذبوا فاغفر لهم زلتهم واشغلهم بمهم يشتغلون به عن السعاية بالناس وهذه حالة لا يذكر عن احد من الملوك احسن منها وكان كثيرا ما يقرأ عليه تواريخ الملوك وآدابهم واحكام الشريعة ولما اشتهر بين الملوك حسن سيرته ومحافظته على عهوده اذعنوا له بالطاعة والموافقة بعد الامتناع وحضروا عنده من اقاصي ما وراء النهر الى اقصى الشام وكان شديد العناية بكف الجند عن اموال الرعية بلغه ان بعض خواص مماليكه سلب من بعض الرستاقية ازارا فاخذ المملوك وصلبه فارتدع الناس عن التعرض الى مال غيرهم ومناقبه كثيرة لا يليق بهذا الكتاب اكثر من هذا القدر منها وخلف ألب ارسلان من الاولاد ملكشاه وهو صار السلطان بعده واياز وتكش وبوري برش وتتش وارسلان ارغو وسارة وعائشة وبنتا اخرى

*(ذكر ملك السلطان ملكشاه)*

لما توفي السلطان ألب ارسلان اوصى بالسلطنة لابنه ملكشاه وكان معه وامر ان يحلف له العسكر فحلفوا جميعهم وكان المتولي للامر في ذلك نظام الملك وارسل ملكشاه الى بغداد يطلب الخطبة له فخطب له على منابرها واوصى ألب ارسلان ابنه ملكشاه ايضا ان يعطي اخاه قاورت بك ابن داود اعمال فارس وكرمان وشيئا عينه من المال وان يزوج بزوجته وكان قاورت بك بكرمان واوصى ان يعطي ابنه اياز بن ألب ارسلان ما كان لابيه داود وهو خمسمائة الف دينار وقال كل من لم يرض بما اوصيت له فقاتلوه واستعينوا بما جعلته له على حربه وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر العسكر الذي قطع النهر في نيف وعشرين يوما في ثلاثة ايام وقام بوزارة ملكشاه نظام الملك وزاد الاجناد في معايشهم سبعمائة الف دينار وعادوا الى خراسان وقصدوا نيسابور وراسل ملكشاه جماعة الملوك اصحاب الاطراف يدعوهم الى الخطبة له والانقياد اليه واقام اياز ارسلان ببلخ وسار السلطان ملكشاه في عساكره من نيسابور الى الري

*(ذكر ملك صاحب سمرقند مدينة ترمذ)*

في هذه السنة في ربيع الآخر ملك التكين صاحب سمرقند مدينة ترمذ وسبب ذلك انه لما بلغه

وعجزوا عن الامتناع والاستعداد ولم يكن امامنا الا السيوف القواضب وورائنا الا المهامه والسباسب فصرخوا الي بما دهاهم وسألوني حيلة الثبات على ما عراهم فعرفتهم اني كنت استصحبت لخاصتي على سبيل الاستظهار صدرا من السويق وهو الآن قسمة بيني وبينكم عدلا سواء بالغا ما بلغ من قدر الكفاية الى ان يمن الله بالفرج وكشف هذا الضيق والحرج فكنت اجدح لهم اياما عدة لكل منهم أولا ولنفسي من بعدهم آخرا قعبا صغيرا منه نجتزي به طول الليل والنهار ونحن على ذلك بين معالجة المكروه ومكابدة المحذور وملاقاة السيوف والسهام بحر الوجوه والصدور الى ان وهب الله النصر وأهب الظفر واساق سوء العقاب بمن كفر فولوا الادبار بين قتيل مزمل وجريح مرمل وعقير مرهق وأسير بالقد موثق (ونعمته رحمه الله تعالى بذكر ما كان من حسن

وفاة الب ارسلان وعود ابنه ملكشاه عن خراسان طمع فى البلاد المجاورة له فقصد ترمذ أول ربيع الآخر وفتحها ونقل ما فيها من ذخائر وغيرها الى سمرقند وكان اياز بن الب ارسلان قد سار عن بلخ الى الجوزجان فخاف اهل بلخ فارسلوا الى التكين يطلبون منه الامان فامنهم فخطبوا له فيها وورد اليها فنهب عسكره شيأ من اموال الناس وعاد الى ترمذ فثار أوباش بلخ بجماعة من اصحابه فقتلوهم فعاد اليهم وامر باحراق المدينة فخرج اليه اعيان اهلها وسألوه الصفح واعتذروا فعفا عنهم لكنه اخذ اموال التجار فغنم شيأ عظيما فلما وصل الخبر الى اياز عاد من الجوزجان الى بلخ فوصل غرة جمادى الاولى فاطاعه اهلها وسار عنها الى ترمذ فى عشرة آلاف فارس فى الثالث والعشرين من جمادى الآخرة فلقيهم عسكر التكين فانهزم اياز فغرق من عسكره فى جيحون اكثرهم وقتل كثير منهم ولم ينج الا القليل

*(ذكر قصد صاحب غزنة سكلكند)*

وفى هذه السنة ايضا فى جمادى الاولى وردت طائفة كثيرة من عسكر غزنة الى سكلكند وبها عثمان عم السلطان ملكشاه ويلقب بامير الامراء فاخذوه اسيرا وعادوا به الى غزنة مع خزائنه وحشمه فسمع الامير كمشتكين بلكابك وهو من اكابر الامراء فتبع آثارهم وكان معه انوشتكين جد ملوك خوارزم فى زماننا فنهبوا مدينة سكلكند

*(ذكر الحرب بين السلطان ملكشاه وعمه قاورت بك)*

لما بلغ قاورت بك وهو بكرمان وفاة اخيه الب ارسلان سار طالبا للرى يريد الاستيلاء على الممالك فسبقه اليها السلطان ملكشاه ونظام الملك وسارا منها اليه فالتقوا بالقرب من همذان فى شعبان وكان العسكر يميلون الى قاورت بك فحملت ميسرة قاورت على ميمنة ملكشاه فهزموها وحمل شرف الدولة مسلم بن قريش وبهاء الدولة منصور بن دبيس بن مزيد وهما مع ملكشاه ومن معهما من العرب والاكراد على ميمنة قاورت بك فهزموها وتمت الهزيمة على أصحاب قاورت بك ومضى المنهزمون من أصحاب السلطان ملكشاه الى حلل شرف الدولة وبهاء الدولة فنهبوها غيظا منهم حيث هزموا عسكر قاورت بك ونهبوا أيضا ما كان لنقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى رسول الخليفة وجاء رجل سوادى الى السلطان ملكشاه فاخبره ان عمه قاورت بك فى بعض القرى فارسل من أخذه واحضره فامر سعد الدولة كوهرائين فخنقه واقر كرمان بيد اولاده وسير اليهم الخلع واقطع العرب والاكراد اقطاعات كثيرة لما فعلوه فى الوقعة وكان السبب فى حضور شرف الدولة وبهاء الدولة عند ملكشاه ان السلطان الب ارسلان كان ساخطا على شرف الدولة فارسل الخليفة نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبى الى شرف الدولة بالموصل فاخذه وسار به الى الب ارسلان ليشفع فيه عنده الخليفة فلما بلغ الزاب وقف على ملطفات كتبها وزيره أبو جابر بن صقلاب فاخذها شرف الدولة فغرقها وسار مع طراد فبلغهما الخبر بوفاة الب أرسلان ومسير ابنه ملكشاه فقصدا اليه واما بهاء الدولة فانه كان قد سار بمال ارسله به أبوه الى السلطان فحضر الحرب بهذا السبب

*(ذكر تفويض الامور الى نظام الملك)*

ثم ان عسكر ملكشاه بسطوا ايديهم فى اموال الرعية وقالوا ما يمنع السلطان ان يعطينا

تدبيره وتقديره عند افضاء الامر اليه واقتصار الامارة عليه ورزاحه حاله عن التوسع فى الانفاق والتخرق فى البذل والاطلاق وأنه كان كأحد رفقائه فى الحال والمآل واحتاج مع ذلك الى أن يأخذ لؤنة الزعامة عليهم من نفقاته الراتبة فكان يدخر منها ما يفى بضيافتهم فى الاسبوع دفعة أو دفعتين ولم يزل على هذه الجملة الى أن اتسعت حاله فزادهم بحسب الزيادة الى ان استكمل اسباب السياده فكان كما قيل

نفس عصام سودت عصاما
وعلمته الكر والاقداما
وصيرته ملكا هماما

فلم يلبث ان اتسعت رقعة ولايته وعظم حجم جريدته وعمرت أرض خزانته وأشفقت النفوس من هيبته وتعلقت الاطماع بمعونته وكان من اجدى فتوحه ناحية بست وسبب ذلك ان باى توز كان قد

الاموال الاقطاع الملك فنال الرعية اذى شديد فذكر ذات نظام الملك السلطان فيما له ما في هذا الفعل من الوهن وخراب البلاد وذهاب السياسة فقال له افعل في هذا ما تراه مصلحة فقال له نظام الملك ما يمكنني ان افعل الا بامرك فقال السلطان قد رددت الامور كلها كبيرها وصغيرها اليك فانت الوالد وحلف له واقطعه اقطاعا زائدا على ما كان من جملته طوس مدينة نظام الملك وخلع عليه ولقبه القابا من جملتها اتابك ومعناه الامير الوالد فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور وقيل ان ذلك ان امرأة ضعيفة استغاثت اليه فوقف يكلمها وتكلمه فدفعها بعض حجابه فانكر ذلك عليه وقال انما استخدمتك لامثال هذه فان الامراء والاعيان لا حاجة بهم اليك ثم صرفه عن حجبته

* (ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان) *

في هذه السنة قتل ناصر الدولة ابو علي الحسن بن حمدان وهو من اولاد ناصر الدولة بن حمدان بمصر وكان قد تقدم فيما تقدم ما فعله ونذكرها هنا الاسباب الموجبة لقتله فانا نتبع بعضها ببعض فان حروب وتجارب وكان اول ذلك اختلال امر الخلافة وفساد احوال المستنصر بالله العلوي صاحبها وسببه ان والدته كانت غالبة على امره وقد اصطنعت ابا سعيد ابراهيم التستري اليهودي وصار وزيرا لها فاشارت عليها بوزارة ابي نصر الفلاحي فولته الوزارة واتفقا مدة ثم صار الفلاحي ينفرد بالتدبير فوقع بينهما وحشة فخاف الفلاحي ان يفسد امره مع ام المستنصر فاصطنع الغلمان الاتراك واستمالهم وزاد في ارزاقهم فلما وثق بهم وضعهم على قتل اليهودي فقتلوه فعظم الامر على ام المستنصر واغرت به ولدها فقبض عليه وارسلت من قتله في الحال وكان بينهما في القتل تسعة اشهر ووزر بعده ابو البركات حسن بن محمد فوضعه على الغلمان الاتراك فافسد احوالهم وشرع يشتري العبيد للمستنصر واستكثر منهم فوضعتهم ام المستنصر ليغري العبيد المجردين بالاتراك فخاف عاقبة ذلك وعلم انه يورث شرا وفسادا فلم يفعل فتنكرت له وعزلته عن الوزارة وولي بعده الوزارة ابو محمد اليازوري من قرية من قرى الرملة اسمها يازور فامرته ايضا بذلك فلم يفعل واصلح الامور الى ان قتل ووزر بعده ابو عبد الله الحسين بن البابلي فامرته بما امرت به غيره من الوزراء من اغراء العبيد بالاتراك ففعل فتغيرت نياتهم ثم ان المستنصر ركب لتشييع الحاج فاجرى بعض الاتراك فرسه فوصل به الى جماعة العبيد المحدثين وكانوا يحيطون بالمستنصر فضربه احدهم فجرحه فعظم ذلك على الاتراك ونشبت بينهم الحرب ثم اصطلحوا على تسليم الجارح اليهم واستحكمت العداوة فقال الوزير للعبيد خذوا حذركم فاجتمعوا في محلتهم وعرف الاتراك ذلك فاجتمعوا الى مقدميهم وقصدوا ناصر الدولة بن حمدان وهو اكبر قائد بمصر وشكوا اليه واستمالوا المصامدة وكتامة وتعاهدوا وتعاقدوا فقوي الاتراك وضعف العبيد المحدثون فخرجوا من القاهرة الى الصعيد لتجمعوا هناك فانضاف اليهم خلق كثير يزيدون على خمسين الف فارس وراجل فخاف الاتراك وشكوا الى المستنصر فاعاد الجواب انه لا علم له بما فعل العبيد وانه لا حقيقة له فظنوا قوله حيلة عليهم ثم قوي الخبر بقرب العبيد منهم بكثرتهم فاجتمع الاتراك وكتامة والمصامدة وكانت عدتهم ستة آلاف فالتقوا بموضع يعرف بكوم الريش واقتتلوا فانهزم الاتراك ومن معهم الى القاهرة وكان

ملكها الى طغان احدى الامراء غصبا واجلاه عنها حربا ونهبا فلما رأى الامير الماضي مستظهرا به ومستقرا ايامه عليه بمال يضمنه وولد يرهنه وطاعة يبذلها وخدمة بالنفس والمال عند الحاجة يلتزمها لبى نداه وحقق بفضله رجاه ونهض نحوه بمعظم جيوشه حتى اناخ بباب بست وبرز باي توز الى معسكره فتناوشا القتال كاشد ما يكون قعا بالصفاح ومشقا بالرماح واثخانا بالجراح فلما اضطرب الفريقان والتقت حلقتا البطان حمل الامير الماضي من قلب عسكره حملة كشفتهم عن مقامهم واغصت شوارع البلد بهامهم ودارك عليهم الحملات من كل اوب حتى جاوا عنها متفاولين وتفرقوا في متون الهضاب وبطون الاودية والشعاب مخذولين واستقر طغان بها شاكرا

بعضهم قد كمن فى خمسمائة فارس فلما انهزم الاتراك خرج الكمين على ساقة العبيد ومن معهم وحملوا عليهم حملة منكرة وضربت البوقات فارتاع العبيد وظنوها مكيدة من المستنصر وانه قد ركب فى باقى العسكر فانهزموا وعاد عليهم الاتراك وحكموا فيهم السيوف فقتل منهم وغرق نحو أربعين ألفا وكان يوما مشهودا وقويت نفوس الاتراك وعرفوا حسن رأى المستنصر فيهم وتجمعوا وشدوا فتضاعفت عدتهم وزادت واجباتهم للانفاق فيهم فخلت الخزائن واضطربت الامور وتجمع باقى العسكر من الشام وغيره الى الصعيد فاجتمع مع العبيد فصار واخمسة عشر ألف فارس وراجل وساروا الى الجيزة فخرج عليهم الاتراك ومن معهم واقتتلوا فى المساعدة أيام ثم عبر الاتراك النيل اليهم مع ناصر الدولة بن حمدان فاقتتلوا فانهزم العبيد الى الصعيد وعاد ناصر الدولة والاتراك منصورين ثم ان العبيد اجتمعوا بالصعيد فى خمسة عشر الف فارس وراجل فقلق الاتراك لذلك فحضر مقدموهم دار المستنصر اشكوى حالهم فامرت ام المستنصر من عندها من العبيد بالهجوم على المقدمين والقتل بهم ففعلوا ذلك وسمع ناصر الدولة الخبر فهرب الى ظاهر البلد واجتمع الاتراك اليه ووقعت الحرب بينهم وبين العبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة وحلف الامير ناصر الدولة بن حمدان انه لا ينزل عن فرسه ولا يذوق طعاما حتى ينفصل الحال بينهم فبقيت الحرب ثلاثة ايام ثم ظفر بهم ناصر الدولة واكثر القتل فيهم ومن سلم هرب وزالت دولتهم من القاهرة وكان بالاسكندرية جماعة كثيرة من العبيد فلما كانت هذه الحادثة طلبوا الامان فامنوا واخذت منهم الاسكندرية وبقى العبيد الذين بالصعيد فلما خلت الدولة للاتراك طمعوا فى المستنصر وقل ناموسه عندهم وطلبوا الاموال فخلت الخزائن فلم يبق فيها شئ البتة واختل ارتفاع الاعمال وهم يطالبون واعتذر المستنصر بعدم الاموال عنده فطلب ناصر الدولة العروض فأخرجت اليهم وقومت بالثمن البخس وصرفت الى الجند قيل ان واجب الاتراك كان فى الشهر عشرين الف دينار فصار الآن فى الشهر اربعمائة الف دينار واما العبيد بالصعيد فانهم افسدوا وقطعوا الطريق وأخافوا السبيل فسار اليهم ناصر الدولة فى عسكر كثير فمضى العبيد من بين يديه الى الصعيد الاعلى فادركهم فقاتلهم وقاتلوه فانهزم ناصر الدولة منهم وعاد الى الجيزة بمصر واجتمع اليه من سلم من أصحابه وشغبوا على المستنصر واتهموه بتقوية العبيد والميل اليهم ثم جهزوا جيشا وسيروه الى طائفة من العبيد بالصعيد وقاتلوهم فقتل تلك الطائفة من العبيد فوهن الباقون وزالت دولتهم وعظم امر ناصر الدولة وقويت شوكته وتفرد بالامر دون الاتراك فامتعوا من ذلك وعظم عليهم وفسدت نياتهم له فشكوا ذلك الى الوزير وقالوا كلما خرج من الخليفة مال أخذ اكثره له ولحاشيته ولا يصل الينا منه الا القليل فقال الوزير انما وصل الى هذا وغيره بكم فلو فارقتموه لم يتم له أمر فاتفق رأيهم على مفارقة ناصر الدولة واخراجه من مصر فاجتمعوا وشكوا الى المستنصر وسألوه ان يخرج عنهم ناصر الدولة فارسل اليه يأمره بالخروج ويتهدده ان لم يفعل فخرج من القاهرة الى الجيزة ونهبت داره ودور حواشيه واصحابه فلما كان الليل دخل ناصر الدولة مستخفيا الى القائد المعروف بتاج الملوك شادى فقبل رجله وقال اصطنعنى فقال افعل فحالفه على قتل مقدم من الاتراك اسمه الدكز والوزير الخطير وقال ناصر الدولة لشادى تركب

احسانه وموجبا لتحقيق
ما أوجب عليه ضمانه
وبذل به رهنه ولسانه وهو
يتقلب فى ذلك مرا بين وعد
واخلاف ويترجح بين وفاق
وخلاف حتى اذا حان حين
الاداء طالبه الامير بالوفا
واغلظ عليه بالاقتضاء
لما رآه من فرط الاباء
والالتواء وهما على صحراء
غاصة بغلمانهما واتباعهما
فحدثته نفسه عرفية الطبع بالمنع
ولم يرض بالقول حتى انتضى
سيفه وضرب يد الامير ضربة
أوسعت جرحها فلما تبين غدره
ضرب بيده الى سيفه وهى
تشخب دما فضرب منكبيه
ضربة انتصفت له منه
وطلبه بأخرى فحجزه عنها
اختلاط الفريقين وأهاب
الامير الى رفقائه وغلمان
داره بطرد الغواة وحطمهم
وتبييض تلك النواحى من
سوادهم وتحمير تلك التربة
من جساد اجسادهم فلم يتلع
النهار الا وبست له صافيه
واطرافها عن ذوى الخلاف

في اصحابك وتسير بين القصرين فاذا امكنتك الفرصة فيهما فاقتله ما وعاد ناصر الدولة الى موضعه الى الجيزة وفعل شادي ما امره فركب الدكز الى القصر فرأى شادي في جمعه فانكره واسرع فدخل القصر فقاته ثم اقبل الوزير في موكبه فقتله شادي وارسل الى ناصر الدولة يأمره بالركوب فركب الى باب القاهرة فقال الدكز للمستنصر ان لم تركب والا هلكت انت ونحن فركب ولبس سلاحه وتبعه خلق عظيم من العامة والجند واصطفوا القتال فحمل الاتراك على ناصر الدولة فانهزم وقتل من اصحابه خلق كثير ومضى منهزما على وجهه لا يلوي على شيء وتبعه قل اصحابه فوصل الى بني سنبس فاقام عندهم وصاهرهم فقوي بهم وتجهزت العساكر اليه ليبعدوه فسار واحترق ربوا منه وكانوا ثلاث طوائف فاراد أحد المقدمين ان يفوز بالظفر وحده دون أصحابه فعبر فيمن معه الى ناصر الدولة وحمل عليه فقاتله فظفر به ناصر الدولة فاخذه اسيرا واكثر القتل في اصحابه وعبر العسكر الثاني ولم يشعروا بما جرى على اصحابهم فحمل ناصر الدولة عليهم ورفع رؤس القتلى على الرماح فوقع الرعب في قلوبهم فانهزموا وقتل اكثرهم وقويت نفس ناصر الدولة وعبر العسكر الثالث فهزمه واكثر القتل فيهم واسر مقدمهم وعظم امره ونهب الريف فاقطعه وقطع الميرة عن مصر برا وبحرا فغلت الاسعار بها وكثر الموت بالجوع وامتدت ايدي الجند بالقاهرة الى النهب والقتل وعظم الوباء حتى ان اهل البيت الواحد كانوا يموتون كلهم في ليلة واحدة واشتد الغلاء حتى حكي ان امرأة اكلت رغيفا بالف دينار فاستبعد ذلك فقيل انها باعت عروضا قيمتها ألف دينار بثلثمائة دينار واشترت بها حنطة وحملها الحمال على ظهره فنهبت الحنطة في الطريق فنهبت هي مع الناس فكان الذي حصل لها مما عملته رغيفا واحدا وقطع ناصر الدولة الطريق برا وبحرا فهلك العالم ومات أكثر أصحاب المستنصر وتفرق كثير منهم فراسل الاتراك من القاهرة ناصر الدولة في الصلح فاصطلحوا على ان يكون تاج الملوك شادي نائبا عن ناصر الدولة بالقاهرة ويحمل المال اليه ولا يبقى معه لاحد حكم فلما دخل تاج الملوك الى القاهرة تغير عن القاعدة واستبد بالاموال دون ناصر الدولة ولم يرسل اليه منها شيأ فسار ناصر الدولة الى الجيزة واستدعى اليه شادي وغيره من مقدمي الاتراك فخرجوا اليه الا أقلهم فقبض عليهم كلهم ونهب ناحيتي مصر واحرق كثيرا منها فسير اليه المستنصر عسكرا فكبسوه فانهزم منهم ومضى هاربا فجمع جمعا وعاد اليهم فقاتلهم فهزمهم وقطع خطبة المستنصر بالاسكندرية ودمياط وكانا معه وكذلك جميع الريف وارسل الى الخليفة ببغداد يطلب خلعا ليخطب له بمصر واضمحل أمر المستنصر وبطل ذكره وتفرق الناس من القاهرة وأرسل ناصر الدولة اليه أيضا يطلب المال فرآه الرسول جالسا على حصير وليس حوله غير ثلاثة خدم ولم ير الرسول شيأ من آثار المملكة فلما أدى الرسالة قال أما يكفي ناصر الدولة ان اجلس في مثل هذا البيت على مثل هذا الحصير فبكى الرسول وعاد الى ناصر الدولة فاخبره الخبر فاجرى له كل يوم مائة دينار وعاد الى القاهرة وحكم فيها واذل السلطان واصحابه وكان الذي حمله على ذلك أنه كان يظهر التسنن من بين أهله ويعيب المستنصر وكان المغاربة كذلك فاعانوه على ما أراد وقبض على ام المستنصر وصادرها بخمسين الف دينار وتفرق عن المستنصر أولاده وكثير من أهله الى الغرب وغيره من البلاد فمات كثير منهم جوعا وانقضت

خاليه وبشعار دولته سالبه واستدبا بأي توزو طغان الى نواحي كرمان وسجستان ولم يحصل احد منهما بأن يلتفت وراءه فضلا عن ان يتمنى لقاءه ومن جملة ما استفاد ذلك الامير من مغانم ذلك الفتح ابو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب صاحب التجنيس فانه كان كاتبا لباي توز ولما استمرت به الكشفة اعتبه صحبته فتخلف عنه ودل الامير عليه فاستحضره ومناه واعتمده لما كان قبل معتمدا اذ كان محتاجا الى مثله في آلته وكفايته ومعرفته وهدايته وحنكته ودرايته (وحدثني) ابو الفتح قال لما استخدمني الأمير الماضي واحلني محل الثقة الامين عنده في مهمات شانه واسرار ديوانه وكان باي توز بعد حيا وبسادي يلوون ألسنتهم بالقدح في والجرح لاوضع الثقة

سنة اربع وستين وماقبلها بالثين وانحط السعر سنة خمس وستين ورخصت الاسعار وبالغ ناصر
الدولة فى اهانة المستنصر وفرق عنه عامة اصحابه وكان يقول لاحدهم اننى أريد ان أوليك عمل
كذا فيسير اليه فلا يمكنه من العمل ويمنعه من العود وكان غرضه بذلك أن يخطب للخليفة القائم
بأمر الله ولا يمكنه مع وجودهم ففطن لفعله قائد كبير من الاتراك اسمه الدكز وعلم انه متى ماتم
ما اراده تمكن منه ومن اصحابه فأطلع على ذلك غيره من قواد الاتراك فاتفقوا على قتل ناصر
الدولة وكان قد امن لقوته وعدم عدوه فتواعدوا ليلة على ذلك فلما كان سحر الليلة التى
تواعدوا فيها على قتله جاؤا الى باب داره وهى التى تعرف بمنازل العز وهى على النيل فدخلوا
من غير استئذان الى صحن داره فخرج اليهم ناصر الدولة فى رداء لانه كان آمنا منهم فلما دنا منهم
ضربوه بالسيوف فسبهم وهرب منهم يريد الحرم فلحقوه فضربوه حتى قتلوه وأخذوا رأسه ومضى
رجل منهم يعرف بكوكب الدولة الى فخر العرب أخى ناصر الدولة وكان فخر العرب كثير الاحسان
اليه فقال للحاجب استأذن لى على فخر العرب وقل صنيعتك فلان على الباب فاستأذن له فاذن له
وقال لعله قد دهمه أمر فلما دخل عليه أسرع نحوه كأنه يريد السلام عليه وضربه بالسيف على
كتفه فسقط الى الارض فقطع رأسه وأخذ سيفه وكان ذا قيمة وافرة وأخذ جارية له اردفها
خلفه وتوجه الى القاهرة وقتل أخوهما تاج المعالى وانقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية فلما
كان سنة ست وستين واربعمائة ولى الامر بمصر بدر الجمالى امير الجيوش وقتل الدكز والوزير
ابن كدينة وجماعة من المسطينة وتمكن من الدولة الى ان مات وولى بعده ابنه الافضل وسيرد
ذكرهم ان شاء الله تعالى

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة أقيمت الدعوة العباسية بالبيت المقدس وفيها توفى الامير ليث بن منصور صدقة بن
الحسين بالدامغان والشريف أبو الغنائم عبد الصمد بن على بن محمد بن المأمون ببغداد وكان
موته فى شوال ومولده سنة أربع وسبعين وثلثمائة وكان عالى الاسناد فى الحديث وفيها فى ذى
الحجة توفى الشريف ابو الحسين محمد بن على بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف
بابن الغريق وكان يسمى راهب بنى العباس وهو آخر من حدث عن الدارقطنى وابن شاهين
وغيرهما وكان موته ببغداد وفيها قتل ناصر الدولة ابو على الحسين بن حمدان بمصر قتله الدكز التركى
وقد تقدم شرحه مستوفى وفيها توفى الامام ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى
النيسابورى مصنف الرسالة وغيرها وكان اماما فقيها اصوليا مفسرا كاتبا ذا فضائل جمة وكان له
فرس قد اهدى اليه فركبه نحو عشرين سنة فلما مات الشيخ لم يأكل الفرس شيأ فعاش اسبوعا
ومات وفيها أيضا توفى على بن الحسن بن على بن الفضل أبو منصور الكاتب المعروف بابن صربعر
وكان نظام الملك قال له انت ابن صردر لاصر بعر فبقى ذلك عليه وهو من الشعراء المجيدين
وهجاه ابن البياضى فقال

لئن نبز الناس قدما اباك * فسموه من شحه صربعرا
فانك تنثر ما صره * عقوقا له وتسميه شعرا

وهذا ظلم من ابن البياضى فانه كان شاعرا محسنا ومن شعر ابن صردر قوله

بى لما اشفقت لقرب العهد
بالاختيار من ان يعلق
بقلبه شئ من تلك الاقوال
ويقرطس غرض القبول
بعض تلك النبال *فحضرته
ذات يوم وقلت له ان همة
مثلى من ارباب هذه الصناعة
لا ترتقى الى أكثر مما رأى
الامير اهلا له من اختصاصه
واستخلاصه وتقريبه
وترتيبه واختياره لمهمات
اسراره غير ان حداثة
عهدى بخدمة من كنت به
موسوما واهتمام الامير
بنفض ما بقى من شغله
يقتضيانى ان استأذنه فى
الاعتزال الى بعض اطراف
مملكته ريثما يستقر له هذا
الامر فى نصابه فيكون ما
آتيه من هذه الخدمة أسلم
من التهمة وأقرب الى السداد
وابعد من كيد الحساد
فارتاح لما سمعه * واوقعه
من الاحماد موقعه *واشار
على بناحية الرخج وحكمنى
فى ارضها أتبوأ منها حيث
اشاء * الى ان يأتينى
الاستدعاء*فتوجهت نحوها
فارغ البال*رافغ العيش

تزاورن عن اذرعات يمينا • نواشز ليس يطقن البرينا
كلفن بنجد كأن الرياض • اخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن الاصيلا • الا الية ويلقين الاحزينا
فلما استمعن زفير المشوق • ونوح الحمام تركن الحنينا
اذا جئتما بانة الواديين • فأرخوا النسوع وحلوا الوضينا
فثم علائق من اجلهن • ملأء الدجى بالضحى قد طوينا
وقد انبأتهم مياه الجفون • بأن بقلبك داء دفينا

(ثم دخلت سنة ست وستين واربعمائة)

•(ذكر تقليد السلطان ملكشاه السلطنة والخلع عليه)•

في هذه السنة في صفر ورد كوهرائين الى بغداد من عسكر السلطان وجلس له الخليفة القائم بامر الله ووقف على رأسه ولي العهد المقتدي بامر الله وسلم الخليفة الى كوهرائين عهد السلطان ملكشاه بالسلطنة وقرأ الوزير اوله وسلم اليه ايضا لواء عقده الخليفة بيده ولم يمنع ومنعا احد من الدخول الى دار الخلافة فامتلأ صحن السلام بالعامة حتى كان الانسان تهمه نفسه ليتخلص وهنأ الناس بعضهم بعضا بالسلامة

•(ذكر غرق بغداد)•

في هذه السنة غرق الجانب الشرقي وبعض الغربي من بغداد وسببه ان دجلة زادت زيادة عظيمة وانفتح القورج عند المسناة المعزية وجاء في الليل سيل عظيم وطفح الماء من البرية مع ريح شديدة وجاء الماء الى المنازل من فوق ونبع من البلاليع والآبار بالجانب الشرقي وهلك خلق كثير تحت الهدم وشدت الزواريق تحت التاج خوف الغرق وقام الخليفة يتضرع ويصلي وعليه البردة وبيده القضيب واتى يتكين السليماني من عكبرا فقال للوزير ان الملاحين يرزؤون الناس في المعابر فأحضرهم وتهددهم بالقتل وامر باختتام ما جرت به العادة وجمع الناس واقيمت الخطبة الجمعة في الطيار مرتين وغرق من الجانب الغربي مقبرة احمد ومشهد باب التبن وتهدم سور وفاطاق شرف الدولة الف دينار تصرف في عمارته ودخل الماء من شبابيك البيمارستان العضدي ومن عجيب ما يحكى في هذا الغرق ان الناس في الايام الماضية كانوا قد انكروا كثرة المغنيات والخمر فقطع بعضهم أوتار عود مغنية كانت عند جندي فثار به الجندي الذي كانت عنده فضربه فاجتمعت العامة ومنهم كثير من الائمة منهم ابو اسحق الشيرازي واستغاثوا الى الخليفة وطلبوا اهدم الخيم والحانات وتبطيلها فوعدهم ان يكاتب السلطان في ذلك فسكنوا وتفرقوا ولازم كثير من الصالحين الدعاء بكشفه فاتفق ان غرقت بغداد ونال الخليفة والجند من ذلك امر عظيم وعمت مصيبته كافة الناس فرأى الشريف ابو جعفر بن موسى بعض الحجاب الذين يقولون نحن نكاتب السلطان ونسعى في تفريق الناس ويقول اسكتوا الى ان يرد الجواب فقال له ابو جعفر قد كتبنا وكتبتم فجاءنا الجواب قبل جوابكم يعني انهم شكوا ما حل بهم الى الله تعالى وقد أجابهم بالغرق قبل ورود جواب السلطان

•(ذكر ملك السلطان ملكشاه ترمذ والهدنة بينه وبين صاحب سمرقند)•

والحال مسليم اللسان والقلم • بعيد القدم عن مخاضات التهم • قال وكنت أدلجت ذات ليلة وذلك في فصل الربيع أؤم منزلا امامي فلما اصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت رفقتي للركوب فتح ضياء الشروق طرفي على قرية ذات جنة محفوفة بالخضرة مفعومة بالنور والزهر • وامامها أرض كانها مفروشة ببساط من الزبرجد منضد بالدر والمرجان • مرصع بالعقيق والعقيان • يتسيب بينهما انهار كبطون الحيات • في صفاء ماء الحياة • وقد نفح من نسيم هوائها عرف المسك السحيق • والعنبر الفتيق • فاستطبت ذلك المكان • وتصورت منه الجنان • وفزعت الى كتاب أدب لي كنت استصحبته لاخذ الفال • على المقام والارتحال • فقصت اول سطر من الصفحة عن بيت شعر وهو
وُاذا انتهيت الى السلامة • في مداك فلا تجاوز

قد ذكرنا ان خاقان التكين صاحب سمرقند ملك ترمذ بعد قتل السلطان الب ارسلان فلما استقامت الامور للسلطان ملكشاه سار الى ترمذ وحصرها وطم العسكر خندقها ورماها بالمجانيق فخاف من بها فطلبوا الامان فأمنهم وخرجوا منها وسلموها وكان بها اخ لخاقان التكين فاكرمه السلطان وخلع عليه واحسن اليه واطلقه وسلم قلعة ترمذ الى الامير ساوتكين وأمره بعمارتها وتحصينها وعمارة سورها بالحجر المحكم وحفر خندقها وتعميقه ففعل ذلك وسار السلطان ملكشاه يريد سمرقند ففارقها صاحبها وانفذ يطلب المصالحة ويضرع الى نظام الملك في اجابته الى ذلك ويعتذر من تعرضه الى ترمذ فاجيب الى ذلك واصطلحوا وعاد ملكشاه عنه الى خراسان ثم منها الى الري واقطع بلخ وطخارستان لاخيه شهاب الدين تكش

*(ذكر عدة حوادث)*

فيها توفي زعيم الدولة ابو الحسن بن عبد الرحيم بالنيل فجأة وله سبعون سنة وقد تقدم من اخباره ما فيه كفاية وفيها توفي اياز أخو السلطان ملكشاه وكفي شره كما كفي شر عمه قاورت بك وفيها في ربيع الاول توفي القاضي أبو الحسين بن أبي جعفر السمناني حمو قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني وولي ابنه أبو الحسن ما كان اليه من القضاء بالعراق والموصل وكان مولده سنة اربع وثمانين وثلثمائة بسمنان وكان هو وابوه من المغالين في مذهب الاشعري وله فيه تصانيف كثيرة وهذا مما يستطرف ان يكون حنفي اشعريا وفيها في جمادى الآخرة توفي عبد العزيز أحمد بن محمد بن علي أبو محمد الكتاني الدمشقي الحافظ وكان مكثرا في الحديث ثقة وممن سمع منه الخطيب أبو بكر البغدادي

(ثم دخلت سنة سبع وستين واربعمائة)

*(ذكر وفاة القائم بامر الله وذكر بعض سيرته)*

في هذه السنة ليلة الخميس ثالث عشر شعبان توفي القائم بامر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه واسمه عبد الله أبو جعفر بن القادر بالله أبي العباس أحمد ابن الامير اسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد وكان سبب موته انه كان قد أصابه ماشرا فافتصد ونام منفردا فانفجر فصاده وخرج منه دم كثير ولم يشعر فاستيقظ وقد ضعف وسقطت قوته فايقن بالموت فاحضر ولي العهد ووصاه بوصايا واحضر النقيبين وقاضي القضاة وغيرهم مع الوزير ابن جهير واشهدهم على نفسه انه جعل ابن ابنه أبا القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله ولي عهده ولما توفي غسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الهاشمي وصلى عليه المقتدي بامر الله وكان عمره ستا وسبعين سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وخلافته اربعا وأربعين سنة وثمانية أشهر وأيام وقيل كان مولده ثامن عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وثلثمائة وعلى هذا يكون عمره ستا وسبعين سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وامه ام ولد تسمى قطر الندى ارمنية وقيل رومية ادركت خلافته وقيل اسمها علم وماتت في رجب سنة اثنتين وخمسين واربعمائة وكان القائم جميلا مليح الوجه أبيض مشربا بحمرة حسن الجسم ورعا دينا زاهدا عالما قوي اليقين بالله تعالى كثير الصبر وكان للقائم عناية بالادب ومعرفة حسنة بالكتابة ولم يكن يرتضي أكثر ما يكتب من الديوان فكان يصلح فيه أشياء وكان مؤثرا للعدل والانصاف يريد

فقلت والله هذا هو الوحي الناطق * والفال الصادق * وتقدمت بعطف ضبنتي اليها * وغنيت ستة اشهر بها * في أنعم عيش وارخاه * واهنا شرب وأمراه * الى ان اتاني كتاب الامير باستدعائي الى حضرته بتجميل وتأميل وترتيب وترحيب فنهضت اليها وحظيت بما حظيت به منها الى يومي هذا وكان اختياره ذلك احد ما استدل به ذلك الامير على رأيه ورزانته * ودرجه به الى محلته ومكانته * وصار من بعد ينظم باقلامه منثور الآثار عن حسامه * وينسج بعباراته وشائع فتوحه ومقاماته * وهلم جرا الى زمان السلطان يمين الدولة وامين الملة فقد كتب له عدة فتوح الى ان زحزحه القضاء عن خدمته * ونبذه الى ديار الترك من غير قصده وارادته * فمات بها غريبا * ولم يجد من مساعدة الزمان نصيبا * ولما استتب للامير ملك النواحي * واستقرت على شعار دعوته الاقاصي والاداني * وصفت له أشرابها * ودرت عليه

قضا حوائج الناس لا يرى المنع من شئ يطلب منه قال محمد بن علي بن عامر الوكيل دخلت يوما الى المخزن فلم يبق أحد الا اعطاني قصة فامتلأت أكمامي منها فقلت في نفسي لو كان الخليفة أخي لأعرض عن هذه كلها فألقيتها في بركة والقائم ينظر ولا أشعر فلما دخلت اليه أمر الخدم باخراج الرقاع من البركة فأخرجت ووقف عليها ووقع فيها باغراض أصحابها ثم قال لي يا عامي ما حملك على هذا فقلت خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من أموالنا شيأ انما نحن وكلاء ووزر للقائم أبو طالب محمد بن أيوب وأبو الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وأبو نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغاني

## (ذكر خلافة المقتدي بامر الله)

لما توفي القائم بامر الله بويع المقتدي بامر الله عبد الله بن محمد بن القائم بالخلافة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق وأبو نصر بن الصباغ ونقيب النقباء طراد والنقيب الطاهر المعمر بن محمد وقاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني وغيرهم من الاعيان والاماثل فبايعوه وقيل كان أول من بايعه الشريف أبو جعفر ابن أبي موسى الهاشمي فانه لما فرغ من غسل القائم بايعه وأنشده

اذا سيد منا مضى قام سيد  قؤول بما قال الكرام فعول

ثم ارتج عليه فقال المقتدي

فلما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ولم يكن للقائم من أعقابه ذكر سوى ولد الذخيرة أبا العباس محمد بن القائم توفي أيام أبيه ولم يكن له غيره فأيقن الناس بانقراض نسله وانتقال الخلافة من البيت القادري الى غيره ولم يشكوا في اختلال الاحوال بعد القائم لان من عدا البيت القادري كانوا يخالطون العامة في البلد ويجرون مجرى السوقة فلو اضطر الناس الى خلافة أحدهم لم يكن له ذلك القبول ولا تلك الهيبة فقدر الله تعالى ان الذخيرة أبا العباس كان له جارية اسمها ارجوان وكان يلم بها فلما توفي رأت ما نال القائم من المصيبة واستعظمه من انقراض عقبه ذكرت انها حامل فتعلقت النفوس بذلك فولدت بعد موت سيدها بستة أشهر المقتدي فاشتد فرح القائم وعظم سروره وبالغ في الاشفاق عليه والمحبة له فلما كان حادثة البساسيري كان للمقتدي قريب اربع سنين فأخفاه اهله وحمله أبو الغنائم بن المحلبان الى حران كما ذكرنا ولما عاد القائم الى بغداد أعيد المقتدي اليه فلما بلغ الحلم جعله ولي عهده فلما ولي الخلافة أقر فخر الدولة بن جهير على وزارته ووصاه القائم بذلك وسير عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة وكان مسيره في شهر رمضان وارسل معه من انواع الهدايا ما يجل عن الوصف

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شوال وقعت نار ببغداد في دكان خباز بنهر المعلى فاحترقت من السوق مائة وثمانون دكانا سوى الدور ثم وقعت نار في المأمونية ثم في الظفرية ثم في درب المطبخ ثم في دار الخليفة ثم في حمام السمرقندي ثم في باب الازج ودرب خراسان ثم في الجانب الغربي في نهر طابق ونهر القلائين والقطيعة وباب البصرة واحترق الابحصى وفيها ارسل المستنصر بالله العلوي

---

اسلابها ٭ استخلف عليها من اختاره من ثقاته وخواصه ٭ وكانت بلاد قصدها وقد وقعت من وراء بيضته ومرد عليه والياه ٭ لمنعة اطرافها ونواحيها ٭ وخشونة مسالكها ومهاويها ٭ فظن ان بعد الشقة وحزونة المضرب وضيق المدخل ووعورة المتغلغل ٭ مانعته من المرور عليه ٭ وقاطعته دون الوصول اليه ٭ فلم يرعه الا صيحة الغارة ٭ واحداق الخيول به كالخط في الاستدارة ٭ وقد طوى الامير اليه تلك الطرق القاصية ٭ والقلال العاصية المتناصية ٭ في دركضة لم يتل فيها جنبه قرارا ٭ ولا عينه غرارا ٭ ولا خيله بها الا الماما فهجم عليه في ربعه بنفسه وصحبه فأخذه كما قيل فأخذته أخذ المقتبس شعلة عجلان يشويها القوم نزل وكان صباحه كما قيل اذا ترس القصل وسط الجرد وصاح الكلاب وعق الولد ثم رأى ان يمن عليه ٭ ويرجع اليه ما كان بيديه ٭ فأطلقه

صاحب مصر الى صاحب مكة ابن ابى هاشم رسالة وهدية جليلة وطلب منه ان يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى وقال ان ايمانك وعهودك كانت للقائم وللسلطان الب ارسلان وقد ماتا فخطب له بمكة وقطع خطبة المقتدى وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة اربع سنين وخمسة اشهر ثم اعيدت فى ذى الحجة سنة ثمان وستين وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبة ببلاد افريقية فقويت بنو رياح على زغبة فهزموهم واخرجوهم من البلاد. وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار ما فعله السلطان مبدأ التقاويم وفيها أيضا عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى وغيرهم وخرج عليه من الاموال شئ عظيم وبقى الرصد دائرا الى ان مات السلطان سنة خمس وثمانين واربعمائة فبطل بعد موته

(ثم دخلت سنة ثمان وستين واربعمائة)

*(ذكر ملك الاقسيس دمشق)*

قد ذكرنا سنة ثلاث وستين ملك اقسيس الرملة والبيت المقدس وحصره مدينة دمشق فلما عاد عنها جعل يقصد اعمالها كل سنة عند ادراك الغلات فيأخذها فيقوى هو وعسكره ويضعف اهل دمشق وجندها فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار الى دمشق فحصرها واميرها المعلى ابن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر فلم يقدر عليها فانصرف عنها فى شوال فهرب اميرها المعلى فى ذى الحجة وكان سبب هربه انه اساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه وثار به العسكر واعانهم العامة فهرب منهم الى بانياس ثم منها الى صور ثم أخذ الى مصر فحبس بها فمات محبوسا فلما هرب من دمشق اجتمعت المصامدة وولوا عليهم انتصار بن يحيى المصمودى المعروف برزين الدولة وغلت الاسعار بها حتى أكل الناس بعضهم بعضا ووقع الخلاف بين المصامدة واحداث البلد وعرف اقسيس بذلك فعاد الى دمشق فنزل عليها فى شعبان من هذه السنة فحصرها فعدمت الاقوات فبيعت الغرارة اذا وجدت باكثر من عشرين دينارا فسلموها اليه بأمان وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل ودخلها هو وعسكره فى ذى القعدة وخطب بها يوم الجمعة لخمس بقين من ذى القعدة للمقتدى بامر الله الخليفة العباسى وكان آخر ما خطب فيها للعلويين المصريين وتغلب على اكثر الشام ومنع الاذان بحى على خير العمل ففرح اهلها فرحا عظيما وظلم اهلها واساء السيرة فيهم

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ملك نصر بن محمود بن مرداس مدينة منبج واخذها من الروم وفيها قدم سعد الدولة كوهرائين شحنة الى بغداد من عسكر السلطان ومعه العميد ابو نصر ناظرا فى اعمال بغداد وفيها وثب الجند بالبطيحة على اميرها ابى نصر بن الهيثم وخالفوا عليه فهرب منهم وخرج من مملكته والذخائر والاموال التى جمعها فى المدة الطويلة ولم يصحبه من ذلك جميعه شئ وصار نزيلا على كوهرائين شحنة العراق وفيها اقتصر الشوق بالقلوجية وانقطع الماء من

تطولا وانعاما * وأعاده الى مكانه احسانا وامتنانا وواقفه على مال يحمله * وآخر فى كل سنة يحمله * فعمرت باسمه تلك المنابر * واشترك فى العلم بحاله الوارد والصادر * والغائب والحاضر * ولم يزل بعد ذلك يدارك الركض على اطراف الهند غازيا ومجاهدا حتى افتتح قلاعا كانت مرتفعة فى جبالها * مطمعة بأموالها * ممتنعة برجالها * وحصلها كلها فى يده * ونظم خزائنها فى سلك ملكه * ولم يزل يتوغل تلك الحدود حتى افتتح بلادا لم يسكنها قبل الا كافر * ولم يطأها للاسلام خف ولا حافر * وحين علم جيبال الهند نادها عن يطوى مسافة ملكه * ويقبض من اطراف مملكته * ويلصق الهون والخسار بمن يحامى عن حوزته * أخذه المقيم المقعد وملكه المزعج المكمد * ورأى الارض قد ضاقت عليه بما رحبت فثار بنفسه وعشيرته * وأعيان جيوشه وتكاكرته * وما حشد من ثقال فيلته

النيل وغيره من تلك الاعمال من بلاد دبيس بن مزيد فخلا أهل البلاد ووقع الوباء فيهم ولم يزل كذلك الى أن سدّه عميد الدولة بن جهير سنة اثنتين وسبعين وفي هذه السنة توفي أبو علي الحسن ابن القاسم بن محمد المقري المعروف بغلام الهراس الواسطي بها وكان محدثا علامة في كثير من العلوم وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين محمد بن محمد البيضاوي الفقيه الشافعي وكان يدرس الفقه بدرب السلولي بالكرخ وهو زوج ابنة القاضي أبي الطيب الطبري وعبد الرحمن ابن محمد بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود أبو الحسن بن أبي طلحة الداودي راوي صحيح البخاري ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وسمع الحديث وتفقه للشافعي على أبي بكر القفال وأبي حامد الاسفرايني وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي وكان عابدا خيرا قصده نظام الملك فجلس بين يديه فوعظه وكان في قوله ان الله تعالى سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه اذا سألك عنهم فبكى وكان موته ببوشنج وفيها توفي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن متويه الواحدي المفسر مصنف الوسيط والبسيط والوجيز في التفسير وهو نيسابوري امام مشهور وأبو الفتح منصور بن أحمد بن دارست وزير القائم توفي بالاهواز ومحمد بن القاسم بن حبيب بن عبدوس أبو بكر الصفار النيسابوري الفقيه الشافعي تفقه على أبي محمد الجويني وسمع من الحاكم أبي عبد الله وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهما وفيها توفي مسعود بن المحسن بن عبد الرزاق أبو جعفر البياضي الشاعر له شعر مطبوع فمنه قوله

يا من لبست لبعده ثوب الضنا * حتى خفيت به عن العواد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت * أجفان عيني كيف كان رقادي
ان كان يوسف بالجمال مقطع الأ * يدي فأنت مفتت الاكباد

(ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة)

*(ذكر حصر اقسيس مصر وعوده عنها)*

في هذه السنة سار الاقسيس من دمشق الى مصر وحصرها وضيق على أهلها ولم يبق غير أن يملكها فاجتمع أهلها مع ابن الجوهري الواعظ في الجامع وبكوا وتضرعوا ودعوا فقبل الله دعاءهم فانهزم الاقسيس من غير قتال وعاد على أقبح صورة بغير سبب فوصل الى دمشق وقد تفرق أصحابه فرأى أهلها قد صانوا مخلفيه وأمواله فشكرهم ورفع عنهم الخراج تلك السنة وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قصدوا على أصحابه ومخلفيه وحصروهم في محراب داود عليه السلام فلما قارب البلد تحصن أهله منه وسبوه فقاتلهم ففتح البلد عنوة ونهبه وقتل من أهله فأكثر حتى قتل من التجأ الى المسجد الاقصى وكف عمن كان عند الصخرة وحدها هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم اقسيس والصحيح انما اتسز وهو اسم تركي وقد ذكر بعض مؤرخي الشام ان اتسز لما وصل الى مصر جمع أمير الجيوش بدر الجمالي العساكر واستنفد العرب وغيرهم من أهل البلاد فاجتمع معه خلق كثير واقتتلوا فانهزم اتسز وقتل أكثر أصحابه وقتل أخ له وقطعت يد أخ آخر وعاد منهزما الى الشام في نفر قليل من عسكره فوصل الى الرملة ثم سار منها الى دمشق وحكى لي من أثق به عن جماعة من فضلاء مصر ان اتسز لما وصل الى مصر ونزل بظاهر القاهرة أساء أصحابه السيرة في الناس وظلموهم وأخذوا أموالهم وفعلوا الافاعيل القبيحة فأرسل رؤساء القرى

ومقدموها

يريد الانتقام منه بوطء عرصة الاسلام * واستباحة حلته الحرام * يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وسار كما هو وتكاثر حتى جاوز لغان دانيا من ولاية الاسرد ثقة الواثق بطوله * الساكن الى قوته وحوله * وقد باض الشيطان برأسه وفرخ * وشرى السوداء في دماغه وطبخ * فهو يظن الظنون * ويعد في حساب الحسبان ما لن يكون * ولما سمع الامير بتورده وتغلبه استعد لمناهضته * وجمع أولياءه على محاربته * واستجاش من مطوعة الاسلام من وجب استجاشتهم لمناصبته * وكف بأسه ومعرته * وبرز من غزنة متوجها نحوه * وقاصدا قصده بنية في الجهاد قوية * وحمية للاسلام أبية * ووافته بين الناشين في رجال كقطع الليل * أو دفع السيل * ومعه السلطان يمين الدولة وأمين الملة كالليث الخادر والعقاب الكاسر * والموت الكاشر

وقدموها الى الخليفة المستنصر بالله العلوى يشكون اليه ما نزل بهم فاعاد الجواب بانه عاجز عن دفع هذا العدو فقالوا له نحن نرسل اليك من عندنا من الرجال المقاتلة يكونون معك ومن ليس له سلاح تعطيه من عندك سلاحا وعسكر هذا العدو قد امنوا وتفرقوا فى البلاد فنثور بهم فى ليلة واحدة ونقتلهم وتخرج انت اليه فمن اجتمع عندك من الرجال فلا يكون له بك قوة فاجابهم الى ذلك وارسلوا اليه الرجال وثاروا كلهم فى ليلة واحدة بمن عندهم فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم ولم يسلم منهم الا من كان عنده فى عسكره وخرج اليه العسكر الذى عند المستنصر بالقاهرة فلم يقدر على الثبات لهم فولى منهزما وعاد الى الشام وكفى أهل مصر شره وظلمه

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ورد بغداد ابو نصر ابن الاستاذ ابى القاسم القشيرى حاجا وجلس فى المدرسة النظامية يعظ الناس وفى رباط شيخ الشيوخ وجرى له مع الحنابلة فتن لانه تكلم على مذهب الاشعرى ونصره وكثر اتباعه والمتعصبون له وقصد خصومه من الحنابلة ومن تبعهم سوق المدرسة النظامية وقتلوا جماعة وكان من المتعصبين للقشيرى الشيخ أبو اسحق وشيخ الشيوخ وغيرهما من الاعيان وجرت بين الطائفتين أمور عظيمة وفيها تزوج الامير على بن أبى منصور ابن فرامرز بن علاء الدولة ابى جعفر بن كاكويه ارسلان خاتون بنت داود عمة السلطان ملكشاه التى كانت زوجة القائم بامر الله وفيها كان بالجزيرة والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقى من كثير الغلات ليس لها من يعملها لكثرة الموت فى الناس وفيها مات محمود بن مرادس صاحب حلب وملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة يقول فيها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها * فلا افترقت ما ذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وجودك والغنى * ولفظك والمعنى وعزمك والنصر
وكان لمحمود ابو نصر سجية * وغالب ظنى ان سيخلفها نصر

فقال والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له وأمر له بما كان يعطيه أبوه وهو ألف دينار فى طبق فضة وكان على بابه جماعة من الشعراء فقال بعضهم

على بابك المعمور منا عصابة * مفاليس فانظر فى أمور المفاليس
وقد قنعت منك العصابة كلها * بعشر الذى اعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التقارب كله * ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فقال لو قال بمثل الذى اعطيته لاعطيتهم ذلك وأمر لهم بمثل نصفه وفيها توفى اسبهدوست بن محمد بن الحسين ابو منصور الديلمى الشاعر وكان قد لقى ابن الحجاج وابن نباتة وغيرهما وكان يتشيع وتركه وقال فى ذلك

واذا سئلت عن اعتقادى قلت ما * كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وانيسه فى الغار

وفيها توفى رئيس العراقين ابو احمد النهاوندى الذى كان عميد بغداد والشريف ابو جعفر بن أبى موسى الهاشمى الحنبلى ورزق الله بن محمد بن احمد بن على ابو سعد الانبارى الخطيب الفقيه الحنفى سمع الحديث الكثير وكان ثقة حافظا وطاهر بن احمد بن بابشاذ النحوى المصرى توفى

لا يؤم صعبا الا ذلله * ولا يروم عقدا الا حله * ولا يزحم منكبا الا حطمه * ولا يصاول قرنا الا اباح دمه * ونشبت الحرب بينهم أياما ولاء * وأديرت عليهم كؤس الطعن والضرب ملاء * حتى سكر الفريقان * من سورة الطعان * وبقرب تلك المعارك * مما يلى الكفار عقبة تعرف بعقبة غوزلك * يخفض عنها طرف العقاب * ويعسكر دونها جيش السحاب * ذات مهاو ومشارف * ومثان ومعاطف وفى بعض أوهادها شريعة ماء كالشريعة الحنيفية فى الطهارة لا تقبل قذرا * ولا تحمل غثاء * ولا غثرا * فان القى شئ من القاذورات فيها اكفهرت له السماء * واختلفت النكباء * واظلمت الشواهق والاعماق * وغصت بالزمهرير الآفاق * حتى يرى الموت الاحمر عيانا * والعذاب الاكبر حقيقة وبيانا * فعندها أمر الامير بالقاء ما ضربا من النجاسات تعمدا فقامت القيامة على الكفرة الفجرة وتوالت عليهم

فى رجب سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات لوقته وعبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر
ابن احمد المعر وف بابن هزار مرد الصريفينى راوية احاديث على بن الجعد وهو آخر من رواها
وكان ثقة صالحا ومن طريقه سمعناها

(ثم دخلت سنة سبعين واربعمائة)

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ورد مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من العسكر وفيها اصطلح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مع الناصر بن علناس وهو من بنى حماد عم جده وزوج تميم ابنته بلارة وسيرها اليه من المهدية فى عسكر واصحبها من الحلى والجهاز ما لا يحد وحمل الناصر ثلاثين الف دينار فاخذ منها تميم دينارا واحدا ورد الباقى وفيها استعمل تميم ابنه مقلدا على مدينة طرابلس الغرب وكان ببغداد فى هذه السنة فتنة بين اهل سوق المدرسة وسوق الثلاثاء بسبب الاعتقاد فنهب بعضهم بعضا وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد بالدار التى عند المدرسة فارسل الى العميد والشحنة فحضرا ومعهم الجند فضربوا الناس فقتل بينهم جماعة واشتغلوا وفى هذه السنة فى ربيع الاول توفى القاضى ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن البيضاوى الفقيه الشافعى وكان القاضى ابو الطيب الطبرى جده لامه وفيها توفى احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن النقور ابو الحسين البزاز فى رجب وكان مكثرا من الحديث ثقة فى الرواية واحمد ابن عبد الملك بن على ابو صالح المؤذن النيسابورى كان يعظ ويؤذن وكان كثير الرواية حافظا ومولده سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وعبد الرحمن بن محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى بن منده الاصبهانى ابو القاسم بن ابى عبد الله الحافظ له تصانيف كثيرة منها تاريخ اصبهان وله طائفة ينتمون اليه فى الاعتقاد من اهل اصبهان يقال لهم العبدرحمانية وفى شوال منها توفيت ابنة نظام الملك زوجة عميد الدولة بن جهير نفساء بولد مات من يومه ودفنا بدار الخلافة ولم تجر بذلك عادة لاحد ففعل ذلك اكراما لابيها وجلس الوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة زوجها للعزاء فى دار باب العامة ثلاثة ايام

(ثم دخلت سنة احدى وسبعين واربعمائة)

*(ذكر عزل ابن جهير من وزارة الخليفة)*

فى هذه السنة عزل فخر الدولة ابو نصر بن جهير من وزارة الخليفة المقتدى بامر الله ووزر بعده ابو شجاع محمد بن الحسين وكان السبب فى ذلك ان ابا نصر بن القشيرى ورد الى بغداد على ما تقدم ذكره وجرى له الفتن مع الحنابلة لما ذكر مذهب الاشعرية ونصره وعاب من سواهم ونالت الحنابلة ومن معهم ما ذكرناه فنسب اصحاب نظام الملك ما جرى الى الوزير فخر الدولة والى الخدم وكتب ابو الحسن محمد بن على بن ابى الصقر الواسطى الفقيه الشافعى الى نظام الملك

يا نظام الملك قد حل ببغداد النظام * وابنك القاطن فيها مستهان مستضام
وبها اودى له قتلى غلام وغلام * والذى منهم تبقى سالما فيه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام * عظم الخطب وللحرب اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الدا * ايادیك الحسام * ويكف القوم فى بغداد قتل وانتقام

الصواعق والقوارع * وأحاطت بهم الرياح الزعازع * ومدت السماء عليهم سرادق البرد والنصر * وأهاجت عليهم زوابع الإعصار والقتر * حتى عميت عليهم المذاهب والمهارب * وانسدت دونهم المسارى والمسارب * فاستاروا لفرط الهول والوهل * وشهدوا بأن قد شاهدوا الموت قبل حلول الاجل * وأرسل جيبال يطلب الصلح ويستكف الحرب على مال يؤديه * وحكم للامير فى قتله وتملكه وعضه * فهم الامير باباته الى ملتمسه اشفاقا على أوليائه * اولصواب عن له فى رايه * فنهر السلطان يمين الدولة وأمين الملة أولئك الرسل ثم راء وأبى أن يكون فيصل الحرب الا عنوة وقهرا * حمية للاسلام والمسلمين * وثقة بالله رب العالمين * فانصرفوا بجماعتهم من صورة الحال * وضيق المجال * فاضطر جيبال مااعياه من الحيلة فى أمره الى اعادتهم فى طلب المكافة سلمه والتماس الموادعة طائعا راضيا

فعلى مدرسة نبشها ومن فيه السلام * واعتصام بحريم * لك من بعد حرام

فلما سمع نظام الملك ما جرى من الفتن وقصد مدرسته والقتل بجوارها مع ان ابنه مؤيد الملك فيها اعظم عليه فاعاد كوهرائين الى شحنكية العراق وحمله رسالة الى الخليفة المقتدي بامر الله يتضمن الشكوى من بني جهير وسأل عزل فخر الدولة من الوزارة وامر كوهرائين باخذ اصحاب بني جهير وايصال المكروه اليهم والى خواشيهم فسمع بنو جهير الخبر فسار عميد الدولة الى المعسكر يريد نظام الملك ليستعطفه وتجنب الطريق وسلك الجبال خوفا ان يلقاه كوهرائين ويناله فيها اذى فلما وصل كوهرائين الى بغداد اجتمع بالخليفة وابلغه رسالة نظام الملك فامر فخر الدولة بلزوم منزله ووصل عميد الدولة الى المعسكر السلطاني ولم يزل يستصلح نظام الملك حتى عاد الى ما الفه منه وزوجه بابنة بنت له وعاد الى بغداد في العشرين من جمادى الاولى فلم يرد الخليفة اباه الى وزارته وامرهما بملازمة منازلهما واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين ثم ان نظام الملك راسل الخليفة في اعادة بني جهير الى الوزارة وشفع في ذلك فاعيد عميد الدولة الى الوزارة واذن لابيه فخر الدولة في فتح بابه وكان ذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين

## *(ذكر استيلاء تتش على دمشق)*

في هذه السنة ملك تاج الدولة تتش بن الب ارسلان دمشق وسبب ذلك ان اخاه السلطان ملكشاه اقطعه الشام وما يفتحه في تلك النواحي سنة سبعين واربعمائة فاتى حلب وحصرها ولحق أهلها مجاعة شديدة وكان معه جمع كثير من التركمان فانفذ اليه الاقسيس صاحب دمشق يستنجده ويعرفه ان عساكر مصر قد حصرته بدمشق وكان أمير الجيوش بدر قد سير عسكرا من مصر ومقدمهم قائد يعرف بنصر الدولة فحصر دمشق فارسل اقسيس الى تاج الدولة تتش يستنصره فسار الى نصرة الاقسيس فلما سمع المصريون بقربه اجفلوا من بين يديه شبه المنهزمين وخرج الاقسيس اليه يلتقيه عند سور البلد فاغتاظ منه تتش حيث لم يبعد في تلقيه وعاتبه على ذلك فاعتذر بامور لم يقبلها تتش فقبض عليه في الحال وقتله من ساعته وملك البلد واحسن السيرة في أهله وعدل فيهم وقد ذكر ابن الهمذاني وغيره من العراقيين ان ملك تتش دمشق كان هذه السنة وذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي في كتاب تاريخ دمشق ان ملكه اياها كان سنة اثنتين وسبعين

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة ولد الملك بركيارق بن السلطان ملكشاه وفيها في المحرم وصل سعد الدولة كوهرائين الى بغداد وضرب الطبل على باب داره اوقات الصلاة وكان قد طلب ذلك من قبل فلم يجب اليه لانه لم تجر به عادة وفيها توفي سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردي الجاواني في شهر ربيع الاول ودفن بطسفونج وفي رجب توفي ابو علي بن البناء المقرى الحنبلي وله مصنفات كثيرة وسليم الجوري بناحية جورين دجيل وكان زاهدا يعمل ويأكل من كسبه ولم يكلف احدا حاجة وأقام بطنزة من ديار بكر وهي كثيرة الفواكه فلم يأكل بها فاكهة البتة

(ثم دخلت سنة اثنتين وسبعين واربعمائة)

## *(ذكر فتوح ابراهيم صاحب غزنة في بلاد الهند)*

وكانت زبدة كلامه انكم قد عرفتم حمية الهند واستهانتهم بالموت اذا طرقهم طارق محذور وحزبهم حازب مكروه فان يكن امتناعكم عن الصلح طمعا في الغنيمة والفيء والنفلة والسبي فما هو الاصرى عزم تنطيه في استهلاك الاموال * وسمل الافيال * وعرض الغلمان على النيران ومشي الرجال بعضهم الى بعض باطراف الحراب وظبات السيوف ثم شانكم وما يبقى من جماد ورماد وموات ورفات فلما سمع الامير ذلك من كلامه * واحس مصدوقة ما شهم به عند يأسه من مرامه * رأى حظ الدين وأوليائه في موادعته * واستنزاله عن ماله وعدته * أربح من تخليته * وما اختاره من التقاطع بالسيوف والتهافت في الوقود فوافق الامير السيد عين الدولة * وامين الملة * على كف يد الارهاق عنه على الف الف درهم شاهية * وخمسين راسا من الفيلة * ضمنها انقدا وعلى عدة بلاد

في هذه السنة غزا الملك ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد الهند فحصر قلعة اجود وهي على مائة وعشرين فرسخا من لهاوور وهي قلعة حصينة في غاية الحصانة كبيرة تحوي عشرة آلاف رجل من المقاتلة فقاتلوه وصبروا تحت الحصر وزحف اليهم غير مرة فرأوا من شدة حربه ما ملأ قلوبهم خوفا ورعبا فسلموا القلعة اليه في الحادي والعشرين من صفر هذه السنة وكان في نواحي الهند قلعة يقال لها قلعة روبال على رأس جبل شاهق وتحتها غياض أشبة وخلفها البحر وليس عليها قتال الا من مكان ضيق وهو مملوء بالفيلة المقاتلة وبها من رجال الحرب ألوف كثيرة فتابع عليهم الوقائع وألح عليهم بالقتال بجميع أنواع الحرب وملك القلعة واستنزلهم منها وفي موضع يقال له دره نوره أقوام من أولاد الخراسانيين الذين جعل اجدادهم فيها أفراسياب التركي من قديم الزمان ولم يتعرض اليهم أحد من الملوك فسار اليهم ابراهيم ودعاهم الى الاسلام أولا فامتنعوا من اجابته وقاتلوه فظفر بهم وأكثر القتل فيهم وتفرق من سلم في البلاد وسبى واسترق من النسوان والصبيان مائة ألف وفي هذه القلعة حوض للماء يكون قطره نحو نصف فرسخ لا يدرك قعره ويشرب منه أهل القلعة وجميع ما عندهم من دابة ولا يظهر فيه نقص وفي بلاد الهند موضع يقال له وره وهو بين خليجين فقصده الملك ابراهيم فوصل اليه في جمادى الاولى وفي طريقه عقبات كثيرة وفيها أشجار ملتفة فأقام هنالك ثلاثة أشهر ولقي الناس من الشتاء شدة ولم يفارق الغزو حتى أنزل الله نصره على أوليائه وبلاءه على اعدائه وعاد الى غزنة سالما مظفرا وهذه الغزوات لم أعرف تاريخها وأما الاولى فكانت هذه السنة فلهذا أوردتها متتابعة في هذه السنة

(ذكر ملك شرف الدولة مسلم مدينة حلب)

في هذه السنة ملك شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل مدينة حلب وسبب ذلك ان تاج الدولة تتش بن الب ارسلان حصرها مرة بعد اخرى فاشتد الحصار بأهلها وكان شرف الدولة يواصلهم بالغلات وغيرها ثم ان تتش حصرها هذه السنة وأقام عليها أياما ورحل عنها وملك بزاعة والبيرة وأحرق ربض عزاز وعاد الى دمشق فلما رحل عنها تاج الدولة استدعى أهلها شرف الدولة ليسلموها اليه فلما قاربهم امتنعوا من ذلك وكان مقدمهم يعرف بابن الحتيتي العباسي فاتفق أن ولده خرج يتصيد بضيعة له فأسره أحد التركمان وهو صاحب حصن بنواحي حلب وأرسله الى شرف الدولة فقرر معه أن يسلم البلد اليه اذا أطلقه فأجاب الى ذلك فأطلقه فعاد الى حلب واجتمع بأبيه وعرفه ما استقر فأذعن الى تسليم البلد ونادى بشعار شرف الدولة وسلم البلد اليه فدخله سنة ثلاث وسبعين وحصر القلعة واستنزل منها سابقا ووثابا ابني محمود بن مرداس فلما ملك البلد أرسل ولده وهو ابن عمة السلطان الى السلطان يخبره بملك البلد وأنفذ معه شهادة فيها خطوط المعدلين بحلب بضمانها وسأل أن يقرر عليه الضمان فأجابه السلطان الى ما طلب وأقطع ابن عمته مدينة بالس

(ذكر مسير ملكشاه الى كرمان)

في أول هذه السنة سار السلطان ملكشاه الى بلاد كرمان فلما سمع صاحبها سلطانشاه بن قاورت بك وهو ابن عم السلطان بوصوله اليها خرج الى طريقه ولقيه وحمل له الهدايا الكثيرة

وخدمه

---

والاع في سر مملكته * كان اشترط عليه أن يسلمها الى من يتسلمها من جهته * بعد أن يبعث اليه رهائن من عشيرته * وأعزته * على الوفاء بما يضمنه والانجاز لما يعده وقبض المال والقبلة نقدا * ووافقه على البلاد المذكورة وعدا * وأرسل معه بمسألته وحاجته دليلين يدلانه عن المعتسف ويقفان به على القصد في المنصرف * ويعشمه بعدة من ثقاته لتسلم الاماكن المشروطة منه فلما وغل به المسير ورأى انه قد دنا عنه الطلب * واسترخى به اللبب * دبه خبث الضمير بالاخلاف * وأركبه عجز الرأي في استئناف الخلاف * وأبرز الغدر من الغلاف * فاعتقل من كان في صحبته بدلا عن رهائنهم من عشيرته * وقدر الأمير أن الذي بلغه من أمره أرجاف * ردفه خلاف * وباطل * ليس له حاصل * الى أن تناصرت به الانباء * وبرح الخفاء * وانكشف الغطاء * وعلم

وخدمه وبالغ فى الخدمة فاقره السلطان على البلاد واحسن اليه وعاد عنه فى المحرم سنة ثلاث وسبعين الى اصبهان

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ولد للخليفة المقتدى بامر الله امير المؤمنين ولد سماه موسى وكناه ابا جعفر وزينت بغداد سبعة ايام وفيها وصل السلطان ملكشاه الى خوزستان متصيدا فوصل معه خمارتكين وكوهراثين فى قتل ابن علان اليهودى ضامن البصرة وكان ملتجئا الى نظام الملك وكان بين نظام الملك وبين خمارتكين الشرابى وكوهراثين عداوة فسعيا باليهودى لذلك فامر السلطان بتغريقه فغرق وانقطع نظام الملك عن الركوب ثلاثة ايام واغلق بابه ثم اشير عليه بالركوب فركب وعمل السلطان دعوة عظيمة قدم له فيها اشياء كثيرة وعاتبه على فعله فاعتذر اليه وكان امر اليهودى قد عظم الى حد أن زوجته توفيت فمشى خلف جنازتها كل من فى البصرة الا القاضى وكان له نعمة عظيمة واموال كثيرة فاخذ السلطان منه مائة ألف دينار وضمن خمارتكين البصرة كل سنة بمائة الف دينار ومائة فرس وفيها زاد الفرات تسعة اذرع فخربت بعض دوالي هيت وخرب فوهة نهر عيسى وزاد تامرا ثنتا وثلاثين ذراعا وعلا على قنطرتى طراستان وخانقين الكسر وبثق فقطعهما وفيها فى ذى الحجة توفى نصر بن مروان صاحب ديار بكر وملك بعده ابنه منصور ودبر دولته ابن الانبارى وفيها توفى أبو منصور محمد بن عبد العزيز العكبرى ومولده سنة أربع وثمانين وثلثمائة وهو من المحدثين المعروفين وكان صدوقا ومحمد بن هبة الله بن الحسن بن منصور أبو بكر بن أبى القاسم الطبرى اللالكائى وولد سنة تسع واربعمائة وحدث عن هلال الحفار وغيره وتوفى فى جمادى الاولى وفيها توفى أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر المشهور وحدث عن جده لامه القاضى ابى نصر محمد بن هرون بن الجندى

*(ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين واربعمائة)*

*(ذكر استيلاء تكش على بعض خراسان واخذها منه)*

فى هذه السنة فى شعبان سار السلطان ملكشاه الى الرى وعرض العسكر فاسقط منهم سبعة آلاف رجل لم يرض حالهم فمضوا الى اخيه تكش وهو ببوشنج فقوى بهم واظهر العصيان على اخيه ملكشاه واستولى على مرو الروذ ومرو الشاهجان وترمذ وغيرها وسار الى نيسابور طامعا فى ملك خراسان وقيل بان نظام الملك قال للسلطان لما امر باسقاطهم ان هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر ولا خياط ولا من له صنعة غير الجندية فاذا اسقطوا لا نأمن ان يقيموا منهم رجلا وقالوا هذا السلطان فيكون لنا منهم شغل ويخرج عن ايدينا اضعاف مالهم من الجارى الى أن نظفر بهم فلم يقبل السلطان قوله فلما مضوا الى اخيه واظهر العصيان ندم على مخالفة وزيره حيث لم ينفع الندم واتصل خبره بالسلطان ملكشاه فسار مجدا الى خراسان فوصل الى نيسابور قبل ان يستولى تكش عليها فلما سمع تكش بقربه منها سار عنها وتحصن بترمذ وقصده السلطان فحصره بها وكان تكش قد اسر جماعة من اصحاب السلطان فاطلقهم واستقر الصلح بينهما ونزل تكش الى اخيه السلطان ملكشاه ونزل عن ترمذ

أن الله قد طبع على قلبه * وحال بينه وبين رشده * ليصيق به وبال أمره * ويحق عليه مآل كفره * وشحذ عزيمته لغزو بلاده * وتخليصها عن خبث خبثه والحاده * ونهض فى الكماة من غلمانه * والحماة من رفقائه واعوانه * متوكلا على الله وحده * ومتنجزا فى النصر وعده * وسار حتى اقتحم بهم ديار الهند فلم يبرز له بارز من اعوان جيبال وجيوشه الا اوسعهم طعنا * واستلحمهم ضربا وطعنا * وقصد لمغان وهى كورة حصانة الاطراف وغزارة الاخلاف مشهورة فافتتحها عنوة واقتدارا * واضرم بعضها على الكفار نارا * وهدم بيوت الاصنام * واقام فيها شعار الاسلام * ومضى عنها قدما يفتتح البلاد * ويقتل الانجاس والاوغاد * حتى أذل المشركين وشفى صدور قوم مؤمنين * ولما أربى على الغاية * فى النكاية * وأربى على قدر الامكان * فى الاثخان * وبردت يديه وأيدى أوليائه

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة أسلم مؤيد الملك بن نظام الملك تكريت من صاحبها المهرباط وفيها توفي أبو علي
ابن شبل الشاعر المشهور ومن شعره في الزهد

أهمّ بترك الذنب ثم يردّني * طموح شباب بالغرام موكّل
فمن لي إذا أخرت ذا اليوم توبة * بأن المنايا إلى الشيب تمهل
أأعجز ضعفا عن أداء حق خالق * وأحمل وزرا فوق ما يتحمل

وفيها أيضا توفي العميد أبو منصور بالبصرة وفيها توفي عبد السلام بن أحمد بن محمد بن جعفر
أبو القسم الصوفي من أهل فارس سافر الكثير وسمع الحديث بالعراق والشام ومصر وأصبهان
وغيرها وكانت وفاته بفارس ويوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن أبو الهيثم التفكري الزنجاني
ولد سنة خمس وتسعين وثلثمائة وسمع من أبي نعيم الحافظ وغيره وتفقه على أبي إسحق الشيرازي
وأدرك أبا الطيب الطبري وكان من العلماء العاملين المشتغلين بالعبادة

* (ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة) *

* (ذكر خطبة الخليفة ابنة السلطان ملكشاه) *

في هذه السنة أرسل الخليفة الوزير فخر الدولة أبا نصر بن جهير إلى السلطان يخطب ابنته
لنفسه فسار فخر الدولة إلى أصبهان إلى السلطان يخطب ابنته فأمر نظام الملك أن يمضي معه إلى
خاتون زوجة السلطان في المعنى فمضيا إليها فخاطباها فقالت إن ملك غزنة وملوك الخانية بما
وراء النهر طلبوها وخطبوها لأولادهم وبذلوا أربعمائة ألف دينار فإن حمل الخليفة هذا المال
فهو أحق منهم فعرفتها أرسلان خاتون التي كانت زوجة القائم بأمر الله ما يحصل لها من
الشرف والفخر بالاتصال بالخليفة وأن هؤلاء كلهم عبيده وخدمه ومثل الخليفة لا يطلب منه
المال فأجابت إلى ذلك وشرطت أن يكون الحمل المعجل خمسين ألف دينار وأنه لا يبقى له سرية
ولا زوجة غيرها ولا يكون مبيته إلا عندها فأجيبت إلى ذلك فأعطى السلطان يده وعاد فخر
الدولة إلى بغداد

* (ذكر وفاة نور الدولة بن مزيد وإمارة ولده منصور) *

في هذه السنة في شوال توفي نور الدولة أبو الأغر دبيس بن علي بن مزيد الأسدي بمطيراباذ وكان
عمره ثمانين سنة وإمارته سبع وخمسين سنة وما زال ممدحا في كل زمان مذكورا بالتفضل
والإحسان ورثاه الشعراء فأكثروا وولي بعده ما كان إليه ابنه أبو كامل منصور ولقبه بهاء
الدولة فأحسن السيرة واعتمد الجميل وسار إلى السلطان ملكشاه في ذي القعدة واستقر الأمر
وعاد في صفر سنة خمس وسبعين وخلع الخليفة أيضا عليه

* (ذكر حصر تميم بن المعز مدينة قابس) *

في هذه السنة حصر الأمير تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية مدينة قابس حصارا شديدا
وضيق على أهلها وعاثت عساكره في بساتينها المعروفة بالغابة فأفسدوها

* (ذكر عدة حوادث) *

في هذه السنة سار تتش بعد عود شرف الدولة عن دمشق وقصد الساحل الشامي فافتتح

بما يغمر العدد والمدد من
كرائم الأموال وغنائم تلك
البلاد * طف الأمنة وراءه
كريم الظفر * حميد الأثر
* ميمون الورد والصدر *
وتطايرت كتبه إلى الآفاق
بذكر ما فتح الله للإسلام
على يده واشترك الناس
خاصة وعامة في الارتياح
له والانشراح لموقعه *
والشكر لله على ما أتاحه
فيه من صنعه * ولما رأى
جيبال ما قدمت يداه بجزائه عما
نقضه من عهده * ونكثه
من مرائر عقده * ورأى
وجوه رجاله جزر السيوف
القواطع * وطعم النسور
والخوامع * سقط في يده
* وفت في عضده * ونالت
منه الندامة * وقامت
عليه القيامة * وبقي زمانا
مبهوتا على حاله * لا يعرف
الرأي في ظهر إدباره أو في
وجه إقباله * ثم حركته الأنفة
لاستئناف المنابزة طلبا
للثأر وطمعا في الانتصار *
ففكر ودبر * وأقبل وأدبر *
ثم عزم وقرر * ونادى فحشر *
وثار في مائة ألف أو يزيدون
* وبلغ الأمير خبره فقابل

انطرطوس وبعضا من الحصون وعاد الى دمشق وفيها ملك شرف الدولة صاحب الموصل مدينة حران واخذها من بني وثاب النميريين وصالحه صاحب الرها ونقش السكة باسمه وفيها سد ظفر القائمي بثق نهر عيسى وكان خرابا منذ ثلاث وعشرين سنة وسد مرارا وتخرب الى أن سده ظفر وفيها ارسل السلطان الى بغداد ليخرج الوزير أبو شجاع الذي وزر للخليفة بعد بني جهير فارسله الخليفة الى نظام الملك وسير معه رسولا وكتب معه الى نظام الملك كتابا بخطه يامره بالرضا عن ابي شجاع فرضي عنه واعاده الى بغداد وفيها مات ابن السلطان ملكشاه واسمه داود فجزع عليه جزعا شديدا وحزن حزنا عظيما ومنع من اخذه وغسله حتى تغيرت رائحته واراد قتل نفسه مرات فمنعه خواصه ولما دفن لم يطق المقام فخرج يتصيد وامر بالنياحة عليه في البلد ففعل ذلك عدة ايام جلس له وزير الخليفة في العزاء ببغداد وفيها توفي عبد الله بن احمد ابن رضوان أبو القاسم وهو من اعيان أهل بغداد وكان مرضه شقيقة وبقي ثلاث سنين في بيت مظلم لا يقدر يسمع صوتا ولا يبصر ضوأ وفيها في ذي الحجة توفي أبو محمد بن أبي عثمان المحدث وكان صالحا يقرئ القرآن بمسجد بنهر القلائين وتوفي علي بن احمد بن علي أبو القاسم البسري البندار ومولده سنة ست وثمانين وثلثمائة سمع المخلص وغيره وكان ثقة صالحا وفيها توفي أبو اسحق ابراهيم بن عقيل بن حبش القرشي النحوي

*(ثم دخلت سنة خمس وسبعين واربعمائة)*

*(ذكر وفاة جمال الملك بن نظام الملك)*

في هذه السنة في رجب توفي جمال الملك منصور بن نظام الملك وورد الخبر بوفاته الى بغداد في شعبان فجلس أخوه مؤيد الملك للعزاء وحضر فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الملك معزيين وارسل الخليفة اليه في اليوم الثالث فاقامه من العزاء وكان سبب موته ان مسخرة كان للسلطان ملكشاه يعرف بجعفرك يحاكي نظام الملك ويذكره في خلواته مع السلطان فبلغ ذلك جمال الملك وكان يتولى مدينة بلخ واعمالها فسار من وقته يطوي المراحل الى والده والسلطان وهما باصبهان فاستقبله اخواه فخر الملك ومؤيد الملك فاغلظ لهما القول في اغضائهما على ما بلغه عن جعفرك فلما وصل الى حضرة السلطان رأى جعفرك يساره فانتهره وقال مثلك يقف هذا الموقف وينبسط بحضرة السلطان في هذا الجمع فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على جعفرك وامر باخراج لسانه من قفاه وقطعه فمات ثم سار مع السلطان وابيه الى خراسان واقاموا بنيسابور مدة ثم ارادوا العود الى اصبهان وتقدمهم نظام الملك فاحضر السلطان عميد خراسان وقال له ايما أحب اليك رأسك ام رأس جمال الملك فقال بل رأسي فقال انك لم تعمل في قتله لاقتلنك فاجتمع بخادم يختص بخدمة جمال الملك وقال له سرا الاولى ان تحفظوا نعمتكم ومناصبكم وتدبروا في قتل جمال الملك فان السلطان يريد أن ياخذه ويقتله ولأن تقتلوه أنتم سرا أصلح لكم من أن يقتله السلطان ظاهرا فظن الخادم ان ذلك صحيح فجعل له سما في كوز فقاع فطلب جمال الملك فقاعا فاعطاه الخادم ذلك الكوز فشربه فمات فلما علم السلطان بموته سار مجدا حتى لحق نظام الملك فاعلمه بموت ابنه وعزاه وقال انا ابنك وانت أولى من صبر واحتسب

اقبالها بالاستقبال* وحرض المؤمنين على القتال* وسار بقلب منشرح * وامل منفسح * حتى اذا تدانت الخطا بين الفريقين فرع الامير ثنية مشرفة على سواد الكفرة فاذا الخيل منشورا * والجراد مبثوثا محشورا *فراعه منهم ماروع الذئاب من سوائم الغنم* والليوث الجياع من هوامي النعم * وحث اولياء الله على الكفرة الطغاة فاجابوه سراعا بقلوب محشوة بالدين * مملوءة من الصدق واليقين* وتقدم اليهم بأن يتناوبوا الحملات بينهم في كل حملة خمسمائة غلام بالدبابيس الحاطمة * والقراتكينيات الهاشمة * من رماة الحدق * ينزعون عن الرشق الى المشق * ويتعاونون على الرض والدق* ويستريحون من النبال* وحر القراع والمصال الى النصال * حتى اذا أبلوا عذرهم في الجهاد خلفهم من اضرابهم من رسوب مثلهم رضا وحضا * وطعنا وطعنا * ففعلوا ماامر واحتذوا مارسم فلم

## ذكر الفتنة ببغداد بين الشافعية والحنابلة

وورد الى بغداد هذه السنة الشريف أبو القاسم البكري المغربي الواعظ وكان أشعري المذهب وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومال اليه وسيره الى بغداد وأجرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية وكان يذكر الحنابلة ويعيبهم ويقول وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا والله ما كفر احمد ولكن أصحابه كفروا ثم انه قصد يوما دار قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني بنهر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بني الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لابي يعلى فكان يقرأ بين يديه وهو جالس على الكرسي للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكري من الديوان بعلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبي الحسن الأشعري

## ذكر مسير الشيخ أبي اسحق الى السلطان في رسالة

في هذه السنة في ذي الحجة أرسل الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ أبا اسحق الشيرازي الى حضرته وحمله رسالة الى السلطان ملكشاه ونظام الملك تتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح ابن أبي الليث عميد العراق وأمره أن ينهي ما يجري على البلاد من النظار فسار فكان كلما وصل الى مدينة من بلاد العجم يخرج أهلها اليه بنسائهم وأولادهم يتمسحون بركابه ويأخذون تراب بغلته للبركة وكان في صحبته جماعة من أعيان بغداد منهم الامام أبو بكر الشاشي وغيره ولما وصل الى ساوة خرج جميع أهلها وسأله فقهاؤها كل منهم أن يدخل بيته فلم يفعل ولقيه أصحاب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته فخرج الخبازون ينثرون الخبز وهو ينهاهم فلم ينتهوا وكذلك أصحاب الفاكهة والحلواء وغيرهم وخرج اليه الاساكفة وقد عملوا مداسات لطافا تصلح لارجل الاطفال ونثروها فكانت تسقط على رؤس الناس فكان الشيخ يتعجب ويذكر ذلك لاصحابه بعد رجوعه ويقول ما كان حظكم من ذلك النثار فقال له بعضهم ما كان حظ سيدنا منه فقال أما أنا فغطيت بالمحفة وهو يضحك فأكرمه السلطان ونظام الملك وجرى بينه وبين امام الحرمين أبي المعالي الجويني مناظرة بحضرة نظام الملك وأجيب الى جميع ما التمسه ولما عاد أهين العميد وكسر ما كان يعقده ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشي الخليفة ولما وصل الشيخ الى بسطام خرج اليه السهلكي شيخ الصوفية بها وهو شيخ كبير فلما سمع الشيخ أبو اسحق بوصوله خرج اليه ماشيا فلما رآه السهلكي ألقى نفسه من دابة كان عليها وقبل يد الشيخ أبي اسحق فقبل أبو اسحق رجله وأقعده موضعه وجلس أبو اسحق بين يديه وأظهر كل واحد منهما من تعظيم صاحبه كثيرا وأعطاه شيئا من حنطة ذكر أنها من عهد أبي يزيد البسطامي ففرح بها أبو اسحق

## ذكر حصر شرف الدولة دمشق وعوده عنها

في هذه السنة جمع تاج الدولة تتش جمعا كثيرا وسار عن بغداد وقصد بلاد الروم انطاكية وما جاورها فسمع شرف الدولة صاحب حلب الخبر فانه جمع أيضا العرب من عقيل والاكراد وغيرهم فاجتمع معه جمع كثير فراسل الخليفة بمصر يطلب منه ارسال نجدة اليه ليحصر دمشق فوعده بذلك فسار اليها فلما سمع تتش الخبر عاد الى دمشق فوصلها اول المحرم سنة سبع

ترك هذه سالمهم حتى استغاث اللاعبين حر الوطيس * ووقع البائس * وحسبوا بأن يجعلوا حداله واحدة ترسخ الاقدام * وتقلع الجيش اللهام * فمنذ ها حمي الوطيس * واختلط المرؤس بالرئيس * وتداعت الصفوف * ونزلت العوامل الا السيوف * واختلفت الضربات فمن واحدة تقط الهام * واخرى تقد الاجسام * وثارت عجاجة غبراء سترت العيون عن الاشباح * فلم تعرف الصفاح من الرماح * ولا الرجال من الافيال * ولا الابرار من الفجار * ثم انجلت عن هزيمة الانجاس الادناس * واسلامهم عددهم وعتادهم * واسلمتهم وأزوادهم وفيلتهم وكراعهم * وقد غصت البيداء بجيف قتلاهم بين جريح بحد الحسام * ومارج من هول ذلك المقام * سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولوت الهند بعد ذلك أذنابها على رؤسها ورضوا بأن يسلموا من خر الطلب في

وسبعين ووصل شرف الدولة أواخر المحرم وحصر المدينة وقاتله أهلها وفي بعض الايام خرج اليه عسكر دمشق وقاتلوه وحملوا على عسكره حملة صادقة فانكشفوا وتضعضعوا وانهزمت العرب وثبت شرف الدولة واشرف على الاسر وتراجع اليه اصحابه فلما رأى شرف الدولة ذلك ورأى أيضا ان مصر لم يصل اليه منها عسكر واتاه عن بلاده الخبر ان اهل حران عصوا عليه فرحل عن دمشق الى بلاده واظهر انه يريد البلاد بفلسطين فرحل اولا الى مرج الصفر فارتاع اهل دمشق وتتش واضطربوا ثم انه رحل من مرج الصفر مشرقا في البرية وجد في سيره فهلك من المواشي الكثير مع عسكره ومن الدواب شئ كثير وانقطع خلق كثير

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة قدم مؤيد الملك بن نظام الملك الى بغداد من اصبهان فخرج عميد الدولة بن جهير الى لقائه ونزل بالمدرسة النظامية وضرب على بابه الطبول اوقات الصلوات الثلاث فأعطى مالا جليلا حتى قطعه وارسل الطبول الى تكريت وفيها توفي ابو عمرو عبد الوهاب بن محمد بن اسحق ابن منده الاصبهاني في جمادى الآخرة باصبهان وكان حافظا فاضلا والامير ابو نصر علي بن الوزير ابي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن ماكولا مصنف كتاب الاكمال ومولده سنة عشرين واربعمائة وكان فاضلا حافظا قتله غلمانه الاتراك بكرمان واخذوا ماله

*(ثم دخلت سنة ست وسبعين واربعمائة)*

*(ذكر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ومسير والده فخر الدولة الى ديار بكر)*

في هذه السنة في صفر عزل عميد الدولة بن جهير عن وزارة الخليفة ووصل يوم عزل رسول من السلطان ونظام الملك الى الخليفة يطلبان ان يرسل اليهما بني جهير فاذن لهما في ذلك وساروا بجميع اهلهم ونسائهم الى السلطان فصادفوا منه ومن نظام الملك الاكرام والاحترام وعقد السلطان لفخر الدولة بن جهير على ديار بكر وخلع عليه واعطاه الكوسات وسير معه العساكر وامره ان يقصدها ويأخذها من بني مروان وان يخطب لنفسه ويذكر اسمه على السكة فسار اليها ولما فارق بنو جهير بغداد رتب في الديوان ابو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء وكان قبل ذلك على ابنية الدار وغيرها

*(ذكر عصيان اهل حران على شرف الدولة وفتحها)*

في هذه السنة عصى اهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش واطاعوا قاضيهم ابن حلبة وارادوا هم وابن عطير النميري تسليم البلد الى جبق امير التركمان وكان شرف الدولة على دمشق يحاصر تاج الدولة تتش بها فبلغه الخبر فعاد الى حران وصالح ابن ملاعب صاحب حمص واعطاه سلمية ورفنية وبادر بالمسير الى حران فحصرها ورماها بالمنجنيق فخرب من سورها بدنة وفتح البلد في جمادى الاولى واخذ القاضي ومعه ابنان له فصلبهم على السور

*(ذكر وزارة ابي شجاع محمد بن الحسين للخليفة)*

في هذه السنة عزل الخليفة ابا الفتح بن رئيس الرؤساء من النيابة في الديوان واستوزر ابا شجاع محمد بن الحسين وخلع عليه خلع الوزارة في شعبان ولقبه ظهير الدين ومدحه الشعراء فاكثروا فممن مدحه وهناه ابو المظفر محمد بن العباس الابيوردي بالقصيدة المشهورة التي اولها

---

أقاصي ديارهم * ويتركوا في شعارهم * بثبات أشعارهم * وصفت تلك النواحي لذلك الامير ودرت عليه أخلاف الاموال * وانحلت له عقد الجبايات * وحصل له من وجوه الغنائم وغيرها ما انثنا رأس من القبيلة الحربية * وكثف سواد جيوشه ودانت له الافغانية * والخلج حتى شاء استثار منهم الآلاف في خدمته * وامتهان الارواح والنفوس في نصرته * والقيام بفرض طاعته * وعند ذلك أوجب اغاثة الامير أبي القاسم نوح بن منصور والي خراسان واعانته على جيوش الترك الذين اجلوه عن دار ملكه بخارا وزحزحوه عن وطنه بها حتى فرق ذممامهم * واضطرهم الى الانهزام وراءهم * كرما لم ينشط له غيره من أولياء تلك الدولة وانشاء تلك النعمة * لا جرم ان الله عز وجل حازله جماله وذكره * وقصر عليه سناه وقدره * وجعل كيده سببا

ما تم استقلال الظباء البيض • فتكت بستر فؤادي المكنون

ومنها

فانهل أسراب الدموع كأنها • نثر يناثره نظام الدين

•(ذكر قتل أبي المحاسن بن أبي الرضا)•

في هذه السنة في شوال قتل سيد الرؤساء أبو المحاسن بن كمال الملك أبي الرضا وكان قد قرب من السلطان ملكشاه قربًا عظيمًا وكان أبوه يكتب الطغرا فقال أبو المحاسن للسلطان سلم إلي نظام الملك وأصحابه وأنا أسلم إليك منهم ألف ألف دينار فإنهم يأكلون الأموال ويقتطعون الأعمال وعظم عنده فعل أمرهم فبلغ ذلك نظام الملك فعمل سماطًا عظيمًا وأقام عليه مماليكه وهم ألوف من الأتراك وأقام خيلهم وسلاحهم على حيالهم فلما حضر السلطان قال له إني قد خدمتك وخدمت أباك وجدك ولي حق خدمة وقد بلغك أخذي لعشر أموالك وصدق هذا أنا آخذه وأصرفه إلى هؤلاء الغلمان الذين جمعتهم لك وأصرفه أيضًا إلى الصدقات والصلات والوقوف التي أعظم ذكرها وشكرها وأجرها لك وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك وأنا أقنع بمرقعة وزاوية فأمر السلطان بالقبض على أبي المحاسن وأن تسمل عيناه وأنفذه إلى قلعة ساوة وسمع أبوه كمال الملك الخبر فاستجار بدار نظام الملك فسلم وبذل مائتي ألف دينار وعزل عن الطغراء ورتب مكانه مؤيد الملك بن نظام الملك

•(ذكر استيلاء مالك بن علوي على القيروان وأخذها منه)•

في هذه السنة جمع مالك بن علوي الصنهاجي العرب فأكثر وسار إلى المهدية فحصر صاحبها الأمير تميم بن المعز فلما لم ينل منها غرضًا ولم يظفر منها بشيء قصد القيروان فحصرها وملكها فجرد إليه تميم العساكر فحصروه بها فلما رأى أنه لا طاقة له بهم خرج منها وتركها فاستولى عليها عسكر تميم وعادت إلى ملكه كما كانت

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة عم الرخص جميع البلاد فبلغ الكر الحنطة بالمدينة دينارًا وعشرة دنانير وفي جمادى الآخرة توفي الشيخ أبو إسحاق الشيرازي وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة ورثاه كثير من الشعراء منهم أبو الحسن الخباز والبندنيجي وغيرهما وكان رحمه الله عليه وأحد عصره علمًا وزهدًا وعبادة وصلاحًا وصلي عليه لجامع القصر وجلس أصحابه للعزاء في المدرسة النظامية ثلاثة أيام ولم يتخلف أحد عن العزاء وكان مؤيد الملك بن نظام الملك ببغداد فرتب في التدريس أبا سعد عبد الرحمن بن المأمون المتولي فلما بلغ نظام الملك أنكره وقال كان يجب أن تغلق المدرسة بعد الشيخ أبي إسحاق سنة وصلي عليه بباب الفردوس وعذا الرجل على غيره وصلى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله وتقدم في الصلاة عليه أبو الفتح بن رئيس الرؤساء وهو يومئذ يلي الوزارة ثم صلي عليه بجامع القصر ودفن بباب أبرز

•(ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة)•

•(ذكر الحرب بين فخر الدولة بن جهير وابن مروان وشرف الدولة)•

قد تقدم ذكر مسير فخر الدولة بن جهير في العساكر السلطانية إلى ديار بكر فلما كانت هذه السنة

---

لانسياق الملك إلى ولده • وتوفاه الله لقاء الموت عقبه • وتلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

•(ذكر الأسباب التي أفضت إلى ولاية الأمير أبي القاسم نوح بن منصور وتوسط مملكته وابتلائه من محنته وخطبه)•

قد كان انتقل الملك إليه سنة خمس وستين وثلثمائة واجتمع أولياؤه وحشمه على بيعته بعد أمر إلى عقلية الملك • وعشر سنات زفت • حتى تسلم ثقل الأموال التي كان وزراء السامانية من قبل يكدون أفكارهم بها • كأبي الفضل البلعمي • وأبي جعفر العتبي ومن كان ينتصب منصبهم في الوزارة • وتدبير أمور المملكة والعمارة • وكان أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور • إذ ذاك صاحب الجيش بنيسابور • فتلطف في الرشاء • وعطف السعادة على صغر سنه وحداثته • فترصدت له الشكلات

سير السلطان اليه أيضا جيشا فيهم الامير أرتق بن أكسب وأمرهم بمساعدته وكان ابن مروان قد مضى الى شرف الدولة وسأله نصرته على ان يسلم اليه آمد وحلف كل واحد لصاحبه وكل منهما يرى ان صاحبه كاذب لما كان بينهما من العداوة المستحكمة واجتمعا على حرب فخر الدولة وسارا الى آمد وقد نزل فخر الدولة بنواحيها فلما رأى فخر الدولة اجتماعهما مال الى الصلح وقال لاأوثر ان يحصل بالعرب بلاء على يدى فعرف التركمان ماعزم عليه فركبوا ليلا وأتوا الى العرب وأحاطوا بهم فى ربيع الاول والتحم القتال واشتد فانهزمت العرب ولم يحضر هذه الوقعة الوزير فخر الدولة ولا أرتق وغنم التركمان حال العرب ودوابهم وانهزم شرف الدولة وحمى نفسه حتى وصل الى فصيل آمد وحصره فخر الدولة ومن معه فلما رأى شرف الدولة انه محصور خاف على نفسه فراسل الامير أرتق وبذل له مالا وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد وكان هو على حفظ الطرق والحصار فلما سمع ارتق مابذل له شرف الدولة اذن له فى الخروج فخرج منها فى الحادى والعشرين من ربيع الاول وقصد الرقة وأرسل الى ارتق بما كان وعده به وسار ابن جهير الى ميافارقين ومعه من الامراء الامير بهاء الدولة منصور بن مزيد وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه وعادوا الى العراق وسار فخر الدولة الى خلاط ولما استولى العسكر السلطانى على حال العرب وغنموا أموالهم وسبوا حريمهم بذل سيف الدولة صدقة بن منصور ابن مزيد الاموال وافتك اسرى بنى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردهم الى بلادهم ففعل امرا عظيما واسدى مكرمة شريفة ومدحه الشعراء فى ذلك فاكثروا فمنهم محمد بن محمد بن خليفة السنبسى يذكر ذلك فى قصيدة

كما أحرزت شكر بنى عقيل * بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرا * بشهب فى جوافلها ازورار
فاجبنوا ولكن فاض بحر * عظيم لاتقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا * وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم * وفى اثناء حبلهم انتشار
ولولا انت لم ينفك منهم * اسير حين اعلقه الاسار

فى ابيات كثيرة وذكر ايضا البندنيجى أبياتا فاحسن ولولا خوف التطويل لذكرت ابياته

*(ذكر استيلاء عميد الدولة على الموصل)*

لما بلغ السلطان ان شرف الدولة انهزم وحصر بآمد لم يشك فى اسره فخلع على عميد الدولة بن جهير وسيره فى جيش كثيف الى الموصل وكاتب امراء التركمان بطاعته وسير معه من الامراء اقسنقر قسيم الدولة جد ملوكنا أصحاب الموصل وهو الذى أقطعه السلطان بعد ذلك حلب وكان الامير أرتق قد قصد السلطان فعاد صحبته عميد الدولة من الطريق فسار عميد الدولة حتى وصل الى الموصل فارسل الى أهلها يشير عليهم بطاعة السلطان وترك عصيانه ففتحوا له البلد وسلموه اليه وسار السلطان بنفسه وعساكره الى بلاد شرف الدولة ليملكها فأتاه الخبر بخروج أخيه تكش بخراسان على ماذكره ورأى شرف الدولة قد خلص من الحصر فارسل مؤيد الملك بن نظام الملك الى شرف الدولة وهو مقابل الرحبة فاعطاه العهود والمواثيق واحضره

المطلقة لامثاله من أركان الدولة حتى لانت عريكته* وتمت بغيته *وفوضت الوزارة الى أبى الحسين العتبى فقام على ميعة شبابه بالامر قيام الحدب الشفيق* وكفل بمناصحته كفالة المؤيد بالنصر والتوفيق* حتى استقامت بحسن تدبيره الامور * وانشرحت الصدور*وانسدت الثغور* واستطارت هيبة تلك الدولة شرقا وغربا*وبعدا وقربا*وكان الامير عضد الدولة وتاج الملة على جلالة قدره*ونباهة ذكره* ومناعة جانبه*وخشونة حده*يتوخى رضاه فيما يحتكم عليه به من المطالب التى تختص بولايته*وربما أخذته العزة باللجاج فيذكر ماوراءه من الادواء المعضلة*والامور المستقبلة* فتسمح قرونه*ويذل صعبه وحرونه*وحدثنى أحمد الخوارزمى وكان من جملة خاصته مندوبا لحمل رسوم كل عام الى بيت الله الحرام ومجاوريه *وكان مدينة الرسول عليه الصلاة

عند السلطان وهو بالبوازيج فخلع عليه آخر رجب وكانت امواله قد ذهبت فاقترض ما خدم
به وحمل السلطان خيلا رائقة من جملتها فرسه بشار وهو فرسه المشهور الذي نجا عليه من
المعركة ومن آمد أيضا وكان سابقا الايجاري فامر السلطان بان يسابق به الخيل فجاء سابقا فقام
السلطان قائما لما تداخله من العجب وارسل الخليفة النقيب طراد الزينبي في لقي شرف الدولة
فلقيه بالموصل فزاد امر شرف الدولة قوة وصالحه السلطان واقره على بلاده وعاد الى خراسان
لحرب اخيه

## (ذكر عصيان تكش على اخيه السلطان ملكشاه)

قد تقدم ذكره وذكر مصالحته للسلطان فلما كان الآن ورأى بعد السلطان عنه عاود العصيان
وكان اصحابه يؤثرون الاختلاط فحسنوا له مفارقة طاعة أخيه فاجابهم وسار معهم فملك
مرو الروذ وغيرها الى قلعة تقارب سرخس وهي لمسعود بن الامير ياخز وقد حصنها جهده
فحصروها ولم يبق غير أخذها منه فاتفق أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام الملك وهو بنيسابور
وعميد خراسان وهو أبو علي على أن يكتب أبو الفتوح ملطفا الى مسعود بن ياخز وكان خط أبي
الفتوح اشبه شئ بخط نظام الملك يقول فيه كتبت هذه الرقعة من الري يوم كذا ونحن سائرون
من الغد نحوك فاحفظ القلعة ونحن نكبس العدو في ليلة كذا واستدعيا فيجا يثقون به
واعطياه دنانير صالحة وقالا له سر نحو مسعود فاذا وصلت الى المكان الفلاني فاقم به ونم واخف
هذا الملطف في بعض حيطانه فستأخذك طلائع تكش فلا تعترف لهم حتى يضربوك فاذا
فعلوا ذلك وبالغوا فاخرجه لهم وقل انك فارقت السلطان بالري ولك منا الحباء والكرامة
ففعل ذلك وجرى الامر على ما وصفا واحضر بين يدي تكش وضرب وعرض على القتل فاظهر
الملطف وسلمه اليهم واخبرهم انه فارق السلطان ونظام الملك بالري في العساكر وهو سائر فلما
وقفوا على الملطف وسمعوا كلام الرجل ساروا من وقتهم وتركوا خيامهم ودوابهم والقدور على
النار فلم يصبروا على ما فيها وعادوا الى قلعة وخج وكان هذا من الفرج العجيب فنزل مسعود واخذ
ما في العسكر وورد السلطان الى خراسان بعد ثلاثة اشهر ولولا هذا الفعل لنهب تكش الى
باب الري ولما وصل السلطان قصد تكش واخذه وكان قد حلف له بالايمان انه لا يؤذيه ولا يناله
منه مكروه فافتاه بعض من حضر بان يجعل الامر الى ولده احمد ففعل ذلك فامر احمد بكحله
فكحل وسجن

## (ذكر فتح سليمان بن قتلمش انطاكية)

في هذه السنة سار سليمان بن قتلمش صاحب قونية واقصرا واعمالها من بلاد الروم الى الشام
فملك مدينة انطاكية من ارض الشام وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وسبب
ملك سليمان المدينة ان صاحبها الفردوس الرومي كان قد سار عنها الى بلاد الروم ورتب بها
شحنة وكان الفردوس مسيئا الى اهلها والى جنده ايضا حتى انه حبس ابنه فاتفق ابنه والشحنة
على تسليم البلد الى سليمان بن قتلمش وكاتبوه يستدعونه فركب البحر في ثلاثمائة فارس وكثير
من الرجالة وخرج منه وسار في جبال وعرة ومضايق شديدة حتى وصل اليها للموعد فنصب
السلاليم باتفاق من الشحنة ومن معه وصعد السور واجتمع بالشحنة واخذ البلد في شعبان

بوالسلام وذويه • وتفريقها
فيهم • ووضعها مواضعها
منهم • قال دخلت اليه
ذات يوم متصدري من
خراسان • فسألني على رسمه
عن حال ذلك الشيخ في
سلامته • واستقامت الامور
في ضمن كفالته • ثم قال
هات ما استدعاه • واعرض
علي ما ابداه وتوخاه • فعرضت
عليه تذكرة كان سلمها الي
بتفصيل ما رسم لي حمله من
ديار العراق وفي جملتها ألف
ثوب مستعملة مطرزة
الاطراز باسم الامير السيد
الملك المؤيد المنصور ولي النعم
ابي القاسم نوح بن منصور
مولى أمير المؤمنين وخمسمائة
مطرزة باسم الشيخ السيد
أبي الحسين عبيد الله بن أحمد
ومثلها معلمة باسم الحاجب
الجليل أبي العباس تاش
فلما تامل التذكرة نخلته
نخوة الملك وملكته حمية
العز وطار به الغضب كل
مطار الى ان قال في الجواب
ان ابن العتبي لو اغتنم سلامة
ما بيده وتفرد بالتدبير فيه
لكان أولى به • وأعود عليه

فقاتله اهل البلد فهزمهم مرة بعد اخرى وقتل كثيرا من اهلها ثم عفا عنهم وتسلم القلعة المعروفة بالقسيان واخذ من الاموال ما يجاوز الاحصاء واحسن الى الرعية وعدل فيهم وامرهم بعمارة ما خرب ومنع اصحابه من النزول في دورهم ومخالطتهم ولما ملك سليمان انطاكية ارسل الى السلطان ملكشاه يبشره بذلك وينسب هذا الفتح اليه لانه من اهله وممن يتولى طاعته فاظهر ملكشاه البشارة به وهنأه الناس فمن قال فيه الابيوردي من قصيدة مطلعها

لمعت كناصية الحصان الاشقر ❊ نار بمعتلج الكثيب الاعفر

وفتحت انطاكية الروم التي ❊ نشزت معاقلها على الاسكندر

وطئت مناكبها جيادك فانثنت ❊ تلقي اجنتها بنات الاصفر

وهي طويلة

*(ذكر قتل شرف الدولة وملك اخيه ابراهيم)*

قد تقدم ذكر ملك سليمان بن قتلمش مدينة انطاكية فلما ملكها ارسل اليه شرف الدولة مسلم ابن قريش يطلب منه ما كان يحمله اليه الفردوس من المال ويخوفه معصية السلطان فاجابه أما طاعة السلطان فهي شعاري ودثاري والخطبة له والسكة في بلادي وقد كاتبته بما فتح الله على يدي بسعادته من هذا البلد واعمال الكفار واما المال الذي كان يحمله صاحب انطاكية قبلي فهو كان كافرا وكان يحمل جزية رأسه واصحابه وانا بحمد الله مؤمن ولا احمل شيأ فنهب شرف الدولة بلد انطاكية فنهب سليمان ايضا بلد حلب فلقيه أهل السواد يشكون اليه نهب عسكره فقال انا كنت اشد كراهية لما يجري ولكن صاحبكم احوجني الى ما فعلت ولم تجر عادتي بنهب مال مسلم ولا أخذ ما حرمته الشريعة وأمر اصحابه باعادة ما اخذوه منهم فاعاده ثم ان شرف الدولة جمع الجموع من العرب والتركمان وكان ممن معه جبق أمير التركمان في أصحابه وسار الى انطاكية ليحصرها فلما سمع سليمان الخبر جمع عساكره وسار اليه فالتقيا في الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين واربعمائة في طرف من اعمال انطاكية واقتتلوا فمال تركمان جبق الى سليمان فانهزمت العرب وتبعهم شرف الدولة منهزما فقتل بعد ان صبر وقتل بين يديه اربعمائة غلام من أحداث حلب وكان قتله يوم الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة ثمان وسبعين وذكرته ههنا للتتبع الحادثة بعضها بعضا وكان أحول وكان قد ملك من السندية التي على نهر عيسى الى منبج من الشام وما والاها من البلاد وكان في يده ديار ربيعة ومضر من ارض الجزيرة والموصل وحلب وما كان لابيه وعمه قرواش وكان عادلا حسن السيرة والامن في بلاده عام والرخص شامل وكان يسوس بلاده سياسة عظيمة بحيث يسير الراكب والراكبان فلا يخافان شيأ وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاض وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد ولما قتل قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه أمرهم وكان قد مكث في الحبس سنين كثيرة بحيث انه لم يمكنه المشي والحركة لما أخرج ولما قتل شرف الدولة سار سليمان بن قتلمش الى حلب فحصرها مستهل ربيع الاول سنة ثمان وسبعين فاقام عليها الى خامس ربيع الآخر من السنة فلم يبلغ منها غرضا فرحل عنها

*(ذكر عدة حوادث)*

وعلى صاحبه بما يروق بهذا الاحكام وامثاله غير انى اجعل سواحل جيحون قبل عودك من وجهك مرابط الجحافل ❊ ومراكز للقنا والقنابل ❊ فقمت من مكانى متخاذل القوى من جوابه ❊ متهافت الاركان خوفا من عقابه ❊ وأخذت أجر رجلي على الارض تهيبا وارتياعا الى أن اركبت على الرسم وانصرفت الى المناخ فلما أزف ارتحال الجيش أتانى رسوله فبادرت اليه ❊ واحسنت خدمة المجلس بين يديه ❊ فزادنى على المعهود بشرا خصيبا ❊ وبرا وترحيبا ❊ وقال قد امرنا فى معنى تلك التذكرة بما استدعاه ذلك الشيخ كراهة لاستيحاشه ❊ وخلافا على خلاف وفاقه ❊ فتنجز العمل به ليوافق عودك من وجهك فراغ الصناع منه ❊ وحصول المراد به ❊ قال فاستعملت ذلك كله على الطرز المذكورة وحملتها فى صحبتى الى بخارا مشفوعة بالنجاح فى سائر ما رسم لى بتحصيله وتنجزه

في هذه السنة في صفر انقض كوكب من المشرق الى المغرب كان حجمه كالقمر وضوءه كضوئه وسار مدى بعيدا على مهل وتؤدة في نحو ساعة ولم يكن له شبيه من الكواكب وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه في الخامس والعشرين من رجب بمدينة سنجار من أرض الجزيرة مقاربة الموصل بينهما يوم مات عند نزول السلطان بها وسماه أحمد وانما قيل له سنجر باسم المدينة التي ولد فيها وامه ام ولد وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي الشيخ أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي صاحب الشامل والكامل وكفاية السائل وغيرها من التصانيف بعد أن اضر عدة سنين وكان مولده سنة اربعمائة والقاضي أبو عبد الله الحسين بن على البغدادي المعروف بابن البقال وهو من شيوخ أصحاب الشافعي وكان اليه القضاء بباب الازج ولما انقطع الحج على سبيل التجريد واسمعيل بن مسعدة بن اسمعيل بن أحمد بن ابراهيم ابو القاسم الاسماعيلي الجرجاني ومولده سنة اربع واربعمائة وكان اماما فقيها شافعيا محدثا اديبا وداره مجمع العلماء

(ثم دخلت سنة ثمان وسبعين واربعمائة)

*(ذكر استيلاء الفرنج على مدينة طليطلة)*

في هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على مدينة طليطلة من بلاد الاندلس واخذوها من المسلمين وهي من اكبر البلاد واحصنها وسبب ذلك ان الاذفونش ملك الفرنج بالاندلس كان قد قوي شانه وعظم ملكه وكثرت عساكره مذ تفرقت بلاد الاندلس وصار كل بلد بيد ملك فصاروا مثل ملوك الطوائف فحينئذ طمع الفرنج فيهم واخذوا كثيرا من ثغورهم وكان قد خدمهم قبل ذلك صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذي النون وعرف من أين يؤتى البلد وكيف الطريق الى ملكه فلما كان الآن جمع الاذفونش عساكره وسار الى مدينة طليطلة فحصرها سبع سنين واخذها من القادر فازداد قوة الى قوته وكان المعتمد على الله ابو عبد الله محمد بن عباد اعظم ملوك الاندلس من المسلمين وكان يملك اكثر البلاد مثل قرطبة واشبيلية وكان يؤدي الى الاذفونش ضريبة كل سنة فلما ملك الاذفونش طليطلة ارسل اليه المعتمد الضريبة على عادته فردها عليه ولم يقبلها منه فأرسل اليه يتهدده ويتوعده انه يسير الى مدينة قرطبة ويملكها الا ان يسلم اليه جميع الحصون التي في الجبل ويبقى السهل للمسلمين وكان الرسول في جمع كثير كانوا خمسمائة فارس فانزله محمد بن عباد وفرق اصحابه على قواد عسكره ثم امر كل من عنده منهم رجل ان يقتله واحضر الرسول وصفعه حتى خرجت عيناه وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش فاخبروه الخبر وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها فلما بلغه الخبر عاد الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ورحل المعتمد الى اشبيلية

*(ذكر استيلاء ابن جهير على آمد)*

في المحرم من هذه السنة ملك ابن جهير مدينة آمد وسبب ذلك ان فخر الدولة بن جهير كان قد أنفذ اليها ولده زعيم الرؤساء أبا القاسم ومعه جناح الدولة المعروف بالمقدم السالار وارادوا انقلع كرومها وبساتينها ولم يطمع مع ذلك في فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الاقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون على الحصار غير مكترثين به فاتفق ان بعض الجند نزل من السور

وقد أكثر الشعراء من اهل العصر في وصف محاسن الشيخ أبي الحسين العتبي رحمه الله تعالى ولاسيما أبو طالب المأموني فانه سير في مدحه قصائد غير معدودة منها قوله في قصيدة يمدحه بها

هذي عزائم عتبي تفرقها * بين الجماجم والاعناق عتبا
ذو همة ملء صدر الدهر ان برزت * من صدره لم تسعها الارض مضطربا
اذا انتضى للاذى او للردى قلما * أجرى به صبا او حتفا لاهبا
يشجي الحسود ضعادا والندى ندى * اذا تمال للمعروف او قطبا

وقوله فيه من اخرى

كأنني منصور بمملكة * أبى السيف فيها ان يرى الغمد مضجعا
يؤيدها عتبي عزم مؤيد * بحزم يجلى خلقه البيض طلعا
اذا امر الشيخ الجليل سيوفه * هوت تحصد الدارعين وركعا
يعود بها وجه الخلافة ابيضا * بأبيض من أبناء عتبة أروعا

لحاجة اليهم وتركوا السلطان مكانهم فصعد الى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد يعرف بابي الحسن فلبس السلاح ووقف على ذلك المكان ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فاتاهم وملك البلد واتفق اهل المدينة على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم

*(ذكر ملكه أيضا ميافارقين)*

وفي هذه السنة أيضا في سادس جمادى الآخرة ملك فخر الدولة ميافارقين وكان مقيما على حصارها فوصل اليه سعد الدولة كوهرائين في عسكره نجدة له فجد في القتال فسقط من سورها قطعة فلما رأى اهلها ذلك نادوا بشعار ملكشاه وسلموا البلد الى فخر الدولة واخذ جميع ما استولى عليه من اموال بني مروان وانفذه الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فانحدر هو وكوهرائين الى بغداد وسار زعيم الرؤساء منها الى اصبهان فوصلها في شوال واوصل ما معه الى السلطان

*(ذكر ملك جزيرة ابن عمر)*

في هذه السنة أرسل فخر الدولة جيشا الى جزيرة ابن عمر وهي لبني مروان أيضا فحصروها فثار أهل بيت من أهلها يقال لهم بنو وهبان وهم من أعيان أهلها وقصدوا بابا للبلد صغيرا يقال له باب البوبية لا يسلكه الا الرجالة لانه يصعد اليه من ظاهر البلد بدرج فكسروه وادخلوا العسكر فملكه وانقرضت دولة بني مروان فسبحان من لا يزول ملكه وهؤلاء بنو وهبان الى يومنا هذا كلما جاء الى الجزيرة من يحصرها يخرجون من البلد ولم يبق منهم من له شوكة ولا منزلة يفعل بها شيأ وانما بتلك الحركة يؤخذون الى الآن

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الاول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش فضيق عليه وقاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عنها عائدا الى مصر وفيها كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد واحرقوا من نهر الدجاج درب الآجر وما قاربه وأرسل الوزير أبو شجاع جماعة من الجند ينهاهم عن سفك الدماء تحرجا من الاثم فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم وفيها كانت زلزلة شديدة بخوزستان وفارس وكان أشدها بأرجان فسقطت الدور وهلك تحتها خلق كثير وفيها في ربيع الاول هاجت ريح عظيمة سوداء بعد العشاء وكثر الرعد والبرق وسقط على الارض رمل أحمر وتراب كثير وكانت النيران تضطرم في اطراف السماء وكان أكثرها بالعراق وبلاد الموصل فالقت النخيل والاشجار وسقط معها صواعق في كثير من البلاد حتى ظن الناس ان القيامة قد قامت ثم انجلى ذلك نصف الليل وفيها في ربيع الآخر توفي امام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ومولده سنة سبع عشرة وأربعمائة وهو الامام المشهور في الفقه والاصولين وغيرهما من العلوم وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وغيره وفيها في ذي الحجة توفي محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد أبو علي المتكلم كان أحد رؤساء المعتزلة وائمتهم ولزم بيته خمسين سنة لم يقدر على ان يخرج

ومن ذلك قول اللحامي فيه

واعتب الدهر اذ عاتبته بفتى* من آل عتبة نفاع وضرار
كانما جاره في كل نائبة * جار الاراقم في ايام ذي قار
تجزي مكارمه في لاوفي نعم* فالناس في جنة منه وفي نار

ومن ذلك قول ابي الحسين العلوي الرضي

كانما الدهر تاج وهو درته* والملك كف وهو خاتمه
والبر والبحر والاعلام أجمعها* والخلق والفلك الدوار خادمه

وقلد ابو العباس تاش الحجبة الكبيرة فولي امور الباب* وزعامة الحجاب* والسفارة بين اولياء السلطان وحشمه في تنجز حاجاتهم* واستطلاق اطماعهم وعشر ينياتهم* واستزادة مراتبهم وولاياتهم* حتى تحققت النفوس بمحبته* وتعلقت الاهواء بزعامته* وفتح ابو الحسين عليه ابواب الفوائد والاصابات حتى كثر وفره وظهر امره* واشتد بالاستظهار ظهره* وكان ابو العباس من جملة فتيان ابي جعفر العتبي ملك يمينه

منه من عامة بغداد وأخذ الكلام عن أبي الحسين البصري وعبد الجبار الهمذاني القاضي
ومن جملة تلامذته ابن برهان وهو أكبر منه وفي هذه السنة توفي القاضي أبو الحسن هبة الله بن
محمد بن السبي قاضي الحريم بنهر معلى ومولده سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وكان نائباً كالإمام
المقتدي بأمر الله وولي ابنه أبو الفرج عبد الوهاب بين يدي قاضي القضاة ابن الدامغاني وفيها
في جمادى الأولى توفي أبو العز بن صدقة وزير شرف الدولة ببغداد وكان قد قبض عليه شرف
الدولة ومعه بالرحبة فهرب منهم إلى بغداد فمات بعد وصوله إلى مأمنه بأربعة أشهر وكان كريماً
متواضعاً لم تغيره الولاية عن إخوانه وفيها في رجب توفي قاضي القضاة أبو عبد الله بن الدامغاني
ومولده سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة ودخل بغداد سنة تسع عشرة وأربعمائة وكان قد صحب
القاضي أبا العلاء بن صاعد وحضر ببغداد مجلس أبي الحسين القدوري وولي قضاء القضاة
بعده القاضي أبو بكر بن المظفر بن بكران الشامي وهو من أكبر أصحاب القاضي أبي الطيب
الطبري وفيها توفي عبد الرحمن بن مأمون بن علي أبو سعد المتولي مدرس النظامية وهو من
أصحاب القاضي حسين المروزي وتمم كتاب الإبانة

(ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة)

*(ذكر قتل سليمان بن قتلمش)*

لما قتل سليمان بن قتلمش شرف الدولة مسلم بن قريش على ما ذكرناه أرسل إلى ابن الحتيتي
العباسي مقدم أهل حلب يطلب منه تسليمها إليه فأنفذ إليه واستمهله إلى أن يكاتب السلطان
ملكشاه وأرسل ابن الحتيتي إلى تتش صاحب دمشق يعده أن يسلم إليه حلب فسار تتش طالباً
حلب فعلم سليمان بذلك فسار نحوه مجداً فوصل إلى تتش وقت السحر على غير تعبية فعبأ بعض من
قرب منه فعبى أصحابه وكان الأمير أرتق بن أكسب مع تتش وكان منصوراً لم يشهد حرباً إلا وكان
الظفر له وقد ذكرنا فيما تقدم حضوره مع ابن جهير على آمد وإطلاقه شرف الدولة من آمد فلما
فعل ذلك خاف أن ينهي ابن جهير ذلك إلى السلطان ففارق خدمته ولحق بتاج الدولة تتش
فأقطعه البيت المقدس وحضر معه هذه الحرب فأبلى فيها بلاء حسناً وحرض العرب على القتال
فانهزم أصحاب سليمان وثبت وهو في القلب فلما رأى انهزام عساكره أخرج سكيناً معه فقتل
نفسه وقيل بل قتل في المعركة واستولى تتش على عسكره وكان سليمان بن قتلمش في السنة
الماضية في صفر قد أنفذ جثة شرف الدولة إلى حلب على بغل ملفوفة في إزار وطلب من أهلها
أن يسلموها إليه وفي هذه السنة في صفر أرسل تتش جثة سليمان في إزار ليسلموها إليه فأجابه ابن
الحتيتي أنه يكاتب السلطان ومهما أمره فعل فحصر تتش البلد وأقام عليه وضيق على أهله
وكان ابن الحتيتي قد سلم كل برج من أبراجها إلى رجل من أعيان البلد ليحفظه وسلم برجاً منها
إلى إنسان يعرف بابن الرعوي ثم إن ابن الحتيتي أوحشه بكلام أغلظ له فيه وكان هذا الرجل
شديد القوة ورأى ما الناس فيه من الشدة فدعاه ذلك إلى أن أرسل إلى تتش يستدعيه وواعده
ليلة يرفع الرجال إلى السور في الحبال فأتى تتش للميعاد الذي ذكره فأصعد الرجال في الحبال
والسلاليم وملك تتش المدينة واستجار ابن الحتيتي بالأمير أرتق فشفع فيه وأما القلعة فكان بها
سالم بن مالك بن بدران وهو ابن عم شرف الدولة مسلم بن قريش فأقام تتش يحصر القلعة سبعة

عشر

اهداها الامير السديد ابي
صالح ايثاراً لمخدمه على
نفسه لكسبه ودّ كاته
ورضى شمائله واخلاقه
فاستمر ابو الحسين العتبي
المنيعة عنده بالرفع منه
والتنويه به والاشالة بضبعه
وباعه وتدريجه الى المحل
الذي توسمه في قوته
واضطلاعه ويمرن امور
ذلك الباب يتعاضد هما
على التصالح وترفدهما
على ارتهان المصالح على
احسن الوجوه هيئة
وجمالاً وهيبة وجلالاً
ونفاذ الاوامر يميناً وشمالاً
واستخص ابو الحسين فائقاً
الناس لطول خدمته كان
للامير السديد وحظوته عنده
واختصاصه برعايته
واشتراكهما في صيانته فكان
شريكهما في التدبير
وصيانة هيبة السرير
واقرا امر الجيش بخراسان
على ابي الحسين محمد بن
ابراهيم بن سيمجور وتقرر
كل منهم بحماية الملك سداً
للثغور وسياسة الجمهور
وحسم النوائج الشرور

عشر يوما فبلغه الخبر بوصول مقدمة اخيه السلطان ملكشاه فرحل عنها.

*(ذكر ملك السلطان حلب وغيرها)*

كان ابن الحتيتي قد كاتب السلطان ملكشاه يستدعيه ليسلم اليه حلب لما خاف تاج الدولة تتش فسار اليه من اصبهان في جمادى الآخرة وجعل على مقدمته الامير برسق و بوزان وغيرهما من الامراء وجعل طريقه على الموصل فوصلها في رجب وسار منها فلما وصل الى حران سلمها اليه ابن الشاطر فاقطعها السلطان محمد بن شرف الدولة وسار الى الرها وهي بيد الروم فحصرها وملكها وكانوا قد اشتروها من ابن عطير وتقدم ذكر ذلك وسار الى قلعة جعبر فحصرها يوما وليلة وملكها وقتل من بها من بني قشير وأخذ جعبر من صاحبها وهو شيخ أعمى و ولدين له وكانت الاذية بهم عظيمة يقطعون الطرق و يلجؤن اليها ثم عبر الفرات الى مدينة حلب فملك في طريقه مدينة منبج فلما قارب حلب رحل عنها اخوه تتش وكان قد ملك المدينة كما ذكرناه وسار عنها يسلك البرية ومعه الامير أرتق فاشار بكبس عسكر السلطان وقال انهم قد وصلوا وبهم وبدوابهم من التعب ما ليس عندهم معه امتناع ولو فعل لظفر بهم فقال تتش لا أكسر جاه اخي الذي انا مستظل بظله فانه يعود بالوهن على اولا وسار الى دمشق ولما وصل السلطان الى حلب تسلم المدينة وسلم اليه سالم بن مالك القلعة على ان يعوضه عنها قلعة جعبر وكان سالم قد امتنع بها أولا فامر السلطان ان يرمى اليه رشقا واحدا بالسهام فرمى الجيش فكادت الشمس تحتجب لكثرة السهام فصانع عنها بقلعة جعبر وسلمها وسلم السلطان اليه قلعة جعبر فبقيت بيده و بيد أولاده الى ان أخذها منهم نور الدين محمود بن زنكي على ما نذكره ان شاء الله تعالى وأرسل اليه الامير نصر ابن علي بن منقذ الكناني صاحب شيزر فدخل في طاعته وسلم اليه لاذقية وكفرطاب وفامية فاجابه الى المسالمة وترك قصده واقر عليه شيزر ولما ملك السلطان حلب سلمها الى قسيم الدولة اقسنقر فعمرها واحسن السيرة فيها واما ابن الحتيتي فانه كان واثقا باحسان السلطان ونظام الملك اليه فانه استدعاهما فلما ملك السلطان البلد طلب أهله ان يعفيهم من ابن الحتيتي فاجابهم الى ذلك واستصحبه معه وارسله الى ديار بكر فافتقر وتوفي بها على حال شديدة من الفقر وقتل ولده بانطاكية قتله الفرنج لما ملكوها

*(ذكر وفاة بهاء الدولة منصور بن مزيد وولاية ابنه صدقة)*

في هذه السنة في ربيع الاول توفي بهاء الدولة ابو كامل منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي صاحب الحلة والنيل وغيرهما مما يجاورهما ولما سمع نظام الملك خبر وفاته قال مات اجل صاحب عمامة وكان فاضلا قرأ على علي بن برهان فبرع فيه كأنه في الذي استفاد منه وله شعر حسن فمنه

فان أنا لم أحمل عظيما ولم اقد * لهاما ولم اصبر على فعل معظم

ولم أجر الجاني وامنع حوزه * غداة أنادي للفخار وانتمي

وله في صاحب له يكنى أبا مالك يرثيه

فان كان اودى خدننا ونديمنا * أبو مالك فالنائبات تنوب

فكل ابن انثى لا محالة ميت * وفي كل حي للمنون نصيب

ولو رد حزن او بكاء لهالك * بكيناه ما هبت صبا وجنوب

الى ان بدت احكامها تنفتق* وجيوشها تتخرق* وكان من ذلك امر سجستان وسببه ان خلف بن احمد كان قد استنصر الامير السديد على طاهر بن الحسين قريبه وخليفته على اعمالها بعد انكفائه من حج بيت الله الحرام وذلك في شهور سنة اربع وخمسين وثلثمائة لتمكنه كان من الولاية واستظهاره بالمال والعده واستمالته قلوب الاجناد والرعايا من اهل تلك الخطه فأحسن نصرته ومعونته* وكفاه كلفته ومؤنته* وامده بمن استمدهم من كماة الجيوش لرده الى بيته وتقرير مملكته في يده* فانحاز طاهر حين احس بالمدد* وكثرة العدد* الى اسفزار حتى قر خلف قراره* ووضع عنه آصاره* وصرف عن ظهر الاستغناء اعوانه وانصاره* ثم كر عليه كرة اجلته عن داره وطرحته الى بادغيس فمن نادى بشعاره* فعاود حضرة الامير السديد مستصرخا اباه* وضارعا الى غوثه فيما

ولما ولي أرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة نقيب العلويين أبا الغنائم يعزيه وسار سيف
الدولة إلى السلطان ملكشاه فخلع عليه وولاه ما كان لأبيه وأكثر الشعراء مراثي في بهاء الدولة

## ( ذكر وقعة الزلاقة بالأندلس وهزيمة الفرنج )

قد تقدم ذكر ملك الفرنج طليطلة وما فعله المعتمد بن عباد برسول الأذفونش ملك الفرنج وعود
المعتمد إلى إشبيلية فلما عاد إليها وسمع مشايخ قرطبة بما جرى ورأوا قوة الفرنج وضعف المسلمين
واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض اجتمعوا وقالوا هذه بلاد الأندلس قد غلب عليها
الفرنج ولم يبق منها إلا القليل وإن استمرت الأحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت
وساروا إلى القاضي عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له ألا تنظر إلى ما فيه المسلمون من الصغار
والذلة وإعطائهم الجزية بعد أن كانوا يأخذونها وقد رأينا رأيا نعرضه عليك قال ما هو قالوا
نكتب إلى عرب إفريقية ونبذل لهم إذا وصلوا إلينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا معهم مجاهدين
في سبيل الله فقال نخاف إذا وصلوا إلينا يخربون بلادنا كما فعلوا بإفريقية ويتركون الفرنج
ويبدؤون بكم والمرابطون أصلح منهم وأقرب إلينا قالوا فكاتب أمير المسلمين وارغب إليه ليعبر
إلينا أو يرسل بعض قواده وقدم عليهم المعتمد بن عباد وهم في ذلك فعرض عليه القاضي ابن أدهم
ما كانوا فيه فقال له ابن عباد أنت رسولي إليه في ذلك فامتنع وإنما أراد أن يبرئ نفسه من تهمة
فألح عليه المعتمد فسار إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من
الخوف من الأذفونش وكان أمير المسلمين بمدينة سبتة ففي الحال أمر بعبور العساكر إلى
الأندلس وأرسل إلى مراكش في طلب من بقي من عساكره فأقبلت إليه تتلو بعضها بعضا
فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار فاجتمع بالمعتمد بن عباد بإشبيلية وكان قد جمع عساكره أيضا
وخرج من أهل قرطبة عسكر كثير وقصده المطوعة من سائر بلاد الأندلس ووصلت الأخبار إلى
الأذفونش فجمع فرسانه وسار من طليطلة وكتب إلى أمير المسلمين كتابا كتبه له بعض أدباء المسلمين
يغلظ له القول ويصف ما عنده من القوة والعدد والعدد وبالغ الكاتب في الكتاب فأمر أمير
المسلمين أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتبا مفلقا فكتب فأجاد فلما قرأه على أمير المسلمين
قال هذا كتاب طويل أحضر كتاب الأذفونش واكتب في ظهره الذي يكون ستراه فلما عاد
الكتاب إلى الأذفونش ارتاع لذلك وعلم أنه بلي برجل له عزم وحزم فازداد استعدادا فرأى
في منامه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه فقص رؤياه على القسيسين فلم
يعرفوا تأويلها فأحضر رجلا مسلما عالما بتعبير الرؤيا فقصها عليه فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه
فقال تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله العزيز وهو قوله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل
السورة وقوله تعالى فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ويقتضي
هلاك هذا الجيش الذي تجمعه فلما اجتمع جيشه رأى كثرته فأعجبته فأحضر ذلك المعبر وقال له
بهذا الجيش ألقى إله محمد صاحب كتابكم فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين هذا الملك هالك
وكل من معه وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات الحديث وفيه وإعجاب
المرء بنفسه وسار أمير المسلمين والمعتمد بن عباد حتى أتوا أرضا يقال لها الزلاقة من بلد بطليوس
وأتى الأذفونش فنزل موضعا بينه وبينهم ثمانية عشر ميلا فقيل لأمير المسلمين إن ابن عباد ربما

دعاه فأحسن لقاءه وأكرم
مثواه • وأعاد تقريبه
وإدناءه • وكتب بالقبول
مراده • ورده بجيش إلى
سجستان فوافى وصوله إليها
مضي طاهر لسبيله وانتصاب
ابنه الحسين منصبه • ووراثه
في الخلاف مذهبه • فحاصره
شتى فيها مناصبا له الحرب
غاديا ورائحا • ومماصعا
ومكاوحا • حتى كثر القتلى
بين الفريقين • وطالت يد
الانتصاف على أصحاب
الحسين • فعندها كتب إلى
بخارى متنصلا عن سمة
الخلاف • ومتلطفا للاستقالة
والاستعطاف • ومظهرا
للطاعة في وفادة الحضرة •
ومباشرة تراب الخدمة •
حتى صادف ارتياحا من ضيق
الخناق • ونفسا كان شدة
الإرهاق • فأحسن ذلك
الأمير إجابته • وقابل بالقبول
إنابته • وسهل إلى ورود
الحضرة سبيله • وحقق
بالإحسان والإفضال تأميله •
واستقرت أمور سجستان
على خلف بن أحمد فطالت
عليها أيامه وطابت . .

لم ينصح ولا يبذل نفسه دونك فارسل اليه امير المسلمين يأمره ان يكون فى المقدمة ففعل ذلك
وسار وقد ضرب الاذفونش خيامه فى لحف جبل والمعتمد فى سفح جبل يتراءون وينزل امير
المسلمين وراء الجبل الذى عنده المعتمد وظن الاذفونش ان عساكر المسلمين ليس الا الذى يراه وكان
الفرنج فى خمسين الفا فتيقنوا الغلب وأرسل الاذفونش الى المعتمد فى ميقات القتال وقصده
المكر فقال غدا الجمعة وبعده الاحد فيكون اللقاء يوم الاثنين فقد وصلنا على حال تعب واستقر
الامر على هذا وركب ليلة الجمعة سحرا وصبح بجيشه جيش المعتمد بكرة الجمعة غدرا وظنا منه ان
ذلك المخيم هو جميع عسكر المسلمين فوقع القتال بينهم فصبر المسلمون فاشرفوا على الهزيمة وكان
المعتمد قد أرسل الى أمير المسلمين يعلمه بمجىء الفرنج للحرب فقال احملونى الى خيام الفرنج فسار
اليها فبينما هم فى القتال وصل أمير المسلمين الى خيام الفرنج فنهبها وقتل من فيها فلما رأى الفرنج
ذلك لم يتمالكوا أن انهزموا وأخذهم السيف وتبعهم المعتمد من خلفهم ولقيهم أمير المسلمين من
بين يديهم ووضع فيهم السيف فلم يفلت منهم احد ونجا الاذفونش فى نفر يسير وجعل المسلمون من
رؤس القتلى كوما كثيرة فكانوا يؤذنون عليها الى ان جيفت فاحرقوها وكانت الوقعة يوم الجمعة
فى العشر الاول من شهر رمضان سنة تسع وسبعين واصاب المعتمد جراحات فى وجهه وظهرت
ذلك اليوم شجاعته ولم يرجع من الفرنج الى بلادهم غير ثلاثمائة فارس وغنم المسلمون كل مالهم
من مال وسلاح ودواب وغير ذلك وعاد ابن عباد الى اشبيلية ورجع أمير المسلمين الى الجزيرة
الخضراء وعبر الى سبتة وسار الى مراكش فاقام بها الى العام المقبل وعاد الى الاندلس وحضر
معه المعتمد بن عباد فى عسكره وعبد الله بن بلكين الصنهاجى صاحب غرناطة فى عسكره وساروا
حتى نزلوا على ليط وهو حصن منيع بيد الفرنج فحصروه حصرا شديدا فلم يقدروا على فتحه
فرحلوا عنه بعد مدة ولم يخرج اليهم أحد من الفرنج لما أصابهم فى العام الماضى فعاد ابن عباد الى
اشبيلية وعاد أمير المسلمين على غرناطة وهى طريقه ومعه عبد الله بن بلكين فغدر به أمير المسلمين
وأخذ غرناطة منه وأخرجه منها فرأى فى قصوره من الاموال والذخائر مالم يحوه ملك قبله
بالاندلس ومن جملة ما وجد سبحة فيها أربعمائة جوهرة قومت كل جوهرة بمائة دينار ومن
الجواهر ماله قيمة جليلة الى غير ذلك من الثياب والعدد وغيرها وأخذ معه عبد الله واخاه تميما ابنى
بلكين الى مراكش فكانت غرناطة أول ما ملكه من بلاد الاندلس وقد ذكرنا فيما تقدم
سبب دخول صنهاجة الى الاندلس وعود من عاد منهم الى المعز بافريقية وكان آخر من بقى منهم
بالاندلس هذا عبد الله وأخذت مدينته ورحل الى العدوة ولما رجع أمير المسلمين الى مراكش
اطاعه من كان لم يطعه من بلاد السوس وورغة وقلعة مهدى وقال له علماء الاندلس انه ليست
طاعته بواجبة حتى يخطب للخليفة ويأتيه تقليد منه بالبلاد فارسل الى الخليفة المقتدى
بأمر الله ببغداد فأتاه الخلع والاعلام والتقليد ولقب بامير المسلمين وناصر الدين

*(ذكر دخول السلطان الى بغداد)*

فى هذه السنة دخل السلطان ملكشاه بغداد فى ذى الحجة بعد ان فتح حلب وغيرها من بلاد
الشام والجزيرة وهى أول قدمة قدمها ونزل بدار المملكة وركب من الغد الى الحلبة ولعب
بالجوكان والكرة وأرسل الى الخليفة هدايا كثيرة فقبلها الخليفة ومن الغد أرسل نظام الملك

فيها اوامره واحكامه * وانبسطت بالمزيد رباعه * وتوجت بذخائر الاموال رباعه وقلاعه * وانقطعت عن بخارا موادّ خدمته وطاعته * واعفائه بال موافقته * ومقابلة حق الاصطناع بواجبه واضاف الى ذلك استهانته بالاوامر الصادرة اليه فى حثه على رشده * ودعائه الى ما يجمع صلاح يومه وغده * فجرّد عند ذلك الحسين بن طاهر لمناهضته فى جمرات خراسان ومشاهير رجالها ومساعير ابطالها فحصره فى قلعة ارك وادارك عليه الحرب زمانا طويلا فلم يغن قبيلا * ولم يجد الى الافتتاح سبيلا * وجعل أبو الحسين العتبى يزيده عددا على عدد * ومددا على مدد * وكان من جملة القواد بها كيتاش وبكتاش واخوة الحسين بن مالك واضرابهم من أنياب تلك الدولة ووجوه أنشائها * ورجوم سمائها * فطال بهذا ثواؤهم * وقصر عن المراد غناؤهم * لمناعة الحصار وحصانة سوره *

الى الخليفة خدمة كثيرة فقبلها وزارا السلطان ونظام الملك مشهد موسى بن جعفر وقبر
معروف وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرها من القبور المعروفة فقال بن زكرويه الواسطي
يهنئ نظام الملك بقصيدة منها

زرت المشاهد زورة مشهودة * أرضت مضاجع من بها مدفون
فكأنك الغيث استهل بتربها * وكأنها بك روضة ومعين
فازت قداحك بالثواب وأنجحت * ولك الاله على النجاح ضمين

وهي مشهورة وطاب نظام الملك الى دار الخلافة ليلا فغنى في الزبزب وعاد من ليلته ومضى
السلطان ونظام الملك الى الصيد في البرية فزارا المشهدين مشهد أمير المؤمنين علي ومشهد
الحسين عليه السلام ودخل السلطان البرية فاصطاد شيأ كثيرا من الغزلان وغيرها وأمر ببناء
منارة القرون بالسبيعي وعاد السلطان الى بغداد ودخل الى الخليفة فخلع عليه الخلع السلطانية
ولما خرج من عنده لم يزل نظام الملك قائما يقدم أميرا أميرا الى الخليفة وكلما قدم أميرا يقول
هذا العبد فلان بن فلان واقطاعه كذا وكذا وعدة عسكره كذا وكذا الى ان أتى على آخر الأمراء
وفوض الخليفة الى السلطان أمر البلاد والعباد وأمره بالعدل فيهم وطلب السلطان ان يقبل
يد الخليفة فلم يجبه فسأل ان يقبل خاتمه فأعطاه اياه فقبله ووضعه على عينه وأمره الخليفة بالعود
فعاد وخلع الخليفة أيضا على نظام الملك ودخل نظام الملك الى المدرسة النظامية وجلس في
خزانة الكتب وطالع فيها كتبا وسمع الناس عليه بالمدرسة جزء حديث وأملى جزءا آخر وأقام
السلطان ببغداد الى صفر سنة ثمانين وسار منها الى اصبهان

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في المحرم جرى بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة فتنة قتل فيها جماعة من جملتهم
القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الحسين بن الغريق الهاشمي الخطيب أصابه سهم فمات منه
ولما قتل ولي ابنه الشريف أبو تمام ما كان اليه من الخطابة وكان العميد كمال الملك الدهستاني
ببغداد فسار بخيله ورجله الى القنطرة العتيقة وأعان أهل الكرخ ثم جرت بينهم فتنة ثانية في
شوال منها فأعان الحاج على أهل الكرخ فانهزموا وبلغ النهب الى درب اللؤلؤ وكاد أهل
الكرخ يهلكون فخرج أبو الحسن بن برغوث العلوي الى مقدم الاحداث من السنة فسأله
العفو فعاد عنهم ورد الناس وفيها زاد الماء بدجلة تاسع عشر حزيران وجاء الطرومين ببغداد
وفيها في ربيع الأول أرسل العميد كمال الملك الى الانبار فتسلمها من بني عقيل وخرجت من أيديهم
وفيها في ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها وفيها في جمادى الاولى ورد الشريف
أبو القاسم علي بن أبي يعلى الحسني الدبوسي الى بغداد في تجمل عظيم لم ير مثله لفقيه ورتب
مدرسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولي وفيها أمر السلطان ان يزاد في اقطاع وكلاء الخليفة ثم ز
يدى من طريق خراسان وعشرة آلاف دينار من معاملة بغداد وفيها اقطع السلطان ملكشاه
محمد بن شرف الدولة مسلم مدينة الرحبة وأعمالها وحران وسروج والرقة والخابور وزوجه
باخته زليخا خاتون فتسلم البلاد جميعها ما عدا حران فان محمد بن الشاطر امتنع من تسليمها
فلما وصل السلطان الى الشام نزل عنها ابن الشاطر فسلمها السلطان الى محمد وفيها وقع ببغداد

وشتت أعلاقه وسدوده
وأعيا الخندق المحيط به على
الفارس أن يعبره ركضا
وعلى الراجل أن يقطعه
خوضا ولا رصاد خلف
ايامهم بفنون الحيل التي يقل
استنباطها بالظن والحسبان
ايهاما للبيات واطلاعا على
مأمون الجهات وقذفا بحرب
الافاعي من أفواه المجانيق
والعرادات حتى يضطروا
بذلك الى الارتحال والتنقل
في المضارب والحال وبقوا
هنالك قرابة سبع سنين على
هذه الجملة حتى فنيت الرجال
وزرقت الاموال وذهبت
الجرائب وعطبت المطايا
والركائب وكانت هذه من
أوائل الوهن على تلك الدولة
ومن هنالك وهى العقد
وانبثق السكر وترايد الفتق
واتسع الخرق ولكل أمر
أمد ولكل أمة أجل ولكل
ولاية نهاية يمحو الله ما يشاء
ويثبت وعنده أم الكتاب
وتذاكر أركان تلك الدولة فيما
بين هذه الحال لزوم صاحب
الجيش أبي الحسن مكانه
من نيسابور وكلا على صاحبه
لا ينهض شيئا ولا ينفع

جناعتنان فكسرت احداهما اسطوانتين واحرقت قطنا في صناديق ولم تحترق الصناديق وقتلت الثانية رجلا وفيها كانت زلازل بالعراق والجزيرة والشام وكثير من البلاد فخربت كثيرا من البلاد وفارق الناس مساكنهم الى الصحراء فلما سكنت عادوا وفيها عزل فخر الدولة بن جهير عن ديار بكر وولاها السلطان الى العميد ابي علي البلخي وجعله عاملا عليها وفيها اسقط اسم الخليفة المصري من الحرمين الشريفين وذكر اسم الخليفة المقتدي بامر الله وفيها اسقط السلطان المكوس والاجتيازات بالعراق وفيها حصر تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية مدينتي قابس وسفاقس في وقت واحد وفرق عليها العساكر وفيها في ربيع الاول توفي أبو الحسن بن فضال المجاشعي النحوي المقرئ وفي ربيع الآخر توفي شيخ الشيوخ أبو سعد الصوفي النيسابوري وهو الذي تولى بناء الرباط بنهر المعلى وبنى وقوفه وهو رباط شيخ الشيوخ الآن وبنى وقوف المدرسة النظامية وكان عالي الهمة كثير التعصب لمن يلتجئ اليه وجدد تربة معروف الكرخي بعد ان احترقت وكانت له منزلة كبيرة عند السلطان وكان يقال نحمد الله الذي أخرج رأس أبي سعد من مرقعة ولو أخرجه من قباء لهلكنا وفيها توفي أبو علي محمد بن أحمد التستري البصري وكان خيرا حافظا للقرآن ذا مال كثير وهو آخر من روى سنن أبي داود السجستاني عن ابي عمر الهاشمي وفيها توفي الشريف أبو نصر الزينبي العباسي نقيب الهاشميين وهو محدث مشهور عالي الاسناد

(ثم دخلت سنة ثمانين واربعمائة)

*(ذكر زفاف ابنة السلطان الى الخليفة)*

في المحرم نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة بالديباج الرومي وكان أكثر الاحمال الذهب والفضة وثلاث عماريات وعلى أربعة وسبعين بغلا مجللة بانواع الديباج الملكي واجراسها وقلائدها من الذهب والفضة وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة لا يقدر ما فيها من الجواهر والحلي وبين يدي البغال ثلاثة وثلاثون فرسا من الخيل الرائقة عليها مراكب الذهب مرصعة بانواع الجوهر ومهد عظيم كثير الذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة كوهرائين والامير برسق وغيرهما ونثر أهل نهر معلى عليهم الدنانير والثياب وكان السلطان قد خرج عن بغداد متصيدا ثم أرسل الخليفة الوزير أبا شجاع الى تركان خاتون زوجة السلطان وبين يديه نحو ثلثمائة موكبية ومثلها مشاعل ولم يبق في الحريم دكان الا وقد اشعل فيها الشمعة والاثنتان وأكثر من ذلك وأرسل الخليفة مع ظفر خادمه محفة لم ير مثلها حسنا وقال الوزير لتركان خاتون سيدنا ومولانا أمير المؤمنين يقول ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة الى داره فاجابت بالسمع والطاعة وحضر نظام الملك فمن دونه من أعيان دولة السلطان وكل منهم معه من الشمع والمشاعل الكثير وجاء نساء الامراء الكبار ومن دونهم كل واحدة منهن منفردة في جماعتها وتجملها وبين أيديهن الشمع الموكبيات والمشاعل يحمل ذلك جميعه الفرسان ثم جاءت الخاتون ابنة السلطان بعد الجميع في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر أكثر شيء وقد أحاط بالمحفة مائتا جارية من الاتراك بالمراكب العجيبة وسارت الى دار الخلافة وكانت ليلة مشهودة لم ير ببغداد مثلها فلما

سددا * ولا يحسن ردا * ولا يغمس في مصالح الدولة يدا * وتناقلوا بينهم ما كان الامير السديد يصطنعه عليه لالتزامه بالمكان * وقعوده عن نصرة السلطان * وثنوا على صرفه * والاستبدال به * وكتب اليه في الصرف وقلد أبو العباس تاش ما كان يليه من الامر فلما ورد الرسول عليه * وأدى ما تحمله على رؤس الاشهاد اليه * أبت عليه الحمية خطة الهوان * واقتضته الانفة كلمة العصيان * وطارت نعرة الخلاف في رأسه * فادعى الامر لنفسه * اتكالا على فرط قوته وبأسه * واعتزازا باولاده وأعضاده * واستظهارا بجيوشه وأجناده ثم بيت التدبير * وخمر الرأي والتفكير * فلم يرض بان تتناقل الالسنة ذكر استعصائه على شيوخته في الدولة * وتناهي مدته في الخدمة * وتصور ما يتبع الخلاف من ركوب المصاعب التي تسلب النفوس جمامها * والعيون منامها * والاموال المذخورة نظامها * الى ما فيه من

كان الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لتخاطا امره بعمله حتى اذ فيه أربعين القضاة من العسكر وخلع عليهم كلهم وعلى كل من له ذكر فى العسكر وأرسل الخلع الى الخاتون زوجة السلطان والى جميع الخواتين وعاد السلطان من الصيد بعد ذلك

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ولد للسلطان ابن من تركان خاتون وسماه محمودا وهو الذى خطب له بالملكة بعد وفيها اسلم السلطان ملكشاه مدينة حلب والقلعة الى علو كه اقسنقر فوليها وأظهر فيها العدل وحسن السيرة وكان زوج دادة السلطان ملكشاه وهى التى حضنته وتربيه وماتت بحلب سنة أربع وثمانين وفيها استبق ساعيان أحدهما للسلطان فضلى والآخر للامير قاج من عوشى فسبق ساعى السلطان وقد تقدم ذكر الفضلى والمرعوشى أيام معز الدولة بن بويه وفيها جعل السلطان ولى عهده ولده أباشجاع احمد ولقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين وأرسل الى الخليفة بعد مسيره من بغداد ليخطب له ببغداد فخطب له فى شعبان ونثر الذهب على الخطباء وفيها فى شعبان انحدر سعد الدولة كوهرائين الى واسط لمحاربة مهذب الدولة ابن أبى الجبر صاحب البطائح ولما فارق بغداد كثرت فيها الفتن وفيها فى ذى القعدة ولد للخليفة من ابنة السلطان ولد سماه جعفرا وكناه أبا الفضل وزين البلد لاجل ذلك وفيها استولى العميد كمال الملك أبو الفتح الدهستانى عميد العراق على مدينة هيت اخذها صلحا ومضى اليها وعاد عنها فى ذى القعدة وفيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وغيرها من المحال قتل فيها كثير من الناس وفيها كسفت الشمس كسوفا كليا وفيها توفى الامير أبو منصور تتلغ أمير الحاج وحج أميرا اثنتى عشرة سنة وكانت له فى العرب عدة وقعات وكانوا يخافونه ولما مات قال نظام الملك مات اليوم الف رجل وولى امارة الحاج نجم الدولة خمارتكين وفيها فى جمادى الاولى توفى اسمعيل بن عبد الله بن موسى بن سعد أبو القاسم الساوى سمع الحديث الكثير من أبى سعد الصيرفى وغيره وروى عنه الناس وكان ثقة وطاهر بن الحسين أبو الوفا البندنيجى الهمذانى كان شاعرا اديبا وكان يمدح لا لعرض الدنيا ومدح نظام الملك بقصيدتين كل واحدة منهما تزيد على أربعين بيتا احداهما ليس فيها نقطة والاخرى جميع حروفها منقوطة وفيها توفيت فاطمة بنت على المؤدب المعروفة بنت الاقرع الكاتبة كانت من أحسن الناس خطا على طريقة ابن البواب وسمعت الحديث واسمعته وفيها فى ذى القعدة توفى غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابى صاحب التاريخ وظهر له مال كثير وكان له معروف وصدقة

(ثم دخلت سنة احدى وثمانين وأربعمائة)

*(ذكر الفتنة ببغداد)*

فى هذه السنة فى صفر شرع أهل باب البصرة فى بناء القنطرة الجديدة ونقلوا الآجر فى اطباق الذهب والفضة وبين أيديهم الدبادب واجتمع اليهم أهل المحال وكثر عندهم أهل باب الازج فى خلق لا يحصى واتفق ان كوهرائين سار فى سميريته وأصحابه يسيرون على شاطئ دجلة بشرة فوقف أهل باب الازج على امرأة كانت تسقى الناس من مزملة لها على دجلة فحملوا عليها على عادة لهم وجعلوا يكسرون الجرار ويقولون الماء السبيل فلما رأت سعد الدولة كوهرائين

التعرض لنكر والنوائب * والضلك بمحذور العواقب * فرأى أن قبول الضيم على السلامة من لواحق الآفات أقرب الى الصواب * وأبعد من المعاب * ودعا الرسول فاستقاله عثرة ما أسلفه وعرض صدق الطاعه * مشفوعا بشرط الخشوع والضراعه * وقال انما أنا نبعة غرسها السلطان بيده وسقاها ماء كرمه فله المشيئة فى استبقائها للاثماره او اقتلاعها والقائها على النار * وصرفه على جملة الطاعه * ولين المقادة والبدار الى حيث يحمل اليه من ديار المملكة وتلطف لتسكين من كان يثق بذروته من أهل بيته وأوليائه * بتسويله واغوائه * فعل من استشف بصيرته أستار المغايب * واتقى غرره فى تجارات التجارب * ونهض الى قهستان منتظرا ما يستأنف به أمره * ويقرر عليه تدبيره * الى أن رمى به فى نحر خلف بن أحمد لاعضال دائه * وتحير العساكر طول أيام ما عنائه * فبادر الى نهستان وبينه وبين خلف

استغاثت به فامر بابعادهم عنها فضربهم الاتراك بالمقارع فسل العامة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان وهو أخص أصحابه فسقط عن الفرس فحمل كوهرائين الحنق على ان خرج من السميرية اليهم راجلا فحمل أحدهم عليه فطعنه باسفل رمحه فألقاه فى الماء والطين فحمل أصحابه على العامة فقاتلوهم وحرصوا على الظفر بالذى طعنه فلم يصلوا اليه وأخذ ثمانية نفر فقتل أحدهم وقطع اعصاب ثلاثة نفر وأرسل قباءه الى الديوان وفيه أثر الطعنة والطين يشتفرعلى اهل باب الازج ثم ان أهل الكرخ عقدوا الانقسم طاقا آخر على باب طاق الحرانى وفعلوا كفعل اهل باب البصرة

*(ذكر اخراج الاتراك من حريم الخلافة)*

فى هذه السنة فى ربيع الآخر أمر الخليفة باخراج الاتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة وسبب ذلك ان تركيا منهم اشترى من طواف فاكهة فما كسا فشتم الطواف التركى فاخذ التركى صنجة من الميزان وضرب بها رأس الطواف فشجه فاجتمعت العامة وكاد يكون بينهم وبين الاتراك شر واستغاثوا وشنعوا فامر الخليفة باخراج الاتراك فأخرجوا عن آخرهم فى ساعة واحدة على أقبح صورة وقت العشاء الآخرة

*(ذكر ملك الروم مدينة زويلة وعودهم عنها)*

فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من افريقية وهى بقرب المهدية وسبب ذلك ان الامير تميم ابن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم فى البحر فخربها وشتت أهلها فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على انشاء الشوانى لغزو المهدية ودخل معهم البيسانيون والجنويون وهما من الفرنج فاقاموا يعمرون الاسطول أربع سنين واجتمعوا بجزيرة قوصرة فى اربعمائة قطعة فكتب اهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة فاراد تميم ان يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الاسطول الذى له ليمنعهم من النزول فنعه من ذلك بعض قواده اسمه عبد الله بن منكوت لعداوة بينه وبين المهر فجاءت الروم وارسوا وطلعوا الى البر ونهبوا وخربوا وأحرقوا ودخلوا زويلة ونهبوها وكانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار ورد جميع ما حووه من السبى وكان تميم يبذل المال الكثير فى الغرض الحقير فكيف فى الغرض الكبير حكى عنه انه بذل للعرب لما استولوا على حصن له يسمى قناطة ليس بالعظيم اثنى عشر ألف دينار حتى هدمه فقيل له هذا سرف فى المال فقال هو شرف فى الحال

*(ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور)*

فى هذه السنة مات الناصر بن علناس بن حماد وولى بعده ابنه المنصور فاقتفى آثار أبيه فى الحزم والعزم والرياسة ووصله كتب الملوك ورسلهم بالتعزية بابيه والتهنئة بالملك منهم يوسف بن تاشفين وتميم بن المعز وغيرهما

*(ذكر وفاة ابراهيم ملك غزنة وملك ابنه مسعود)*

فى هذه السنة توفى الملك المؤيد ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة وكان عادلا كريما مجاهدا وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل الينا وكان عاقلا ذا راى متين فمن آرائه ان

---

مودة * وأسباب على الايام مؤكدة * فافتتح الرأى عليه بالنزول للحسين بن طاهر عن متحصنه * والانتقال الى غيره من معاقله * ليتسبب هو ومن كان من قبل محدقا به من أولياء تلك الدولة الى الانصراف عن جنابه بعد الافتتاح * وظاهر النجاح * فاذا خلا وجهه له ثنى العنان اليه منتصفا منه وممضيا حكمه فيه فقبل مشورته وفارق أرك الى حصار الطاق حتى دخلها أبو الحسن بن سيمجور وخطب فى الجمعة بها مقيما رسم الخطبة للامير الرضى وطالعه بذكر ما فتح الله على يده * وسناه من رتاج ذلك الامر بجده وجهده * ورتب الحسين بها أميرا * وقرر أعمالها عليه تقريرا * وانصرف هو وراءه وسنورد ما جرى من أمره من بعد فى موضعه ان شاء الله تعالى

* (ذكر حسام الدولة أبى العباس تاش الحاجب وانتقال السلارية اليه)*

ثم سير أبو العباس تاش من بخارا الى نيسابور على

السلطان ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غزنة ونزل باسفراز فكتب ابراهيم بن مسعود كتابا الى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم ويعتذر اليهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده ليتم لنا ما استقر بيننا من القبض عليه وتخليصهم من يده ويعدهم الاحسان على ذلك وأمر القاصد بالكتب أن يتعرض لملكشاه في الصيد ففعل ذلك فأخذ واحضر عند السلطان فسأله عن حاله فأنكره فأمر السلطان بجلده فجلد فدفع الكتب اليه بعد جهد ومشقة فلما وقف ملكشاه عليها تخيل من امرائه وعاد ولم يقل لاحد من امرائه في هذا الامر شيئا خوفا ان يستوحشوا منه وكان يكتب بخطه كل سنة مصحفا ويبعثه مع الصدقات الى مكة وكان يقول لو كنت موضع أبي مسعود وبعد وفاة جدي محمود لما انفصمت عرى مملكتنا ولكني الآن عاجز عن أن استرد ما أخذوه واستولى عليه اولا قد انبسطت ممالكهم وعظمت عساكرهم ولما توفي ملك بعده ابنه مسعود ولقبه جلال الدين وكان قد زوجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه وأخرج نظام الملك في هذا الاملاك والزفاف مائة ألف دينار

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة حج الوزير أبو شجاع وزير الخليفة واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور وتقلد النقابة طراد بن محمد الزينبي وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحاج من الخفارة وفيها جمع آقسنقر صاحب حلب عسكره وسار الى قلعة شيزر فحصرها وصاحبها ابن منقذ وضيق عليها ونهب ربضها ثم صالحه صاحبها وعاد الى حلب وفيها توفي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصمد ابن أبي الفضل الغورجي الهروي والقاضي محمود بن محمد بن القاسم أبو عامر الازدي المهلبي راويا جامع الترمذي عن أبي محمد الجراحي رواه عنهما أبو الفتح الكروخي وتوفي عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو اسمعيل الانصاري الهروي شيخ الاسلام ومولده سنة ست وتسعين وثلثمائة وكان شديد التعصب في المذاهب ومحمد بن اسحق بن ابراهيم بن مخلد الباقرحي ومولده في شعبان وهو من أهل الحديث والرواية وفي المحرم توفيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودفنت عند قبر أحمد وكانت ترجع الى دين ومعروف كثير لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت وفي شعبان توفي عبد العزيز الصحراوي الزاهد وفيها توفي الملك أحمد بن السلطان ملكشاه بمرو وكان ولي عهد أبيه في السلطنة وكان عمره احدى عشرة سنة وجلس الناس ببغداد للعزاء سبعة أيام في دار الخلافة ولم يركب أحد فرسا وخرج النساء ينحن في الاسواق واجتمع الخلق الكثير في الكرخ للتفرج والمناحات وسود أهل الكرخ أبواب عقودهم اظهارا للحزن به

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة)

*(ذكر الفتنة ببغداد بين العامة)*

في هذه السنة في صفر كبس أهل باب البصرة الكرخ فقتلوا رجلا وجرحوا آخر فأغلق أهل الكرخ الاسواق ورفعوا المصاحف وحملوا ثياب الرجلين وهي بالدم ومضوا الى دار العميد كمال الملك أبي الفتح الدهستاني مستغيثين فأرسل الى النقيب طراد بن محمد يطلب منه احضار القاتلين فقصد طراد دار الامير بوزان بقصر ابن المأمون فطالبه بوزان بهم ووكل به فأرسل الخليفة الى بوزان يعرفه حال النقيب طراد ومحله ومنزلته فخلى سبيله واعتذر اليه فسكن

قيادة الجيوش وزعامة العساكر وتدبير القاصي والداني من أمور الممالك ووصل جناحه بفائق الخاصة ونصر بن طز الشرابي وبغراتك على فخامة أخطارهم وجلالة أقدارهم وسير تحت رايته أعيان الاولياء والحشم بعد أن ازيحت علته فيما شاء واقترح من الاموال والاسلحة والعتاد والعدة فوردها سنة احدى وسبعين وثلثمائة في آلة راعت الابصار وهيئة أعجبت النظار وجيوش شحنت الجوانب والاقطار وتدبر الامور بصرامته وتقلم المنثور بفرط حراسته والقبائل ويرتق بسياسته وزعامته ووافق تلك الايام انقطاع شمس المعالي قابوس بن وشمكير وفخر الدولة أبي الحسن علي بن بويه الى نيسابور عن حرب جرت بين مؤيد الدولة بويه وبينهما وسببها ان عضد الدولة أبا شجاع كان قصد فخر الدولة وهو أخوه لابلائه عن ولايته التي

العميد كمال الملك الفتنة وكف الناس بعضهم عن بعض ثم سار الى السلطان فعاد الناس الى ما كانوا فيه من الفتنة ولم ينقض يوم الا عن قتلى وجرحى

## *(ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر)*

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وسبب ذلك ان سمرقند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان أخو شمس الملك الذي كان قبله وهو ابن أخي تركان خاتون زوجة السلطان ملكشاه وكان صبيا ظالما قبيح السيرة يكثر مصادرة الرعية فنفروا منه وكتبوا الى السلطان سرا يستغيثون به ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم وحضر الفقيه أبو طاهر بن علك الشافعي عند السلطان شاكيا وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله فاظهر السفر للتجارة والحج فاجتمع بالسلطان وشكا اليه وأطمعه في البلاد فتحركت دواعي السلطان الى ملكها فسار من اصبهان وكان قد وصل اليه وهو فيها رسول ملك الروم ومعه الخراج المقرر عليه فاخذه نظام الملك معهم الى ما وراء النهر وحضر فتح البلاد فلما وصل الى كاشغر اذن له نظام الملك في العود الى بلاده وقال أحب ان نذكر عنا في التواريخ ان ملك الروم حمل الجزية واوصلها الى باب كاشغر لينهي الى صاحبه سعة ملك السلطان ليعظم خوفه منه ولا يحدث نفسه بخلاف الطاعة وهذا يدل على همة عالية تعلو على العيوق ولما سار السلطان من اصبهان الى خراسان جمع العساكر من البلاد جميعها فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان ولا تدخل تحت الاحصاء فلما قطع النهر قصد بخارا وأخذ ما على طريقه ثم سار اليها وملكها وما جاورها من البلاد وقصد سمرقند ونازلها وكانت الملطفات قد قدمها الى أهل البلد يعدهم النصر والخلاص مما هم فيه من الظلم وحصر البلد وضيق عليه وأعانه أهل البلد بالاقامات وفرق احمد خان صاحب سمرقند ابراج السور على الامراء ومن يثق اليه من أهل البلد وسلم برجا يقال له برج العيار الى رجل علوي كان مختصا به فنصح في القتال فاتفق ان ولدا لهذا العلوي أخذ اسيرا ببخارا فهدد الاب بقتله فتراخى عن القتال فسهل الامر على السلطان ملكشاه ورمى من السور عدة ابراج بالمنجنيقات وأخذ ذلك البرج فلما صعد عسكر السلطان الى السور هرب أحمد خان واختفى في بيوت بعض العامة فغمز عليه وأخذ وحمل الى السلطان وفي رقبته حبل فاكرمه السلطان واطلقه وأرسله الى اصبهان ومعه من يحفظه ورتب بسمرقند الامير العميد أبا طاهر عميد خوارزم وسار السلطان قاصدا الى كاشغر فبلغ الى يوزكند وهو بلد يجري على بابه نهر وأرسل منها رسلا الى ملك كاشغر يامره باقامة الخطبة وضرب السكة باسمه ويتوعده ان خالف بالمسير اليه ففعل ذلك وأطاع وحضر عند السلطان فاكرمه وعظمه وتابع الانعام عليه واعاده الى بلده ورجع السلطان الى خراسان فلما ابعد عن سمرقند لم يتفق أهلها وعسكرها المعروفون بالجكلية مع العميد أبي طاهر نائب السلطان عندهم حتى كادوا يثبون عليه فاحتال حتى خرج من عندهم ومضى الى خوارزم

## *(ذكر عصيان سمرقند)*

كان مقدم العسكر المعروف بالجكلية واسمه عين الدولة قد خاف السلطان لهذا الحادث فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وملكته تعرف بآب نباشي وبيده قلعتها واستحضره فحضر عنده

كان ابوه ركن الدولة اوصى بهما وعقد الوثيقة على كل منهما به على الجملة التي اشار اليها ابو اسحق الصابي في كتابه المعروف بالتاجي ودبر ودس الى اهل عسكره من استمالهم عنه واغراهم به فلما ناهضه وهو اذ ذاك بهمذان وتدانت الخطا بينهما اخفت معظم جيوشه الى عضد الدولة مستأمنين* وولوا اعقاب الغدر هاربين* فلما آنس خذلانهم اياه* وكفرانهم نعماه* وبالامس ما قد رأى ابن عمه بختيار كيف قطع رحمه* واراق دمه* خالفهم الى طريق الديلم هائما على وجهه* وناجيا بحشاشة نفسه* ومتقيا بركوب شعابها المطربة* وآجامها الاشبة ما حاذره من مس الطلب* وركض الاكراد والعرب* وتوغل تلك البلاد طاويا مسافتها الى جرجان حتى الم بشمس المعالي قابوس ابن وشمكير لاجئا اليه ومستأمنا اياه* فآمنه وآواه* ومهد له ذراه* واعطاه فوق ما تمناه*

بسمرقند واتفقا ثم ان يعقوب علم ان أمره لا يستقيم معه فوضع عليه الرعية الذين كان اساء اليهم حتى ادعوا عليه دماء قوم كان قتلهم واخذ الفتاوى عليه وقتله فاتصلت الاخبار بالسلطان ملكشاه بذلك فعاد الى سمرقند

## (ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني)

لما اتصلت الاخبار بعصيان سمرقند بالسلطان ملكشاه وقتل عين الدولة مقدم الجكلية عاد الى سمرقند فلما وصل الى بخارا هرب يعقوب المستولي على سمرقند ومضى الى فرغانة ولحق بولايته ووصل جماعة من عسكره الى السلطان مستأمنين فلقوه بقرية تعرف بالطواويس ولما وصل السلطان الى سمرقند ملكها ورتب بها الامير ابر وسار في أثر يعقوب حتى نزل بيوزكند وأرسل العساكر الى سائر الاكناف في طلبه وارسل السلطان الى ملك كاشغر وهو اخو يعقوب ليبذل أمره ويرسله اليه فاتفق ان عسكر يعقوب شغبوا عليه ونهبوا خزائنه واضطروه الى ان هرب على فرسه ودخل الى أخيه بكاشغر مستجيرا به فسمع السلطان بذلك فارسل الى ملك كاشغر يتوعده ان لم يرسله اليه ان يقصد بلاده ويصير هو العدو فخاف ان يمنع السلطان وانف ان يسلم اخاه بعد ان استجار به وان كانت بينهما عداوة قديمة ومنافسة في الملك عظيمة لما يلزمه فيه العار فأداه اجتهاده الى ان قبض على أخيه يعقوب واظهر انه كان في طلبه فظفر به وسيره مع ولده وجماعة من أصحابه ووكلهم بيعقوب وارسل معهم هدايا كثيرة للسلطان وامر ولده انه اذا وصل الى قلعة بقرب السلطان ان يسمل يعقوب ويتركه فان رضي السلطان بذلك والا سلمه اليه فلما وصلوا الى القلعة عزم ابن ملك كاشغر ان يسمل عمه وينفذ فيه ما أمره به أبوه فتقدم فكتفه والقاه على الارض فشعروا بذلك فيما هم على تلك الحال وقد احموا الميل ليسملوه اذ سمعوا ضجة عظيمة فتركوه وتشاوروا بينهم وظهر عليهم انكسار ثم أرادوا بعد ذلك سمله ومنع منه بعض فقال لهم يعقوب اخبروني عن حالكم وما يفوتكم الذي تريدونه مني واذا فعلتم بي شيئا رغبتم ندمتم عليه فقيل له ان طغرل بن ينال امير من غاتين فرسخا في عشرات الوف من العساكر وكبس الملك بكاشغر فاخذه أسيرا ونهب عسكره وعاد الى بلاده فقال لهم هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس مما تتقربون به الى الله تعالى وانما تفعلونه اتباعا لامر أخي وقد زال أمره ووعدهم الاحسان فاطلقوه فلما رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينال ومسيره الى كاشغر وقبض صاحبها وملكه لها مع قربه منه خاف ان يفعل بعض امره ويزول هيبته وعلم انه متى قصد طغرل سار من بين يديه فان عاد عنه رجع الى بلاده وكذلك يعقوب اخو صاحب كاشغر وانه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وشوق المرتبين بها فوضع تاج الملك على ان يسعى في اصلاح امر يعقوب معه فيفعل ما أمره به السلطان فاتفق هو ويعقوب وعاد الى خراسان وجعل يعقوب مقابل طغرل يمنعه من القوة وملك البلاد وكل منهما يقوم في وجه الآخر

## (ذكر عود ابنة السلطان زوجة الخليفة الى أبيها)

وفي هذه السنة أرسل السلطان الى الخليفة يطلب ابنته طلبا لا بد منه وسبب ذلك انها أرسلت تشكو من الخليفة وتذكر انه كثير الاطراح لها والاعراض عنها فاذن لها في المسير فسارت في ربيع الاول وسار معها ابنها من الخليفة أبو الفضل جعفر بن المقتدي بامر الله ومعهما اسبار

واشركم فيما ملكت يداه حتى جعل الملك وهو العلق الذي طالما ضنت النفوس بابتذاله وقاية له دون من هم باغتياله وسعى له في استفساده وبيان ذلك ان عضد الدولة ومؤيدها ارسلا رسولا اليه يبتزانه على شرط اموال تحمل اليه وولايات عريضة تضاف الى ما في يديه وعلى مواثيق تستأنف في التعاقد على الصفاء والتعاون في حالتي السراء والضراء فرجع اليهما ان الرياء رحم والوفاء كرم وان للامان عنده حرمة لا يرى اخفارها في دين المروة وشرط الحفاظ والفتوة وعيا لوهيم به او كادان تأتي عليه بيض المواضي وزرق الاسنة والعوالي فاحفظهما هذا الجواب وحرضهما على مكاشفته وانتزاع مملكته من يده وكتب ابو شجاع الى اخيه مؤيد الدولة يناهضه بعد ان امتد

أرباب الدولة ومشى مع محفتها سعد الدولة كوهرائين وخدم دار الخلافة الأكابر وخرج الوزير وشيعهم الى النهروان وعاد وسارت الخاتون الى اصبهان فاقامت بها الى ذي القعدة وتوفيت وجلس الوزير ببغداد للعزاء سبعة ايام وأكثر الشعراء مراثيها ببغداد وبعسكر السلطان

(ذكر فتح عسكر مصر عكا وغيرها من الشام)*

في هذه السنة خرجت عساكر مصر الى الشام في جماعة من المقدمين فحصروا مدينة صور وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل وامتنع عليهم ثم توفي و وليها أولاده فحصرهم العسكر المصري فلم يكن لهم من القوة ما يمتنعون به فسلموها اليهم ثم سار العسكر عنها الى مدينة صيدا ففعلوا بها كذلك ثم ساروا الى مدينة عكا فحصروها وضيقوا على أهلها فافتتحوها وقصدوا مدينة جبيل فملكوها أيضا وأصلحوا أحوال هذه البلاد وقرروا قواعدها وساروا عنها الى مصر عائدين واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الامراء والعمال

*(ذكر الفتنة بين أهل بغداد ثانية)*

وفي هذه السنة في جمادى الاولى كثرت الفتن ببغداد بين أهل الكرخ وغيرها من المحال وقتل بينهم عدد كثير واستولى اهل المحال على قطعة كبيرة من نهر الدجاج فنهبوها وأحرقوها فنزل شحنة بغداد وهو خمارتكين النائب عن كوهرائين على دجلة في خيله و رجله ليكف الناس عن الفتنة فلم ينتهوا وكان أهل الكرخ يجرون عليه وعلى أصحابه الجرايات والاقامات وفي بعض الايام وصل أهل باب البصرة الى سويقة غالب فخرج من أهل الكرخ من لم تجر عادته بالقتال فقاتلوهم حتى كشفوهم فركب خدم الخليفة والحجاب والنقباء وغيرهم من أعيان الحنابلة كابن عقيل والكلوذاني وغيرهما الى الشحنة وساروا معه الى اهل الكرخ فقرأ عليهم مثالا من الخليفة يأمرهم بالكف ومعاودة السكون وحضور الجماعة والجمعة والتدين بمذهب اهل السنة فاجابوا الى الطاعة فبينما هم كذلك اتاهم الصارخ من نهر الدجاج بان اهل السنة قد قصدوهم والقتال عندهم فضوا مع الشحنة ومنعوا من الفتنة وسكن الناس وكتب اهل الكرخ على ابواب مساجدهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن عند هذا اليوم ثار اهل الكرخ وقصدوا شارع ابن ابي عوف ونهبوه وفي جملة ما نهبوا دار ابي الفضل بن خيرون المعدل فقصد الديوان مستنفرا ومعه الناس ورفع العامة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته واكثروا من الكلام الشنيع وقتل ذلك اليوم رجل هاشمي من أهل باب الازج بسهم اصابه فثار العامة هناك بعلوي كان مقيما بينهم فقتلوه وحرقوه وجرى من النهب والقتل والفساد امور عظيمة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فارسل عسكرا الى بغداد فطلبوا المفسدين والعيارين فهربوا منهم فهدمت دورهم وقتل منهم ونفي وسكنت الفتنة وامن الناس

*(ذكر حيلة لامير المسلمين ظهرت ظهورا غريبا)*

كان بالمغرب انسان اسمه محمد بن ابراهيم الكزولي سيد قبيلة كزولة وما لك جبلها وهو جبل شامخ وهي قبيلة كبيرة و بينه و بين امير المسلمين يوسف بن تاشفين مودة واجتماع فلما كان هذه السنة ارسل يوسف الى محمد بن ابراهيم يطلب الاجتماع به فركب اليه محمد فلما قاربه خانه على

بما فوق الحاجة من بهم الرجال * ونفائس الاموال * فبرز من الري متوجها نحو جرجان * في جيوش الديلم والترك والعرب وسار الى أستراباذ متغلبا على كل ما يرده من بلاد طبرستان الى ان اناخ بها وكان شمس المعالي قابوس ابن وشمكير بادره اليها وجمع عسكره بها فالتقيا وتناوشا الحرب من لدن طلوع الشمس الى الزوال * حتى احمر بساط الارض من دماء الابطال * ثم اتجهت على عسكر الجبل كشفة اعياهم ضبطها الزوال الاقدام عن المقام * فتفرقت جموعهم في خمر الغياض والآجام * وعطف شمس المعالي الى بعض قلاعه المشحونة بذخائر امواله * واستظهر عنها بالاهبة للغربة وسار نحو نيسابور فلما وردها لحق به فخر الدولة من طريق استو فالتقيا هنالك واجتمع اليهما من فرقتهم الكشفة في الطرق المختلفة من طبقات الرجال * وكتب الى الامير ابي القاسم نوح

ثقتـه فعاد الى جبله واحتاط لنفسه فكتب اليه يوسف وحلف له انه ما اراد به الا الخير . . .
نفسه بعد ذلم يركن محمد اليه فلما يوسف حماما واعطاه مائة دينار وضمن له مائة دينار اخرى
ان هو سار الى محمد بن ابراهيم واحتال على قتله فسار الحمام ومعه مشاربط حجمه فسعد الجبل
فلما كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مكان محمد فسمع محمد الصوت فقال هذا
الحمام من بلدنا فقيل انه غريب فقال اراه بكرا الصباح وقد ارتبت بذلك اتيولي به فاحضر
فاستدعى حماما آخر وامره ان يحجمه بمشاريطه التي معه فامتنع الحمام الغريب فاستكره
.. تعجب الناس من فطنته فلما بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه ولج في السعي في اذى يوصله اليه
فاستمال قوما من اصحاب محمد فمالوا اليه فارسل اليهم جرارا من عسل مسموم فحضروا ...
لقد وصل الينا قوم معهم جرار من عسل احسن ما يكون واردنا اتحافك به واحضروها بين
يديه فلما رآها امر باحضار خبز وامر اولئك الذين اهدوا اليه العسل ان يأكلوا امامه فامتنعوا
استعفوا من اكله فلم يقبل منهم وقال من لم يأكل قتل بالسيف فأكلوا فماتوا عن آخرهم
الى يوسف بن تاشفين انك قد اردت قتلي بكل وجه فلم يظفرك الله بذلك فكف عن شرك
فقد اعطاك الله المغرب باسره ولم يعطني غير هذا الجبل وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور
الاسود فلم تقنع بما اعطاك الله عز وجل فلما رأى يوسف ان سره قد انكشف وانه لا يمكنه
الامر في محاصرته جبله اعرض عنه وتركه

*(ذكر ملك العرب مدينة سوسة واخذها منهم)*

في هذه السنة نقض ابن علوي ما بينه وبين تميم بن المعز بن باديس امير افريقية من
الصلح وجمع من عشيرته العرب ووصل الى مدينة سوسة من بلاد افريقية واهلها غارون فلم يعلموا به
فدخلها عنوة وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامة قتال فقتل من الطائفتين جماعة
وكثر القتل في اصحابه والاسر وعلم انه لا يتم له مع تميم حال ففارقها وخرج منها الى حلته في
الصحراء وكان بافريقية هذه السنة غلاء شديد وبقي كذلك الى سنة اربع وثمانين
الى اهلها واخصبت البلاد ورخصت الاسعار واكثر اهلها الزرع

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة قطعت الحرامية الطريق على قفل كبير بولاية حلب فركب قسيم الدولة في جماعة
وتبعهم ولم يزل حتى اخذهم وقتلهم فامنت الطرق بولايته وفيها ورد العميد الاعز
ابو المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني الى بغداد عميدا وعزل اخوه كمال الملك على ما ذكرنا
... من الامام ابو بكر الشاشي في المدرسة التي بناها تاج الملك مستوفي ال...
... من بغداد وهي المدرسة التاجية المشهورة وفيها عمرت منارة جامع حلب وفيها توفي
الخطيب ابو عبد الله الحسين بن احمد بن عبد الواحد بن ابي الحديد السلمي خطيب دمشق في
الحجة وفيها توفي احمد بن محمد بن صاعد بن محمد ابو نصر النيسابوري رئيسها ومولده
واربعمائة وكان من العلماء وعاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم العاصمي البغدادي من
اهل الكرخ كان ظريفا كيسا له شعر حسن فمنه

ماذا على متلون الاخلاق * لو زارني فابثه اشواقي

ابن منصور والي خراسان بما له سابق قصد دولته * وتأميل الانتعاش بعونه ونصرته * واقتضاك ما غصبا عليه من الولايات بعزد عونه * فوردهما من الجواب الشامل للايجاب ما شرح صدورهما * وشد بالنجح القريب ظهورهما * وكتب الى ابي العباس تاش باجلال محلهما * واكبار قدرهما * واكرام مثواهما * وتقديم الاحتشاد لردهما * الى ديارهما * ففعل ما رسم * وتلقى بالامتثال ما حتم * وعطفت اليه اعنة الخيول من كل اوب * حتى استظهر بغضب الرجال * وعزم على الارتحال * ونهض من نيسابور قاصدا قصد جرجان اذ كان مؤيد الدولة بها ينتزع ولاية الامير شمس المعالي اولا من يده * ثم يتفرغ من التدبير فيه الى غيره * وعن له ان يسرح فائقا على سمت قومس والري ليقطع الامداد والمواد عنه * ويلبس اخبار تلك الديار عليه فيزيد شغل قلبه بتوجه الجيوش اليه

وابوح بالشكوى اليه تذللا * وافض ختم الدمع من آماق
فعساه يسمح بالوصال لمدنف * ذى لوعة وصبابة مشتاق
امر الفؤاد ولم يرق لموثق * ما ضره لو جاد بالاطلاق
ان كان قد ابست عقارب صدغه * قلبي فان رضابه درياق

وقال ايضا

فديت من ذبت شوقا من محبته * وصرت من هجره فوق الفراش لقا
معتنه يتغنى وهو مصطبح * افديه مصطبحا منه ومغتبقا
واشبهتنا ابنة البكرى ما وعدت * واشبه الحبل منها واهيا خلقا

والصحيح انه توفى سنة ثلاث وثمانين وفيها فى جمادى الآخرة توفى الشريف ابو القاسم العلوى الدبوسى المدرس بالنظامية ببغداد وكان فاضلا فصيحا

*(ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين واربعمائة)*

*(ذكر وفاة فخر الدولة ابى نصر بن جهير)*

فى هذه السنة فى المحرم توفى فخر الدولة ابو نصر محمد بن محمد بن جهير الذى كان وزير الخليفة بمدينة الموصل ومولده بها سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وتروج الى ابى العقارب شيخها ونظر فى املاك جارية قرواش المعروفة بسرهنك ثم خدم بركة بن المقلد حتى قبض على اخيه قرواش وحنبه ومضى بهدايا الى ملك الروم فاجتمع هو ورسول نصر الدولة بن مروان فتقدم فخر الدولة عليه فنازعه رسول ابن مروان فقال فخر الدولة لملك الروم انا استحق التقدم عليه لانه صاحبه يؤدى الخراج الى صاحبى فلما عاد الى قريش بن بدران اراد القبض عليه فاستجار بابى الشداد وكانت عقيل تجير على امرائها وسار الى حلب فوزر لمعز الدولة ابى ثمال بن صالح ثم مضى الى ملطية ومنها الى ابن مروان فقال له كيف امنتنى وقد فعلت برسولى ما فعلت عند ملك الروم فقال حملنى على ذلك نصح صاحبى فاستوزره فعمر بلاده ووزر بعد نصر الدولة لولده ثم سار الى بغداد وولى وزارة الخليفة على ما ذكرناه وتولى اخذ ديار بكر من بنى مروان على ما ذكرناه ايضا ثم اخذها منه السلطان فسار الى الموصل فتوفى بها

*(ذكر نهب العرب البصرة)*

وفى هذه السنة فى جمادى الاولى نهب العرب البصرة نهبا قبيحا وسبب ذلك انه ورد الى بغداد فى بعض السنين رجل اشقر من سواد النيل يدعى الادب والنجوم ويستجدى الناس فلقبه اهل بغداد تليا وكان نازلا فى بعض الخانات فسرق ثيابا من الديباج وغيره واخفاها فى خلفا وسار بها فرآها الذين يحفظون الطريق فمنعوه من السفر اتهاما له وحملوه الى المقدم عليهم فاطلقه لحرمة العلم فسار الى امير من امراء العرب من بنى عامر وبلاده متاخمة الاحساء وقال له انت تملك الارض وقد فعل اجدادك بالحاج كذا وكذا وافعالهم مشهورة مذكورة فى التواريخ وحسن له نهب البصرة واخذها فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل وقصد البصرة وبها العميد عصمة وليس معه من الجند الا اليسير لكون الدنيا آمنة من ذاعر ولان الناس فى جنة من هيبة السلطان فخرج اليهم فى اصحابه ونازلهم ولم يمكنهم من دخول البلد فاتاهم من

من وجهين * واسداقهم به من جانبين * فنهض على السمت المذكور * ثم بدا له فيما دبر ورأى ان التحزب للاستظهار على الوجه الواحد اصوب * والى الحزم والاحتياط اقرب * واسترده من وجهه الى آزاذوار فاجتمعا على التظافر * واتفقت آراؤهم على التساير * وسار حسام الدولة تاش فى تلك العساكر الى باب جرجان وفيهم شمس المعالى وفخر الدولة حتى اناخوا بظاهرها * وتحصن مؤيد الدولة بويه بها * واحتجز بخندق قعره * ومخترق غوره * وفروج للبلد حصنها * ودروب بحفظة الرجال شحنها * ومادهم الحرب حتى غبر شهران كيوم واحد فى مداومة الكفاح * وملازمة السلاح * وضاق الطعام فى ربض جرجان حتى اعيا الديلم قوتهم * الذى يحفظ على الثبات قوتهم * فكانوا يرزؤن من نخالة الشعير المعجونة بالطين ويهدى بهم يدرجون كتبهم الى اهاليهم بالرى اشباه القرابيج فيها

اخبروا ان اهل البلد يريدون ان يسلموه الى العرب فخاف نفارقهم وقصدا الجزيرة التى هى مكان القلعة بنهر معقل فلما علم اهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا ودخل العرب حينئذ البصرة وقد قويت نفوسهم وملكوها ونهبوا ما فيها نهبا شنيعا فكانوا ينهبون نهارا واصحاب العميد عصمة ينهبون ليلا واحرقوا مواضع عدة وفى جملة ما احرقوا دارين للكتب احداهما وقفت قبل ايام عضد الدولة بن بويه فقال عضد الدولة هذه مكرمة سبقنا اليها وهى اول دار وقفت فى الاسلام والاخرى وقفها الوزير ابو منصور بن شاه مردان وكان بها نفائس الكتب واعيانها واحرقوا ايضا النحاسين وغيرها من الاماكن وخربت وقوف البصرة التى لم يكن لها نظير من جملتها وقوف على الجمال السائرة على شاطئ دجلة وعلى الدواليب التى تحمل الماء وترقيه الى قنى الرصاص الجارية الى المصانع وهى على فراسخ من البلد وهى من عمل محمد بن سليمان الهاشمى وغيره وكان فعل العرب بالبصرة اول خرق جرى فى ايام السلطان ملكشاه فلما فعلوا ذلك وبلغ الخبر الى بغداد انحدر سعد الدولة كوهرائين وسيف الدولة صدقة بن مزيد الى البصرة لاصلاح امورها فوجدوا العرب قد فارقوها ثم ان تليا اخذ بالبحرين وارسل الى السلطان فشهر ببغداد سنة اربع وثمانين على جمل وعلى رأسه طرطور وهو يصفع بالدرة والناس يشتمونه ويسبونه ثم أمر به فصلب

## (ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة قدم الامام أبو عبد الله الطبرى بغداد فى المحرم بمنشور من نظام الملك بتوليه تدريس المدرسة النظامية ثم ورد بعده فى شهر ربيع الآخر من السنة أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى وهو أيضا معه منشور بالتدريس فاستقر أن يدرس يوما والطبرى يوما

## (ثم دخلت سنة اربع وثمانين واربعمائة)

## (ذكر عزل الوزير ابى شجاع ووزارة عميد الدولة بن جهير)

فى هذه السنة فى ربيع الاول عزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة وكان سبب عزله ان انسانا يهوديا ببغداد يقال له أبو سعد بن سمحا كان وكيل السلطان ونظام الملك فلقيه انسان يبيع الحصر فصفعه صفعة ازالت عمامته عن رأسه فأخذ الرجل وحمل الى الديوان وسئل عن السبب فى فعله فقال هو وضعنى على نفسه فسار كوهرائين ومعه ابن سمحا اليهودى الى العسكر بشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير أبى شجاع فلما سارا خرج توقيع الخليفة بالزام أهل الذمة بالغيار ولبس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهربوا كل مهرب وأسلم بعضهم فممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وابن اخيه ابو نصر هبة الله بن الحسن بن على صاحب الخبر أسلما على يدى الخليفة ونقل أيضا عنه الى السلطان ونظام الملك انه يكسر اغراضهم ويقبح افعالهم حتى انه لما ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال وما هذا مما يبشر به كأنه قد فتح بلاد الروم هل اتى الا الى قوم مسلمين موحدين فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين فلما وصل كوهرائين وابن سمحا الى العسكر وشكيا من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بجميع ما يقول عنهما ويكسر من اغراضهما ارسلا الى الخليفة فى عزله فعزله وأمره بلزوم بيته وكان عزله يوم الاثنين لما

شكوى الحال والهزال * فكانت كافراص الملاد * فى السواد * وزحف الفريقان بعضهم الى بعض وكان فخر الدولة على الميسرة مقابلا لعلى بن كامة صاحب جيوش مؤيد الدولة فاظهر الغناء * واحسن البلاء * وحمل عليه حملة زحزحته عن مقامه كلها * وبارحته الى استراباذ هزيما * ولو أعين بعدد فى المال * لتسع لضيق المجال * وجعلها آخرة القتال * لكن القوم نافسوه * فخذلوه * لاجرم ان كوكبة من كتائب الديلم * عطفت على من تشاغل بالنهب والاغارة من اوباش الخراسانية فطبقوا عليهم حبالة الاسر والحيف * ثم عرضوا عن آخرهم على السيف * وورد بعد ذلك على ابى العباس تاش أبو سعيد الشيبى فى رجال من أجلاد خوارزم وقتا كهاوابناء الشهامة والسهام * فاقتدح الحرب بهم فلم يفضوا ابالهم الا فى مناقص الاشداق * ومواضع النغر والاحداق * وأفشوا القتل والعقر.

أمر بذلك أنشد

نولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

فلما كان الغد يوم الجمعة خرج من داره الى الجامع راجلا واجتمع الخلق العظيم عليه فامر ان لا يخرج من بيته ولما عزل استنيب فى الوزارة أبو سعد بن موصلايا كاتب الانشاء وارسل الخليفة الى السلطان ونظام الملك يستدعى عميد الدولة بن جهير ليستوزره فسير اليه فاستوزره فى ذى الحجة من هذه السنة وركب اليه نظام الملك فهناه بالوزارة فى داره واكثر الشعراء تهنئته بالعود الى الوزارة

*(ذكر ملك امير المسلمين بلاد الاندلس التى للمسلمين)*

فى هذه السنة فى رجب ملك امير المسلمين يوسف بن تاشفين صاحب بلاد المغرب من بلاد الاندلس ماهو بيد المسلمين قرطبة واشبيلية وقبض على المعتمد بن عباد صاحبها وملك غيرها من الاندلس ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الامين محمد بن هرون الرشيد قال أبو بكر عيسى بن اللبانة الدانى من مدينة دانية كنت يوما عند الرشيد بن المعتمد فى مجلس انسه سنة ثلاث وثمانين واربعمائة فجرى ذكر غرناطة وملك امير المسلمين لها وقد ذكرنا اخذها فى وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا للقصر بالدوام وللملك بتراخى الايام فامر عند ذلك ابا بكر الاشبيلى بالغناء فغنى

يادارمية بالعلياء فالسند * أقوت وطال عليها سالف الابد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته ثم أمر بالغناء من ستارته فغنى

ان شئت ان لاترى صبرا لمصطبر * فانظر الى أى حال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد اربداد وجهه وتغيره وأمر مغنية اخرى بالغناء فغنت

بالهف نفسى على مال افرقه * على المقلين من أهل المروآت

ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ماليس عندى من أحدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بأن قلت

محل مكرمة لاهد مبناه * وشمل مأثرة لاشتته الله

البيت كالبيت لكن زاد ذا شرفا * ان الرشيد مع المعتد ركناه

ثاو على أنجم الجوزاء مقعده * وراحل فى سبيل الله مثواه

حتم على الملك ان يقوى وقد وصلت * بالشرق والغرب يمناه ويسراه

بأس توقد فاحمرت لواحظه * ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمرى قد بسطت من نفسه واعدت عليه بعض أنسه على انى وقعت فيما وقع فيه الكل بقولى البيت كالبيت وأمر اثر ذلك بالغناء فغنى

ولما قضينا من منى كل حاجة * ولم يبق الا ان تزم الركائب

فايقنا ان هذه الطير تعقب الغير فلما أراد أمير المسلمين ملك الاندلس سار من مراكش الى سبتة وأقام بها وسير العساكر مع سير بن ابى بكر وغيره الى الاندلس فعبروا الخليج فاتوا مدينة مرسية فملكوها واعمالها واخرجوا صاحبها اباعبد الرحمن بن طاهر منها وساروا الى مدينة شاطبة

فى الديلم يومهم ذلك ولم تزل الحرب تقوم بينهم على ساقها ظاهرة وغبا فينتصف البعض فيها من البعض وكان ابو الفضل الهروى المنجم اشار على مؤيد الدولة بمصابرتهم الى ان يبلغ المريخ درجة الهبوط فيجعلها واحدة عليهم منجيا أو مخففا فأسر ذلك فى نفسه واستعد لوقته فلما كان يوم الاربعاء من شهر رمضان سنة احدى وسبعين وثلثمائة ثار بنفسه وعسكره وعساكر اخيه على اختلاف اجناسهم وكان اهل خراسان يظنون ان حربهم تلك عارض ينقشع * وعن قريب على الرسم فى مثله يندفع * فلما رأوها غماما ركاما * وشاهدوها غراما ولزاما * اقبلوا عليها مضطرين فاذا الامر اد * والخطب جد * والحد حديد * والبأس شديد * وبرز الديلم من وراء الخنادق الى العراء محرجين من جهد البلاء * وضنك البؤس واللاواء * فاستعرت وقدة الحرب * ودارت رحى الطعن والضرب * وتحدث

ومدينة دانية فملكوهما وكانت بلنسية قد ملكها الفرنج قديما بعد ان حصروها سبع سنين فلما
صمموا او قعة الزلاقة فارقوها فملكها المسلمون أيضا وعمروها وسكنوها فصارت الآن للمرابطين
وكانوا قد ملكوا غرناطة عقيب الزلاقة وقصدوا مدينة اشبيلية وبها صاحبها المعتمد بن عباد
فحصروها وضيقوا عليه فقاتل أهلها قتالا شديدا وظهر من شجاعة المعتمد وشدة بأسه
وحسن دفاعه عن بلده ما لم يشاهد من غيره ما يقاربه فكان يلقى نفسه فى المواقف التى لا يرجى
خلاصه منها فيسلم بشجاعته وشدة نفسه ولكن اذا انقضت المدة لم تغن العدة وكانت الفرنج
قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الاندلس فخافوا ان يملكوها ثم يقصدوا بلادهم فجمعوا
فاكثروا وساروا ليساعدوا المعتمد ويعينوه على المرابطين فسمع سير بن أبى بكر مقدم
المرابطين بمسيرهم ففارق اشبيلية وتوجه الى لقاء الفرنج فلقيهم وقاتلهم وهزمهم وعاد الى
اشبيلية فحصرها ولم يزل الحصار دائما والقتال مستمرا الى العشرين من رجب من هذه السنة
فعظم الحرب ذلك اليوم واشتد الامر على أهل البلد ودخله المرابطون من واديه ونهبوا جميع
ما فيه ولم يبقوا على سبد ولا لبد وسلبوا الناس ثيابهم فخرجوا من مساكنهم يسترون
عوراتهم بايديهم وسبى المخدرات وانتهكت الحرمات فاخذ المعتمد اسيرا ومعه اولاده
الذكور والاناث بعد ان استأصلوا جميع مالهم فلم يصحبهم من ملكهم بلغة زاد وقيل ان المعتمد
سلم البلد بامان وكتب نسخة الامان والعهد واستحلفهم به لنفسه واهله وماله وعبيده وجميع
ما يتعلق باسبابه فلما سلم اليهم اشبيلية لم يفوا له وأخذوه اسيرا وما لهم غنيمة وسير المعتمد واهله
الى مدينة اغمات فحبسوا فيها وفعل امير المسلمين بهم افعالا لم يسلكها احد من قبله ولا يفعلها احد
ممن يأتى بعده الا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة وذلك انه سجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم بهم حتى
كان بنات المعتمد يغزلن للناس باجرة ينفقونها على انفسهم وذكر ذلك المعتمد فى ابيات تردعند
ذكر وفاته فابان امير المسلمين بهذا الفعل عن صغر نفس ولؤم قدرة وهذه اغمات مدينة فى سفح
جبل بالقرب من مراكش وسيرد من ذكر المعتمد عند موته سنة ثمان وثمانين ما يعرف به محله
قال ابو بكر بن اللبانة زرت المعتمد بعد اسره باغمات وقلت ابياتا غنند خولى اليمنها

لم اقل فى الثقاف كان ثقافا * كنت قلبا به وكان شغافا
يمكث الزهر فى الكمام ولكن * بعد مكث الكمام يدنو قطافا
واذا ما الهلال غاب بغيم * لم يكن ذلك المغيب انكسافا
* انما انت درة للمعالى * ركب الدهر فوقها اصدافا
حجب البيت منك شخصا كريما * مثل ما يحجب الدنان السلافا
انت للفضل كعبة ولو انى * كنت استطيع لالتزمت الطوافا

قال وجرت بينى وبينه مخاطبات ألذ من غفلات الرقيب واشهى من رشفات الحبيب وادل
على السماح من فجر على صباح ولما أخذ المعتمد وأهله قتل ولداه الفتح ويزيد بين يديه صبرا
فقال فى ذلك

يقولون صبرا لا سبيل الى الصبر * سابكى وابكى ما تطاول من عمرى
أفتح لقد فتحت لى باب رحمة * كما بيزيد الله قد زاد فى اجرى

الناس بان مؤيد الدولة قد خيب قائما واخزاه بما له هاليم سراه واطمعهم فى امثاله حيلة ومكرا * ووراهم على التساهل فى الحرب لليوم المرقوب * والاجل المضروب * فلما حل عسكر الديلم من تعبيتهم ولوا أولئك أدبارهم تقورا وثبت حسام الدولة ثابت ونخر الدولة فى القلب يتضاربان بالسيوف والقرانكينات وبردان الحملات المتداركات * بصدق النيات فى الثبات * الى ان التف ذكاء عينها فى كافر وقد انهزمت الجيوش وتفرقت تلك الجموع بحذره نخر الدولة فضل المقام لتكاثر الاقتال من كل وجه عليه * وتوجه الاطماع من كل أوب اليه * فانقلب اذ ذاك بريد المعسكر فساخت فى منقلبه قوائم الفيل الذى كان حصن القلب فى بعض تلك الحاضات وأعجله عن الامر عن التوقف لازعاجه وانزاجه فتركه على حاله ونجا برأسه وترك المعسكر شاغرا بما فيه من الاموال

هوى بكما المقدار عنى ولم أمت * فادعى وفاء قد نكصت الى الغدر
ولو عدتما لاخترتما العود فى الثرى * اذا انتما أبصرتمانى فى الاسر
أبا خالد أورثتنى البث خالدا * أبا نصر مذ ودعت ودعنى نصرى

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد وهو محبوس بالنثر والنظم يتوجعون له ويذمون الزمان وأهله حيث مثله منكوب فمن ذلك ما قاله عبد الجبار بن ابى بكر بن حديس وكتبه اليه يذكر مسيرهم عن اشبيلية الى اغمات

بنى لك جد بالكرام عثور * وجار زمان كنت منه تجير
لقد اصبحت بيض الظبى فى غمودها * اناثا لترك الضرب وهى ذكور
ولما رحلتم بالندى فى اكفكم * وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت * الا فانظروا كيف الجبال تسير

وقال شاعره ابن اللبانة فى حادثته ايضا

تبكى السماء بدمع رائح غادى * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التى هدت قواعدها * وكانت الارض منها تحت اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تعمرها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد

ولما استقصى عسكر امير المسلمين ملوك الاندلس واخذ بلادهم جمع ملوكهم وسيرهم الى بلاد بالغرب وفرقهم فيها ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة ولما فرغ سير من اشبيلية سار الى المرية فنازلها وكان صاحبها محمد بن معن بن صمادح فقال لولده مادام المعتمد باشبيلية فلا نبالى بالمرابطين فلما سمع بملكهم اياها وما جرى للمعتمد مات فى تلك الايام غما وكمدا فلما مات سار ولده الحاجب واهله فى مراكب ومعهم كل مالهم وقصدوا بلاد بنى حماد فاحسنوا اليهم وكان عمر بن الافطس صاحب بطليوس ممن اعان سير على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه واخذ بلده منه واخذه اسيرا هو وولده الفضل فقتلهما فقال عمر حين ارادوا قتله قدموا ولدى قبلى للقتل ليكون فى صحيفتى فقتل ولده قبله وقتل هو بعده واحتوى سير على ذخائرهم واموالهم ولم يترك من ملوك الاندلس سوى بنى هود فانه لم يقصد بلادهم وهى شرق الاندلس وكان صاحبها حينئذ المستعين بالله بن هود وهو من الشجعان الذين يضرب المثل بهم وكان قد اعد كل ما يحتاج اليه فى الحصار وترك عنده ما يكفيه عدة سنين بمدينة روطة وكانت قلعة حصينة وكانت رعيته تخافه ولم يزل يهادى امير المسلمين قبل ان يقصد بلاد الاندلس ويملكها ويواصله ويكثر مراسلته فرعى له ذلك حتى انه اوصى ابنه على بن يوسف عند موته بترك التعرض لبلاد بنى هود وقال اتركهم بينك وبين العدو فانهم شجعان

## (ذكر ملك الفرنج جزيرة صقلية)

فى هذه السنة استولى الفرنج لعنهم الله على جميع جزيرة صقلية اعادها الله تعالى الى الاسلام والمسلمين وسبب ذلك ان صقلية كان الامير عليها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة أبا الفتوح يوسف ابن عبد الله بن محمد بن ابى الحسين ولاه عليها العزيز العلوى صاحب مصر وافريقية فاصابه هذه

المعكمة * والاسلحة المنضدة * والغلمان الحصارية * والغلات المجموعة ومضى على حاله الى ان عاود نيسابور وقد خلها البلاد وكتب الى بخارا بخبر الوقعة وما حدث من الرجعة فعاد الجواب بتقوية الآمال * وتقنية الرجال * وتهيئة الامداد والاموال * وطير الصاحب كتبه فى الاطراف بذكر الفتح على ما ينطق به رسائله وأنشدنى الجبلى الشاعر لنفسه فى مؤيد الدولة من قصيدة قوله

ماهال غيرك فى هيجاء ملحمة
مذكورة آل سامان وسامانا
فاكتب الى بخارا أمنة فلقد
غادرته عند نوم الناس يقظانا

والجبلى هذا مطبوع الشعر مسبوك النقد سديد البديهة شديد العارضة انقطع الى الامير شمس المعالى بجرجان فى آخر ايامه فقرض له فى جملة حاشيته الى أن قضى نحبه فمن شعره فيه من قصيدة قوله

لله شمسان تذكير لغيرهما
وللمؤنثة النقصان ملتزم
أزرى بتلك سناء من غير معرفة

السنة فالج تعطل جانبه الايسر وضعف ايضا جانبه الايمن فاستناب ابنه جعفرا فبقي كذلك ضابطا للبلاد حسن السيرة في أهلها الى سنة خمس واربعمائة فخالف عليه اخوه على واعانه جمع من البربر والعبيد فأخرج اليه اخوه جعفر جندا من المدينة فاقتتلوا سابع شعبان وقتل من البربر والعبيد خلق كثير وهرب من بقي منهم واخذ على اسيرا فقتله اخوه جعفر وعظم قتله على ابيه فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيام وامر جعفر حينئذ ان ينفى كل بربري بالجزيرة فنفوا الى افريقية وامر بقتل العبيد فقتلوا عن آخرهم وجعل جنده كلهم من أهل صقلية فقل العسكر بالجزيرة وطمع أهل الجزيرة في الامراء فلم يمض الايسير حتى ثار به أهل صقلية واخرجوه وخلعوه وارادوا قتله وسبب ذلك انه ولى عليهم انسانا صادرهم واخذ الاعشار من غلاتهم واستخف بقوادهم وشيوخ البلد وقهر جعفر اخوته واستطال عليهم فلم يشعر الا وقد زحف اليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم فحصروه في قصره في المحرم سنة عشر واربعمائة واشرفوا على اخذه فخرج اليهم أبوه يوسف في محفة وكانوا له محبين فلطف بهم ورفق فبكوا رحمة له من مرضه وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم وطلبوا أن يستعمل ابنه احمد المعروف بالاكحل ففعل ذلك وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم فسيره في مركب الى مصر وسار أبوه يوسف بعده ومعهما من الاموال ستمائة ألف دينار وسبعون ألفا وكان ليوسف من الدواب ثلاثة عشر ألف حجرة سوى البغال وغيرها ومات بمصر وليس له الا دابة واحدة ولما ولى الاكحل اخذ امره بالحزم والاجتهاد وجمع المقاتلة وبث سراياه في بلاد الكفرة فكانوا يحرقون ويغنمون ويسبون ويخربون البلاد واطاعه جميع قلاع صقلية التي للمسلمين وكان للاكحل ابن اسمه جعفر كان يستنيبه اذا سافر فخالف سيرة ابيه ثم ان الاكحل جمع اهل صقلية وقال احب ان اشايكم على الافريقيين الذين قد شاركوكم في بلادكم والرأى اخراجهم فقالوا قد صاهرناهم وصرنا شيأ واحدا فصرفهم ثم ارسل الى الافريقيين فقال لهم مثل ذلك فاجابوه الى ما اراد فجمعهم حوله فكان يحمى املاكهم ويأخذ الخراج من املاك اهل صقلية فسار من اهل صقلية جماعة الى المعز بن باديس وشكوا اليه ما حل بهم وقالوا نحب ان نكون في طاعتك والا سلمنا البلاد الى الروم وذلك سنة سبع وعشرين واربعمائة فسير معهم ولده عبد الله في عسكر فدخل المدينة وحصر الاكحل في الخالصة ثم اختلف اهل صقلية واراد بعضهم نصرة الاكحل فقتله الذين احضروا عبد الله بن المعز ثم ان الصقليين رجع بعضهم على بعض وقالوا ادخلتم غيركم عليكم والله لا كانت عاقبة امركم فيه الى خير فعزموا على حرب عسكر المعز فاجتمعوا وزحفوا اليهم فاقتتلوا فانهزم عسكر المعز وقتل منهم ثمانمائة رجل ورجعوا في المراكب الى افريقية وولى اهل الجزيرة عليهم حسنا الصمصام اخا الاكحل فاضطربت احوالهم واستولى الاراذل وانفرد كل انسان ببلد واخرجوا الصمصام فانفرد القائد عبد الله بن منكوت بمازر وطرابنش وغيرهما وانفرد القائد على بن نعمة المعروف بابن الحواس بقصريانة وجرجنت وغيرهما وانفرد ابن الثمنة بمدينة سرقوسة وقطانية وتزوج باخت ابن الحواس ثم انه جرى بينه وبين زوجها كلام اغلظ كل منهما لصاحبه وهو سكران فامر ابن الثمنة بفصدها في عضديها وتركها لتموت فسمع ولده ابراهيم فحضر واحضر الاطباء وعالجها الى ان عادت قوتها فلما اصبح ابوه ندم واعتذر اليها

فيها وزين هذا العلم والكرم
يا أيها الملك الميمون طائره
وخير من في الورى يمشي على
القدم
لو كنت من قبل ترعانا وتكنفنا
لما تهدى الينا الشيب والهرم
ووصف أبو الحسين
الجوهري الفيل المقبوض
عليه في الجبال الاذنب وذلك
بالتماس الصاحب اياه
وغيره من الشعراء وقصة
ذلك انه لما حصل الفيل في
اثناء الوقعة وانتزع من
الجماة أشار الى شعرائه
بوصفه على وزن قول عمرو
ابن معديكرب وهو
أعددت للحدثان سابغة
وعدا علندا فقال وهي
قل للامير وقد تبدى
يتعرض الكرم المدا
أثبت أسباب العلا
حتى أبت ان تجحدا
لو بس راحتك السحاب
لامطرت كرما وجدا
أرض بالفيل الذي
شدت الى العليا شدا

بالسكر فاظهرت قبول عذره ثم انها طلبت منه بعد مدة ان تزور أخاها فاذن لها وسير معها التحف والهدايا فلما وصلت ذكرت لاخيها ما فعل بها فحلف انه لا يعيدها اليه فارسل ابن الثمنة يطلبها فلم يردها اليه فجمع ابن الثمنة عسكره وكان قد استولى على أكثر الجزيرة وخطب له بالمدينة وسار وحصر ابن الحواس بقصريانة فخرج اليه فقاتله فانهزم ابن الثمنة وتبعه الى قرب مدينة قطانية وعاد عنه بعد ان قتل من أصحابه فاكثر فلما رأى ابن الثمنة ان عساكره قد تفرقت سولت له نفسه الانتصار بالكفار لما يريده الله تعالى فسار الى مدينة مالطة وهي بيد الفرنج قد ملكوها لما خرج بردويل الفرنجي الذي تقدم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة واستوطنها الفرنج الى الآن وكان ملكها حينئذ رجار الفرنجي في جمع الفرنج فوصل اليهم ابن الثمنة وقال انا أملككم الجزيرة فقالوا ان فيها جندا كثيرا ولا طاقة لنا بهم فقال انهم مختلفون وأكثرهم يسمع قولي ولا يخالفون أمري فساروا معه في رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة فلم يلقوا من يدافعهم فاستولوا على ما مروا به في طريقهم وقصد بهم الى قصريانة فحصروها فخرج اليهم ابن الحواس فقاتلهم فهزمه الفرنج فرجع الى الحصن فرحلوا عنه وساروا في الجزيرة واستولوا على مواضع كثيرة وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين وسار جماعة من أهل صقلية الى المعز بن باديس وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف وغلبة الفرنج على كثير منها فعمر اسطولا كبيرا وشحنه بالرجال والعدد وكان الزمان شتاء فساروا الى قوصرة فهاج عليهم البحر فغرق أكثرهم ولم ينج الا القليل وكان ذهاب هذا الاسطول مما أضعف المعز وقوى عليه العرب حتى أخذوا البلاد منه فلك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهل وتؤدة لا يمنعهم أحد واشتغل صاحب افريقية بما دهمه من العرب ومات المعز سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وولي ابنه تميم فبعث أيضا اسطولا وعسكرا الى الجزيرة وقدم عليه ولديه أيوب وعليا فوصلوا الى صقلية فنزل أيوب والعسكر المدينة ونزل علي بجرجنت ثم انتقل أيوب الى جرجنت فامر على ابن الحواس ان ينزل في قصره وأرسل هدية كثيرة فلما أقام أيوب فيها أحبه أهلها فحسده ابن الحواس فكتب اليهم ليخرجوه فلم يفعلوا فسار اليه في عسكره وقاتله فنشد أهل جرجنت من أيوب وقاتلوا معه فبينما ابن الحواس يقاتل أتاه سهم غرب فقتله فملك العسكر عليهم أيوب ثم وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدت الى القتال ثم زاد الشر بينهم فاجتمع أيوب وعلي أخوه ورجعا في الاسطول الى افريقية سنة احدى وستين وصحبهم جماعة من أعيان صقلية والاسطولية ولم يبق للفرنج ممانع فاستولوا على الجزيرة ولم يثبت بين أيديهم غير قصريانة وجرجنت فحصرهما الفرنج وضيقوا على المسلمين بهما فضاق الامر على أهلهما حتى أكلوا الميتة ولم يبق عندهم ما يأكلونه فاما أهل جرجنت فسلموها الى الفرنج وبقيت قصريانة بعدها ثلاث سنين فلما اشتد الامر عليهم اذعنوا الى التسليم فتسلمها الفرنج لعنهم الله سنة أربع وثمانين وأربعمائة وملك رجار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين ولم يترك لاحد من أهلها حماما ولا دكانا ولا طاحونا ومات رجار بعد ذلك قبل التسعين والاربعمائة وملك بعده ولده رجار فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجاب والسلاحية والجاندارية وغير ذلك وخالف عادة الفرنج فانهم لا يعرفون شيأ منه وجعل له ديوان المظالم

وصرائم الرأى التى
كانت على الاعداء جندا
حتى دعوت الى العدا
من لا يلام اذا تعدى
متقمصا تيه العلو
ج وفطنة أعيت معدا
متعسفا طرق العوا
لى حيث لا يستاف قصدا
فيلا كرضوى حين يلـ * ـبس
من رقاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت
أكنافها برقا ورعدا
رأس كقلة شاهق
كسيت من الخيلاء جلدا
فتراه من فرط الدلا
ل مصعرا للناس خدا
يزهى بخرطوم كمثـ * ـل
الصولجان يرد ردا
متقلدا كالافعوا
ن تقلد الرمضاء مهدا
أو كم راقصة تشـ * ـير
به الى الندمان وجدا
أو كالصلب شد جنـ * ـباه
الى جذعين شدا
وكأنه بوق يحر
كه لينفخ فيه جدا
يسطو بنابي بد * ـن
يحطمان الصخر هدا

ترفع اليه شكوى المظلومين فينصفهم ولو من ولده وأكرم المسلمين وقربهم ومنع عنهم الفرنج فاحبوه وعراسطولا كبيرا وملك الجزائر التي بين المهدية وصقلية مثل مالطة وقوصرة وجزبة وقرقنة وتطاول الى سواحل افريقية فكان منه ما نذكره ان شاء الله

## ذكر وصول السلطان الى بغداد

في هذه السنة في شهر رمضان وصل السلطان الى بغداد وهي المرة الثانية ونزل بدار المملكة ونزل أصحابه متفرقين ووصل اليه أخوه تاج الدولة تتش وقسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب وغيرهما من زعماء الاطراف وعمل الميلاد ببغداد وتأنقوا في عمله فذكر الناس انهم لم يروا ببغداد مثله أبدا وأكثر الشعراء وصف تلك الليلة فمن قال المطرز

وكل نار على العشاق مضرمة * من نار قلبي أومن ليلة السذق
نار تجلت بها الظلماء واشتبهت * بسدفة الليل فيه غرة الفلق
وزارت الشمس فيها البدر واصطلحا * على الكواكب بعد الغيظ والحنق
مدت على الارض بسطا من جواهرها * مابين مجتمع وار ومفترق
مثل المصابيح الا انها نزلت * من السماء بلا رجم ولا حرق
أعجب بنار ورضوان يسعرها * ومالك قائم منها على فرق
في مجلس ضحكت روض الجنان له * لما جلى ثغره عن واضح يقق
والشموع عيون كلما نظرت * تظلمت من يديها أنجم الغسق
من كل مرهفة الاعطاف كالغصن الـ * ـمياد لكنه عار من الورق
الى لاعجب منها وهي وادعة * تبكي وعيشتها من ضربة العنق

وفي هذه المرة أمر بعمارة جامع السلطان فابتدئ في عمارته في المحرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة وعمل قبلته بهرام منجمه وجماعة من أصحاب الرصد وابتدأ بعده نظام الملك وتاج الملك والامراء الكبار بعمل دور لهم يسكنونها اذا قدموا بغداد فلم تطل مدتهم بعدها وتفرق شملهم بالموت والقتل وغير ذلك في باقي سنتهم ولم تغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيأ فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره

## ذكر عدة حوادث

في هذه السنة رحل ابن أبي هاشم من مكة مستغيثا من التركمان وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداد فعالج نفسه بالصدقة فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يحصى وتصدق عنه الاعيان والامراء من عسكر السلطان فعوفي وأرسل له الخليفة خلعا نفيسة وفيها في تاسع شعبان كان بالشام وكثير من البلاد زلازل كثيرة وكان أكثرها بالشام ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجا فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها وفيها في شوال توفي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمد بن علك الفقيه الشافعي وهو من رؤساء الفقهاء الشافعية وهو الذي تقدم ذكره في فتح سمرقند ومشى أرباب الدولة السلطانية كلهم في جنازته الا نظام الملك فانه اعتذر بعلو السن وأكثر البكاء عليه ودفن عند الشيخ أبي اسحق بباب أبرز وزار السلطان قبره وتوفي محمد بن عبد الله بن الحسين

---

أدناه من وجنات أسندنا
الى الفودين عقدا
عينا مغالرتان ضيقتا
يلمع الضوء عهدا
ذاك كفؤه الخليج
بطول طول الدهر حقدا
تلقامن بعد قصبه
مماقد بدى
متنا كثبان الورد
نق ما يلاقي الدهر كدا
ردفا كذكه عنبر
مقابل الاور والنهدا
ذنبا كمثل السوط يضرب
حوله ساقا وزندا
يخطو على أمثال أعشب
الظباء اذا تصدى
أومثل أميال تشد
من الصخور الصم نشدا
متوردا حوض المنية
حيث لا يشتاق وردا
متملكا فكانه
متطلب مالا يؤدى
متاقعا بالكبريا
وكأنه ملك مقتدى
أدلى الى الشئ البعيد
برادمن وهم وأهدى

أبو بكر الناصح الحنفي قاضي الري وكان من أعيان الفقهاء الحنفية يميل الى الاعتزال وكان موته في رجب وفيها في شعبان توفي أبو الحسن علي بن الحسين بن طاوس المقرى بمدينة صور

*(ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة)*

*(ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيان)*

في هذه السنة جمع اذفونش عساكره وجموعه وغزا بلاد جيان من الاندلس فلقيه المسلمون وقاتلوه واشتد الحرب فكانت الهزيمة أولا على المسلمين ثم ان الله تعالى ردّ لهم الكرة على الفرنج فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ولم ينج الا الاذفونش في نفر يسير وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع بعد الزلاقة وأكثر الشعراء ذكرها في أشعارهم

*(ذكر استيلاء تتش على حمص وغيرها من ساحل الشام)*

لما كان السلطان ببغداد قدم اليه أخوه تاج الدولة تتش من دمشق وقسيم الدولة آقسنقر من حلب وبوزان من الرها فلما اذن لهم السلطان في العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان ان يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة حتى يستولي على ما للخليفة المستنصر العلوي بساحل الشام من البلاد ويسيروهم معه الى مصر ليملكها فساروا أجمعون الى الشام ونزل على حمص وبها ابن ملاعب صاحبها وكان الضرر به وبأولاده عظيما على المسلمين فحصروا البلد وضيقوا على من به فملكه تاج الدولة وأخذ ابن ملاعب وولديه وسار الى قلعة عرقة فملكها عنوة وسار الى قلعة افامية فملكها أيضا وكان بها خادم للمصري فنزل بالامان فأمنه ثم سار الى طرابلس فنازلها فرأى صاحبها جلال الملك بن عمار جيشا لا يدفع الا بحيلة فأرسل الى الامراء الذين مع تاج الدولة وأطمعهم ليصلحوا حاله فلم ير فيهم مطمعا وكان مع قسيم الدولة آقسنقر وزير له اسمه زرين كمر فراسله ابن عمار فرأى عنده لينا فأتحفه وأعطاه فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في اصلاح حاله ليدفع عنه وحمل له ثلاثين ألف دينار وتحفا بمثلها وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد والتقدم الى النواب بتلك البلاد بمساعدته والشد معه والتحذير من محاربته فقال آقسنقر لتاج الدولة تتش لا أقاتل من هذه المناشير بيده فأغلظ له تاج الدولة وقال هل انت الا تابع لي فقال آقسنقر انا اتابعك الا في معصية السلطان ورحل من الغد عن موضعه فاضطر تاج الدولة الى الرحيل فرحل غضبان وعاد بوزان أيضا الى بلاده فانتقض هذا الامر

*(ذكر ملك السلطان اليمن)*

وكان ممن حضر أيضا عند السلطان ببغداد جبق أمير التركمان وهو صاحب قرميسين وغيرها فأمره السلطان ان يسير هو وجماعة من امراء السلطان كانوا معه الى الحجاز واليمن ويكون أمرهم الى سعد الدولة كوهرائين ليفتحوا البلاد هناك فاستعمل عليهم سعد الدولة أميرا اسمه ترشك فساروا حتى وردوا اليمن فاستولوا عليها وأساؤا السيرة في أهلها ولم يتركوا فاحشة ولا سيئة الا ارتكبوها وملكوا عدن وظهر على ترشك الجدري فتوفي في سابع يوم من وصوله اليها وكان عمره سبعين سنة فعاد أصحابه الى بغداد وحملوه ودفنوه عند قبر أبي حنيفة رحمة الله عليه

*(ذكر مقتل نظام الملك)*

في هذه السنة عاشر رمضان قتل نظام الملك أبو علي الحسن بن علي بن اسحق الوزير بالقرب من

---

أذكى من الانسان حتى
لو رأى خللا لسدا
لو أنه ذو لهجة
وفي كتاب الله سردا
عقته أرض الهند حتى
حل من زهو هرندا
قل للوزير عبدت حتى
قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحا
سن عنده قربا وبعدا
أومس أعطاف النجو
م جرين في التربيع سعدا
أو سار في أفق السما
ء لانبتت زهرا وورداً
يا أيها الملك الذي
أجدى وعلم كيف يجدي
ما بال عبدك لا يرى
لتأخر التشريف حمدا
برد الزمان وليته
مما يلاقي مات بردا
قد صدعني الحكم الشعراء
حاشى أن تصدا

وهرند نهر بجرجان الذي جرت تلك الحروب على ساحله وهو يتلوى في أرض جرجان تلوى الحيات * كثير الاوبئة

ثم ارتحل وســار هو والسلطان في أصبهان وقد عاد الى بغـداد فلما كان بهذا المكان بعد ان فرغ من افطاره وخرج في محفته الى خيمة حرمه اتاه صبي ديلمي من الباطنية في صورة مستميح أو مستغيث فضربه بسكين كانت معه فقضى عليه وهرب فعثر بطنب خيمـة فادركوه فقتلوه وركب السلطان الى خيمه فسكن عسكره واصحابه وبقي وزيرا السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان الب ارسلان صاحب خراسان ايام عمه طغرلبك قبل ان يتولى السلطنة وكان اذ علت سنه فانه كان مولده سنة ثمان واربعمائة وكان سبب قتله ان عثمان بن جمال الملك بن نظام الملك كان قد ولاه جده نظام الملك رياسة مرو وأرسـل السلطان اليها شحنة يقال له قودن وهو من أكابر مماليكه ومن أعظم الامراء في دولتـه فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شئ فحمل عثمان حداثة سنه وتمكنه وطمعه بجده على ان قبض عليه واهانه ثم اطلقه فقصد السلطان مستغيثا شاكيا فارسل السلطان الى نظام الملك رسالة مع تاج الدولة ومجد الملك البلاساني وغيرهما من أرباب دولتـه يقول له ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تلزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحـد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا الى ان فعلوا كذا وكذا وأطال القول وأرسـل معهم الامير يلبرد وكان من خواصـه وثقاته وقال له تعرفني ما يقول فربما كتم هؤلاء شيأ فحضروا عند نظام الملك وأوردوا عليه الرسالة فقال لهم قولوا للسلطان ان كنت ما علمت انى شريكك في الملك فاعلم فانك ما نلت هـذا الامر الا بتـدبيري ورأيي أما يذكر حين قتـل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمت الخوارج عليه من أهله وغيرهم منهم فلان وفلان وذكـر جماعة من خرج عليـه وهو ذلك الوقت يتمسك بي ويلزمني ولا يخالفني فلما قدت الامور اليـه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الامصار القريبة والبعيدة واطاعه القاصي والداني أقبل يتجنى لي الذنوب ويسمع في السعايات قولوا له عني ان ثبـات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة ومتى اطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه واطال فيما هـذا سبيله ثم قال لهم قولوا للسلطان عني مهما اردتم فقد أهمني ما لقيت من توبيخه وفت في عضدي فلما خرجوا من عنده اتفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان وان يقولوا له ما مضمونه العبودية والتنصل ومضوا الى منازلهم وكان الليل قد انتصف ومضى يلبرد الى السلطان فاعلمه ما جرى وبكر الجماعة الى السلطان وهو ينتظرهم فقالوا له من الاعتذار والعبودية ما كانوا اتفقوا عليـه فقال لهم السلطان انه لم يقل هـذا وانما قال كيت وكيت فاشاروا حينئذ بكتمان ذلك رعاية لحق نظام الملك وسابقته فوقع التـدبير عليه حتى تم عليـه من القتل ما تم ومات السلطان بعده بخمسـة وثلاثين يوما وانحلت الدولة ووقع السـيف وكان قول نظام الملك شبه الكرامة له واكثر الشعراء مراثيه فمن جيد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة * يتيمة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الايام قيمتها * فردها غيرة منه الى الصدف

والعطفات * ومنابع عبرته جبال دينار زاد بتصبب العين منها الى العين حتى تملأ النهر * وتقدمته الصغرى ثم رواصل أبو الحسين العتبي كتبه الى ولاة الاطراف بخراسان في استمالتهم واستنفارهم لنجدتهم الى مرو ويجمع معهم بها ثم يقبل بهم وبمن يستجيشه من زبالات خراسان على رفو ذلك الخرق * ورتق ذلك الفتق * ووصمة العجز واستمداد مرونق الملك * واقبل يستعد للامر بجهده * ويواصل الكتب بجميل وعده * وخلع الرضي عليه خلعة جمع له بها بين تدبير الاقلام والمواضب * واضاف له الى بزة الكتاب زي أرباب الكتائب * فكانت خلعة ثالثة لروحه قاطعة لعمره * خاتمة لامره * وذلك لان أبا الحسين بن سيمجور كان يشكو الى فائق ما دهاه * من قصده اياه * حين عزله عما كان يليه * وكاده في نفسه وذويه *

ورأى بعضهم نظام الملك بعد قتله فى المنام فسأله عن حاله فقال كان يعرض على جميع عملى لولا
الحديدة التى اصبت بها يعنى القتل

*(ذكر ابتداء حاله وشئ من اخباره)*

اما ابتداء حاله فكان من ابناء الدهاقين بطوس فزال ما كان لابيه من مال وملك وتوفيت امه
وهو رضيع فكان أبوه يطوف به على المرضعات فيرضعنه حسبة حتى شب وتعلم العربية وسر الله
فيه يدعوه الى علو الهمة والاشتغال بالعلم فتفقه وصار فاضلا وسمع الحديث الكثير ثم اشتغل
بالاعمال السلطانية ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض حضرا وسفرا وكان يطوف بلاد خراسان
ووصل الى غزنة فى صحبة بعض المتصرفين ثم لزم اباعلى بن شاذان متولى الامور ببلخ لداود والد
السلطان الب ارسلان فحسنت حاله معه وظهرت كفايته وأمانته وصار معروفا عندهم بذلك فلما
حضرت اباعلى بن شاذان الوفاة أوصى الملك الب ارسلان به وعرفه حاله فولاه شغله ثم صار وزيرا
له الى ان ولى السلطنة بعد عمه طغرلبك واستمر على الوزارة لانه ظهرت منه كفاية عظيمة وآراء
سديدة قادت السلطنة الى الب ارسلان فلما توفى الب ارسلان قام بامر ابنه ملكشاه وقد تقدم
ذكر هذا الجل منه وفى مشروحا وقيل ان ابتداء أمره انه كان يكتب للامير تاجر صاحب بلخ
وكان الامير يصادره فى رأس كل سنة ويأخذ ماله ويقول له قد سمنت ياحسن ويدفع اليه فرسا
ومقرعة ويقول هذا يكفيك فلما طال ذلك عليه اخذ أولاده فخر الملك ومؤيد الملك وهرب الى
جغرى بك داود والد الب ارسلان فوقف فرسه فى الطريق فقال اللهم انى اسألك فرسا تخلصنى
عليه فسار غير بعيد فلقيه تركمانى وتحته فرس جواد فقال لنظام الملك انزل عن فرسك فنزل عنه
فاخذه التركمانى واعطاه فرسه فركبه وقال له لا تنسنى ياحسن قال نظام الملك فقويت نفسى
بذلك وعلمت انه ابتداء سعادة فسار نظام الملك الى مرو ودخل على داود فلما رآه أخذ بيده وسلمه
الى ولده الب ارسلان وقال له هذا حسن الطوسى فتسلمه واتخذه والدا لا تخالفه وكان الامير تاجر
لما سمع بهرب نظام الملك سار فى اثره الى مرو فقال لداود هذا كاتبى ونائبى قد اخذ اموالى فقال
له داود حديثك مع محمد يعنى الب ارسلان وكان اسمه محمدا فلم يتجاسر تاجر على خطابه فتركه
وعاد* واما اخباره فانه كان عالما دينا جوادا عادلا حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت
كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء وائمة المسلمين وأهل الخير والصلاح امر ببناء المدارس فى
سائر الامصار والبلاد واجرى لها الجرايات العظيمة واملى الحديث بالبلاد ببغداد وخراسان
وغيرها وكان يقول انى لست من أهل هذا الشان لما تولاه ولكنى أحب ان اجعل نفسى على
قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا سمع المؤذن امسك عن كل ماهو فيه
وتجنبه فاذا فرغ لا يبدأ بشئ قبل الصلاة وكان اذا غفل المؤذن ودخل الوقت يامره بالاذان
وهذا غاية حال المنقطعين الى العبادة فى حفظ الاوقات ولزوم الصلوات واسقط المكوس
والضرائب وازال لعن الاشعرية من المنابر وكان الوزير عميد الملك الكندرى قد حسن
للسلطان طغرلبك التقدم بلعن الرافضة فامر بذلك فاضاف اليهم الاشعرية ولعن الجميع فلهذا
فارق كثير من الائمة بلادهم مثل امام الحرمين وأبى القاسم القشيرى وغيرهما فلما ولى الب
ارسلان السلطنة اسقط نظام الملك ذلك جميعه واعاد العلماء الى أوطانهم وكان نظام الملك اذا

ولم ينفك يرصده بالغوائل* ويطلبه بوجوه الاوتار والطوائل* الى أن أشار فانتقى عليه بطائفة من الغلمان السديدية الذين كانوا رؤس أضرابهم فى السفه والشغب* والتحكم فى المطالب بشرط القوة والغلب* ودس اليهم من أغراهم به بسفاتج يحزها اليهم* حتى تآمروا بينهم على قتله* وتجمعوا على الفتك به* مغتنمين خلوه طارا عمن يحتمى له أو يحامى عليه وأحس أبو الحسين بادرة من الامر* وأشفق على نفسه ما استطار من شرر الشر* فشكا الى الامير الرضى صورة الحال* وما أرصد به من الاغتيال* فبعث اليه بعدة من القواد لترافقه الى الدار اجارة له مما كان يخشاه* وصيانة لروحه عما تحاماه* فتسامع طائفة من المشتركين فى التدبير عليه بخبره* فطاروا بأجنحة الركض على أثره* ووضعوا فيه السيوف والدبابيس حتى أثخنوه ضربا وحطما* ورضا وقصما* واشفق من كان فى مسايرته على أنفسهم

دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيري والامام ابو المعالي الجويني يقوم لهما ويجلس في مسنده كما هو واذا دخل أبو علي الفارمذي يقوم اليه ويجلسه في مكانه ويجلس هو بين يديه فقيل له في ذلك فقال ان هذين وامثالهما اذا دخلوا علي يقولون لي انت كذا وكذا يثنون علي بما ليس في فيزيدني كلامهم عجبا وتيها وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي وما انا فيه من الظلم فتنكسر نفسي لذلك وارجع عن كثير مما انا فيه وقال نظام الملك كنت اتمنى ان يكون لي قرية خالصة ومسجد انفرد فيه لعبادة ربي ثم بعد ذلك تمنيت ان يكون لي قطعة ارض اتقوت بريعها ومسجد اعبد الله فيه واما الآن فانا اتمنى ان يكون لي رغيف كل يوم ومسجد اعبد الله فيه وقيل كان ليلة يأكل الطعام وبجانبه اخوه ابو القاسم وبالجانب الآخر عميد خراسان والى جانب العميد انسان فقير مقطوع اليد فنظر نظام الملك فرأى العميد يتجنب الاكل مع المقطوع فامره بالانتقال الى الجانب الآخر وقرب المقطوع اليه فاكل معه وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه ويقربهم اليه ويدنيهم واخباره مشهورة كثيرة قد جمعت لها المجاميع السائرة في البلاد

*(ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته)*

سار السلطان ملكشاه بعد قتل نظام الملك الى بغداد ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جهير وظهرت من تاج الملك كفاية عظيمة وكان السلطان قد أمر ان تفصل خلع الوزارة لتاج الملك وكان هو الذي سعى بنظام الملك فلما فرغ من الخلع ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدست اتفق ان السلطان خرج الى الصيد وعاد ثالث شوال مريضا وانشب الموت اظفاره فيه ولم يمنع عنه سعة ملكه وكثرة عساكره وكان سبب مرضه انه أكل لحم صيد فحم وافتصد ولم يستوف اخراج الدم فثقل مرضه وكانت حمى محرقة فتوفي ليلة الجمعة النصف من شوال ولما ثقل نقل ارباب دولته أموالهم الى حريم دار الخلافة ولما توفي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمته وأعادت جعفر بن الخليفة من ابنة السلطان الى أبيه المقتدي بأمر الله وسارت من بغداد والسلطان معها محمولا وبذلت الاموال للامراء سرا واستحلفتهم لابنها محمود وكان تاج الملك يتولى ذلك لها وارسلت قوام الدولة كربوقا الذي صار صاحب الموصل الى اصبهان بخاتم السلطان فاستنزل مستحفظ القلعة وتسلمها واظهرت ان السلطان أمره بذلك ولم يسمع بسلطان مثله لم يصل عليه احد ولم يلطم عليه وجه وكان مولده سنة سبع وأربعين واربعمائة وكان من أحسن الناس صورة ومعنى وخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ومن اقاصي بلاد الاسلام في الشمال الى آخر بلاد اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ولم يفته مطلب وانقضت ايامه على امن عام وسكون شامل وعدل مطرد ومن افعاله انه لما خرج عليه أخوه تكش بخراسان اجتاز بمشهد علي بن موسى الرضا بطوس فزاره فلما خرج قال لنظام الملك بأي شيء دعوت قال دعوت الله ان ينصرك فقال اما انا فلم ادع بهذا بل قلت اللهم انصر اصلحنا للمسلمين وانفعنا للرعية وحكي عنه ان سوادية لقيه وهو يبكي فاستغاث به وقال كنت ابتعت بطيخا بدريهمات لا املك سواها فغلبني عليه ثلاثة نفر من الاتراك فاخذوه مني فقال السلطان له اقعد ثم أحضر فراشا وقال قد اشتهيت بطيخا وكان ذلك عند أول استوائه وأمره بطلبه من العسكر فغاب ثم عاد ومعه البطيخ فامره باحضار من

خذلوه واهملوه فكان مثله كما قيل

كليم وجريح بضباع وابشرى
بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وترك في الشارع صريعا * يمج دما نجيعا * وعندهم انه قتيل * وان ليس للحياة اليه سبيل * ونقل كما هو الى باغ قريب من مصرعه * لبراح ما يحدث من الرأي في غده * فلما غشيه موج الظلام وهب عليه رخاء السحر أن أنة سمعها الباغبان فبادر اليه فاذا به رمق قلق * ونفس مختنق * فسعى الى دار السلطان مخبرا بثبات حسه * واضطرابه على نفسه * حتى أمر به فنقل الى القهندز والزم الاطباء المثابرة عليه طمعا في انتعاشه * فاستصعب داؤه على الدواء * وقضى الله على عمره بالانقضاء * فمضى لسبيله عظيم القدر والخطر * كريم الورد والصدر * عديم المثل * في سعة الرحب فقيد التطرف في الفضل الغزير * لم يروا في كتب الاولين ان

وجده عنده فاحضر فسأله السلطان من اين لك ذلك البطيخ فقال غلماني جاؤني به فامر ان يجيء
بهم اليه فخشي وأمرهم بالهرب وعاد فقال لم أجدهم فقال للسوادي خذ هذا مملوكي قد وهبته لك
عوضا عن بطيخك وبعض الذين أخذوه والله لئن اطلقته لاضربن عنقك فاخذه السوادي
فاشترى الغلام نفسه منه بثلثمائة دينار فعاد السوادي الى السلطان وقال قد باعني نفسه بثلثمائة
دينار فقال ارضيت بذلك قال نعم قال امض مصاحبا بالسلامة وقال عبد السميع بن داود العباسي
شاهدت ملكشاه وقد اتاه رجلان من أرض العراق السفلى من قرية الحدادية يعرفان بابني
غزال فلقياه ووقف لهما فقالا ان مقطعنا الامير خمارتكين قد صادرنا بألف وستمائة دينار وقد
كسر ثنيتي أحدنا وأراهما السلطان وقد قصدناك لتقتص لنا منه فان اخذت بحقنا كما أوجب
الله عليك والا فالله يحكم بيننا قال فرأيت السلطان وقد نزل عن دابته وقال ليمسك كل واحد
منكما بطرف كمي واسحباني الى خواجه حسن يعني نظام الملك فامتنعا من ذلك واعتذرا فاقسم
عليهما الا فعلا فاخذ كل واحد منهما بكم من كمه ومشى معهما الى نظام الملك فبلغه الخبر فخرج
مسرعا فلقيه وقبل الارض وقال يا سلطان العالم ما حملك على هذا فقال كيف يكون حالي غدا عند
الله اذا طولبت بحقوق المسلمين وقد قلدتك هذا الامر لتكفيني مثل هذا الموقف فان نال الرعية
اذى فانت المطالب فانظر لي ولنفسك فقبل الارض ومشى في خدمته وعاد من وقته وكتب بعزل
الامير خمارتكين عن اقطاعه ورد المال عليهما واعطاهما مائة دينار من عنده وأمرهما باثبات
البينة انه قلع ثنيتيه ليقلع ثنيتيه عوضهما فرضيا وانصرفا وقيل انه ورد بغداد ثلاث دفعات
نخافه الناس من غلاء الاسعار وتعدي الجند فكانت الاسعار أرخص منها قبل قدومه وكان
الناس يخترقون عساكره ليلا ونهارا فلا يخافون أحدا ولم يتعد عليهم أحد واسقط المكوس
والمؤن من جميع البلاد وعمر الطرق والقناطر والربط التي في المفاوز وحفر الانهار الخراب
وعمر الجامع ببغداد وعمل المصانع بطريق مكة وبنى البلد باصبهان وبنى منارة القرون بالسبيعي
بطريق مكة وبنى مثلها بما وراء النهر واصطاد مرة صيدا كثيرا فامر بعده فكان عشرة آلاف
رأس فامر بصدقة عشرة آلاف دينار وقال اني خائف من الله تعالى كيف ازهقت ارواح هذه
الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة وفرق من الثياب والاموال بين أصحابه ما لا يحصى وصار بعد
ذلك كلما اصطاد شيأ تصدق بعدده دنانير وهذا فعل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته وقد أكثر
الشعراء مراثيه أيضا وقيل ان بعض أمراء السلطان كان نازلا بهراة مع بعض العلماء اسمه عبد
الرحمن في داره فقال يوما ذلك الامير للسلطان وهو سكران ان عبد الرحمن يشرب الخمر ويعبد
الاصنام من دون الله تعالى ويحل الحرام فلم يجبه ملكشاه فلما كان الغد صحا ذلك الامير فاخذ
السلطان السيف وقال له اصدقني عن فلان والا قتلتك فطلب منه الامان فامنه فقال ان عبد
الرحمن له دار حسناء وزوجة جميلة فاردت ان تقتله فافوز بداره وزوجته فابعده السلطان
وشكر الله تعالى على التوقف عن قبول سعايته وتصدق باموال جليلة المقدار

*(ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الاكبر بركيارق الى ان ملك)*

لما مات السلطان ملكشاه كتمت زوجته تركان خاتون موته كما ذكرناه وأرسلت الى الامراء
سرا فارضتهم واستحلفتهم لولدها محمود وعمره أربع سنين وشهور وارسلت الى الخليفة المقتدي

أحدا من الوزراء اتسعت
همته لمشاطرته على مروته*
ومنازعته فضل افضاله
وفتوته* سماحة كالغيث
يقذف بالوبل* أو الريح
تعصف بالرمل* وسياسة
خفقت لها اجنادب الليل*
وغصت بها مشاعب السبل*
وانشدني الجاجي أبو جعفر
الخازن لنفسه فيه يرثيه
لهفي عليك أبا الحسين
عين رمتك بكل عين
جرعتني غصص الجوى
وأريتني يوم الحسين
ولبعضهم فيه وقد زار قبره
في جماعة من أصدقائه
مر على قبرك اخوانكا
وكلهم قد عالشانكا
فلم يزيدوك على قولهم
عز على العلياء فقدانكا
وقد كان حسام الدولة
وشمس المعالي ونفر الدولة
بنيسابور على انتظار معونته*
واستفاضة ما أسفر لهم من
عدته* فحدثني أبو نصر العتبي
خالي رحمه الله وكان على
البريد بنيسابور قال دعاني أبو
العباس تاش آخر نهار يوم:

فى الخطبة لولدها أيضا فأبا بها وشرط ان يكون اسم السلطنة لولدها والخطبة له ويكون المدبر لزعامة الجيوش ورعاية البلاد هو الامير أنر و يصدر عن رأى تاج الملك ويكون ترتيب العمال وجباية الأموال الى تاج الملك أيضا وكان تاج الملك هو الذى يدبر الامر بين يدى خاتون فلما جاءت رسالة الخليفة الى خاتون بذلك امتنعت من قبوله فقيل لها ان ولدك صغير ولا يجيز الشرع ولايته وكان المخاطب لها فى ذلك الغزالى فأذعنت له واجابت اليه فخطب لولدها ولقب ناصر الدنيا والدين وكانت الخطبة يوم الجمعة الثانى والعشرين من شوال من السنة وخطب له بالحرمين الشريفين ولما مات السلطان ملكشاه أرسلت تركان خاتون الى اصبهان فى القبض على بركيارق بن السلطان وهو أكبر أولاده خافته ان ينازع ولدها فى السلطنة فقبض عليه فلما ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظامية على سلاح كان لنظام الملك باصبهان فأخذوه وثاروا فى البلد واخرجوا بركيارق من الحبس وخطبوا له باصبهان وملكوه وكانت والدة بركيارق زبيدة ابنة ياقوتى بن داود وهى ابنة عم ملكشاه خائفة على ولدها من خاتون أم محمود فأتاها الفرج بالمماليك النظامية وسارت تركان خاتون من بغداد الى اصبهان فطالب العسكر تاج الملك بالاموال فوعدهم فلما وصلوا الى قلعة برجين صعد اليها لينزل الاموال منها فلما استقر فيها عصى على خاتون ولم ينزل خوفا من العسكر فساروا عنه ونهبوا خزائنه فلم يجدوا بها شيأ فانه كان قد علم ماجرى فاستظهر واخفاه ولما وصلت تركان خاتون الى اصبهان لحقها تاج الملك واعتذر بان مستحفظ القلعة حبسه وانه هرب منه اليها فقبلت عذره وأما بركيارق فانه لما قاربت خاتون وابنها محمود اصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية وساروا نحو الرى فلقيهم ارغز النظامى فى عساكره ومعه جماعة من الامراء وصاروا يدا واحدة وانما حمل النظامية على الميل الى بركيارق كراهتهم لتاج الملك لانه كان عدو نظام الملك والمتهم بقتله فلما اجتمعوا حصروا القلعة طبرك وأخذوها عنوة فسيرت خاتون العساكر الى قتال بركيارق فالتقى العسكران بالقرب من بروجرد فانحاز جماعة من الامراء الذين فى عسكر خاتون الى بركيارق منهم الامير يلبرد وكمشتكين الجاندار وغيرهما فقوى بهم وجرى الحرب بينهم أواخر ذى الحجة واشتد القتال فانهزم عسكر خاتون وعادوا الى اصبهان وسار بركيارق فى أثرهم فحصرهم باصبهان

## •(ذكر قتل تاج الملك)•

كان تاج الملك مع عسكر خاتون وشهد الوقعة فهرب الى نواحى بروجرد فأخذ وحمل الى عسكر بركيارق وهو يحاصر اصبهان وكان يعرف كفايته فاراد ان يستوزره فشرع تاج الملك فى اصلاح كبار النظامية وفرق فيهم مائتى الف دينار سوى العروض فزال ما فى قلوبهم فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الاصاغر على الاستغاثة وان لا يقنعوا الا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك وهجم النظامية عليه فقتلوه وفصلوه اجزاء وكان قتله فى المحرم سنة ست وثمانين وحمل الى بغداد احد اصابعه وكان كثير الفضائل جم المناقب وانما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك وهو الذى بنى تربة الشيخ ابى اسحق الشيرازى وعمل المدرسة التى الى جانبها ورتب بها الشيخ ابا بكر الشاشى وكان عمره حين قتل سبعا واربعين سنة

فلما وصلت اليه وجدت الثلاثة يتآمرون فى معاودة الحرب• واستئناف معالجة الخطب• ويخاطرون بأنفسهم فيما تداولوا وما أولى أن انتهى الى ذلك الشيخ صدق انتظارهم لمورتته• واستعدادهم البدار الى أمره• وأقبل شمس المعالى على من يثم فقال أكتب الى ذلك الصدر بأن الحروب لم تزل بين الرجال سجالا • وانما تستعصب مرة وتصعب أخرى والحازم من يستقبح بالجدباب الفاقر•
فالصبر يتلف بين العجز والضجر•
واضرب له أبيات المتنبى مثلا
يرى الجبناء ان الجبن حزم
وتلك طبيعة الوغد اللئيم
اذا ما كنت فى أمر مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير
كطعم الموت فى أمر جسيم
قال فاستدللت بمنذ بقوله على فضله• وورد عليهم بعقب ذلك نعى أبى الحسين فأوجعهم وجوما• ونثر عليهم من التدبير ما كان

*(ذكر ما فعله العرب بالحجاج والكوفة)*

سار الحجاج هذه السنة من بغداد فقدموا الكوفة ورحلوا منها فخرجت عليهم خفاجة وقد طمعوا بموت السلطان وبعد العسكر فأوقعوا بهم وقتلوا أكثر الجند الذين معهم وانهزم باقيهم ونهبوا الحجاج وقصدوا الكوفة فدخلوها وأغاروا عليها وقتلوا في أهلها ورماهم الناس بالنشاب فخرجوا بعد أن نهبوا وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء فوصل الخبر الى بغداد فسيرت العساكر منها فلما سمع بهم بنو خفاجة انهزموا فأدركهم العسكر فقتل منهم خلق كثير ونهبت أموالهم وضعفت خفاجة بعد هذه الوقعة

*(ذكر عدة حوادث)*

فيها في ربيع الاول عاد السلطان من بغداد الى أصبهان وأخذ معه الامير أبا الفضل جعفر بن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان وتفرق الامراء الى بلادهم ثم عاد الى بغداد فتوفي كما ذكرناه وفيها في جمادى الاولى احترق نهر المعلى فاحترق عقد الحديد الى خربة الهراس الى باب دار الضرب واحترق سوق الصاغة والصيارف والخلطين والريحانيين وكان الحريق من الظهر الى العصر فاحترق منها الامر العظيم في الزمان القليل واحترق من الناس خلق كثير ثم ركب عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وجمع السقائين ولم يزل راكبا حتى طفئت النار وفي هذه السنة توفي عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا الشاعر البغدادي سمع الحديث وكان يتهم بأنه يطعن على الشرائع فلما مات كانت يده مقبوضة فلم يطق الغاسل فتحها فبعد جهد فتحت فاذا فيها مكتوب

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * ارجي نجاتي من عذاب جهنم
واني على خوفي من الله واثق * بانعامه والله أكرم منعم

وفيها توفي هبة الله بن عبد الوارث بن علي بن احمد ابو القاسم الشيرازي الحافظ احد الرحالين في طلب الحديث شرقا وغربا وقدم الموصل من العراق وهو الذي أظهر سماع الجعديات لابي محمد الصريفيني ولم يكن يعرف ذلك

(ثم دخلت سنة ست وثمانين واربعمائة)

*(ذكر وزارة عز الملك بن نظام الملك لبركيارق)*

كان عز الملك ابو عبد الله الحسين بن نظام الملك مقيما بخوارزم حاكما فيها وفي كل ما يتعلق بها اليه المرجع في كل أمورها السلطانية فلما كان قبل ان يقتل ابوه حضر عنده خدمة له وللسلطان فقتل ابوه ومات السلطان فأقام باصبهان الى الآن فلما حصرها بركيارق وكان أكثر عسكره النظامية خرج من اصبهان هو وغيره من اخوته فلما اتصل ببركيارق احترمه وأكرمه وفوض امور دولته اليه وجعله وزيرا له

*(ذكر حال تتش بن الب ارسلان)*

كان تتش بن الب ارسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام فلما كان قبل موت اخيه السلطان ملكشاه سار من دمشق اليه ببغداد فلما كان بهيت بلغه موته فأخذ هيت واستولى عليها وعاد الى دمشق يتجهز لطلب السلطنة فجمع العساكر وأخرج الاموال وسار نحو حلب

منظوما وورد على أبي العباس ناش كتاب السلطان في استعادته الى الباب لتداركه ما اختل * وتلافي ما انحل واعتل * فاغتنم البدار وسار حتى ورد بخارا فرتب تلك الامور * ونظم المنثور * وتتبع الجناة على أبي الحسين فطبقهم بالقتل والتدمير * وعمهم بالنفي والتسيير * واستوزر بعده أبو الحسن المزني فبعمل بالتدبير ووحل في التقديم والتأخير لتهافت الاعمال واستبداد آخرين عليه بالايراد والاصدار وقد كان أبو الحسن بن سيمجور انكفأ عن سجستان الى خراسان من غير امر صدر اليه استشرافا لنجوم الفتن وانتقاض الاعمال بها بتراجع العسكر عن باب جرجان وتشوفا لنفاق سوقه فيما بينهم فاكتتب اليه أبو الحسن مقبحا عليه فعله * وناعيا اليه عقله * وسامه أن يعدل الى قهستان متذرعا * وعن ملابسة الاعمال متورعا * وأن يسلم ابناء الدولة الذين هم في جملته

وبها قسيم الدولة آقسنقر فرأى قسيم الدولة اختلاف اولاد صاحبه ملكشاه وصغرهم فعلم انه لا يطيق دفع تتش فصالحه وصار معه وارسل الى باغى سيان صاحب انطاكية والى بوزان صاحب الرها وحران يشير عليهما باطاعة تاج الدولة تتش حتى يروا ما يكون من اولاد ملكشاه ففعلوا وصاروا معه وخطبوا له في بلادهم وقصدوا الرحبة فحصروها وملكوها في المحرم من هذه السنة وخطب لنفسه بالسلطنة ثم ساروا الى نصيبين فحصروها فسب أهلها تاج الدولة فقصدها عنوة وقهرا وقتل من أهلها خلقا كثيرا ونهبت الاموال وفعل فيها الافعال القبيحة ثم سلمها الى الامير محمد بن شرف الدولة العقيلي وسار يريد الموصل واتاه الكافي بن فخر الدولة بن جهير وكان في جزيرة ابن عمر فاكرمه واستوزره

*(ذكر وقعة المضيع واخذ الموصل من العرب)*

كان ابراهيم بن قريش بن بدران امير بني عقيل قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين واربعمائة ليحاسبه فلما حضر عنده اعتقله وانفذ فخر الدولة بن جهير الى البلاد فملك الموصل وغيرها وبقي ابراهيم مع ملكشاه وسار معه الى سمرقند وعاد الى بغداد فلما مات ملكشاه أطلقته تركان خاتون من الاعتقال فسار الى الموصل وكان ملكشاه قد اقطع عمته صفية مدينة بلد وكانت زوجة شرف الدولة ولها منه ابن اسمه علي وكانت قد تزوجت بعد شرف الدولة باخيه ابراهيم فلما مات ملكشاه قصدت الموصل ومعها ابنها علي فقصدها محمد بن شرف الدولة واراد أخذ الموصل فافترقت العرب فرقتين فرقة معه وأخرى مع صفية وابنها علي واقتتلوا بالموصل عند الكناسة فظفر علي وانهزم محمد وملك علي الموصل فلما وصل ابراهيم الى جهينة وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ سمع ان الامير علي بن اخيه شرف الدولة قد ملكها ومعه امه صفية عمة ملكشاه فاقام مكانه وراسل صفية خاتون وترددت الرسل فسلمت البلد اليه فاقام به فلما ملك تتش نصيبين ارسل اليه يأمره ان يخطب له بالسلطنة ويعطيه طريقا الى بغداد لينحدر ويطلب الخطبة بالسلطنة فامتنع ابراهيم من ذلك فسار تتش اليه وتقدم ابراهيم أيضا نحوه فالتقوا بالمضيع من اعمال الموصل في ربيع الاول وكان ابراهيم في ثلاثين الفا وكان تتش في عشرة آلاف وكان آقسنقر على ميمنته وبوزان على ميسرته فحمل العرب على بوزان فانهزم وحمل آقسنقر على العرب فهزمهم وتمت الهزيمة على ابراهيم والعرب واخذ ابراهيم اسيرا وجماعة من امراء العرب فقتلوا صبرا ونهبت اموال العرب وما معهم من الابل والغنم والخيل وغير ذلك وقتل كثير من نساء العرب انفسهن خوفا من السبي والفضيحة وملك تتش بلادهم الموصل وغيرها واستناب بها علي ابن شرف الدولة مسلم وامه صفية عمة تتش وارسل الى بغداد يطلب الخطبة وساعده كوهرائين على ذلك فقيل لرسوله انا ننتظر وصول الرسل من العسكر فعاد الى تتش بالجواب

*(ذكر ملك تتش ديار بكر واذربيجان وعوده الى الشام)*

فلما فرغ تاج الدولة تتش من امر العرب وملك الموصل وغيرها من بلادهم سار الى ديار بكر في ربيع الآخر فملك ميافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان وسار منها الى اذربيجان فانتهى خبره الى ابن أخيه ركن الدين بركيارق وكان قد استولى على كثير من البلاد منها الري وهمذان وما بينهما فلما تحقق الحال سار في عساكره ليمنع عمه عن البلاد فلما تقاربت العسكران قال قسيم

وفضت راياته الى ابنه ابي علي على أن يساوره مبستان نكو أمرها ويلم شعثها ويرأب صدعها * وجعل باذغيس وكنج رستاق برسمه على أن يرادف توليته وحباته متى عرف في الطاعة صدق نيته وغنائه * ولما استقر أبو العباس تاش بهذا اغتنم أبو علي خلو خراسان عنه وعن المناضلين دونه فراسل فائقا يده على مخالفته * والمجاهرة بمنابذته وترك الرضا بزعامته * فوجده سمح القياد * الى المراد * طوع الزمام الى العناد * واجتمعا بنيسابور على توكيد العقود * وامرار المواثيق والعهود * وبدأ أبو علي بمصادرة عمال أبي العباس تاش بنيسابور ومطالبتهم بما كان تحت أيديهم من مواله * وارتفاعات أعماله * ثم نهض الى مرو سدادون الولايات * وجبايا دون الاموال والارتفاعات حتى اضطر تاش الى مناهضتهما * ومداراتهما استعمل من شرهما وكفاية أهم من أمرهما * واستفتح الخزائن عن ذخائر الاموال

الدولة آقسنقر وبوزان انما اطعنا هذا الرجل انتظارا لما يكون من أولاد صاحبنا والآن فقد ظهر
ابنه ونريد نكون معه فاتفقا على ذلك وفارقا تتش وصارا مع بركيارق فلما رأى تاج الدولة تتش
ذلك علم انه لا قوة له بهم فعاد الى الشام واستقامت البلاد لبركيارق فلما قوي أمره سار كوهرائين
الى العسكر يعتذر من مساعدته لتاج الدولة تتش وأعانه برسق وتعصب عليه كمشتكين الجاندار
فأخذ اقطاعه وأعطى الامير يلبرد زيادة وولي شحنكية بغداد عوض كوهرائين وتفرق عن
كوهرائين أصحابه فكان ما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم اياها)*

في هذه السنة في جمادى الآخرة ملك عسكر المستنصر بالله العلوي صاحب مصر مدينة صور
وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة أن أمير الجيوش بدرا وزير المستنصر سير
العساكر الى مدينة صور وغيرها من ساحل الشام وكان من بها قد امتنع من طاعتهم فملكها
وقرر أمورها وجعل فيها الامراء وكان قد ولي مدينة صور الامير يعرف بمنير الدولة الجيوشي
فعصى على المستنصر وأمير الجيوش وامتنع بصور فسيرت العساكر من مصر اليه وكان أهل
صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه فلما وصل العسكر المصري الى صور
وحصروها وقاتلوها ثار أهلها ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش وسلموا البلد وهجم
العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع ونهب من البلد شيء كثير وأسر منير الدولة ومن معه من
أصحابه وحملوا الى مصر وقطع على أهل البلد ستون ألف دينار فأجحفت بهم ولما وصل منير
الدولة الى مصر ومعه الاسرى قتلوا جميعهم ولم يعف عن واحد منهم

*(ذكر قتل اسمعيل بن ياقوتي خال بركيارق)*

في هذه السنة في شعبان قتل اسمعيل بن ياقوتي بن داود وهو خال بركيارق وابن عم ملكشاه وسبب
قتله انه كان باذربيجان أميرا عليها فأرسلت اليه تركان خاتون زوجة ملكشاه تطمعه ان تتزوج
به وتدعوه الى محاربة بركيارق فأجابها الى ذلك وجمع خلقا كثيرا من التركمان وغيرهم وصار
أصحاب سرهنك ساوتكين في حمله وأرسلت اليه تركان خاتون كربوقا وغيره من الامراء في
عسكر كثير مددا له فجمع بركيارق عساكره وسار الى حرب خاله اسمعيل فالتقوا عند الكرج
فانحاز الامير يلبرد الى بركيارق وصار معه فانهزم اسمعيل وعسكره وتوجه الى أصبهان فأكرمته
تركان خاتون وخطبت له وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه وكاد الامر في
الوصلة يتم بينهما فامتنع الامراء من ذلك لاسيما الامير أنز وهو مدبر الامر وصاحب الجيش
وأنز وأخرج اسمعيل عنهم وخافوه وخاف هو أيضا منهم ففارقهم وراسل أخته زبيدة والدة
بركيارق في اللحاق بهم فأذنت له في ذلك فوصل اليهم وأقام عندهم اياما يسيرة فخلا به كمشتكين
الجاندار وآقسنقر وبوزان وبسطوه في القول فأطلعهم على سره وانه يريد السلطنة وقتل
بركيارق فوثبوا عليه فقتلوه وأعلموا أخته خبره فسكتت عنه

*(ذكر أخذ الحجاج)*

في هذه السنة انقطع الحج من العراق لأسباب أوجبت ذلك وسار الحاج من دمشق مع أمير
أقامه تاج الدولة تتش صاحبها فلما قضوا حجهم وعادوا سائرين سير أمير مكة وهو محمد بن أبي هاشم

ونفائس الاسلحة والاثقال*
وبرز من بخارا الى آمل
الشط فخيم على طرف الرمل
وتردد السفراء فيما بين
الفريقين على حفظ نظام
الالفة واستبقاء جمال الدولة
واخماد جمرات الفتنة
فوقع الاتفاق على أن تكون
نيسابور لتاش وبلخ لفائق
وهراة لابي علي وتفرق كل
منهم الى رياسة عمله
وللخوارزمي في أبي علي وقد
حصل بهراة
تهنأ بالامير هراة اذ قد
علا عن أن يهنأ عن هراها
وكيف تهنأ الدنيا جميعا
بناحية من الدنيا احتواها
والمحذر ابو العباس تاش
الى مرو وقد كان قبل
فصوله من بخارا توصل الى
عزل المزني عن الوزارة بأبي
محمد عبد الرحمن الفارسي
المتولي كان لامور
كتخدائيته لما تبينه من
ميله الى أبي علي وفائق
وادهانه في أمرهما فلما
استقر هو بمرو صرف عبد
الرحمن بعبد الله بن عزيز وهو
المعروف بمعنت آل عتبة
ومشاحنتهم أصب العداوة

عسكر فلقوهم بالقرب من مكة ونهبوا كثيرا من اموالهم وجمالهم فعادوا اليها ولقوه وسألوه ان يعيد عليهم ما اخذ منهم وشكوا اليه بعد ديارهم فاعاد بعض ما اخذ منهم فلما أيسوا منه ساروا من مكة عائدين على اقبح صورة فلما ابعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب فى عدة جهات فصانعوهم على مال اخذوه من الحاج بعد ان قتل منهم جماعة وافرة وهلك فيه بالضعف والانقطاع وعاد السالم على اقبح صورة

## *(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى جمادى الاولى قدم الى بغداد اردشير بن منصور ابو الحسين الواعظ العبادى واكثر الوعظ بالمدرسة النظامية وهو من مرو زى وقدم بغداد قاصد الحج وكان له قبول عظيم بحيث ان الغزالى وغيره من الائمة ومشايخ الصوفية الكبار يحضرون مجلسه وذرع في بعض المجالس الارض التى فيها الرجال فكان طولها مائة وخمسة وسبعين ذراعا وعرضها مائة وعشرون ذراعا وكانوا يزدحمون ازدحاما كثيرا وكان النساء اكثر من ذلك وكان له كرامات ظاهرة وعبادات كثيرة وكان سبب منعه من الوعظ انه نهى ان يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح وقال هو يا منع من الوعظ واخرج من البلد وفيها وقعت الفتنة ببغداد بين العامة وقصد كل فريق الفريق الآخر وقطعوا الطرقات بالجانب الغربى وقتل اهل النصرية مصطبيا فارسل كوهرائين احرقها واتصلت الفتنة بين اهل الكرخ وباب البصرة وكان للعميد الاعرابى المحاسن الدهستانى فى اطفاء هذه الفتنة اثر حسن وفيها فى شعبان سار سيف الدولة صدقة بن مزيد الى السلطان بركيارق فلقيه بنصيبين وسار معه الى بغداد على الموصل فوصلها فى ذى القعدة ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وخرج عميد الدولة والناس الى لقائه من عقرقوف وفيها ولد للمستظهر بالله ولد سمى الفضل وكنى ابا منصور ولقب عمدة الدين وهو المسترشد بالله وفيها فى رمضان قتل الامير بلبرد قتله بركيارق وكان من الامراء الكبار مع ابيه فزاده بركيارق اقطاع كوهرائين وشحنكية بغداد فلما وصل الى دقوقا سمع منها الا انه تكلم فيما يتعلق بوالدة السلطان بركيارق بكلام شنيع فلما وصل اليه اصبح مقتولا وفيها فى المحرم توفى على بن احمد بن يوسف ابو الحسن القرشى الهكارى المعروف بشيخ الاسلام وكان فاضلا عابدا كثير السماع الا ان الغرائب فى حديثه كثيرة لا يدرى ما سببها والامير ابو نصر على بن هبة الله بن على بن جعفر العجلى المعروف بابن ماكولا مصنف كتاب الاكمال قتله غلمانه الاتراك بكرمان ومولده سنة اثنتين واربعمائة وكان حافظا وفيها فى صفر توفى ابو محمد عامر الضرير وكان فقيها شافعيا مقرئا نحويا وكان يصلى فى رمضان بالامام المقتدى بامر الله وفى جمادى الاولى توفى الامير ابو الفضل جعفر ابن المقتدى وامه ابنة السلطان ملكشاه ومولده فى ذى القعدة سنة ثمانين واليه تنسب الجعفريات وفى رجب توفى الشيخ ابو سعد عبد الواحد بن احمد بن الحسين الوكيل بالمخزن وكان فقيها شافعيا كثير الاحسان الى اهل العلم وكان محمودا فى ولايته وفيها توفى كمال الملك الدهستانى الذى كان عميد بغداد وفى رمضان توفى المشطب بن محمد الحنفى بالكحيل من ارض الموصل وكان الخليفة قد ارسله الى بركيارق وكان بالموصل ومعه تاج الرؤساء ابو نصر بن الموصلايا وكان شيخا كبيرا عالما مكرما عند الملوك وحمل الى العراق ودفن عند ابى حنيفة وفيه توفى القاضى ابو على

لهم ولسانهم وحرق الادم كادا عليهم فبدأ بصرف أبى العباس تاش من قيادة الجيوش ونقلها الى أبى الحسن بن سيمجور مضادة لابى الحسين العتبى فى تدبيره وتداركا بزعمه لما هى من أصل تقديره وتقريره * وأمر بالكتاب من السلطان اليه فى نقل العمل عنه * وتعويضه كورتى فسا وايورد منه * والايعاز اليه بالامتداد اليهما والاقتناع بهما * وحذف عنه خطاب الزعامة واقتصر على ما كان موسوما به من الحجابة فلما وصل الكتاب اليه احس بأمارة الشر ودلالة الختل والختر وعلم ان ذلك فاتحة التطب عليه والتشفى منه والوضع من قدره والنيل فى جاهه ومحله * فاستحضر وجوه القواد واعيان الحشم والاجناد وعرض عليهم الكتاب وعرفهم دأبه وديدنه فى طاعة سلطانه ومناصحته والاخلاص لدولته والذب من حوزته والشكر لما وسعه قديما وحديثا من

يعقوب بن ابراهيم المرزبانى قاضى باب الازج وولى مكانه القاضى أبو المعالى عزيزى وكان أبو
المعالى شافعيا أشعريا مغاليا وله مع أهل باب الازج أقاصيص وحكايات عجيبة وفيها توفى نصر
ابن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث وأبو الفتح التنكتى له كنيتان سافر البلاد شرقا وغربا
روى صحيح مسلم وغيره وكان ثقة ومولده سنة ست واربعمائة وفى ذى الحجة منها توفى أبو الفرج
عبد الواحد بن محمد بن على الحنبلى الفقيه وكان وافر العلم غزير الدين حسن الوعظ والسمت

(ثم دخلت سنة سبع وثمانين واربعمائة)

*(ذكر الخطبة للسلطان بركيارق)

فى هذه السنة يوم الجمعة رابع عشر المحرم خطب ببغداد للسلطان بركيارق بن ملكشاه وكان
قدمها أواخر سنة ست وثمانين وارسل الى الخليفة المقتدى بامر الله يطلب الخطبة فاجيب الى
ذلك وخطب له ولقب ركن الدين وحمل الوزير عميد الدولة بن جهير الخلع الى بركيارق فلبسها
وعرض التقليد على الخليفة ليعلم عليه فعلم فيه وتوفى فجأة على ما نذكره ان شاء الله تعالى وولى
ابنه الامام المستظهر بالله الخلافة فارسل الخلع والتقليد الى السلطان بركيارق فاقام ببغداد
الى ربيع الاول من السنة وسار عنها الى الموصل

*(ذكر وفاة المقتدى بأمر الله)*

فى هذه السنة يوم السبت خامس عشر المحرم توفى الامام المقتدى بامر الله ابو القاسم عبد الله
ابن الذخيرة بن القائم بامر الله امير المؤمنين فجأة وكان قد احضر عنده تقليد السلطان بركيارق
ليعلم فيه فقرأه وتدبره وعلم فيه ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس
النهار فقال لها ما هذه الاشخاص التى دخلت على بغير اذن قالت فالتفت فلم ار شيأ ورأيته قد
تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت قوته وسقط الى الارض فظننتها غشية قد لحقته
فحللت ازراره فوجدته قد ظهرت عليه امارات الموت ومات لوقته قالت فتماسكت وقلت
لجارية عندى ليس هذا وقت اظهار الجزع والبكاء فان صحت قتلتك واحضرت الوزير فاعلمته
الحال فشرعوا فى البيعة لولى العهد وجهزوا المقتدى وصلى عليه ابنه المستظهر بالله ودفنوه
وكان عمره ثمانيا وثلاثين سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية
اشهر غير يومين وامه ام ولد ارمنية تسمى ارجوان وتدعى قرة العين ادركت خلافته وخلافة
ابنه المستظهر بالله وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله ووزر له فخر الدولة ابو نصر بن جهير ثم ابو
شجاع ثم عميد الدولة ابو منصور بن جهير وقضاته ابو عبد الله الدامغانى ثم أبو بكر الشامى وكانت
ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعظمت الخلافة أكثر مما كان من قبله وانعمرت ببغداد عدة
محال فى خلافته منها البصلية والقطيعة والحلبة والمقتدية والاجمة ودرب القيار وخربة
ابن جردة وخربة الهراس والخاتونيتين وأمر بنفى المغنيات والمفسدات من بغداد وبيع
دورهن فنفين ومنع الناس ان يدخل أحد الحمام الا بمئزر وقلع الهرادى والابراج التى للطيور
ومنع من اللعب بها لاجل الاطلاع على حرم الناس ومنع من اجراء ماء الحمامات الى دجلة والزم
أربابها بحفر آبار للمياه وأمر ان من يغسل السمك المالح يعبر الى النجمى فيغسل هنالك
ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال والنساء مجتمعين وكان قوى النفس عظيم الهمة من

نعمته * واقباله مدة مصاحبتهم
اياه عليهم بحسن رعايته
ووفق زعامته * وانابته نيابة
عنهم فى تنجز أوطارهم *
وتزيين مساعيهم وآثارهم *
ومواساة لهم بما اتسعت له
يده * من خاص ماله وحاضر
ملكه * وانه يومه ذلك فى نفسه
ومهجته مقصود * وعن باب
ماله وولى نعمته مردود *
ولا منع من جهته لاحد
منهم عن رأيه واختياره
فى معاودة بخارى أو اللحاق
بأى جانب شاء فليختر كل
منهم ما أحب غير منازع فى
قصده ولا مدافع عن وجهه *
فاستقلوا وربما يتلومون من
وراءهم من اهل العسكر
صورة الحال * ويعرفون
ما عندهم من الرأى فى المقام
أو الارتحال * وتجمعوا بعد
ذلك دفعات متباعدين فى
الاختيار مرة ومتقاربين
أخرى الى ان اتفقت كلمتهم
على موافقته وترك مفارقته *
والاذعان لرياسته ومرافقته *
على ما يلقاهم الزمان به من
سلم وحرب * وذلول وصعب *
وسهل وحزن * وسرور

## (ذكر خلافة المستظهر بالله)

لما توفي المقتدي بأمر الله احضر ولده ابو العباس أحمد المستظهر بالله واعلم بموته وحضر الوزير فبايعه وركب الى السلطان بركيارق فاعلمه الحال وأخذ بيعته للمستظهر بالله فلما كان اليوم الثالث من موت المقتدي اظهر ذلك وحضر عز الملك بن نظام الملك وزير بركيارق واخوه بهاء الملك وامراء السلطان وجميع ارباب المناصب النقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي وقاضي القضاة والغزالي والشاشي وغيرهما من العلماء فجلسوا في العزاء وبايعوا وكان للمستظهر بالله لما بويع ست عشرة سنة وشهران

## (ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تتش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداد)

في هذه السنة في جمادى الاولى قتل قسيم الدولة آقسنقر جد ملوكنا بالموصل الآن أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب قتله ان تاج الدولة تتش لما عاد من أذربيجان منهزما لم يزل يجمع العساكر فكثرت جموعه وعظم حشده فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب السلطنة فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر وبوزان وأمدهما ركن الدين بركيارق بالامير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل فلما اجتمعوا ساروا الى طريقه فلقوه عند نهر سبعين قريبا من تل السلطان بينه وبين حلب ستة فراسخ واقتتلوا واشتد القتال فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقر فانهزموا وتبعهم الباقون فتمت الهزيمة وثبت آقسنقر فأخذ اسيرا واحضر عند تتش فقال له لو ظفرت بي ما كنت صنعت قال كنت اقتلك فقال له انا احكم عليك بما كنت تحكم علي فقتله صبرا وسار نحو حلب وكان قد دخل اليها كربوقا وبوزان فحفظاها منه وحصرها تتش ولج في قتالها حتى ملكها واستأمن اليه المقيم بقلعة الشريف ومنها دخل البلد وأخذهما أسيرين وأرسل الى حران والرها ليسلماهما من بهما وكانتا لبوزان فامتنعوا من التسليم اليه فقتل بوزان وأرسل رأسه اليهم وتسلم البلدين وأما كربوقا فانه أرسله الى حمص فسجنه بها الى ان أخرجه الملك رضوان بعد قتل ابيه تتش وكان قسيم الدولة احسن الامراء سياسة لرعيته وحفظا لهم وكانت بلاده بين رخص عام وعدل شامل وأمن واسع وكان قد شرط على اهل كل قرية من بلاده متى اخذ عندهم قفل أو احد من الناس غرم اهلها جميع ما يؤخذ من الاموال من قليل وكثير فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده القوا رحالهم وناموا وحرسهم اهل القرية الى ان يرحلوا فامنت الطرق واما وفاؤه وحسن عهده فيكفيه فخرا انه قتل في حفظ بيت صاحبه وولي نعمته فلما ملك تتش حران والرها سار الى الديار الجزرية فملكها جميعها ثم ملك ديار بكر وخلاط وسار الى اذربيجان فملك بلادها كلها ثم سار منها الى همذان فملكها ورأى بها فخر الملك بن نظام الملك وكان بخراسان فسار منها الى السلطان بركيارق ليخدمه فوقع عليه الامير قماج وهو من عسكر محمود بن السلطان ملكشاه باصبهان فنهب فخر الملك فهرب منه ونجا بنفسه فجاء الى همذان فصادفه تتش بها فاراد قتله فشفع فيه باغي سيان واشار عليه ان يستوزره لميل الناس الى بيته فاستوزره وارسل الى بغداد يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله وكان شحنته ببغداد ايتكين جب فلازم

ومونه ، وكاتبوا الى بخارا سائلين رد الزعامة اليه رعاية لحق خدمتهم ، وتحكيما للكرم في تحقيق مسائلهم ، واستبقاء لوجوههم ماء طاعتهم ، فابى ابن عزير ان يقنع لهم نجاح او يسفر بين أولياء الدولة صلاح ، وكتب اليهم يمنيهم الزور ويريهم الغرور ، سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ، وسألوهم معاودة الحضرة تطميعا لهم ، وتشقيقا للنفاق عليهم ، فلما عرفوا صورة الجواب ازدادوا بصيرة في طاعة ابي العباس تاش ونفاذا في خدمته وتصرفا بتصاريفه ، وبخوعا له في وجوه تكاليفه

## (ذكر انقلاب فخر الدولة الى ولايته وما جرى بعد ذلك بينه وبين حسام الدولة ابي العباس تاش من المكاتبة والتعاون الى آخر عمره)

اتفق بعد معاودة ابي العباس تاش الى بخارا ان قضى مؤيد الدولة نحبه ، ولقي ربه ، وقبل انقضاء الحرب التي كانت بينهما مادها

الخدمة بالديوان وألح فى طلبها فاجيب الى ذلك بعد ان سمع ان بركيارق قد انهزم من عسكر عمه تتش على ما نذكره

*(ذكر انهزام بركيارق من عمه تتش وملكه اصبهان بعد ذلك)*

فى هذه السنة فى شوال انهزم بركيارق من عسكر عمه تتش وكان بركيارق بنصيبين فلما سمع بمسير عمه الى أذربيجان سار هو من نصيبين وعبر دجلة من بلد من فوق الموصل وسار الى اربل ومنها الى بلد سرخاب بن بدر الى ان بقى بينه وبين عمه تسعة فراسخ ولم يكن معه غير ألف رجل وكان عمه فى خمسين ألف رجل فسار الامير يعقوب بن أبق من عسكر عمه فكبسه وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمشتكين الجاندار والبارق وهم من الامراء الكبار فسار الى أصبهان وكانت خاتون أم أخيه محمود قد ماتت على ما نذكره فمنعه من بها من الدخول اليها ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه فلما قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه ودخل البلد واحتاطوا عليه فاتفق ان اخاه محمودا حم وجدر فاراد الامراء ان يكحلوا بركيارق فقال لهم امين الدولة ابن التلميذ الطبيب ان الملك محمودا قد جدر وما كانه يسلم منه وأراكم تكرهون ان يليكم ويملك البلاد تاج الدولة فلا تعجلوا على بركيارق فان مات محمود أقيموه ملكا وان سلم محمود فانتم تقدرون على كحله فمات محمود سلخ شوال فكان هذا من الفرج بعد الشدة وجلس بركيارق للعزاء باخيه وكان مولد محمود فى صفر سنة ثمانين واربعمائة وقصده مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره فى ذى الحجة وكان اخوه عز الملك بن نظام الملك قد مات لما كان مع بركيارق بالموصل وحمل الى بغداد فدفن بالنظامية وكان اصبح الناس وجها واحسنهم خلقا وسيرة وكان قد اجرى الناس على ما بايديهم من توقيعات ابيه فى الاطلاقات من خاصه منها ببغداد ما تتا كرغلة وثمانية عشر الف دينار اميرى ثم ان بركيارق جدر بعد اخيه وعوفى وسلم فلما عوفى كاتب مؤيد الملك وزيره الامراء العراقيين والخراسانيين واستمالهم فعادوا كلهم الى بركيارق فعظم شأنه وكثر عسكره

*(ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر)*

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى أمير الجيوش بدر الجمالى صاحب الجيش بمصر وقد جاوز ثمانين سنة وكان هو الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع اليه وكان قد استعمله على الشام سنة خمس وخمسين واربعمائة وجرى بينه وبين الرعية والجند بدمشق ما خاف على نفسه فخرج عنها هاربا وجمع وحشد وقدم الى الشام فاستولى عليه باسره سنة ست وخمسين ثم خالفه اهل دمشق مرة اخرى فهرب منهم سنة ستين وخرب العامة والجند قصر الامارة ثم مضى امير الجيوش الى مصر وتقدم بها وصار صاحب الامر قال علقمة بن عبد الرزاق العليمى قصدت بدرا الجمالى بمصر فرأيت اشراف الناس وكبراءهم وشعراءهم على بابه قد طال مقامهم ولم يصلوا اليه قال فبينا انا كذلك اذ خرج بدر يريد الصيد فخرج علقمة فى اثره واقام الى ان رجع من صيده فلما قاربه وقف على نشز من الارض وأومأ برقعة فى يده وانشأ يقول

نحن التجار وهذه اعلاقنا * در وجود يمينك المبتاع
قلب وفتشها بسمعك انما * هى جوهر يختاره الاسماع
كسدت علينا بالشآم وكلما * قل النفاق تعطل الصناع

---

الخبر بموت عضد الدولة اخيه فتماسك عن اظهار المصاب اناة بالخطب الذى كان امامه حتى يكفيه بحفيظته المرة * ويقضيه بعزيمته المستقرة * وتشاور أولياء تلك الدولة فيمن ينتصب منصبه * ويسد فى الرياسة مسده * فاشار الصاحب اسمعيل بن عباد الى فخر الدولة اذ لم يكن فى ذلك البيت احق منه بالامارة واتم استقلالا بأعباء الرياسة والسياسة سنا وكفاية منه فطير والبريد اليه فى البدار الى ما اورثه الله تعالى من عقيلة الملك وذخيرة الملك عفوا الامنة لاحد عليه به * ولا حق لانسان يختم لسانه بشكره * واستخلفوا اخاه ابا العباس خسرو فيروز بن ركن الدولة على ضم المنتشر وتقويم المتأود الى ان يلحق بهم فيتولى تدبير ما يليه * ويتولى عنه تحرير ما ينشئه برأيه وعليه * وبادر فخر الدولة من نيسابور الى جرجان تطاير البرق * بين جناحى الافق * فاستقبله العسكر خاضعين طائعين * وعلى صدق الموالاة

فانالك يحملها اليك تجارها • ومطيها الآمال والاطماع
حتى اناخوها ببابك والربا • من دونك السمار والبياع
فوهبت مالم يعطه في دهره • هرم ولا كعب ولا القعقاع
وسبقت هذا الناس في طلب العلا • فالناس بعدك كلهم اتباع
يابدراقسم لويك اعتصم الورى • ولبوا اليك جميعهم ماضاعوا

وكان على يديد بازى فالقاه وانفرد عن الجيش وجعل يستردد الابيات وهو ينشدها الى ان استقر في مجلسه ثم قال لجماعة غلمانه وخاصته من أحبني فليخلع على هذا الشاعر فخرج من عنده ومعه سبعون بغلا تحمل الخلع والتحف وأمر له بعشرة آلاف درهم فخرج من عنده وفرق كثيرا من ذلك على الشعراء ولمامات يدرعام بما كان اليه ابنه الافضل

## ﴿ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستعلي﴾

في هذه السنة ثامن عشر ذي الحجة توفي المستنصر بالله أبو تميم معد بن أبي الحسن على الظاهر لاعزاز دين الله العلوى صاحب مصر والشام وكانت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر وكان عمره سبعا وستين سنة وهو الذي خطب له البساسيري ببغداد وقد ذكرنا ذلك وكان الحسن بن الصباح رئيس هذه الطائفة الاسماعيلية قد قصده في زي تاجر واجتمع به وخاطبه في اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس اليه سرا ثم أظهرها وملك القلاع كما ذكرناه وقال للمستنصر من امامي بعدك فقال ابني نزار وهو أكبر أولاده والاسماعيلية الى يومنا هذا يقولون بامامة نزار ولقي المستنصر شدائد واهوالا وافتنقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها امواله وذخائره الى ان بقي لا يملك غير سجادته التي يجلس عليها وهو مع هذا صابر غير خاشع وقد اتينا على ذكر هذا سنة سبع وستين واربعمائة وغيرها ولما مات ولي بعده ابنه ابو القاسم احمد المستعلي بالله ومولده في المحرم سنة سبع وستين واربعمائة وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار فخلعه الافضل وبايع المستعلي بالله وسبب خلعه أن الافضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكبا ونزار خارج والمجاز مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار انزل يا ارمني كلب عن الفرس ما اقل ادبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خافه على نفسه وبايع المستعلي فهرب نزار الى الاسكندرية وبها ناصر الدولة افتكين فبايعه اهل الاسكندرية وسموه المصطفى لدين الله فخطب الناس ولعن الافضل وأعانه أيضا القاضي جلال الدولة بن عمار قاضي الاسكندرية فسار اليه الافضل وحاصره بالاسكندرية فعاد عنه مقهورا ثم ازداد عسكرا وسار اليه فحصره وأخذ افتكين فقتله وتسلم المستعلي نزارا فبنى عليه حائطا فمات وقتل القاضي جلال الدولة بن عمار ومن أعانه

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة في ربيع الآخر رأى بعض اليهود بالغرب رؤيا انهم سيطيرون فاخبر اليهود بذلك فوهبوا أموالهم وذخائرهم وجعلوا ينتظرون الطيران فلم يطيروا وصاروا ضحكة بين الامم وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة بطول مكثها الا انهم لم يكن الهدم كثيرا وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الارجاء فاحترقت نهر طابق وصارت تلولا فلما احترقت

والملوا لاصطباعين • وتبوأ مقعده من سرير الملك وارثا ما اوصى له به ابوه • وسار ما كان يديره اخوه • كذلك يؤتي الله الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو الفعال لما يريد ولقد احسن ابو بكر الخوارزمي حيث يقول في قصيدة يرثي فيها مؤيد الدولة ويعزي ويهني فخر الدولة
رزئت اخا وخير الجد في أخ • من الناس طرا ماعداه ولا استثنى
وقتيات الدنيا اليك كأنها طاشلية قد جاوبت قبل ان تدعى
طبت بك عشقا وهي معشوقة الورى •
فقد اصبحت قيسا وعهدي بها لبنى
ولما رأت خطابها انكرتهم • فلم ترض الا زوجها الاول الاولى
ولم تتساهل في الكفء ولم تقل •
رضيت اذا مالم تكن ابل معزى
على انها كانت جفتك تدللا • فخليتها اذ انت تطلب الرجعى
وانشدت لابي الفرج بن هبيرة ابياتا من قصيدة وهي

عبر بين صاحب الشرطة اقتتل رجلا مستورا فنفر الناس منه وعزل في اليوم الثالث وفيها توفي محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكة وقد جاوز سبعين سنة ولم يكن له ما يمدح به وكان قد نهب بعض الحجاج سنة ست وثمانين وقتل منهم خلقا كثيرا وفيها في ربيع الاول قتل السلطان بركيارق عمه تكش وغرقه وقتل ولده معه وكان ملكشاه قد أخذه لما خرج عليه وكحله وحبسه بقلعة تكريت فلما ملك بركيارق احضره اليه ببغداد وسار بسيره فظفر بملطفات اليه من أخيه تتش يحثه على اللحاق به وقيل انه أراد المسير الى بلخ لان أهلها كانوا يريدونه فقتله فلما غرق بقي بسر من رأى ثم نقل الى بغداد فدفن عند قبر ابي حنيفة وفيها في جمادى الآخرة كانت وقعة بين الامير انر وتورانشاه بن قاورت بك وكانت تركان خاتون الجلالية والدة محمود بن ملكشاه قد ارسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه ولم يحسن الامير انر تدبير بلاد فارس فاستوحش منه الاجناد واجتمعوا مع تورانشاه وهزموا انر ومات تورانشاه بعد الكسرة بشهر من سهم اصابه فيها وفيها استولى اصبهبذ بن ساوتكين على مكة حرسها الله عنوة وهرب منها الامير قاسم بن ابي هاشم العلوي صاحبها واقام بها الى شوال وجمع الامير قاسم وكبسه بعسفان وجرى بينهما حرب في شوال من هذه السنة فانهزم اصبهبذ ودخل قاسم الى مكة ومضى اصبهبذ الى الشام وقدم الى بغداد وفيها في رجب اسرق شحنة بغداد وهو ايتكين جب باب البصرة وسبب ذلك ان النقيب طراد الزينبي كان له كاتب يعرف بابن سنان فقتل فانفذ النقيب الى الشحنة يستدعى منه من يقيم السياسة فانفذ حاجبه محمدا فرجمه اهل باب البصرة وادموه فرجع الى صاحبه فشكا اليه منهم فأمر أصحابه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم فساروا اليهم في جماعة كثيرة وتبعهم أهل الكرخ فاحرقوا ونهبوا فارسل الخليفة الى الشحنة يأمره بالكف عنهم فكف وفيها في رمضان توفيت تركان خاتون الجلالية باصبهان وهي ابنة طمغاج خان وهو من نسل فراسياب التركي وكانت قد برزت من أصبهان لتسير الى تاج الدولة تتش لتتصل به فمرضت وعادت وماتت واوصت الى الامير أنر والى الامير سرمز شحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود ولم يكن بقي بيدها سوى قصبة أصبهان ومعها عشرة آلاف فارس اتراك وفيها في ذي القعدة توفي أبو الحسين بن الموصلايا كاتب ديوان الزمام ببغداد

(ثم دخلت سنة ثمان وثمانين واربعمائة)

*(ذكر دخول جمع من الترك افريقية وما كان منهم)*

في هذه السنة غدر شاهملك التركي بيحيى بن تميم بن المعز بن باديس وقبض عليه وكان هذا شاهملك من أولاد بعض الامراء الاتراك ببلاد الشرق فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه فسار الى مصر في مائة فارس فاكرمه الافضل أمير الجيوش واعطاه اقطاعا ومالا ثم بلغه عنه أسباب أوجبت اخراجه من مصر فخرج هو وأصحابه هاربين فاحتالوا حتى أخذوا سلاحا وخيلا وتوجهوا الى المغرب فوصلوا الى طرابلس الغرب وأهل البلد كارهون لواليها فادخلوهم البلد واخرجوا الوالي وصار شاهملك أمير البلد فسمع تميم الخبر فارسل العساكر اليها فحصروها وضيقوا على الترك ففتحوها ووصل شاهملك معهم الى المهدية فسر به تميم ومن معه وقال ولدي مائة ولد انتفع بهم وكانوا لا يخطئ لهم سهم فلم تطل الايام حتى جرى منهم أمر غير تميما عليهم فعلم

ولو قبل الفداء لكان يفدى
وان جل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون
تكد لحاظها في الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس
برغمك دونه ثوب الحداد
اذا قدمت خاتمة الرزايا
فقد عرضت سوقك للكساد

وكتب الى أبي العباس تاش يذكر ما أصاره الله اليه * وأعلقه بيديه * وان ذلك كله موقوف على احكام مشاركته * ومصروف الى اقسام ارادته * وانه لم يرتح لاستجابة ايامه النافرة واعتاب دولته العاتبة ارتياحه لما تمكن به من معاضدته على مصالح أحواله * ومرافدته على مناجح آماله * شكرا لما كان مهده من مقامه قبله وقدمه من جهده في ارادة الخير به وارتياد النجح له فاجابه عنه مهنئا بما أتاحه الله له من كريم صنعه * وزفه اليه من هدى ملكه * وشاكرا له ما أوجبه ورآه * وشاكيا اليه ما ارهقه ودهاه * فكتب اليه بأنه سهمه فيما يليه *

شاهملك ذلك وكان داهيا خبيثا فخرج يحيى بن تميم الى الصيد في جماعة من اعيان اصحابه نحو مائة فارس ومعه شاهملك وكان ابوه تميم قد تقدم اليه ان لا يقرب شاهملك فلم يقبل فلما ابعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه وسار به وبمن اخذ معه من اصحابه الى مدينة سفاقس وبلغ الخبر تميما فركب وسير العساكر في اثرهم فلم يدركوهم ووصل شاهملك بيحيى ابن تميم الى سفاقس فركب صاحبها واسمه حمو وكان قد خالف على تميم ولقي يحيى ومشى في ركابه راجلا وقبل يده وعظمه واعترف له بالعبودية فاقام عنده اياما ولم يذكر ابوه بكلمة وكان قد جعله ولي عهده فلما اخذ اقام ابو مقامه ابنا له آخر اسمه مثنى ثم ان صاحب سفاقس خاف يحيى على نفسه ان يثور معه الجند واهل البلد ويملكوه عليهم فارسل الى تميم كتابا يسأله في انفاذ الاتراك واولادهم اليه ليرسل ابنه يحيى ففعل ذلك بعد امتناع وقدم يحيى فحجبه ابوه عنه مدة ثم اعاده الى حاله ورضي عنه ثم جهز تميم عسكرا الى سفاقس ويحيى معهم فساروا اليها وحصروها وجاروا بجرا وضيقوا على الاتراك بها واقاموا عليها شهرين واستولوا عليها وفارقها الاتراك الى قابس وكان تميم لما رضي عن ابنه يحيى عظم ذلك على ابنه الآخر المثنى وداخله الحسد فلم يملك نفسه فنقل عنه الى ابيه ما غير قلبه عليه فامر باخراجه من المهدية باهله واصحابه فركب في البحر ومضى الى سفاقس فلم يمكنه عاملها من الدخول اليها وقصد مدينة قابس وبها امير يقال له مكين بن كامل الدهماني فانزله واكرمه فحسن له مثنى الخروج معه الى سفاقس والمهدية واطمعه فيهما وضمن الانفاق على الجند من ماله فجمع مكين من يمكنه جمعه وسار الى سفاقس ومعهما شاهملك التركي واصحابه فنزلوا على سفاقس وقاتلوها وجمع تميم فجرد اليها جندا فلما علم المثنى ومن معه انهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها الى المهدية فنزلوا عليها وقاتلوها وكان الذي يتولى القتال من المهدية يحيى بن تميم وظهرت منه شهامة وشجاعة وحزم وحسن تدبير فلم يبلغ اولئك منها غرضا فعادوا خائبين وقد تلف ما كان مع المثنى من مال وغيره وعظم امر يحيى وصار هو المشار اليه

## (ذكر قتل احمد خان صاحب سمرقند)

في هذه السنة في المحرم قتل احمد خان صاحب سمرقند وكان قد كرهه عسكره واتهموه بفساد الاعتقاد وقالوا هو زنديق وكان سبب ذلك ان السلطان ملكشاه لما فتح سمرقند واسر هذا احمد خان قد وكل به جماعة من الديلم فحسنوا له معتقدهم واخرجوه الى الاباحة فلما عاد الى سمرقند كان يظهر منه اشياء تدل على انحلاله من الدين فلما كرهه اصحابه وعزموا على قتله قالوا لمستحفظ قلعة كاسان وهو طغرل ينال بك ليظهر العصيان ليسير احمد خان معهم من سمرقند الى قتاله فيتمكنوا من قتله فعصى طغرل ينال بك فسار احمد خان والعسكر الى قتاله فلما نازل القلعة تمكن العسكر منه وقبضوا عليه وعادوا الى سمرقند واحضروا القضاة والفقهاء واقاموا خصوما ادعوا عليه الزندقة فجحد فشهد عليه جماعة بذلك فافتى الفقهاء بقتله فخنقوه واجلسوا ابن عمه مسعودا مكانه واطاعوه

## (ذكر ما فعله يوسف بن ابق ببغداد)

في هذه السنة في صفر سير الملك تتش يوسف بن ابق التركماني شحنة لبغداد ومعه جمع من التركمان فمنع من دخول بغداد وورد اليها صدقة بن مزيد صاحب الحلة وكان يكره تتش ولم يخطب له

وفسيه على ما يصوبه ٭ وان أمره ممتثل في كل ما يرومه ويقصده ٭ فلين أمره على ما يقترحه عليه اقتراحه منتظرا لما تقتضيه شركة المقاوضة من التسمح بالملك والمال ٭ وتسريب الرجال في أعقاب الرجال ٭ وكان قد أنهض أبا سعيد الشيبي وهو الملقب بشيخ الدولتين الى ما قبل فخر الدولة رسولا فصرفه في العاجل بقدر من المال ونحو ألف فارس من سرعان العرب والاتراك فورد نيسابور وانضم اليه ابو محمد عبد الله بن عبد الرزاق موالياً لابي العباس تاش على ابي الحسن بن سيمجور فاجتمع على التعاضد ٭ واتفقا على التكاتف والترافد ٭ واصدر تاش الى نيسابور فسبقه اليها ابو الحسن وانحاز المقيمون بها انتظارا لوصوله في سواد خيله ٭ ولحق بهم فصارت الايدي واحدة ٭ والقلوب على الاخلاص متعاقدة ٭ وقصد باب نيسابور من جانبها الغربي فخيم بظاهره وناوش أبا

في بلاده فلما سمع ابن ابق بوصوله عاد الى طريق خراسان ونهب باجسرا وقاتله العسكر بعقوبا فهزمهم ونهبهم افحش نهب واكثر معه من التركمان وعاد الى بغداد وكان صدقة قد رجع الى الحلة فدخل يوسف بن ابق الى بغداد واراد نهبها والايقاع باهلها فنعه امير كان معه من ذلك ثم وصل اليه الخبر بقتل تتش فرحل عن بغداد الى الموصل وسار من هناك الى حلب

*(ذكر الحرب بين بركيارق وتتش وقتل تتش)*

في هذه السنة في صفر قتل تتش بن الب ارسلان وكان سبب ذلك انه لما هزم السلطان بركيارق كما ذكرنا سار من موضع الوقعة الى همذان وقد تحصن بها امير آخر فرحل تتش عنها فتبعه امير آخر لاجل اثقاله فعاد عليه تتش فكسره فعاد الى همذان واستأمن اليه وصار معه وبلغ تتش مرض بركيارق فسار الى اصبهان فاستأذنه امير آخر في قصد جرباذقان لاقامة الضيافة وما يحتاج اليه فاذن له فسار اليها ومنها الى اصبهان وعرفهم خبر تتش وعلم تتش خبره فنهب جرباذقان وسار الى الري وأرسل الامراء الذين بأصبهان يدعوهم الى طاعته ويبذل لهم البذول الكثيرة وكان بركيارق مريضا بالجدري فاجابوه يعدونه بالانحياز اليه وهم ينتظرون ما يكون من بركيارق فلما عوفي ارسلوا الى تتش ليس بيننا غير السيف وسار واسع بركيارق من أصبهان وهم في نفر يسير فلما بلغوا جرباذقان أقبلت اليهم العساكر من كل مكان حتى صاروا في ثلاثين الفا فالتقوا بموضع قريب من الري فانهزم عسكر تتش وثبت هو فقتل قيل قتله بعض أصحاب آقسنقر صاحب حلب أخذا بثار صاحبه وكان قد قبض على فخر الملك بن نظام الملك وهو معه فاطلق واستقام الأمر والسلطنة لبركيارق واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه بالامس ينهزم من عمه تتش ويصل الى اصبهان في نفر يسير فلا يتبعه احد ولو تبعه عشرون فارسا لاخذوه لانه بقي على باب اصبهان عدة ايام ثم لما دخلها اراد الامراء كحله فاتفق ان اخاه محمودا حم ثاني يوم وصوله وجدر فمات فقام في الملك مقامه ثم جدر هو واصابه معه سرسام فعوفي وبقي منذ كسره عمه الى ان عوفي وسار عن اصبهان اربعة اشهر لم يتحرك عمه ولا عمل شيأ ولو قصده وهو مريض او وقت مرض أخيه لملك البلاد

وللّه سر في علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

*(ذكر حال الملك رضوان وأخيه دقاق بعد قتل أبيهما)*

كان تاج الدولة تتش قد أوصى اصحابه بطاعة ابنه الملك رضوان وكتب اليه من بلد الجبل قبل المصاف الذي قتل فيه يأمره ان يسير الى العراق ويقيم بدار المملكة فسار في عدد كثير منهم ايلغازي بن ارتق وكان قد سار الى تتش فتركه عند ابنه رضوان ومنهم الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس وغيرهما فلما قارب هيت بلغه قتل ابيه فعاد الى حلب ومعه والدته فملكها وكان بها ابو القاسم الحسن بن علي الخوارزمي قد سلمها اليه تتش وحكمه في البلد والقلعة ولحق برضوان زوج امه جناح الدولة الحسين بن ايتكين وكان مع تتش فسلم من المعركة وكان مع رضوان أيضا اخواه الصغيران أبو طالب وبهرام وكانوا كلهم مع أبي القاسم كالاضياف لتحكمه في البلد واستمال جناح الدولة المغاربة وكانوا أكثر جند القلعة فلما انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم وارسل اليه رضوان يطيب قلبه فاعتذر

الدمن الحرب أياما عدة وهو متحصن بالبلد ودروبه ومختبر بضيق مداخله وسدوده * ولحق بابي العباس زهاء ألفي رجل من خلص الديلم ونخب الاتراك يقودهم أبو العباس فيروزان بن الحسن في كبار القواد ممن يقدمون على الزبر * ويدخلون ولو في خرت الابر * فلما أحس أبو الحسن بن سيمجور بانا ختم علم قوتهم على حرب المضيق * واعجازهم بأطراف الزانات والمزاريق * فاتخذ الليل جملا * وترك البلد هملا * وسار يريد قهستان ساترا عورة الانهزام * بلباس الظلام * وسمع عسكر ابي العباس تاش باجفالهم * فشدوا على آثارهم واثقالهم * وأصابوا منهم غنائم موفوره * وأنفالا غير محصوره * ودخل أبو العباس تاش نيسابور وجاوزها الى المعسكر بظاهرها مما يلي الجانب الشرقي حميد الظفر * رضي الاثر * وانشدني أبو منصور الثعالبي لنفسه في

فقبل عذره وخطب لرضوان على منابر حلب واعمالها ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لابيه بعد قتله شهرين وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن الب التركماني صاحب انطاكية ثم صالحهم واشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر لانها خالية من وال يحفظها فسار واجميعا وقدم عليهم امراء الاطراف الذين كان تتش رتبهم فيها وقصد واسروج فسبقهم اليها الامير سقمان بن ارتق بجدا صحاب الحسن اليوم واخذها ومنعهم عنها وامر اهل البلد فخرجوا الى رضوان وتظلموا اليه من عساكرهم وما يفسدون من غلاتهم ويسالونه الرحيل فرحل عنهم الى الرها وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط وكان يضمن البلاد من بوزان فقاتل المسلمين معه واحتمى بالقلعة وشاهد وا من شجاعته ما كانوا الا يظنونه ثم ملكها رضوان وطلبها باغيسيان القلعة من رضوان فوهبها له فقتل وحصنها ورتب رجالها وارسل اليهم اهل حران يطلبونهم ليسلموا اليهم حران فجمع ذلك قراجة امرهم فاتهم ابن المفتي وكان هذا ابن المفتي قد اعتمد عليه تتش في حفظ البلد فاخذه واخاه معه بني اخيه فصلبهم ووصل الخبر الى رضوان وقد اختلف جناح الدولة وباغيسيان واضمر كل واحد منهما الغدر بصاحبه فهرب جناح الدولة الى حلب فدخلها واجتمع بزوجته ام الملك رضوان وسار رضوان وباغيسيان نحو الفرات الى حلب فمنعه وابدخول جناح الدولة اليها ففارق باغيسيان الملك رضوان وسار الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي وسار رضوان الى حلب وامادقاق بن تتش فانه كان قد سيره ابوه الى عمه السلطان ملكشاه ببغداد وخطب لابنة السلطان وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلالية وابنها محمود الى اصبهان وخرج الى السلطان بركيارق سرا وصار معه ثم لحق بابيه وحضر معه الوقعة التي قتل فيها فلما قتل ابوه اخذه غلام لابيه اسمه ايتكين الحلبي وساربه الى حلب واقام عند اخيه الملك رضوان فراسله الامير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سرا يدعوه ليملكه دمشق فهرب من حلب سرا وجد في السير فارسل اخوه رضوان عدة من الخيالة فلم يدركوه فلما وصل الى دمشق فرح به الخادم واظهر الاستبشار ولقيه فلما دخلها ارسل اليه باغيسيان يشير عليه بالتفرد بملك دمشق عن اخيه رضوان واتفق وصول معتمد الدولة طغدكين الى دمشق ومعه جماعة من خواص تتش وعسكره وقد ملوا فانه كان قد شهد الحرب مع صاحبه واسر فبقي الى الآن وخلص من الاسر فلما وصل الى دمشق لقيه الملك دقاق وارباب دولته وبالغوا في اكرامه وكان زوج والدة دقاق فمال اليه لذلك وحكمه في بلاده وعملوا على قتل الخادم ساوتكين فقتلوه وسار اليهم باغيسيان من انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي فجعله وزيرا لدقاق وحكمه في دولته

## (ذكر وفاة المعتمد بن عباد)

في هذه السنة توفي المعتمد بن عباد الذي كان صاحب الاندلس محبوسا باغمات من بلد المغرب وقد ذكرنا كيف اخذت بلاده منه سنة اربع وثمانين واربعمائة فبقي محبوسا الى الآن وتوفي وكان من محاسن الدنيا كرما وعلما وشجاعة ورياسة تامة واخباره مشهورة وآثاره مدونة وله اشعار حسنة فمنها ما قاله لما اخذ ملكه وحبس

سلت على يد الخطوب سيوفها * فجذذن من جسدي الخصيف الامتنا

تلك الوقعة
قل للذي أتاني هواه ناشي
صاد الفؤاد بصدغه الجاش
صدغ يرى عند الرياح كانه
قلب ابن سيمجور أحس بتاش
وله أيضا
ان الشتاء مضى بقبح فاشي
وأتى الربيع الناجح من رياش
ومضى ابن سيمجور بقبح فعاله
وأتاش أبناء الكرام بتاش
وارتم تاش متاخمة ذلك يواصل الكتب الى بخارا في الاستقالة والاستقالة والضمان لانف الطاعة وعرض النفس والملك بلسان الضراعة فلجت بابن عزير صلابته في عداوة آل عتبة دون مقاربته ومعاداته ومعاندته وطفق ينفق على الامير الرضى ووالدته التي كانت كافلة الملك أن تاش معتصم بالديلم وقاصد قصد الاجحاف بالدولة وانه متى ارخى من عنانه فيما يستدعيه وجب التعزي عنها والتكبير عليها حتى ظننا ان الامر كما زعم فوكلا التدبير اليه وجعلا ربط الخير والشر بيديه وقد كتب

شربت بها ايدى الخطوب وانما * ضربت رقاب الآملين بها المنا
ياآملى للعادات من نفحاتنا * كفوا فان الدهر كف اكفنا

وله من قصيدة يصف القيد فى رجله

تعطف فى ساقى تعطف ارقم * يساورها عضا بانياب ضيغم
وانى من كان الرجال بسيبه * ومن سيفه فى جنة وجهنم

وقال فى يوم عيد

فيما مضى كنت بالاعياد مسرورا * فصرت كالعيد فى اغمات ماسورا
قد كان دهرك ان تامره ممتثلا * فردك الدهر منهيا ومأمورا
من بات بعدك فى ملك يسر به * فانما بات بالاحلام مسرورا

وكان شاعره ابو بكر بن اللبانة يأتيه وهو مسجون فيمدحه لا لجدوى ينالها منه بل رعاية لحقه واحسانه القديم اليه فلما توفى اتاه فوقف على قبره يوم عيد والناس عند قبور اهليهم وانشد بصوت عال

ملك الملوك اسامع فانادى * ام قد عداك عن الجواب عوادى
لما خلت منك القصور ولم تكن * فيها كما قد كنت فى الاعياد
قبلت فى هذا الثرى لك خاضعا * وتخذت قبرك موضع الانشاد

واخذ فى اتمام القصيدة فاجتمع الناس كلهم عليه يبكون ولو اخذنا فى تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الامر فلنقف عند هذا

(*ذكر وفاة الوزير ابى شجاع)*

فى هذه السنة توفى الوزير ابو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وزير الخليفة فى جمادى الآخرة واصله من روذ روار وولد بالاهواز وقرأ الفقه على الشيخ أبى اسحق الشيرازى وكان عالما بالعربية وله تصانيف منها ذيل تجارب الامم وكان عفيفا عادلا حسن السيرة كثير الخير والمعروف وكان موته بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مجاورا فيها ولما حضره الموت أمر فحمل الى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم فوقف بالحضرة وبكى وقال يارسول الله قال الله عز وجل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئت معترفا بذنوبى وجرائمى ارجو شفاعتك وبكى فاكثر وتوفى من يومه ودفن عند قبر ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم

*(ذكر الفتنة بنيسابور)*

فى هذه السنة فى ذى الحجة جمع امير كبير من أمراء خراسان جمعا كثيرا وسار بهم الى نيسابور فحصرها فاجتمع اهلها وقاتلوه اشد قتال ولازم حصارهم نحو اربعين يوما فلما لم يجد له مطمعا فيها سار عنها فى المحرم سنة تسع وثمانين فلما فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرامية وسائر الطوائف من اهلها فقتل بينهم قتلى كثيرة وكان مقدم الشافعية ابا القاسم بن امام الحرمين أبى المعالى الجوينى ومقدم الحنفية القاضى محمد بن أحمد بن صاعد وهما متفقان على الكرامية ومقدم الكرامية محمشاد فكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مدارسهم وقتل

أروى اصديق لى فى تلك الايام بيتين لابن المعتز سمعتهما فى الشباب وهما هذان
شيآن لو بكت الدماء عليهما * عيناى حتى يؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
فقال ان الاليق بحكم الوقت والحال بيتان فى وزنهما وصيا غتهما للحسين بن على المرورودى وهما
شيآن يعجز ذو الرياضة عنهما * رأى النساء وامرة الصبيان
أما النساء فميلهن الى الهوى * وأخو الصبا يجرى بغير عنان
قلت فأنصف لعمرى فيما وصف وحكم كما يشهد به العيان * ويسجل بصحته الامتحان * وأبى الله أن تكون ظئر فى شفقة الام * وخال بمنزلة العم * وعسيف بمثابة الصاحب * ووزير يحل الملك الغالب * المستبد برأيه الصائب * واهمل ابو العباس تاش ما اهمه من امر ابى الحسن بن سيمجور وقصده بمداراة لولاة التدبير بخارا واستمالة لهم * واستيناء واستدراجا

كثير منهم ومن غيرهم وكانت فتنة عظيمة

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في ربيع الآخر شرع الخليفة في عمل سور على الحريم وأذن الوزير عميد الدولة بن جهير للعامة في التفرج والعمل وزينوا البلد وعملوا القباب وجدوا في عمارته وفيها في شهر رمضان جرح السلطان بركيارق جرحه انسان ستري فمن اهل سجستان في عضده ثم أخذ الرجل واعانه رجلان أيضا من اهل سجستان فلما ضرب الرجل الجارح اعترف ان الرجلين وضعاه واعترفا بذلك فضربا الضرب الشديد ليقرا على من امرهما بذلك فلم يقرا فقربا الى الفيل ليجعلا تحت قوائمه وقدم احدهما فقال اتركوني وانا اعرفكم فتركوه فقال لصاحبه يا أخي لابد من هذه القتلة فلا تفضح اهل سجستان بافشاء الاسرار فقتلا وفيها توجه الامام ابو حامد الغزالي الى الشام وزار القدس وترك التدريس في النظامية واستناب أخاه وتزهد ولبس الخشن وأكل الدون وفي هذه السفرة صنف احياء علوم الدين وسمعه منه الخلق الكثير بدمشق وعاد الى بغداد بعدما حج في السنة التالية وسار الى خراسان وفيها في ربيع الاول خطب لولي العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله وفيها عزل بركيارق وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك واستوزر أخاه فخر الملك وسبب ذلك ان بركيارق لما انهزم عمه تتش وقتله أرسل خادما الى والدته زبيدة خاتون من اصبهان فاتفق مؤيد الملك مع جماعة من الامراء واشاروا عليه بتركها فقال لا اريد الملك الالها او بوجودها عندي فلما وصلت اليه وعلمت الحال تنكرت على مؤيد الملك وكان مجد الملك ابو الفضل البلاساني قد حصلها في طريقها وعلم انه لا يتم له امر مع مؤيد الملك وكان بين مؤيد الملك واخيه فخر الملك تباعد بسبب جواهر خلفها ابوهما نظام الملك فلما علم فخر الملك تنكر ام السلطان على اخيه مؤيد الملك ارسل وبذل اموالا جزيلة في الوزارة فاجيب الى ذلك وعزل اخوه وولي هو وفي هذه السنة في جمادى الاولى توفي ابو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي الفقيه الحنبلي وكان عارفا بعدة علوم وكان قريبا من السلاطين وفيها في رجب توفي ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون المعروف بابن الباقلاني وهو مشهور ومولده سنة ست واربعمائة وفيها في شعبان توفي قاضي القضاة ابو بكر محمد بن المظفر الشامي وكان من اصحاب أبي الطيب الطبري ولم يأخذ على القضاء اجرا واقر الحق مقره ولم يحاب احدا من خلق الله ادعى عنده بعض الاتراك على رجل شيأ فقال الك بينة قال نعم فلان والمشطب الفقيه الفرغاني فقال لا اقبل شهادة المشطب لانه يلبس الحرير فقال التركي فالسلطان ونظام الملك يلبسان الحرير فقال لو شهدا عندي على باقة بقل لم اقبل شهادتهما وولي القضاء بعده أبو الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد الدامغاني وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمد القزويني ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مغاليا في الاعتزال وقيل كان زيدي المذهب وفيها توفي القاضي أبو بكر بن الرطبي قاضي دجيل وكان شافعي المذهب وولي بعده أخوه أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحداد الإصفهاني صاحب أبي نعيم الحافظ روى عنه حلية الاولياء وهو أكبر من أخيه أبي المعالي وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الاندلسي ولد قبيل العشرين وأربعمائة وسمع الحديث ببلده ومصر

والحجاز

---

بهم وإسا كالوحشة من الازدياد • وصيانة للقرح من الامداد • وهم فيما بينها يهتبلون فرصة الرخاء ويغتنمون فسحة الامهال والامهاء • ويقبلون على مواصلة الاحتشاد والاستمداد • ومداومة الاستعداد والاستصاد • وكتب أبو الحسن بن سيجور الى أبي الفوارس • ابن عضد الدولة بفارس • قامده بأبي فارس من نخب الاعراب وانضم اليه فائق في خواص غلمانه وسائر من استجاشهم من اطراف خراسان وكروا بأجمعهم على ابي العباس تاش في خيول غص بها عرض الجبوب • وضاق عن ضمها اضلاع الشمال والجنوب • وفيالق تحاكي رمال الفيافي وتضاهي نجوم السماء أهبة وعددا وتشابه قطرات البحار الزواخر مددا • ترجف الجبال الشوامخ تحت أقدامهم وتكسع الاساود السود عند جراءتهم على الموت الذريع واقدامهم •

والحجاز والعراق وهو مصنف الجمع بين الصحيحين وكان ثقة فاضلا وتوفى فى ذى الحجة ووقف كتبه فانتفع بها الناس

(ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة)

*(ذكر قتل يوسف بن ابق والمجن الحلبى)*

فى هذه السنة فى المحرم قتل يوسف بن ابق الذى ذكرنا انه سيره تاج الدولة تتش الى بغداد ونهب سوادها وكان سبب قتله انه كان بحلب بعد قتل تاج الدولة وكان بحلب انسان يقال له المجن وهو رئيس الاحداث بها وله اتباع كثير فحضر عند جناح الدولة حسين وقال له ان يوسف بن آبق يكاتب باغيسيان وهو على عزم الفساد واستأذنه فى قتله فاذن له وطلب ان يعينه بجماعة من الاجناد ففعل ذلك فقصد المجن الدار التى بها يوسف فكبسها من الباب والسطح وأخذ يوسف فقتله ونهب كل ما فى داره وبقى بحلب حاكما فحدثته نفسه بالتفرد بالحكم عن الملك رضوان فقال لجناح الدولة ان الملك رضوان أمرنى بقتلك فخذ لنفسك فهرب جناح الدولة الى حمص وكانت له فلما انفرد المجن بالحكم تغير عليه رضوان وأراد منه ان يفارق البلد فلم يفعل وركب فى أصحابه فلو غسم بالحاربة فلم يفعل ثم أمر أصحابه ان ينهبوا ماله واثاثه ودوابه ففعلوا ذلك واختفى فطلب فوجد بعد ثلاثة أيام فأخذ وعوقب وعذب ثم قتل هو وأولاده وكان من السواد يشق الخشب ثم بلغ هذه الحالة

*(ذكر وفاة منصور بن مروان)*

فى هذه السنة فى المحرم توفى منصور بن نظام الدين بن ناصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر وهو الذى انقرض أمر بنى مروان على يده حين سار به فخر الدولة بن جهير وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة وتركه عند رجل يهودى فمات فى داره وحملته زوجته الى تربة آبائه فدفنته ثم حجت وعادت الى بلد البشنوية فابتاعت ديرا من بلد فنك بقرب جزيرة ابن عمر وأقامت فيه تعبد الله وكان منصور شجاعا شديد البخل له فى البخل حكايات عجيبة فتعسا لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة الا تنظر الى فعلها بابنائها فهذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره الى ان مات فى بيت يهودى نسأل الله تعالى ان يحسن اعمالنا ويصلح عاقبة أمرنا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه

*(ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضا)*

فى هذه السنة ملك تميم بن المعز مدينة قابس واخرج منها اخاه عمرا وسبب ذلك انها كان بها انسان يقال له قاضى بن ابراهيم بن بلونه فمات فولى اهلها عليهم عمرو بن المعز فاساء السيرة وكان قاضى بن ابراهيم عاصيا على تميم وتميم يعرض عنه فسلك عمرو طريقه فى ذلك فاخرج تميم العساكر الى اخيه عمرو ولما أخذ المدينة منه فقال له بعض اصحابه يا مولانا لما كان فيها قاضى توانيت عنه وتركته فلما وليها أخوك جردت اليه العساكر فقال لما كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلا علينا واما اليوم وابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا ما لا يمكن السكوت عليه وفى فتحها يقول ابن خطيب سوسة القصيدة المشهورة التى أولها

ضحك الزمان وكان يلقى عابسا * لما فتحت بحد سيفك قابسا
الله يعلم ما حويت ثمارها * الا وكان أبوك قبل الغارسا

فلما قاربوا نيسابور خالفوا معسكره الى البلد لامتلاكه عليه ومساورة الحرب عن ظهر منعة واقتدار * ومال نجدة واستظهار * فعارضهم أبو العباس تاش فى مسيرهم بعبد الله بن عبد الرزاق وأبى سعيد الشبيبى وخواص غلمانه وناوشهم الحرب من حيث متع النهار الى أن صارت كعين الاحول وظلت حملاته تحطمهم حطما * وتوسع أركانهم هدا وهدما * وكانت الجماعة فيما بين سرخس الى مقامهم ذلك قد بلغت منهم مبلغا احرج صدورهم * واقنع بالاجفال جمهورهم * ايثارا للفسحة المضطرب والخلاص من ضيق المعترك * وحمل ابو العباس تاش آخر النهار حملة قدرها خاتمة القتال * وآخرة النزال * فتلقاها ابو الحسن وابنه ابو على بشكائم قوية * وعزائم فى الثبات صريه * ووردوا مطلقات الاعنة * بشرعات الاسنة * ومسرعات الزحوف * بزهفات السيوف * فلما

من كان في زرق الاسنة خاطبا • كانت له قلل البلاد عرائسا
فابشر تميم بن المعز بفتكة • تركتك من اكناف قابس آيسا
ولوا فكم تركوا هناك مصانعا • ومقاصرا ومخالدا ومجالسا
فكأنها قلب وهن وساوس • جاء اليقين فذادهن وساوسا

•(ذكر ملك كربوقا الموصل)•

في هذه السنة في ذي القعدة ملك قوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل وقد ذكرنا أن تاج الدولة تتش أسره لما قتل آقسنقر وبوزان فلما أسره أبقى عليه طمعا في استصلاح جنبة الامير انز ولم يكن له بلد يملكه اذا قتله كما فعل بالامير بوزان فانه قتله واستولى على بلاده الرها وحران ولم يزل قوام الدولة محبوسا بحلب الى ان قتل تتش وملك ابنه الملك رضوان حلبا فارسل السلطان بركيارق رسولا يأمره باطلاقه واطلاق اخيه التونتاش فلما أطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطالين فاتيا حران فتسلماها وكاتبهما محمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وهو بنصيبين ومعه ثروان بن وهيب وابو الهيجاء الكردي يستنصرون بهما على الأمير علي ابن شرف الدولة وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تتش بعد وقعة المضيع فسار كربوقا اليهم فلقيه محمد ابن شرف الدولة على مرحلتين من نصيبين واستحلفهما لنفسه فقبض عليه كربوقا بعد اليمين وحمله معه وأتى نصيبين فامتنعت عليه فحصرها أربعين يوما وتسلمها وسار الى الموصل فحصرها فلم يظفر منها بشيء فسار عنها الى بلد وقتل بها محمد بن شرف الدولة وغرقه وعاد الى حصار الموصل ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافا ونزل التونتاش شرقي الموصل فاستنجد علي بن مسلم صاحبها بالامير جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فسار اليه نجدة فلما علم التونتاش بذلك سار الى طريقه فقاتله فانهزم جكرمش وعاد الى الجزيرة منهزما وصار في طاعة كربوقا واعانه على حصر الموصل وعدمت الاقوات بها وكل شيء حتى ما يوقدونه فاوقدوا القير وحب القطن فلما ضاق بصاحبها علي الامر فارقها وسار الى الامير صدقة بن مزيد بالحلة وتسلم كربوقا البلد بعد ان حصره تسعة أشهر وخافه أهله لانه بلغهم ان التونتاش يريد نهبهم وان كربوقا يمنعه من ذلك فاشتغل التونتاش بالقبض على اعيان البلد ومطالبتهم بودائع البلد واستطال على كربوقا فأمر بقتله فقتل في اليوم الثالث وأمن الناس شره وأحسن كربوقا السيرة فيهم وسار نحو الرحبة فمنع منها فملكها ونهبها واستناب بها وعاد

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة اجتمع ستة كواكب في برج الحوت وهي الشمس والقمر والمشتري والزهرة والمريخ وعطارد فحكم المنجمون بطوفان يكون في الناس يقارب طوفان نوح فاحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عيسون المنجم فسأله فقال ان طوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت والآن فقد اجتمع ستة منها وليس منها زحل فلو كان معها لكان مثل طوفان نوح ولكن أقول ان مدينة او بقعة من الارض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة فيغرقون فخافوا على بغداد لكثرة من يجتمع فيها من البلاد فاحكمت المسنيات والمواضع التي يخشى منها الانفجار والغرق فاتفق ان الحاج نزلوا بوادي المناقب بعد نخلة فأتاهم سيل عظيم فاغرق اكثرهم

انقلب الى مقامه وقد تفرق في تلك الحال عنه سواد حماته وحفظة راياته فشدوا الحملة عليه دفعة واحدة فاضطروه الى الانهزام واسلام المقام • وتداركت الحملات على عسكر الديلم من جانب فائق حتى تزعزعت صفوفهم • واضطربت جموعهم • فتداعوا الامان من قرع السيوف خلا من أخبثه سورات الذحول فجمع وألقى بيت الاسارة على حال الذل والصغار • ثم حملوا الى بخارا على الاجمال في الجوالق آية ونكالا • وتشفيا من ساقهم الى خراسان ارسالا • فاستقبلهم الخنانيث بالدفوف والمغازل • بدلا عن السيوف والعوامل • وامر بهم الى محابس قهندز الى ان اقتسمتهم الايام بين ممات ونجاه

※ذكر انتقال أبي العباس تاش الى جرجان ومقام ابي الحسن بن سيمجور بنيسابور على قيادة الجيوش※

وانحدر أبو العباس تاش الى جرجان فتلقاه فخر الدولة متوجها

وبجامن تعلق بالجبال وذهب المال والدواب والازواد وغير ذلك تقلع الخليفة على النجم وفيها
في صفر درس الشيخ أبو عبد الله الطبري الفقيه الشافعي بالمدرسة النظامية ببغداد درسه فيها
فخر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق وفيها اغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن
مزيد فارسل في أثرهم عسكرا مقدمه ابن عمه قريش بن بدران بن دبيس بن مزيد فاسرته خفاجة
وأطلقوه وقصدوا مشهد الحسين بن علي عليه السلام فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر فوجه
اليهم صدقة جيشا فكبسوهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا في المشهد حتى عند الضريح والقى رجل
منهم نفسه وهو على فرسه من على السور فسلم هو والفرس * وفي هذه السنة في صفر توفي القاضي
أبو مسلم وادع بن سليمان قاضي معرة النعمان والمتولي على أمورها وكان رجل زمانه همة
وعلما وفيها في ربيع الاول توفي أبو بكر محمد بن عبد الباقي المعروف بابن الخاضبة المحدث وكان
عالما وفيها في رمضان توفي أبو بكر عمر بن السمرقندي ومولده سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وفيها
في رمضان توفي أبو الفضل عبد الملك بن ابراهيم المقدسي المعروف بالهمذاني وكان عالما في عدة
علوم وقد قارب ثمانين سنة

(ثم دخلت سنة تسعين واربعمائة)

*(ذكر قتل ارسلان ارغون)*

في هذه السنة في المحرم قتل ارسلان ارغون بن الب ارسلان أخو السلطان ملكشاه بمرو
وكان قد ملك خراسان وسبب قتله انه كان شديدا على غلمانه كثير الاهانة لهم والعقوبة وكانوا
يخافونه خوفا عظيما فاتفق انه الآن طلب غلاما له فدخل عليه وليس معه أحد فانكر عليه تأخره
عن الخدمة فاعتذر فلم يقبل عذره وضربه فاخرج الغلام سكينا معه وقتله وأخذ الغلام فقيل
له لم فعلت هذا فقال لاريح الناس من ظلمه وكان سبب ملكه خراسان انه كان له ايام أخيه
ملكشاه من الاقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار وكان معه ببغداد لما مات فسار الى همذان
في سبعة غلمان واتصل به جماعة فسار الى نيسابور فلم يجد فيهم طمعا فسار الى مرو وكان شحنة
مرو أميرا اسمه قودن من مماليك ملكشاه وهو الذي كان سبب تنكر السلطان ملكشاه على
نظام الملك وقد تقدم ذلك في قتل نظام الملك فمال الى ارسلان ارغون وسلم البلد اليه فاقبلت
العساكر اليه وقصد بلخ وبها فخر الملك بن نظام الملك فسار عنها وزراء الدولة تنتشر على
ما ذكرناه وملك ارسلان ارغون بلخ وترمذ ونيسابور وعامة خراسان وارسل الى السلطان
بركيارق والى وزيره مؤيد الملك بن نظام الملك يطلب أن يقر عليه خراسان كما كانت لجده داود
ما عدا نيسابور ويبذل الاموال ولا ينازع في السلطنة فسكت عنه بركيارق لاشتغاله باخيه محمود
وعمه تتش فلما عزل السلطان بركيارق مؤيد الملك عن وزارته وولها أخوه فخر الملك واستولى
على الامور مجد الملك البلاساني قطع ارسلان ارغون مراسلة بركيارق وقال لا ارضى لنفسي
مخاطبة البلاساني فندب بركيارق حينئذ عمه بوربرس بن الب ارسلان وسيره في العساكر لقتاله
وكان قد اتصل بارسلان عماد الملك أبو القاسم بن نظام الملك ووزر له فلما وصلت العساكر
الى خراسان لقيهم ارسلان ارغون وقاتلهم وانهزم منهم وسار منهزما الى بلخ واقام بوربرس
والعساكر التي معه بهراة ثم جمع ارغون عساكره وسار الى مرو وحصرها اياما وفتحها عنوة

نحو الري وأخلاها له ولاهل
عسكره وترك دار الامارة
محفوفة بالفرش الفاخرة *
والخزائن العامرة والاهب
الوافرة * حتى المطابخ بما
فيها من الآلات الذهبية *
والاواني الذهبية والفضية
* وتقدم بأن يسلم اليه خزانة
كان قد أعدها للحمل اليه
قبل الكشفة مشتملة على
خمسين ألف دينار وألفي
ألف درهم وخمسمائة تخت
من ألوان الثياب الى غيرها
من عتاق الافراس وجياد
المراكب والدواب واعداد
الاسلحة والوقايات * من
تجافيف ومغافر ودروع
وجواشن وترسة وزانات
اكثرها مغشى الظهور
والنصب * بحلى الفضة
والذهب * وفرغ له دخل
جرجان ودهستان *
وآبسكون واستراباذ
الاقدرا كان مصروفا الى
عمارة القلاع وارزاق
مستحفظيها من الخواص
فأمر ابو العباس تاش
بتفرقة تلك المبار والاموال
فيمن صحبه من القواد *

وقتل فيها وأكثر وقلع أبواب سورها وهدمه فسار اليه بوربرس من هراة فالتقيا وتصافا فانهزم بوربرس سنة ثمان وثمانين وسبب هزيمته انه كان معه من جملة العساكر الذين سيرهم معه بركيارق أمير آخر ملكشاه وهو من أكابر الامراء والامير مسعود بن تاجر وكان ابوه مقدم عسكر داود جد ملكشاه وله مودة ومنزلة كبيرة ومحل عظيم عند كافة الناس وكان بين امير آخر وبين ارسلان مودة قديمة فارسل اليه ارسلان ارغون يستميله ويدعوه الى طاعته فاجابه الى ذلك ثم ان مسعود ابن تاجر قصد امير آخر زائراله ومعه ولده فاخذهما وقتلهما فضعف أمر بوربرس وانهزم من ارسلان ارغون وتفرق عسكره وأسر وحمل الى ارسلان ارغون وهو أخو خيبه بترمذ ثم أمر به فخنق بعد سنة من حبسه وقتل أكابر عسكر خراسان ممن كان يخافه ويخشى تحكمه عليه وصادر وزيره عماد الملك بثلثمائة ألف دينار وقتله وخرب اسوار مدن خراسان منها سور سبزوار وسور مرو والشاهجان وقلعة سرخس وقهندز نيسابور وسور شهرستان وغير ذلك خربه جميعه سنة تسع وثمانين ثم انه قتل هذه السنة كما ذكرنا

*(ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور)*

في هذه السنة في ربيع الاول وصل عسكر كثير من مصر الى ثغر صور بساحل الشام فحصرها وملكها وسبب ذلك ان الوالي بها ويعرف بكتيلة أظهر العصيان على المستعلي صاحب مصر والخروج عن طاعته فسير اليه جيشا فحصروه بها وضيقوا عليه وعلى من معه من جندي وعامي ثم افتتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلق كثير ونهب منها المال الجزيل وأخذ الوالي أسيرا بغير أمان وحمل الى مصر فقتل بها

*(ذكر ملك بركيارق خراسان وتسليمها الى أخيه سنجر)*

كان بركيارق قد جهز العساكر مع أخيه الملك سنجر وسيرها الى خراسان لقتال عمه ارسلان ارغون وجعل الامير قماج اتابك سنجر ورتب في وزارته أبا الفتح علي بن الحسين الطغرائي فلما وصلوا الى الدامغان بلغهم خبر قتله فاقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فوصل اليها خامس جمادى الاولى من السنة وملكها بغير قتال وكذلك سائر البلاد الخراسانية وساروا الى بلخ وكان عسكر ارسلان ارغون قد ملكوا بعد قتله ابناله صغيرا عمره سبع سنين فلما سمعوا بوصول السلطان ابعدوا الى جبال طخارستان وارسلوا يطلبون الامان فاجابهم الى ذلك فعادوا ومعهم ابن ارسلان ارغون فاحسن السلطان لقاءه واعطاه ما كان لابيه من الاقطاع ايام ملكشاه وكان وصوله الى السلطان في خمسة عشر ألف فارس فما انقضى يومهم حتى فارقوه واتصلت كل طائفة منهم بامير يخدمه وبقي وحده مع خادم لابيه فاخذته والدة السلطان بركيارق اليها وأقامت له من يتولى خدمته وتربيته وسار بركيارق الى ترمذ فسلمت اليه وأقام عند بلخ سبعة أشهر وارسل الى ماوراء النهر فاقيمت له الخطبة بسمرقند وغيرها ودانت له البلاد

(ذكر خروج أمير اميران بخراسان مخالفا)

في هذه السنة لما كان السلطان بركيارق بخراسان خالف عليه أمير اسمه محمد بن سليمان ويعرف بامير أميران وهو ابن عم ملكشاه وتوجه الى بلخ واستمد من صاحب غزنة فامده بجيش كثير وفيلة

وشرط

وطبقات الاجناد حتى جبر كسرهم * وقوى أسرهم * وواصل لهم الاقامات والاطماع حتى ارتاشت احوالهم * واخصبت رحالهم * فصار والجريان احسن منهم بخراسان حالا * وارغد عيشة وانعم بالا * وحمل نفر الدولة بتتابع الحمول اليه من طبرستان زيادة في تأميل أحواله * واستبقاء لنظم جنوده ورجاله * فعل من لا ينفس على اخيه * بنفائس مايحوبه * ولايضن على صديقه * بجليل ملكه ودقيقه * وقد كان الصاحب يتسرف مايوجبه له من الاحسان والمراسات * ومواصلة الصلات والكرامات * ومن قبل ماصح له في استمرار شر خراسان برباطة القلب لهم فيما اختاروه من مسالمتها واغتنام السلامة منها فقال لذات يوم ان سوق أبي العباس على سوق لو نزلت معها عن جميع ما افاءاقه

وشرط عليه ان يخطب له في جميع ما يفتحه من خراسان فقويت شوكته ومديده في البلاد فسير اليه الملك سنجر بن ملكشاه جريدة ولا يعلم به أمير اميران فكبسه فجرى بينهما قتال ساعة ثم أسر وحمل الى بين يدى سنجر فامر به فكحل

(ذكر عصيان الامير قودن ويارقطاش على السلطان واستعمال حبشى على خراسان)

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارق وسبب ذلك ان الامير قودن كان قد صار في جملة الامير قماج فتوفي والسلطان بمرو فاستوحش قودن وأظهر المرض وتأخر عن بعد مسير السلطان الى العراق وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجى وقد ولاه السلطان خوارزم ولقبه خوارزمشاه فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان فسبق العسكر الى مرو في ثلثمائة فارس وتشاغل بالشرب فاتفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه وساروا الى خوارزم واظهروا ان السلطان قد استعملهما عليها فتسلماها وبلغ الخبر الى السلطان فتمم المسير الى العراق لما بلغه من خروج الامير انر ومؤيد الملك عن طاعته واعاد أمير داذ حبشى بن التونتاق في جيش الى خراسان لقتالهما فسار الى هراة وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه فعاجلاه في خمسة عشر ألفا فعلم امير داذ أنه لا طاقة له بهما فعبر جيحون فسارا اليه وتقدم يارقطاش ليلحقه قودن فعاجله يارقطاش وحده وقاتله فانهزم يارقطاش وأخذ اسيرا وبلغ الخبر الى قودن فثار به عسكره ونهبوا خزانته وما معه فبقي في سبعة نفر فهرب الى بخارا فقبض عليه صاحبها ثم أحسن اليه وبقي عنده وسار من هناك الى الملك سنجر ببلخ فقبله أحسن قبول وبذل له قودن ان يكفيه أموره ويقوم بجمع العساكر على طاعته فقدر انه مات عن قريب واما يارقطاش فبقي اسيرا الى ان قتل أمير داذ وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ذكر ابتداء دولة محمد بن خوارزمشاه)

في هذه السنة أمر بركيارق الامير حبشى بن التونتاق على خراسان كما ذكرناه فلما صفت له وقتل قودن كما ذكرناه قبل ولى خوارزم الامير محمد بن انوشتكين وكان أبوه انوشتكين مملوكا لأمير من السلجوقية اسمه بلكابك قد اشتراه من رجل من غرشستان فقيل له أنوشتكين غرشجه فكبر وعلا امره وكان حسن الطريقة كامل الاوصاف وكان مقدما مرجوعا اليه وولد له ولد سماه محمدا وهو هذا وعلمه وخرجه واحسن تأديبه وتقدم بنفسه وبالعناية الازلية فلما ولى اميرداذ حبشى خراسان كان خوارزمشاه اكنجى قد قتل وقد تقدم ذكره ونظر الامير حبشى فيمن يوليه خوارزم فوقع اختياره على محمد بن انوشتكين فولاه خوارزم ولقبه خوارزمشاه فقصر اوقاته على معدلة ينشرها ومكرمة يفعلها وقرب اهل العلم والدين فازداد ذكره حسنا ومحله علوا ولما ملك السلطان سنجر خراسان أقر محمدا خوارزمشاه على خوارزم واعمالها فظهرت كفايته وشهامته فعظم سنجر محله وقدره ثم ان بعض ملوك الاتراك جمع جموعا وقصد خوارزم ومحمد غائب عنها وكان طغرلتكين بن اكنجى الذى كان أبوه خوارزمشاه قبل عند السلطان سنجر فهرب منه والتحق بالاتراك على خوارزم فلما سمع خوارزمشاه محمد الخبر بادر الى خوارزم وأرسل الى سنجر يستمده وكان بنيسابور فسار في العساكر اليه فلم ينتظر محمد فلما قارب خوارزم هرب

على من غرات هذا الملك حتى أحل له عروة هذا القميص لوجدتني في أدنى درجات المكافأة وأيسر مراتب المبرات وأشار الى واحدة تكفيه أمارة على ما أوجبه له أيام مقامه قبله اشفاقا على مهجته * وحرصا على محبته * وذبا عنه في حال غربته * وهي ان أخويه عضد الدولة ومؤيدها أرسلا اليه يستردانه على أموال عظيمة تحمل الى خراسان في كل سنة للسلطان أولا وله ثانيا مشفوعة بجلوبات العراق * من وشى الثياب وغر العتاق * واغليا في الاستيام والتطميع حتى لم يبق للرد مجال * ولا للسان العذر مقال * وأتاني خبر الرسالة فاستظلمت ضوء النهار * واستخشنت جانب القرار * وبت من الحياة على شفا جرف هار * اذ لم يكن في الهرب مطمع * ولا في قوس الرجاء منزع * وبت بليلة أنقد * أرى الشر كان قد * الى أن اصبحت وقواى متخاذلة

الاتراك الى منقشلاغ وظفر لتكين أيضا رحل الى جند خان وكفى خوارزمشاه شرهم وملك في خوارزمشاه ولي بعده ابنه اتسز فمد ظلال الامن وافاض العدل وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وقصد بلاد الاعداء وباشر الحروب فملك مدينة منقشلاغ ولما ولي بعد أبيه قربه السلطان سنجر وعظمه واعتضد به واستصحبه معه في اسفاره وحروبه فظهرت منه الكفاية والشهامة فزاده تقدما وعلوا وهو ابتداء ملك بيت خوارزمشاه تكش وابنه محمد الذي ظهرت التتر عليه على ما نذكره ان شاء الله تعالى

### *(ذكر الحرب بين رضوان وأخيه دقاق)*

في هذه السنة سار الملك رضوان الى دمشق وبها أخوه دقاق عازما على أخذها منه فلما قاربها ورأى حصانتها وامتناعها علم عجزه عنها فرحل الى نابلس وسار الى القدس ليأخذه فلم يمكنه وانقطعت العساكر عنه فعاد ومعه باغي سيان صاحب انطاكية وجناح الدولة ثم ان باغي سيان فارق رضوان وقصد دقاق وحسن له محاصرة أخيه بحلب فجمع الملك دقاق جمعا وعساكر كثيرة وسار ومعه باغيسيان فارسل رضوان رسولا الى سقمان بن ارتق وهو بسروج يستنجده فاتاه في خلق كثير من التركمان فسار هو وأخيه فالتقيا بقنسرين فاقتتلا فانهزم دقاق وعسكره ونهبت خيامهم وجميع مالهم وعاد رضوان الى حلب ثم اتفقا على ان يخطب لرضوان بدمشق قبل دقاق وبانطاكية وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين

### *(ذكر الخطبة للعلوي المصري بولاية رضوان)*

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلوي صاحب مصر وسبب ذلك انه كان عنده الامير جناح الدولة وهو زوج أمه فرأى من رضوان تغيرا فسار الى حمص وهي له فلما رأى باغيسيان بعده عن رضوان صالحه وقدم اليه بحلب ونزل بظاهرها وكان لرضوان منجم يقال له الحكيم أسعد وكان يميل اليه فتقدم به بعد مسير جناح الدولة فحسن له مذاهب العلويين المصريين واتته رسل المصريين يدعونه الى طاعتهم ويبذلون له المال وانفاذ العساكر اليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجميع الاعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة أربع جمع ثم حضر عنده سقمان بن ارتق وباغيسيان صاحب انطاكية فانكرا ذلك واستعظماه فاعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل الى بغداد يعتذر مما كان منه وسار باغيسيان الى انطاكية فلم يقم بها غير ثلاثة ايام حتى وصل الفرنج اليها وحصروها وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

### *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخراسان بين أهل سبزوار وأهل خسروجرد وقتال عظيم قتل فيه جماعة كثيرة وانهزم أهل خسروجرد وفيها قتل عثمان وكيل دار نظام الملك وكان سبب قتله انه كان كاتب صاحب غزنة بالاخبار من قبل السلطان فاخذ وحبس بترمذ مدة ثم اطلع عليه وهو في الحبس انه كان يكاتبه أيضا فقتل وفي صفر منها قتل عبد الرحمن السميرمي وزير أم السلطان بركيارق قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده وفيها في شعبان ظهر كوكب كبير له ذؤابة وأقام يطلع عشرين يوما ثم غاب ولم يظهر وفيها توفي النقيب الطاهر أبو الغنائم محمد بن عبد الله

وكان

وأركاني متهافتة خوف
الاذن بالداء العياء *
والداهية الدهياء * فاتاني
حاجبه بعد فراغه من الاذن
أبيا وآدباؤم آدب أداع * هو
ام ناع * وآدب * أم نادب *
وطالع ضيافة * أم طارق
آفة * وحشت في القرى كآبة
من المحذور * وتوريه دون
القدر المقدور * فركبت
ليه * وسرعنا الى أصف
رة من ياتي عليه * الى أن
سلت في مجلسه فصادفت
حسن القيام والالتزام *
فرط الاكرام والاعتنام *
فضل البر والايناس *
نصرة الرجاء على الياس *
الم أكن عهدته فيما مضى
من مجالسه وما تسه * وما
ال يرقيني ببشره *
يبصرني بلطفه وبره * الى
ثابت نفسي الى *
حلت عقدة الخوف على *
الطاير لهم عن شماعا
ذهب سوء الظن جنانم
بلى الرقاع الواردة عليه
شرتها عن أنياب الاراقم *
قداح العلاقم * وجاءت
مقارب * على الرسم المعتاد

بلاد ابن الارتق فملكوها وخرجوا الى انطاكية فحصروها ولما سمع صاحبها باغيسيان بتوجههم اليها خاف من النصارى الذين بها فاخرج المسلمين من أهلها ليس معهم غيرهم وأمرهم بحفر الخندق ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضا ليس معهم مسلم فعملوا فيه الى العصر فلما أرادوا دخول البلد منعهم وقال لهم انطاكية لكم تهبونها لى حتى أنظر ما يكون منا ومن الفرنج فقالوا له من يحفظ ابناءنا ونساءنا فقال انا أخلفكم فيهم فامسكوا وأقاموا في عسكر الفرنج فحصروها تسعة أشهر وظهر من شجاعة باغيسيان وجودة رأيه وحزمه واحتياطه ما لم يشاهد من غيره فهلك أكثر الفرنج موتا ولو بقوا على كثرتهم التي خرجوا فيها لطبقوا بلاد الاسلام وحفظ باغيسيان أهل نصارى انطاكية الذين أخرجهم وكف الايدي المتطرقة اليهم فلما طال مقام الفرنج على انطاكية راسلوا أحد المستحفظين للابراج وهو زراد يعرف بروزبه وبذلوا له مالا واقطاعا وكان يتولى حفظ برج يلي الوادي وهو مبني على شباك في الوادي فلما تقرر الامر بينهم وبين هذا الملعون الزراد جاؤا الى الشباك ففتحوه ودخلوا منه وصعد جماعة كثيرة بالحبال فلما زادت عدتهم على خمسمائة ضربوا البوق وذلك عند السحر وقد تعب الناس من كثرة السهر والحراسة فاستيقظ باغيسيان فسأل عن الحال فقيل ان هذا البوق من القلعة ولا شك انها قد ملكت ولم يكن من القلعة وانما كان من ذلك البرج فدخله الرعب وفتح باب البلد وخرج هاربا في ثلاثين غلاما على وجهه فجاء نائبه في حفظ البلد فسأل عنه فقيل انه هرب فخرج من باب آخر هاربا وكان ذلك معونة للفرنج ولو ثبت ساعة لهلكوا ثم ان الفرنج دخلوا البلد من الباب ونهبوه وقتلوا من فيه من المسلمين وذلك في جمادى الاولى واما باغيسيان فانه لما طلع عليه النهار رجع اليه عقله وكان كالوله فرأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ فقال لمن معه أين أنا فقيل على أربعة فراسخ من انطاكية فندم كيف خلص سالما ولم يقاتل حتى يزيلهم عن البلد أو يقتل وجعل يتلهف ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين فلشدة ما لحقه سقط عن فرسه مغشيا عليه فلما سقط الى الارض أراد أصحابه ان يركبوه فلم يكن فيه مسكة قد قارب الموت فتركوه وساروا عنه واجتاز به انسان ارمني كان يقطع الحطب وهو بآخر رمق فقتله وأخذ رأسه وحمله الى الفرنج بانطاكية وكان الفرنج قد كاتبوا أصحاب حلب ودمشق بانا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لا نطلب سواها مكرا منهم وخديعة حتى لا يساعدوا صاحب انطاكية

## •(ذكر مسير المسلمين الى الفرنج وما كان منهم)•

لما سمع قوام الدولة كربوقا بحال الفرنج وملكهم انطاكية جمع العساكر وسار الى الشام وأقام بمرج دابق واجتمعت معه عساكر الشام تركها وعربها سوى من كان بحلب فاجتمع معه دقاق ابن تتش وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسليمان ابن ارتق وغيرهم من الامراء ممن ليس مثلهم فلما سمعت الفرنج عظمت المصيبة عليهم وخافوا لما هم فيه من الوهن وقلة الاقوات عندهم وسار المسلمون فنازلوهم على انطاكية وأساء كربوقا السيرة فيمن معه من المسلمين وأغضب الامراء وتكبر عليهم ظنا منه انهم يقيمون معه على هذه الحال فاغضبهم ذلك واضمروا له في انفسهم الغدر اذا كان قتال وعزموا على اسلامه عند المصدوقة

واقام

الاكرم تطوعا وطبعا لاعن رغبة في رغيبة ولا ميل الى نيل ولا تطلع الى وجه مطمع أن يتفاءل من معونته وارفاده • ويتصاغر دون ما يجذب اليه زمام مراده • لا ورب الكعبة وحق ركن الدولة لاعرف الناس نسبا في هذا الحق العظيم وقد استقمت طريق المكافاة • واستعنت عون الله على حسن المجازاة • على ان الفضل له بسبق الى البر وان جهدت في المقابلة • وشددت الى الغاية في المناضلة • فتعجب الحاضرون من هذا الكلام • والكرم الذي عز سماع مثله في سالف الايام • واستشهد الصاحب من بعد لصالح أبي العباس تاش مناصحة لصاحبه وكفالة عنه بما يقضي الحق عليه ويقيد شرف الوفاء له وبقي أبو العباس تاش بجرجان ثلاث سنين نائي الجنب عن القرار • بائن الجفن دون الغرار • شوقا الى خدمة سلطانه • وحرصا على عرفان حق

وأقام الفرنج بانطاكية بعد ان ملكوها اثنى عشر يوما ليس لهم ما يأكلونه وتقوت الاقوياء
بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر فلما رأوا ذلك أرسلوا الى كربوقا يطلبون منه الامان
ليخرجوا من البلد فلم يعطهم ما طلبوا وقال لا تخرجوا الا بالسيف وكان معهم من الملوك بردويل
وصنجيل وكندفرى والقمص صاحب الرها وبيمنت صاحب انطاكية وهو المقدم عليهم وكان
معهم راهب مطاع فيهم وكان داهية من الرجال فقال لهم ان المسيح عليه السلام كان له حربة
مدفونة بالقسيان الذى بانطاكية وهو بناء عظيم فان وجدتموها فانكم تظفرون وان لم تجدوها
فالهلاك متحقق وكان قد دفن قبل ذلك حربة فى مكان فيه وعفا أثرها وأمرهم بالصوم والتوبة
ففعلوا ذلك ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أدخلهم الموضع جميعهم ومعهم عامتهم والصناع
منهم وحفروا فى جميع الاماكن فوجدوها كما ذكر فقال لهم ابشروا بالظفر فخرجوا فى اليوم
الخامس من الباب متفرقين من خمسة وستة ونحو ذلك فقال المسلمون لكربوقا ينبغى ان تقف
على الباب فتقتل كل من يخرج فان أمرهم الآن وهم متفرقون سهل فقال لا تفعلوا أمهلوهم
حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم ولم يمكن من معاجلتهم فقتل قوم من المسلمين جماعة من
الخارجين فجاء اليهم هو بنفسه ومنعهم ونهاهم فلما تكامل خروج الفرنج ولم يبق بانطاكية أحد
منهم ضربوا مصافا عظيما فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوقا أولا من الاستهانة لهم
والاعراض عنهم وثانيا من منعهم عن قتل الفرنج وتمت الهزيمة عليهم ولم يضرب أحد منهم
بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم وآخر من انهزم سقمان بن ارتق وجناح الدولة لانهما كانا
فى الكمين وانهزم كربوقا معهم فلما رأى الفرنج ذلك ظنوه مكيدة اذ لم يجر قتال ينهزم من مثله
وخافوا ان يتبعوهم وثبت جماعة من المجاهدين وقاتلوا حسبة وطلبا للشهادة فقتل الفرنج
منهم الوفا وغنموا ما فى العسكر من الاقوات والاموال والاثاث والدواب والاسلحة فصلحت
حالهم وعادت اليهم قوتهم

*(ذكر ملك الفرنج معرة النعمان)*

لما فعل الفرنج بالمسلمين ما فعلوا ساروا الى معرة النعمان فنازلوها وحصروها وقاتلهم أهلها
قتالا شديدا ورأى الفرنج منهم شدة ونكاية ولقوا منهم الجد فى حربهم والاجتهاد فى قتالهم
فعملوا عند ذلك برجا من خشب يوازى سور المدينة ووقع القتال عليه فلم يضر المسلمين ذلك فلما
كان الليل خاف قوم من المسلمين وتداخلهم الفشل والهلع وظنوا أنهم اذا تحصنوا ببعض
الدور الكبار امتنعوا بها فنزلوا من السور واخلوا الموضع الذى كانوا يحفظونه فرآهم طائفة
أخرى ففعلوا كفعلهم فخلا مكانهم أيضا من السور ولم تزل تتبع طائفة منهم التى تليها فى النزول
حتى خلا السور فصعد الفرنج اليه على السلاليم فلما علوه تحير المسلمون ودخلوا دورهم فوضع
الفرنج فيهم السيف ثلاثة أيام فقتلوا ما يزيد على مائة ألف وسبوا السبى الكثير وملكوه
وأقاموا أربعين يوما وساروا الى عرقة فحصروها أربعة أشهر ونقبوا سورها عدة نقوب فلم
يقدروا عليها وراسلهم منقذ صاحب شيزر فصالحهم عليها وساروا الى حمص وحصروها فصالحهم
صاحبها جناح الدولة وخرجوا على طريق النواقير الى عكا فلم يقدروا عليها

*(ذكر الحرب بين الملك سنجر ودولتشاه)*

اصطناعه واحسانه *
واشفاقا من تأويل حساده
فى انتباذه عن خراسان
انكاره حق الولاء ونزعه
عن رقبته طوق الطاعة
والوفاء وجل همه معاودة
بخارا لاستئناف الخدمة *
والسلامة من المذمة *
وأرسل أباسعيد الشيبى
الى فخر الدولة فى الاستعانة
على معاودة خراسان فجهز
له اسفار كرديه وعدة من
أعيان القواد فى زهاء ألفى
رجل من خلص الديلم وكتب
الى نصر بن الحسن بن
فيروزان وهو بقومس بصلة
جناحهم * والزعامة عليهم
فى ايرادهم واصدارهم *
والصدر فى ذلك كله عن
رأى حسام الدولة ومثاله
والتصرف بتصاريفه فى
حالتى حله وترحاله * وتارتى
سلمه وقتاله * وحمل فى صحبته
من المال لاقامة عسكره
ضعف ما كان خلفه عليه
عند فصوله من جرجان فسار
أبوسعيد الى قومس فانتدب
نصر لقراه وقرى القواد فى
صحبته كما قرت تميم ضيفها

كان دولتشاه من ابناء الملوك السلجوقية فاجتمع عليه جمع من عساكر يغفو أخو طغرليل وكان بطخارستان فاخذوا الوالج وكنج فسار اليهم السلطان سنجر وعساكره فوصل الى بلخ فهرب من بها في رجب من هذه السنة وخرج منها القتال دولتشاه فلم يكن لهم من الجوع ما يثبت بمقابل عسكر سنجر فقاتلوا شيأ من قتال وانهزموا وأخذوا دولتشاه أسيرا وأحضر عند سنجر فعفا عنه من القتل وحبسه ثم بعد ذلك كحله وسير سنجر جيشا الى مدينة ترمذ فملكوها وسلموها الى طغرل تكين

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة فتح تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية جزيرة جربة وجزيرة قرقنة ومدينة تونس وكان بافريقية غلاء شديد هلك فيه كثير من الناس وفيها أرسل الخليفة رسولا الى السلطان بركيارق مستنفرا على الفرنج ومبالغا في تعظيم الامر وتداركه قبل ان يزداد قوة وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف ومولده سنة اثني عشرة واربعمائة وكان فاضلا في الحديث وفيها توفي أبو الفضل عبد الوهاب بن أبي محمد التميمي الحنبلي وكان فاضلا فصيحا وفيها في شوال توفي طراد بن محمد الزينبي وهو عالي الاسناد في الحديث وولي نقابة العباسيين من بعده ابنه شرف الدين علي بن طراد وفيها في ذي القعدة توفي أبو الفتح المظفر ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وكان بيته مجمع الفضلاء وأهل الدين ومن به لمن كان عنده الى ان توفي الشيخ أبو اسحق الشيرازي وفيها توفي أبو الفرج سهل بن بشر بن أحمد الاسفرايني وهو من أعيان المحدثين

(ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة)

•(ذكر عصيان الامير أنز وقتله)•

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى الامير أنز بلاد فارس جميعها وكانت قد تغلب عليها الشوانكارة على اختلاف بطونهم وقبائلهم واستعانوا بصاحب كرمان ايرانشاه بن قاورت فاجتمعوا وصادفوا الامير أنز وكسروه وعاد منهزما الى أصبهان وأرسل الى السلطان يستأذن في اللحاق به الى خراسان فامره بالمقام ببلد الجبال وولاه امارة العراق وكانت العساكر المجاورة له بطاعته فاقام باصبهان وسار منها الى اقطاعه باذربيجان وعاد وقد انتشر امر الباطنية باصبهان فندب نفسه لقتالهم وحصر قلعة على جبل اصبهان واتصل به مؤيد الملك بن نظام الملك وكان ببغداد فسار منها الى الحلة فاكرمه صدقة وسار من عنده الى الامير أنز فلما اجتمع بالامير أنز حوفه هو وغيره من السلطان بركيارق وعظم واعليه الاجتماع به وحسنوا له البعد عنه وأشاروا عليه بمكاتبة غياث الدين محمد بن ملكشاه وهو اذ ذاك بكنجة فعزم على المخالفة للسلطان وتحدث نفسه فقتله وذلك فزاد خوفه من السلطان فجمع من العساكر المعروفين بالشجاعة نحو عشرة آلاف فارس وسار من أصبهان الى الري وارسل الى السلطان يقول له تمكنه ويطيع ان يسلم اليه مجد الملك البلاساني وان لم يسلمه فهو عاص خارج عن الطاعة فبينما هو يفطر وكانت عادته يصوم ايام من الاسبوع فلما قارب الفراغ من الافطار هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم وهم من جملة خيله فقدم أحدهم المشعل فالقاه وقدم الآخر الشمعة فاطفأها وضربه الثالث بالسكين فقتله وقتل معه بانداره واختلط الناس في الظلمة ونهبوا

وبادر ابن الحضرمي حذو النعل بالنعل وذلك انه أمر به في صحن داره حتى أخذته السيوف يمنة ويسرة حتى رد وعهد الى آخرين غيرهم فمرب وأوقد الفحم عليهم وسد منافذ السرب دونهم حتى اختنقوا بين حر الحبس • وعدم المتنفس • واتلفت تلك الاموال المحمولة والدواب الموقورة واضاعتها الغدرة • وفاضيا على نفسه بالخزي آخر الدهر • واتفق الباقون نحو الري لا يلوي واحد منهم على آخر الى ان وردوها فقرروا الصورة • وقرؤا الصحيفة المنشورة • فورد من ذلك على فخر الدولة ما أطار واقعه وهاج وادعه • وعلى حسام الدولة أبي العباس تاش ما أقلقه وأكده • وأضعف عن كل شيء قلبه ويده • وكتب اليه فخر الدولة بذكر ما رآه من تجهيز الجيوش اليه ويتصدد الى استراباذ ليصير المقصود

خزائنه وتفرق عسكره وبقي ما بقي فلم يوجد ما يحمل عليه ثم حمل الى داره باصبهان ودفن بها
ووصل خبر قتله السلطان بركيارق وهو بخوار الري قد خرج من خراسان عازما على قتاله وهو
على غاية الحذر من قتاله وعاقبة أمره وفرح مجد الملك البلاساني بقتله وكان له مثل يومه عن
قريب وكان عمر أنر سبعا وثلاثين سنة وكان كثير الصوم والصلاة والخير والمحبة للصالحين

*(ذكر ملك الفرنج لعنهم الله البيت المقدس)*

كان البيت المقدس لتاج الدولة تتش واقطعه للامير سقمان بن أرتق التركماني فلما ظفر
الفرنج بالاتراك على انطاكية وقتلوا فيهم ضعفوا وتفرقوا فلما رأى المصريون ضعف الاتراك
ساروا اليه ومقدمهم الافضل بن بدر الجمالي وحصروه وبه الامير سقمان وايلغازي ابنا ارتق
وابن عمهما سونج وابن أخيهما ياقوتي ونصب عليه نيفا واربعين منجنيقا فهدموا مواضع من
سوره وقاتلهم أهل البلد فدام القتال والحصار نيفا وأربعين يوما وملكوه بالامان في شعبان
سنة تسع وثمانين وأربعمائة وأحسن الافضل الى سقمان وايلغازي ومن معهما واجزل لهم
العطاء وسيرهم فساروا الى دمشق ثم عبروا الفرات فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغازي الى
العراق واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بافتخار الدولة وبقي فيه الى الآن فقصده الفرنج
بعد ان حصروا عكا فلم يقدروا عليها فلما وصلوا اليه حصروه نيفا واربعين يوما ونصبوا عليه
برجين أحدهما من ناحية صهيون واحرقه المسلمون وقتلوا كل من به فلما فرغوا من احراقه
أتاهم المستغيث بان المدينة قد ملكت من الجانب الآخر وملكوها من جهة الشمال منه
ضحوة نهار يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان وركب الناس السيف ولبث الفرنج في البلدة
اسبوعا يقتلون فيه المسلمين واحتمى جماعة من المسلمين بمحراب داود فاعتصموا به وقاتلوا فيه
ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الامان فسلموه اليهم ووفى لهم الفرنج وخرجوا ليلا الى عسقلان
فأقاموا بها وقتل الفرنج بالمسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة
المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الاوطان وجاور بذلك الموضع الشريف واخذوا
من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم
وأخذوا تنورا من فضة وزنه اربعون رطلا بالشامي وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين
قنديلا نقرة ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلا وغنموا منه ما لا يقع عليه الاحصاء وورد
المستنفرون من الشام في رمضان الى بغداد صحبة القاضي أبي سعد الهروي فاوردوا في
الديوان كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وابكوا
وذكر ما دهم المسلمين بذلك الشريف المعظم من قتل الرجال وسبي الحريم والاولاد ونهب
الاموال فلشدة ما أصابهم افطروا فامر الخليفة ان يسير القاضي أبو محمد الدامغاني وأبو بكر
الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيل وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن سماك
فساروا الى حلوان فبلغهم قتل مجد الملك البلاساني على ما نذكره فعادوا من غير بلوغ ارب
ولا قضاء حاجة واختلف السلاطين على ما نذكره فتمكن الفرنج من البلاد فقال أبو المظفر
الابيوردي في هذا المعنى أبياتا منها

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرصة للمراحم

محصورا بين العسكرين * ومضغوطا من كلا الجانبين * الى ان يأذن الله فيه بالبوار * أو الانتباذ الى غيرها من الديار * فانحدر أبو العباس تاش استراباذ وخيم بزارجان فأخذ نصرا ما قدم وحدث * ومامر وخبث * ورأى الذين قد نغرفاه * والسيوف تطلب وجهه وقفاه * فلاذ بالاستسلام وفزع الى الضراعة والاسترحام * وطفق يكتب في الاعتذار الى الجانبين * بأنه كالعارك حياء مما ارتكبه * وخلا من عوار ما اكتسبه * وتحمل بشفاعة حسام الدولة في الاستصفاح عنه واستقالة ما تخبط فيه بسوء الاختيار حتى كتب في بابه بما نفس من خناقه وتكرم فخر الدولة بقبول انابته * رعاية لحق شيبته وقرابته * وعاد أبو العباس تاش الى جرجان * على ان يستأنف تدبير خراسان * وكان فخر الدولة * قد استوحش من ابن أخيه بهاء الدولة * لاحوال أخل فيها بحقه وترخص معها في الفروض

وشر سلاح المرء دمع يفيضه • اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فايها بنى الاسلام ان وراءكم • وقائع يلحقن الذرى بالمناسم
أتهويمة فى ظل أمن وغبطة • وعيش كنوار الخميلة ناعم
وكيف تنام العين ملء جفونها • على هفوات أيقظت كل نائم
واخوانكم بالشام يضحى مقيلهم • ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم • تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دماء قد أبيحت ومن دمى • توارى حياء حسنها بالمعاصم
بحيث السيوف البيض محمرة الظبا • وسمر العوالى داميات اللهاذم
وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة • تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغب عن غمارها • ليسلم يقرع بعدها سن نادم
سللن بأيدى المشركين قواضبا • ستغمد منهم فى الطلى والجماجم
يكاد لهن المستجن بطيبة • ينادى بأعلى الصوت يا آل هاشم
أرى أمتى لا يشرعون الى العدى • رماحهم والدين واهى الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى • ولا يحسبون العار ضربة لازم
أترضى صناديد الاعاريب بالاذى • ويغضى على ذل كماة الاعاجم

ومنها

فليتهم اذ لم يذودوا حمية • عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وان زهدوا فى الاجر اذ حمس الوغى • فهلا أتوه رغبة فى الغنائم
لئن اذعنت تلك الخياشيم للبرى • فلا عطسوا الا بأجدع راغم
دعوناكم والحرب ترنو ملحة • الينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية • تطيل عليها الروم عض الاباهم
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه • رمينا الى أعدائنا بالجرائم

## (ذكر الحرب بين المصريين والفرنج)

فى هذه السنة فى رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية والفرنج وسببها ان المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الافضل أمير الجيوش العساكر وحشد وسار الى عسقلان وارسل الى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوا ويتهددهم فاعادوا الرسول بالجواب ورحلوا على أثره وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ولم يكن عند المصريين خبر من حركتهم ولم يكونوا على اهبة القتال فنادوا الى ركوب خيولهم ولبسوا اسلحتهم وأعجلهم الفرنج فهزموهم وقتلوا منهم من قتل وغنموا ما فى العسكر من مال وسلاح وغير ذلك وانهزم الافضل فدخل عسقلان ومضى جماعة من المنهزمين فاستتروا بشجر الجميز وكان هناك كثيرا فاحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه وعاد الافضل فى خواصه الى مصر ونازل الفرنج عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها قطيعة اثنى عشر ألف دينار وقيل عشرين ألف دينار ثم عادوا الى القدس

من اجلال الدولة وتحله • فناهضه فى معظم جيوشه من اعماله فى أعمال خوزستان ومعه بدر بن حسنويه فى جنود الاكراد • أولى البسالة والجلادة • وسار حتى غلب على كورها عنوة لا بالقوة السابقة • والنجدة الوافرة • وأنهض أبا العباس فيروزان بن الحسن نحو البصرة لاستصفائها له واستضافتها الى اخواتها • عند نهوضه وسعى استيحاش المقيمين بها من عسكر بهاء الدولة أهل البصرة عليهم فمد منهم خلق عظيم الى المسالحين فيهم فبثقوا سكر الاهواز عليها حتى حمت الطرق • بأعوز المجال والمخترق • وبقى هو ومن معه فى مخاضات ووحول سدت عليهم وجوه الاختيار • وحاصت دونهم معالم الاقبال والادبار • وواتتهم اقبال خيول من الموصل على عوادل الطرق ظاهرة المقيمين بالبصرة فلما أخذت بهم أبصار أصحاب أبى العباس فيروزان ورأوا منهم شوكة وثأورا • ولوا على

*(ذكر ابتداء ظهور السلطان محمد بن ملكشاه)*

كان السلطان محمد وسنجر أخوين لام واب أمهما ام ولد ولما مات أبوه ملكشاه كان محمد معه ببغداد فسار مع أخيه محمود وتركان خاتون زوجة والده الى أصبهان ولما حصر بركيارق أصبهان خرج محمد مختفيا ومضى الى والدته وهي في عسكر أخيه بركيارق وقصد أخاه السلطان بركيارق وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين وأربعمائة وأقطعه بركيارق كنجة وأعمالها وجعل معه اتابكا له الامير قتلغ تكين فلما قوى محمد قتله واستولى على جميع أعمال اران الذى من جملته كنجة فعرف ذلك الوقت شهامة محمد وكان السلطان ملكشاه قد أخذ تلك البلاد من فضلون بن أبي الاسوار الروادى وسلمها الى سرهنك ساوتكين الخادم واقطع فضلون استراباذ وعاد فضلون ضمن بلاده ثم عصى فيها لما قوى فارسل السلطان اليه الامير بوزان فحاربه واسره واقطع بلاده جماعة منهم باغيسيان صاحب انطاكية ولما مات باغيسيان عاد ولده الى ولاية أبيه في هذه البلاد وتوفي فضلون ببغداد سنة أربع وثمانين وهو على غاية من الاضاقة في مسجد على دجلة وقد ذكرنا فيما تقدم تنقل الاحوال بمؤيد الملك عبيد الله بن نظام الملك وانه كان عند الامير أنر فحسن له عصيان السلطان بركيارق فلما قتل أنر سار الى الملك محمد فاشار عليه بمخالفة أخيه والسعى في طلب السلطنة ففعل ذلك وقطع خطبة بركيارق من بلاده وخطب لنفسه بالسلطنة واستوزر مؤيد الملك واتفق قتل مجد الملك البلاساني واستيحاش العسكر من السلطان بركيارق وفارقوه وساروا نحو السلطان محمد فلقوه بخرقان فصاروا معه وساروا نحو الرى وكان السلطان بركيارق لما فارقه عسكره سار مجدا الى الرى فأتاه بها الامير ينال بن أنوشتكين الحسامى وهو من أكابر الامراء ووصل اليه أيضا عز الملك منصور بن نظام الملك وأمه ابنة ملك الابخاز ومعه عساكر جمة فبلغه مسير أخيه محمد اليه في العساكر فسار من الرى الى أصبهان فلم يفتح أهلها له الابواب فسار الى خوزستان على ما نذكره وورد السلطان محمد الى الرى ثانى ذى القعدة فوجد زبيدة خاتون والدة أخيه السلطان بركيارق قد تخلفت بعد ابنها فاخذها مؤيد الملك وحبسها في القلعة وأخذ خطها بخمسة آلاف دينار وأراد قتلها وأشار عليه ثقاته ان لا يفعل ذلك فلم يقبل منهم وقالوا له العسكر محبون لولدها وانما استوحشوا منه لاجلها ومتى قتلت عدلوا اليه فلا تغتر بهؤلاء الجند فانهم غدر وابن أحسن اليهم أوثق ما كان بهم فلم يصغ الى قولهم ورفعها الى القلعة وخنقت وكان عمرها اثنتين واربعين سنة فلما أسر السلطان بركيارق مؤيد الملك رأى خطه في تذكرته بخمسة آلاف دينار فكان أعظم الاسباب في قتله

*(ذكر الخطبة ببغداد للملك محمد)*

لما قوى أمر السلطان محمد سار اليه سعد الدولة كوهرآيين من بغداد وكان قد استوحش من السلطان بركيارق فاجتمع هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة وسرخاب ابن بدر صاحب كنكور وغيرهم فساروا الى السلطان محمد فلقوه بقم فرد سعد الدولة الى بغداد وخلع عليه وسار كربوقا وجكرمش في خدمته الى اصبهان ولما وصل كوهرآيين الى بغداد خاطب الخليفة في الخطبة للسلطان محمد فاجاب الى ذلك وخطب له يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة ولقب غياث الدنيا والدين

أدبارهم نفورا * وكان بدر قريبا منهم فلما رأى الكشفة جاءهم ثانيا * وثبت بنفسه مدافعا * فأعيا استقامة الخيل * وردمن أخل * فاستمرت الهزيمة بهم الى ثغر الدولة وهو بسوق الاهواز وشكوا اليه ضيق الحال * وتجمعوا على رسمهم للمطالبة بالمال * فغاظه ما ظهر في الاول من عجزهم وخورهم * وما انتشر في الثانى من سوء فعالهم وأثرهم * فانكفأ بهم راجعا الى همذان على ظاهر هدنة وقع التغاضى عليه ومنها الى الرى وذلك في شهور سنة سبع وسبعين وثلثمائة وحدث وباء بأرض جرجان خارج عن الحد في هذه السنة فهلك من أصحاب أبي العباس تاش ووجوه قواده وأعيان رجاله والمذكورين من عماله وكتابه وسائر حاشيته وغلمانه خلق عظيم وعرضت له بأخرة علة صعبة ختم بها فمضى لسبيله رحمه الله وقد كان أصحابه أوغروا قلوب أهل جرجان برسوم ذميمة أبدعوها * ومعاملات قبيحة اخترعوها * وأفعال عنيفة

## (ذكر قتل مجد الملك البلاساني)

قد ذكرنا تحكم مجد الملك أبي الفضل اسعد بن محمد في دولة السلطان بركيارق وتمكنه منها فلما بلغ الغاية التي لا مزيد عليها جاءته نكبات الدنيا ومصائبها من حيث لا يحتسب واما سبب قتله فان الباطنية لما توالى منهم قتل الامراء الاكابر من الدولة السلطانية نسبوا ذلك اليه وانه هو الذي وضعهم على قتل من قتلوه وعظم ذلك فقتل الامير برسق فاتهم أولاده زنكى واقبورى وغيرهما مجد الملك بقتله وفارقوا السلطان وسار السلطان الى زنجان لانه بلغه خروج السلطان محمد عليه على ماذكرناه فطمع حينئذ الامراء فارسل أميرآخر وبلكابك وطغايرك بن اليرن وغيرهم الى الامراء بنى برسق يستحضرونهم اليهم ليتفقوا معهم على مطالبة السلطان بتسليم مجد الملك اليهم ليقتلوه فحضروا عندهم فارسلوا الى السلطان بركيارق وهم بسجاس مدينة قريبة من همذان يلتمسون تسليمه اليهم ووافقهم على ذلك العسكر جميعه وقالوا ان سلم الينا فنحن العبيد الملازمون للخدمة وان منعنا فارقنا وأخذناه قهرا فمنع السلطان منه فارسل مجد الملك الى السلطان يقول له المصلحة ان تحفظ أمراء دولتك وتقتلني أنت لئلا يقتلني القوم فيكون فيه وهن على دولتك فلم تطب نفس السلطان بقتله وأرسل اليهم يستحلفهم على حفظ نفسه وحبسه في بعض القلاع فلما حلفوا واسلمه اليهم فقتله الغلمان قبل ان يصل اليهم فسكنت الفتنة ومن العجب انه كان لا يفارقه كفنه سفرا وحضرا ففي بعض الايام فتح خزانة صندوقا فرأى الكفن فقال وما أصنع بهذا ان أمرى لا يؤل الى كفن والله ما يبقى الا طريحا على الارض فكان كذلك ورب كلمة تقول لقائلها دعني ولما قتل حمل رأسه الى مؤيد الملك بن نظام الملك وكان مجد الملك خيرا كثير الصلاة بالليل كثير الصدقة لاسيما على العلويين وأرباب البيوتات وكان يكره سفك الدماء وكان يتشيع الا انه كان يذكر الصحابة ذكرا حسنا ويلعن من يسبهم ولما قتل أرسل الامراء يقولون للسلطان المصلحة ان تعود الى الرى ونحن نمضى الى أخيك فنقاتله ونقضى هذا المهم فسار بعد امتناع وتبعه مائتا فارس لاغير ونهب العسكر سرادق السلطان ووالدته وجميع أصحابه وعاد الى الرى وسار العسكر الى السلطان محمد

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة في شعبان وصل الكيا أبو الحسن على بن محمد الطبرى المعروف بالهراس الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيارق الى الخليفة وهو من أصحاب امام الحرمين أبي المعالى الجويني ومولده سنة خمسين وأربعمائة واعتنى بامره مجد الملك البلاساني وقام له الوزير عميد الدولة بن جهير لما دخل عليه وفيها قتل أبو القاسم بن امام الحرمين أبي المعالى الجويني بنيسابور وكان خطيبها واتهم العامة أبا البركات الثعلبي بانه هو الذي سعى في قتله فوثبوا به فقتلوه وأكلوا لحمه وفيها كان بخراسان غلاء شديد تعذرت فيه الاقوات ودام سنتين وكان سببه ان البرد أهلك الزروع جميعها ولحق الناس بعده وباء جارف فمات منهم خلق كثير عجزوا عن دفنهم لكثرتهم وفيها في شعبان توفي أبو الغنائم الفارقي الفقيه الشافعي بجزيرة ابن عمر وكان اماما فاضلا زاهدا وفيها في صفر توفي أبو عبد الله الحسين بن طلحة النعالى وعمره ثمانون وتسعين سنة وكان عالى الاسناد في الحديث وقيل توفي في سنة ثلاث وتسعين وفيها

أوقعوها * فلما انتشر خبر وفاته صار وايدا واحدة على أصحابه فنكبوهم في الدور والحجر وطلبوهم تحت كل حجر ومدره * وجعلوا القتل جذلى وانتظم الكبير والصغير والشريف والمشروف في سلك القتل والتنكيل * والابادة والقتل * وشغل وجوه اهل العسكر دهاء المصيبة من الفراغ لقمعهم ودفعهم واخماد جمرتهم * واستكفاف معرتهم * واقتضتهم صورة الحال البروز الى ضاحى البلد لضبط الامر * وضم النشر * واتقان التدبير * في اختيار من يصلح للتأمير * فبرزوا اليه واتفقت كلمتهم على أبي أحمد بن اخت له فقدموه وطالبوه بمال البيعة فأطلق لهم ما وجد في خزانة الماضى مضافا الى ما أمكن تحمله واحتياله عشرين ألفا واحدة حتى هدأت فورتهم * وسكنت سورتهم * ورنوا الى النفير من البلد بمد أهل أيديهم الى عورات نساء الخراسانية بغيا وكادا تحركتهم الحمية للانتقام * من أولئك

في شعبان توفي أبو غالب محمد بن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الفقيه الشافعي تفقه على ابن عمه أبي نصر وكان حسن الخلق متواضعا

(ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة)

*(ذكر اعادة خطبة السلطان بركيارق ببغداد)*

في هذه السنة أعيدت الخطبة للسلطان بركيارق ببغداد وسبب ذلك ان بركيارق سار في العام الماضي من الري الى خوزستان فدخلها وجميع من معه على حال سيئة وكان أمير عسكره حينئذ ينال بن أنوشتكين الحسامي وأتاه غيره من الامراء وسار الى واسط فظلم عسكره الناس ونهبوا البلاد واتصل به الامير صدقة بن مزيد صاحب الحلة ووثب على السلطان قوم ليقتلوه فأخذوا واحضروا بين يديه فاعترفوا ان الامير سرمز شحنة اصبهان وضعهم على قتله فقتل أحدهم وحبس الباقون وسار الى بغداد فدخلها سابع عشر صفر وخطب له ببغداد يوم الجمعة منتصف صفر قبل وصوله بيومين وكان سعد الدولة كوهرآيين بالشفيعي وهو في طاعة السلطان محمد فسار الى داي مرج ومعه ايلغازي بن ارتق وغيره من الامراء فارسل الى مؤيد الملك والسلطان محمد يستحثهما على الوصول اليه فارسلا اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر فاما جكرمش فاستأذن كوهرآيين في العود الى بلده وقال انه قد اختلت الاحوال فاذن له وبقي مع كوهرآيين جماعة من الامراء فاتفقوا على ان يصدروا عن رأي واحد ولا يختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على ان كتبوا الى السلطان بركيارق يقولون له اخرج الينا فما فينا من يقاتلك وكان الذي أشار بذا كربوقا وقال لكوهرآيين انتما لم تظفر من محمد ومؤيد الملك بطائل وكان منحرفا عن مؤيد الملك فسار بركيارق اليهم فترجلوا وقبلوا الارض وعادوا معه الى بغداد واعاد الى كوهرآيين جميع ما كان أخذ له من سلاح ودواب وغير ذلك واستوزر بركيارق ببغداد الاعز أبا المحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الدهستاني وقبض على عميد الدولة بن جهير وزير الخليفة وطالبه بالحاصل من ديار بكر والموصل لما تولاها هو وأبوه ايام ملكشاه فاستقر الامر على مائة ألف دينار وستين ألف دينار يحملها اليه وخلع الخليفة على السلطان بركيارق

*(ذكر الوقعة بين السلاطين بركيارق ومحمد واعادة خطبة محمد ببغداد)*

في هذه السنة سار بركيارق من بغداد الى شهرزور فاقام بها ثلاثة أيام والتحق به عالم كثير من التركمان وغيرهم فسار نحو أخيه السلطان محمد ليحارب فكاتبه رئيس همذان ليسير اليها ويأخذ اقطاع الامراء الذين مع أخيه فلم يفعل وسار نحو أخيه فوقع الحرب بينهم رابع رجب وهو المصاف الاول بين بركيارق وأخيه السلطان محمد باسبيذروذ ومعناه النهر الابيض وهو على عدة فراسخ من همذان وكان مع محمد نحو عشرين ألف مقاتل وكان محمد في القلب ومعه الامير سرمز وعلى ميمنته أميرآخر وابنه اياز وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية وكان السلطان بركيارق في القلب ووزيره الاعز أبو المحاسن وعلى ميمنته كوهرآيين وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرخاب بن بدر وعلى ميسرته كربوقا وغيره فحمل كوهرآيين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد وبها مؤيد الملك والنظامية فانهزموا ودخل عسكر بركيارق في خيامهم فنهبوهم وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت الميسرة وانضافت ميمنة محمد اليه في القلب على بركيارق ومن معه فانهزم

الرعاع والاغتام * وركبوا على سمت بكراباذ لجاهدتهم وثار أولئك الاشقياء اليهم متهافتين في الدمار * تهافت الفراش في النار * فلم ينشبوا أن حمل أهل العسكر عليهم حملة واحدة كشفتهم عن رؤس بلا غلاصم * وأيد بلا معاصم * ونفوس بلا عواصم * وفرشوا أرض ذلك الفضاء بجثث القتلى * متشحطين في الدماء * وضربت الدور والحوانيت بالنفاطات * وبسطت عليهم الايدي بالغارات * فجرى عليهم ما لم يجر بعد يزيد بن المهلب مثله نكاية رادعة * وعقوبة وازعة قامعة * وعندها أرسل مشايخ جرجان وصلحاؤها يطلبون الامان * ويناشدون الله والايمان * فكفوا عن القتال * وانكفؤا الى الرحال * فسكن نابض تلك الفتنة * ووقع طائر الهيج بالوثة * واختلف العسكر في الاختيار فمال القواد وكبار الغلمان الخاصة الى خراسان واستصحب الداربة الانقطاع الى فخر الدولة والاختصاص

بركيارق ووقف محمد مكانه وعاد كوهرآيين من طلب المنهزمين الذين انهزموا بين يديه وكبا به
فرسه فأتاه خراساني فقتله وأخذ رأسه وتفرقت عساكر بركيارق وبقي في خمسين فارسا
واما وزيره الاعز أبو المحاسن فانه أخذ اسيرا فأكرمه مؤيد الملك بن نظام الملك ونصب له خيما
وخركاه وحمل اليه الفرش والكسوة وضمنه عمادة بغداد وأعاده اليها وأمره بالمخاطبة في اعادة
الخطبة للسلطان محمد ببغداد فلما وصل اليها خاطب في ذلك فأجيب اليه وخطب له يوم الجمعة
رابع عشر رجب

## (ذكر قتل سعد الدولة كوهرآيين)

في هذه السنة في رجب قتل سعد الدولة كوهرآيين في الحرب المذكورة قبل وكان ابتداء أمره
انه كان خادما للملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة بن بويه انتقل اليه من امرأة من قرقوب
بخوزستان وكان اذا توجه الى الاهواز حضر عندها واستعرض حوائجها وأصاب اهلها منه
خيرا كثيرا فأرسله أبو كاليجار مع ابنه أبي نصر الى بغداد فلما قبض عليه السلطان طغرلبك
مضى معه الى قلعة طبرك فلما مات أبو نصر انتقل الى خدمة السلطان الب ارسلان ووقاه
بنفسه لما جرحه يوسف الخوارزمي وكان الب ارسلان قد اقطعه واسط وجعله شحنة لبغداد
فلما قتل الب ارسلان أرسله ابنه ملكشاه الى بغداد فأحضر له الخلع والتقليد ورأى ما لم يره
خادم قبله من نفوذ الامر وتمام القدرة وطاعة أعيان الامراء وخدمتهم اياه وكان حليما كريما
حسن السيرة لم يصادر أحدا من اهل ولايته ومناقبه كثيرة

## (ذكر حال السلطان بركيارق بعد الهزيمة وانهزامه من أخيه سنجر أيضا وقتل أميرداذ حبشي)

لما انهزم السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد سار قليلا وهو في خمسين فارسا ونزل عقبة
واستراح وقصد الري وأرسل الى من كان يعلم انه يريده ويؤثر دولته فاستدعاه فاجتمع معه جمع
صالح فسار الى اسفراين وكاتب أميرداذ حبشي بن التونتاق وهو بدامغان يستدعيه فأجابه
يشير عليه بالمقام بنيسابور حتى يأتيه وكان بيده حينئذ أكثر خراسان وطبرستان وجرجان فلما
وصل بركيارق الى نيسابور قبض على رؤسائها ثم خرج بهم وأطلقهم بعد ذلك وقبض على عميد
خراسان أبي محمد وأبي القاسم بن أبي المعالي الجويني فأما أبو القاسم فمات مسموما في قبضه وقد
تقدم انه قتل سنة اثنتين وتسعين وعاد بركيارق فاستدعى أميرداذ فاعتذر بقصد السلطان سنجر
بلاده في عساكر بلخ وسأل السلطان بركيارق ان يصل اليه ليعينه على الملك سنجر فسار
اليه في ألف فارس فلم يعلم بقدومه الا الامراء الكبار من أصحاب سنجر ولم يعلم الاصاغر لئلا
ينهزموا وكان مع الامير داذ عشرون ألف فارس فيهم من رجالة الباطنية خمسة آلاف ووقع
المصاف بين بركيارق وأخيه سنجر خارج النوشجان وكان الامير برغش في ميمنة سنجر والامير
كندكز في ميسرته والامير رستم في القلب فحمل بركيارق على رستم فطعنه فقتله وانهزم أصحابه
وأصحاب سنجر واشتغل العسكر بالنهب فحمل عليهم برغش وكندكز فقتلا المنهزمين وانهزم
الرجالة الى مضيق بين جبلين فأرسل عليهم الماء فأهلكهم ووقعت الهزيمة على أصحاب بركيارق
وكان قد أخذوا والدة أخيه سنجر لما انهزم أصحابه أولا فخافت ان يقتلها بامه فأحضرها وطيب

بخدمته وكتب الصاحب
اليهم أجمعين بالتوقف
ريثما يلحق بهم الاستاذ أبو
علي فيطلق لهم أموالهم*
ويحقق في الولايات وزيادة
الاقامات آمالهم*فحفزهم
صاحب خراسان عن التوقف
وأعلمهم طول العهد
بالاوطان دون التثبت
فساروا على سمت روغند
معاودين نيسابور للاتصال
بأبي علي بن سيمجور وهو
اذ ذاك صاحب الجيش مكان
أبيه وأقام الباقون من
الداودية الى ان وردها
الاستاذ أبو علي فاسترضهم
وأثبت أساميهم وأطلق
أموالهم وسيرهم الى الري
فأمر فخر الدولة بنقلهم الى
الدار وتوخيهم على أمثالهم
بمزيد الاكرام والايثار ورعاية
منه لحق ابي العباس تاش
من جانب واستظهارا بهم
من آخر وكانت جريان تموج
بالقاغة وذوي العيث
والذعارة ممن قتلوا اهل
خراسان ومثلوا بهم فوضع
الاستاذ أبو علي الارصاد لهم
وبث العيون عليهم وقتل
من حل منهم يوما واحدا

قلبها وقال انما أخذ تلك حتى يطلق أخى سنجر من عنده من الاسرى ولست كفؤا والدتى حتى اقتلك فلما أطلق سنجر الاسرى أطلقها بركيارق وهرب ابردا ذا الى بعض القرى وأخذه بعض التركمان فاعطاه فى نفسه مائة ألف دينار فأطلقه وجمله الى برغش فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى دامغان وسار فى البرية وزوى فى بعض المواضع ومعه سبعة عشر فارسا وجازة واحدة ثم كثر جمعه وصار معه ثلاثة آلاف فارس منهم جاولى سقاوو وغيره وسار الى أصبهان بمكاتبة من أهلها فسمع السلطان محمد فسبقه اليها فعاد الى سميرم

*(ذكر فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس)*

فى هذه السنة فتح تميم بن المعز مدينة سفاقس وكان صاحبها حمو قد عاد فتغلب عليها واشتد أمره بوزير كان عنده قد قصده وهو من كتاب المعز كان حسن الرأى والتدبير فاستقامت به دولته وعظم شانه فارسل اليه تميم يطلبه ليستخدمه ووعده وبالغ فى استمالته فلم يقبل فسير تميم جيشا الى حصار سفاقس وأمر الامير الذى جعله مقدم الجيش ان يهدم ما حول المدينة ويحرقه ويقطع الاشجار سوى ما يتعلق بذلك الوزير فانه لا يتعرض اليه ويبالغ فى صيانته ففعل ذلك فلما رأى حمو ما فعل باملاك الناس ما عدا الوزير اتهمه فقتله فانحل نظام دولته وتسلم عسكر تميم المدينة وخرج حمو منها وقصد مكن بن كامل الدهمانى فاقام عنده فاحسن اليه ولم يزل عنده حتى مات

*(ذكر عزل عميد الدولة من وزارة الخليفة ووفاته)*

لما أطاق مؤيد الدولة وزير السلطان محمد الاعز أبا المحاسن وزير بركيارق وضمنه عمادة بغداد أمره ان يخاطب الخليفة بعزل وزيره عميد الدولة بن جهير فسار من العسكر وسمع عميد الدولة الخبر فامر الاصبهبذ صباوة بن خمارتكين بالخروج الى طريق الاعز وقتله وكان الاصبهبذ قد حضر الحرب مع بركيارق ولما انهزم العسكر قصد بغداد فخرج الى طريق الاعز أبى المحاسن فلقيه قريبا من بعقوبا فاوقع بمن معه والتجأ الاعز الى القرية واحتمى فلما رأى الاصبهبذ صباوة ذلك أرسل اليه يقول له انك وزير السلطان بركيارق وأنا مملوكه فان كنت على خدمته فاخرج الينا حتى نسير الى بغداد ونقيم الخطبة للسلطان وأنت الصاحب الذى لا يخالف وان لم تجب الى هذا فما بيننا غير السيف فاجابه الاعز الى ذلك واجتمعا فعرفه صباوة الذى أمره به عميد الدولة من قتله وباتا تلك الليلة وأرسل الاعز الى الامير ايلغازى بن ارتق وكان قد ورد فى صحبته وفارقه نحو الراذان يخضر فى الليل فانقطع حينئذ أمل صباوة منه وفارقه وسار الاعز الى بغداد وخاطب فى عزل عميد الدولة فعزل فى رمضان وأخذ من ماله خمسة وعشرون ألف دينار وقبض عليه وعلى اخوته وبقى معزولا الى سادس عشر شوال فتوفى محبوسا فى دار الخلافة ومولده فى المحرم سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان عاقلا كريما حليما الا انه كان عظيم الكبر يكاد يعد كلامه عدا وكان اذا كلم انسانا كلمات يسيرة هنى ذلك الرجل بكلامه

*(ذكر ظفر المسلمين بالفرنج)*

فى ذى القعدة من هذه السنة لقى كمشتكين ابن الدانشمند طايلو وانما قيل له ابن الدانشمند لان أباه كان معلما للتركمان وتقلبت به الاحوال حتى ملك وهو صاحب ملطية وسيواس وغيرهما بيمند الفرنجى وهو من مقدمى الفرنج قريب ملطية وكان صاحبها قد كاتبه واستقدمه اليه

حديدة واحدة زيادة على ثلاثة آلاف رجل صلبا وصبرا * وغيلة ومكرا * فتمت بذلك سياسته * واستفاضت هيبته * واستقامت أموره وصفت جرجان فى أيامه عمن يتعق فى فساد * أو يحلم بغير استقامة وسداد *

* (ذكر أبى الحسن بن سيمجور فى قيادة الجيوش * الى ان قضى نحبه وانتقال الامر الى ابنه ابى على) *

استقامت ولايته وقراره نيسابور وانحدر ابو العباس تاش الى جرجان * محللا امور خراسان * وانصرف عسكر ابى الفوارس بن عضد الدولة الى كرمان وعاد فائق الى بلخ واستقر ابو على بهراة وكان ابن عزير يستحث ابا الحسن على قصد جرجان ويؤنبه على التقاعد عنها وهو يستقر على المعلوم من عادته فى استشعار الحلم * واستحباب السلامة والسلم * اشفاقا من عثرة قدم * تفضى الى ندم * كالتى عرضت لابى العباس تاش بجرجان من الكشفة التى جلبت على الدولة من الوصمة ما سار فى

فوردعليه في خمسة آلاف فلقيهم ابن الدانشمند فانهزم بيمند وأسر ثم وصل من البحر سبعة
قمامسة من الفرنج وأرادوا تخليص بيمند فأتوا الى قلعة تسمى انكورية فأخذوها وقتلوا من
بها من المسلمين وساروا الى قلعة أخرى فيها اسمعيل بن الدانشمند وحصروها فجمع ابن
الدانشمند جمعا كثيرا ولقي الفرنج وجعل له كمينا وقاتلهم وخرج الكمين عليهم فلم يفلت أحد
من الفرنج وكانوا ثلثمائة ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلا وأفلتوا مجروحين وسار ابن الدانشمند
الى ملطية فملكها وأسر صاحبها ثم خرج اليه عسكر الفرنج من انطاكية فلقيهم وكسرهم
وكانت هذه الوقائع في شهور قريبة

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة زاد أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد في شعبان وعظم ضررهم ثم قام
الخليفة كمال الدولة بن يمن بتهذيب البلد فأخذ جماعة من أعيانهم وطلب الباقين فهربوا وفيها
أيضا غلت الاسعار بالعراق وكان الكر الحنطة قد بلغ سبعين دينارا وربما زاد كثيرا
في بعض الاوقات وانقطعت الامطار ويبست الانهار وكثر الموت حتى عجزوا عن دفن الموتى
فحمل في بعض الاوقات ستة أموات على نعش واحد وعدمت الادوية والعقاقير وفيها في رجب
سار بيمند الفرنجي صاحب انطاكية الى قلعة فامية فحصرها وقاتل أهلها اياما وأفسد زروعها
ثم رحل عنها وفيها في آخر رمضان قتل الامير بلكابك سرمز باصبهان بدار السلطان محمد وكان
كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ففي ذلك اليوم لم يلبس درعا
ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا آخر وفيها توفي أبو الحسن البسطامي
الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد بناه أبو الغنائم بن المحلبان وفيها مات أبو نصر
ابن أبي عبد الله بن جردة وأصله من عكبرا واليه ينسب مسجد ابن جردة وخرابة ابن جردة ببغداد
وفيها توفي أبو علي يحيى بن جزلة الطبيب وكان نصرانيا فأسلم وهو مصنف كتاب المنهاج وفيها في
شوال توفي عبد الرزاق الصوفي الغزنوي المقيم برباط عتاب وحج عدة حجات على التجريد ولم
يخلف ما تكفن فيه فقالت زوجته اذا مت افتضحنا قال لم نفتضح قالت لا بد لنا من شيء نكفن
فيه فقال انما افتضح اذا خلفت ما أكفن فيه وفيها في رمضان توفي عز الدولة أبو المكارم محمد
ابن سيف الدولة صدقة بن مزيد

(ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة)

(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وقتل مؤيد الملك)

في هذه السنة ثالث جمادى الآخرة كان المصاف الثاني بين السلطان بركيارق والسلطان محمد
وقد ذكرنا سنة ثلاث وتسعين انهزام السلطان بركيارق من أخيه السلطان محمد وتنقله في
البلاد الى اصبهان وانه لم يدخلها وسار منها الى خوزستان وأتى عسكر مكرم فأتاه الاميران زنكي
والبكي ابنا برسق وسارا معه وأقام بها شهرين وسار منها الى همذان فاتصل به الامير اياز وكان
سبب ذلك ان أميرآخر قد مات منذ قريب فاتهم اياز مؤيد الملك بانه سقاه السم وقوى ذلك عنده
ان وزير أميرآخر هرب عقيب موته فازداد ظن اياز باتهامه فظفر بالوزير فقتله وكان اياز قد
اتخذه أميرآخر ولدا واتصل به العسكر ووصى له بجميع ماله فحين استوحش لهذا السبب كاتب

السلطان

البلاد نخبره الى ان اقيم ابو
علي محمد بن عيسى الدامغاني
للوزارة وذلك في جمادى
الآخرة سنة سبع وسبعين
وثلثمائة وتقي ابن عزيز الى
خوارزم فمهدا ابو علي في
تسديد الاعمال • وسننظمها
على الاعتدال • فأعياه
ما اراد لانسداد الولايات •
وتراجع الارتفاعات •
واستشراء الطمع وضراوة
الاتراك وتحكمهم على
الوزراء واستكمالهم في
المطالب خلعا للجام المراقبة •
وامتنا من السياسة
وصدق المؤاخذة • فصرف
بابي نصر بن ابي زيد وهو
الشهم الذي يصيب المحز في
اقواله • ويطبق المفصل
في افعاله • ويسد الكفاة
بغنائه ومضائه • وصواب
تدبيره وآرائه • ثم بدا لهم
في امر ابي علي فرد ثانيا الى
مكانه من صدر ديوانه •
واتفقت لابي الحسن بن
سيمجور بين هذه

السلطان بركيارق واتصل به ومعه خمسة آلاف فارس وصار من جملة عسكره وسار السلطان محمد الى لقاء أخيه فلما تقارب العسكران استأمن الامير سرخاب بن كيخسرو صاحب آوة الى السلطان بركيارق فاكرمه ووقع المصاف ثالث جمادى الآخرة وكان مع السلطان بركيارق خمسون الفا ومع اخيه السلطان محمد خمسة عشر الفا فالتقوا واقتتلوا يومهم اجمع وكان الفريقان بعد التفريق يستأمنون من عسكر محمد الى بركيارق فيحسن اليهم ومن العجب الدال على الظفر ان رجالة بركيارق احتاجوا الى تراس فوصل اليه يوم المصاف بكرة اثنا عشر حملا سلاحا من همذان منها ثمانية احمال تراس ففرقت فيهم فلما وصلت نزل السلطان بركيارق وصلى ركعتين شكرا لله تعالى ولم يزل القتال بينهم الى آخر النهار فانهزم السلطان محمد وعسكره وأسر مؤيد الملك اسره غلام لمجد الملك البلاساني واحضر عند السلطان بركيارق فسبه واوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة ونسبته الى مذهب الباطنية اخرى ومن حمل اخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته الى غير ذلك ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة فقتله بركيارق بيده والقى على الارض عدة ايام حتى سأل الامير اياز في دفنه فاذن فيه فحمل الى تربة ابيه باصبهان فدفن معه وكان بخيلا سيء السيرة مع الامراء الا انه كان كثير المكر والحيل في اصلاح امر الملك وكان عمره لما قتل نحو خمسين سنة وكان السلطان بركيارق قد استوزر في صفر الاعز ابا المحاسن عبد الجليل بن علي الدهستاني فلما قتل مؤيد الملك ارسل الوزير ابو المحاسن رسولا الى بغداد وهو ابو ابراهيم الاسترابادي لاخذ اموال مؤيد الملك فنزل ببغداد بدار مؤيد الملك وسلم اليه محمد الشرابي وهو ابن خالة مؤيد الملك فاخذت منه الاموال والجواهر بعد مكروه اصابه وعذاب ناله واخذ له ذخائر من مواضع أخر ببلاد العجم منها قطعة بلخش وزنها احد واربعون مثقالا ولما فرغ السلطان بركيارق من هذه الوقعة سار الى الري فوصل اليه هناك قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد

*(ذكر حال السلطان محمد بعد الهزيمة واجتماعه باخيه الملك سنجر)*

لما انهزم السلطان محمد سار طالبا خراسان الى اخيه سنجر وهما لام واحدة فاقام بجرجان وراسل اخاه يطلب منه مالا وكسوة وغير ذلك فسير اليه ما طلب وترددت الرسل بينهما حتى تحالفا واتفقا ولم يكن بقي مع السلطان محمد غير اميرين في نحو ثلثمائة فارس فلما استقرت القواعد بينهما سار الملك سنجر من خراسان في عساكره نحو اخيه السلطان محمد فاجتمعا بجرجان وسارا منها الى دامغان فخربها العسكر الخراساني ومضى اهلها هاربين الى قلعة كردكوه وخرب العسكر ما قدروا عليه من البلاد وعم الغلاء تلك الاصقاع حتى اكل الناس الميتة والكلاب واكل الناس بعضهم بعضا وساروا الى الري فلما وصلوا اليها انضم اليهم النظامية وغيرهم فكثر جمعهم وعظمت شوكتهم وتمكنت من القلوب هيبتهم

*(ذكر ما فعله السلطان بركيارق ودخوله بغداد)*

لما كان السلطان بركيارق بالري بعد انهزام اخيه محمد اجتمعت عليه العساكر الكثيرة فصار معه نحو مائة الف فارس ثم انهم ضاقت عليهم الميرة فتفرقت العساكر فعاد دبيس بن صدقة الى أبيه وخرج الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي باذربيجان فسير اليه قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف

الاحوال نهضة الى خزانة ملك بعض متنزهاته بواحدة من حظاياه فخانته نفسه خلال الرقي اليها وخر الى الارض عن صدرها ميتا واخفى خبر وفاته الى ان رد الى داره * واستعد لاظهاره * وورث ابو علي رياسة بيته * واخوته وجيشه * فسد الثلمة الحادثة بابيه برفق سياسته * وحسن رعايته * وحق ايالته وولايته * وحسنت طاعة ابي القاسم اخيه وسائر اخوته له وعم رضاهم به وبلغ ابا علي ان هراة سميت لفائق فقصدها ابو علي وكتب اليه يعاتبه على ما استجازه من الخطبة على خطبته ثم اتفقا على ان تكون هراة لفائق ونيسابور مع قيادة الجيوش لابي علي ورتب كل واحد منهما اصحابه بناحية عمله وحملت الخلع من بخارا على الرسم لولاة الجيوش وابو علي يظن انه هو المقصود بها والمحبو بالكرامة فيها حتى اذا بلغ الرسول منتصف الطريق عدل الى فائق بما صحبه فعلم انه مكر مكروه * وغدر أسروه * وانه هو

فارس واستأذن الامير اياز في أن يقصد داره بهمذان ليصوم بها شهر رمضان ويعود بعد الفطر فاذن له وتفرقت العساكر لذلك وبقي في العدد القليل فلما بلغه ان أخويه قد جمعا الجموع وحشدا الجنود وانهما لما بلغهما ما هو فيه من قلة العسكر قد جدا في المسير اليه وطويا المنازل لمعاجلته قبل ان يجمع جموعه وعساكره فلما قاربا سار من مكانه وقد طمع فيه من كان يهابه وأيس منه من كان يرجوه وقصد نحو همذان ليجتمع هو واياز فبلغه ان ايازا قد راسل السلطان محمدا ليكون معه ومن جملة اعوانه خوفا على ولايته وهي همذان وغيرها فلما سمع ذلك عاد عنها وقصد خوزستان فلما قرب من تستر كاتب الامراء بني برسق يستدعيهم اليه فلم يحضروا ولما علموا ان ايازا لم يحضر وانحرف من السلطان محمد فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان أتاه رسول الامير اياز يسأل التوقف ليصل اليه وسبب ذلك ان ايازا راسل السلطان محمدا في الانضمام اليه والمسير في جملة عسكره فلم يقبله وسير العساكر الى همذان ففارقها منهزما ولحق بالسلطان بركيارق فأقام السلطان بركيارق بحلوان ووصل اليه اياز وسار واياه الى بغداد وأخذ عسكر محمد ما تخلف للامير اياز بهمذان من مال ودواب وبرك وغير ذلك فانه أعجل عنه وكان من جملته خمسمائة حصان عربية قيل كان يساوي كل حصان منها ما بين ثلثمائة دينار الى خمسمائة دينار ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصودر رئيس همذان بمائة الف دينار ولما وصل اياز الى بركيارق تكاملت عدتهم خمسة آلاف فارس وقد ذهبت خيامهم وثقلهم ووصل بركيارق الى بغداد سابع عشر ذي القعدة وارسل الخليفة الى طريقه امين الدولة بن موصلايا يلقاه في الموكب ولما كان عيد الاضحى أنفذ الخليفة منبرا الى دار السلطان وخطب عليه الشريف ابو الكرم وصلى صلاة العيد ولم يحضر بركيارق لانه كان مريضا وضاقت الاموال على بركيارق فلم يكن عنده ما يخرجه على نفسه وعلى عساكره فارسل الى الخليفة يشكو الضائقة وقلة المال ويطلب ان يعان بما يخرجه فتقرر الامر بعد المراجعات على خمسين الف دينار حملها الخليفة اليه ومد بركيارق وأصحابه أيديهم الى أموال الناس فعم ضررهم وتمنى أهل البلاد زوالهم عنهم ودعتهم الضرورة الى ان ارتكبوا خطة شنعاء وذلك انه قدم عليهم أبو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة قاضي جبلة من بلاد الشام وصاحبها منهزما من الفرنج على ما ذكره ومعه أموال جليلة المقدار فأخذوها منه

## (ذكر خلاف صدقة بن مزيد على بركيارق)

في هذه السنة خرج الامير صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد صاحب الحلة عن طاعة السلطان بركيارق وقطع خطبته من بلاده وخطب فيها للسلطان محمد وسبب ذلك ان الوزير الاعز ابا المحاسن الدهستاني وزير السلطان بركيارق ارسل الى صدقة يقول له قد تخلف عندك لخزانة السلطان الف الف دينار وكذا وكذا دينارا لسنين كثيرة فان ارسلتها والا سيرنا العساكر الى بلادك واخذناها منك فلما سمع هذه الرسالة قطع الخطبة وخطب لمحمد فلما وصل السلطان بركيارق الى بغداد على هذه الحال ارسل اليه مرة بعد مرة يدعوه الى الحضور عنده فلم يجب الى ذلك فارسل اليه الامير اياز يشير عليه بقصد خدمة السلطان ويتضمن له كل ما يريده فقال لا احضر ولا اطيع السلطان الا اذا سلم وزيره ابا المحاسن الي وان لم يفعل فلا [illegible] أمانه عنده ابدا

ويكون

المقصود بالسوء والمراد بالمحذور فلما علم ان فائقا شخص عن هراة نهض ابو علي من نيسابور كالسهم المرسل والشهاب المرصد حتى انقض عليه فيما بين هراة وبوشنج فنعل من اقتفاء الجد خذلانا وصاحباه ونكب عن ذكر العواقب جانبا * وعلم انه متى استمرت به تلك الحيلة ونفذت فيه تلك المكيدة وعرف بحينه وشوره لم ترتفع له ولا لاهل بيته راية * ولم تعرف لانتقاض الامور عليهم وانسياب المحذور اليهم من كل وجه غاية * فصدق قتاله آخذا بفرط الجد والتشمير * ودق عسكره دق الحب أسنان المسامير * فولوا منهزمين الى مرو الروذ واردفهم أبو علي بعدة من قواده للتشريد بهم في هربهم فوافقوه بقنطرة مرو الروذ مستمدا لامداد اخيه ومحتشدا للممانعة فقارعهم حتى اسرعت منهم وحملهم الى بخارا وسار ابو علي الى مرو طالبا لمحل ابيه ومدلا بسابق حرمته وصاحبه ومتكثرا باخوته وذويه فحقق الرضا سوله وبرحاليه فيما استدعاه

و يكون في ذلك ما يكون فان مآله الى فانا العبد المخلص في العبودية بالحق والطاعة فلم يجب الى ذلك فتم على مقاطعته وارسل الى الكوفة وطرد عنها النائب بها عن السلطان واستضافها اليه

*(ذكر وصول السلطان محمد الى بغداد و رحيل السلطان بركيارق عنها)*

في هذه السنة في السابع والعشرين من ذي الحجة وصل السلطان محمد وسنجر الى بغداد وكان السلطان محمد لما استولى على همذان وغيرها سار الى بغداد فلما وصل الى حلوان سار اليه ايلغازي بن ارتق في عساكره وخدمه واحسن في الخدمة وكان عسكر محمد يزيد على عشرة آلاف فارس سوى الاتباع فلما وصلت الاخبار بذلك كان بركيارق على شدة من المرض يرجف عليه شواصه بكرة وعشيا فاح اصحابه وخافوا واضطربوا وساروا وعبروا به في محفة الى الجانب الغربي فنزلوا بالرملة ولم يبق في بركيارق غير روح يتردد وتيقن اصحابه موته وتشاوروا في كفنه وموضع دفنه فبينما هم كذلك اذ قال لهم اني اجد نفسي قد قويت وحركتي قد تزايدت فطابت نفوسهم وساروا وقد وصل العسكر الآخر فتراءى الجمعان بينهم ادجلة وجرى بينهم سماع اماة وسباب وكان اكثر مايسبهم عسكر محمد بالباطنية يعيرونهم بذلك ونهبوا البلاد في طريقهم الى ان وصلوا الى واسط و وصل السلطان محمد الى بغداد فنزل بدار المملكة فبرز اليه توقيع الخليفة المستظهر بالله يتضمن الامتعاض من سوء سيرة بركيارق ومن معه والاستبشار بقدومه وخطب له بالديوان ونزل الملك سنجر بدار كوهرائين وكان محمد قد استوزر بعد مؤيد الملك خطير الملك ابا منصور محمد بن الحسين وقدم اليه في المحرم سنة خمس وتسعين الامير سيف الدولة صدقة وخرج الخلق كلهم الى لقائه

*(ذكر حال قاضي جبلة)*

هو ابو محمد عبيد الله بن منصور المعروف بابن صليحة وكان والده رئيسها ايام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضي بينهم فلما ضعف أمر الروم وملكها المسلمون وصارت تحت حكم جلال الملك ابي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس كان منصور على عادته في الحكم فيها فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه وأحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فاراد ابن عمار ان يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالا لقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشئ وأصيب صاحبه أتابك طغتكين بنشابة في ركبته وبقي أثرها وبقي أبو محمد بها مطاعا الى ان جاء الفرنج لعنهم الله فحصروها فاظهر ان السلطان بركيارق قد توجه الى الشام وشاع هذا فرحل الفرنج فلما حققوا اشتغال السلطان عنهم عادوا لحصاره فاظهر ان المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانيا ثم عادوا فقرر مع النصارى الذين بها ان يراسلوا الفرنج ويواعدوهم الى برج من أبراج البلد ليسلموه اليهم ويملكوا البلد فلما أتتهم الرسالة جهزوا نحو ثلثمائة رجل من اعيانهم وشجعانهم فتقدموا الى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الحبال واحدا بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحة وهو على السور رجل منهم قتله الى ان قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤس اليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجا من ابراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوبا وخرج من الباب وقاتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب

---

رسوله * وقرر قيادة الجيوش عليه * وناط مصالحهم بين يديه * وجمع له بين ولاية نيسابور وهراة وقهستان ولقبه بعماد الدولة فانكفأ الى نيسابور وقد نال ما اراد فهذب الاعمال * ورتب الاحوال والرجال * واخذ امره يزداد نورا وبهاء * ويتضاعف قوة واستعلاء * الى ان تلقب بأمير الامراء المؤيد من السماء * وامتدحه ابو بكر الخوارزمي بقصيدة أولها

ان الالى خلف الخدور
هم في الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم
فغدا يتيه على العبير
الماشين على الثرى
تاه المدار على المعير
بغدوت في حال الاسير
ورحت في حال الحسير
وكذا من عشق النجوم
ورام صيد البدور
ياسائلي مافي الهوادج
والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنية
والفطام من السرور
وسالت من زوج المنابر
حين يخطب والسرير
فهو الامير ابن الامير
ابن الامير ابن الامير

فاتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكندا اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنعهم عنه فارسل الى طغتكين اتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به ليسلم اليه ثغر جبلة ويحميه ليصل هو الى دمشق بماله واهله فاجابه الى ما التمس وسير اليه ولده تاج الملوك بوري فسلم اليه البلد ورحل الى دمشق وسأله أن يسيره الى بغداد ففعل وسيره ومعه من يحميه الى ان وصل الى الانبار ولما سار بدمشق ارسل ابن عمار صاحب طرابلس الى الملك دقاق وقال سلم الي ابن صليحة عريانا وخذ ماله اجمع وانا اعطيك ثلثمائة الف دينار فلم يفعل فلما وصل الى الانبار اقام بها اياما ثم سار الى بغداد وبها السلطان بركيارق فلما وصل احضره الوزير الاعز ابو المحاسن عنده وقال له السلطان محتاج والعساكر يطالبونه بمال بيس عنده ونريد منك ثلاثين الف دينار وتكون المنة عظيمة تستحق بها المكافاة والشكر فقال السمع والطاعة ولم يطلب ان يحط شيأ وقال ان رحلي ومالي في الانبار بالدار التي نزلتها فارسل الوزير اليها جماعة فوجدوا فيها مالا كثيرا واعلاقا نفيسة فمن جملة ذلك الف ومائة قطعة مصاغا عجيب الصنعة ومن الملابس والعمائم التي لا يوجد مثلها شئ كثير. كان ينبغي ان نذكر هذه الحوادث التي بعد انهزام السلطان محمد الى ههنا بعد قتل الباطنية فانها كانت أواخر السنة وكان قتلهم في شعبان وانما قدمناها لنتبع بعض الحادثة بعضا لا يفصل بينها شئ واما تاج الملوك بوري فانه لما ملك جبلة وتمكن منها اساء السيرة هو واصحابه مع اهلها وعاملوهم افعالا انكروها فراسلوا القاضي فخر الملك ابا علي عمار بن محمد بن عمار صاحب طرابلس وشكوا اليه ما يفعل بهم وطلبوا منه ان يرسل اليهم بعض اصحابه ليسلموا اليه البلد ففعل ذلك وسير اليهم عسكرا فدخلوا جبلة واجتمعوا باهلها وقاتلوا تاج الملوك ومن معه فانهزم الاتراك وملك عسكر ابن عمار جبلة واخذوا تاج الملوك اسيرا وحملوه الى طرابلس فاكرمه ابن عمار واحسن اليه وسيره الى ابيه بدمشق واعتذر اليه وعرفه صورة الحال وانه خاف أن يملك الفرنج جبلة.

## (ذكر قتل الباطنية)

في هذه السنة في شعبان امر السلطان بركيارق بقتل الباطنية وهم الاسماعيلية وهم الذين كانوا قديما يسمون قرامطة ونحن نبتدي باول امرهم الآن ثم بسبب قتلهم فاول ما عرف من احوالهم أعني هذه الدعوة الاخيرة التي اشتهرت بالباطنية والاسماعيلية في ايام السلطان ملكشاه فانه اجتمع منهم ثمانية عشر رجلا فصلوا صلاة العيد في ساوة ففطن بهم الشحنة فاخذهم وحبسهم ثم سئل فيهم فاطلقهم فهذا اول اجتماع كان لهم ثم انهم دعوا مؤذنا من اهل ساوة كان مقيما باصبهان فلم يجبهم الى دعوتهم فخافوه أن ينم عليهم فقتلوه فهو اول قتيل لهم واول دم اراقوه فبلغ خبره الى نظام الملك فامر باخذ من يتهم بقتله فوقعت التهمة على نجار اسمه طاهر فقتل ومثل به وجر برجله في الاسواق فهو اول قتيل منهم وكان والده واعظا وقدم الى بغداد مع السلطان بركيارق سنة ست وثمانين فحظي منه ثم قصد البصرة فولي القضاء بها ثم توجه في رسالة الى كرمان فقتلته العامة في الفتنة التي جرت وذكروا انه باطني ثم ان الباطنية قتلوا نظام الملك وهي اول فتكة مشهورة كانت لهم وقالوا قتل نجارا فقتلناه به واول موضع غلبوا عليه وتحصنوا به بلد عند قاين كان متقدمه على مذهبهم فاجتمعوا عنده

المشترى المدح الجليل
بماله الجم الغفير
من سيفه كسر الجبيـر
وسيبه جبر الكسير
والناظم العنق الطويل
بقتله النزر القصير
يرى أعاديه بسم شم
من سعادته طرير
حتى لو افترشوا الحرير
لشاكهم مس الحرير
وورثت اليهم الذكور
بتلكم البيض الذكور
وسهامه نوب الخطوب
وقوسه عقب الدهور
ورماحه حشو العدا
وعداته حشو القبور
استغفر الرحمن بل
حشو اللوامع والنسور
ويصوم صارمه فيفطر
بالجماجم والنحور
واذا آتاه سائل
رب الشويهة والبعير
أبصرته بفنائه
رب الخورنق والسدير
أحمد بن محمد
هذى المقالة من الصور
لو كانت العليا تدور
وعلى الحقائق في الامور
ما صيغ تاج محمد
الا من القمر المنير

وقوروابه فاجتازت بهم قافلة عظيمة من كرمان الى قاين فخرج عليهم ومعه أصحابه والباطنية فقتل اهل القافلة اجمعين ولم ينج منهم غير رجل تركماني فوصل الى قاين فاخبر بالقصة فتسارع اهلها مع القاضي الكرماني الى جهادهم فلم يقدروا عليهم ثم قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه فعظم امرهم واشتدت شوكتهم وقويت أطماعهم وكان سبب قوتهم باصبهان ان السلطان بركيارق لما حصر اصبهان وبها اخوه محمود وامه خاتون الجلالية وعاد عنهم ظهرت مقالة الباطنية بها وانتشرت وكانوا متفرقين في المحال فاجتمعوا وصاروا يسرقون من قدروا عليه من مخالفيهم ويقتلونهم فعلوا هذا بخلق كثير وزاد الأمر حتى ان الانسان كان اذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد تيقنوا قتله وقعدوا للعزاء به فحذر الناس وصار لا ينفرد احد واخذوا في بعض الايام مؤذنا اخذه جار له باطني فقام اهله للنياحة عليه فاصعده الباطنية الى سطح داره وأراه اهله كيف يلطمون ويبكون وهو لا يقدر يتكلم خوفا منهم

*(ذكر مافعل بهم العامة باصبهان)*

لما عمت هذه المصيبة الناس باصبهان أذن الله تعالى في هتك استارهم والانتقام منهم فاتفق ان رجلا دخل دار صديق له فرأى فيها ثيابا ومداسات وملابس لم يعهدها فخرج من عنده وتحدث بما كان فكشف الناس عنها فعلموا انها من المقتولين وثار الناس كافة يبحثون عمن قتل منهم ويستكشفون فظهروا على الدروب التي هم فيها وانهم كانوا اذا اجتاز بهم انسان أخذوه الى دار منها وقتلوه وألقوه في بئر في الدار قد صنعت لذلك وكان على باب درب منها رجل ضرير فاذا اجتاز به انسان يسأله ان يقوده خطوات الى باب الدرب فيفعل ذلك فاذا دخل الدرب أخذ وقتل فتجرد للانتقام منهم أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي وجمع الجم الغفير بالاسلحة وأمر بحفر أخاديد واوقد فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجا ومنفردين فيلقون في النار وجعلوا انسانا على أخاديد النيران وسموه مالكا فقتلوا منهم خلقا كثيرا

*(ذكر قلاعهم التي استولوا عليها ببلاد العجم)*

واستولوا على عدة حصون منها قلعة اصبهان وهذه القلعة لم تكن قديما وانما بناها السلطان ملكشاه وسبب بنائها انه كان قد اتاه رجل من مقدمي الروم فاسلم وصار معه فاتفق انه سار يوما الى الصيد فهرب منه كلب حسن الصيد وصعد هذا الجبل فتبعه السلطان والرومي معه فوجده موضع القلعة فقال له الرومي لو ان عندنا مثل هذا الجبل لجعلنا عليه حصنا ننتفع به فامر ببناء القلعة ومنع منها نظام الملك فلم يقبل قوله فلما فرغت جعل فيها دزدارا فلما انقضت ايام السلطان ملكشاه وصارت اصبهان بيد خاتون ازالت الدزدار وجعلت غيره فيها وهو انسان ديلمي اسمه زيار فمات وصار بالقلعة انسان خوزي فاتصل به أحمد بن عطاش وكان الباطنية قد ألبسوه تاجا وجمعوا له أموالا وقدموه عليهم مع جهله وانما كان أبوه مقدما فيهم فلما اتصل بالدزدار بقي معه ووثق به وقلده الامور فلما توفي الدزدار استولى أحمد بن عطاش عليها ونال المسلمين منه ضرر عظيم من اخذ الاموال وقتل النفوس وقطع الطريق والخوف الدائم فكانوا يقولون ان قلعة يدل عليها كلب ويشير بها كافر لابد وان يكون خاتمة أمرها الشر ومنها الموت وهي من نواحي قزوين قيل ان ملكا من ملوك الديلم كان كثير التصيد فارسل يوما عقابا وتبعه فرآه

وأتاه البديع أبو الفضل الهمذاني وهو بغزنة يمتدحه بقصيدته التي أولها

على أن لا أريح العيس والقتبا
وألبس البيض والظلماء واليلبا
واترك الخود معسولا مقبلها
وأهجر الكاس تغدو شربها طربا
حسبي الفلا منزلا والبوم مطربة
والسير يسكرني من مسه تعبا
وطفلة كقضيب البان منعطفا
اذا مشت وهلال الشهر منتقبا
تظل تنثر من أجفانها حببا
دوني وتنظم من اسنانها حببا
قالت وقد علقت ذيلي تودعني
والوجد يخنقها بالدمع منسكبا
لا در در المعالي لا يزال لها
برق يشوقك لا هونا ولا كثبا
يا مشرعا للمنى عذبا موارده
بناه مبتسم الارجاء اذ نضبا
طلعت لي قمرا سعدا منازله
حتى اذا قلت يجلو ظلمتي غربا
كنت الشبيبة أبهى ما درجت درجت
وكنت كالورد أذكى ما أتى ذهبا

قد سقط على موضع هذه القلعة فوجدته موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة عليه فسماها آلموت ومعناه بلسان الديلم تعليم العقاب ويقال لذلك الموضع وما يجاور طالقان وفيها قلاع حصينة أشهرها الموت وكانت هذه النواحي في ضمان شرفشاه الجعفري وقد استناب فيها رجلا علويا فيه بله وسلامة صدر وكان الحسن بن الصباح رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب والنجوم والسحر وغير ذلك وكان رئيس الري انسان يقال له ابومسلم وهو صهر نظام الملك فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه فخافه ابن الصباح وكان نظام الملك يكرمه وقال له يوما من طريق الفراسة عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام فلما هرب الحسن من ابي مسلم طلبه فلم يدركه وكان الحسن من جملة تلامذة ابن عطاش الطبيب الذي ملك قلعة اصبهان ومضى ابن الصباح فطاف البلاد ووصل الى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فاكرمه واعطاه مالا وامره ان يدعو الناس الى امامته فقال له الحسن فمن الامام بعدك فاشار الى ابنه نزار وعاد من مصر الى الشام والجزيرة وديار بكر والروم ورجع الى خراسان ودخل كاشغر وما وراء النهر يطوف على قوم يضلهم فلما رأى قلعة آلموت واختبر اهل تلك النواحي أقام عندهم وطمع في اغوائهم ودعاهم في السر وأظهر الزهد ولبس المسح فتبعه اكثرهم والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه يجلس اليه يتبرك به فلما أحكم الحسن أمره دخل يوما على العلوي بالقلعة فقال له ابن الصباح اخرج من هذه القلعة فتبسم العلوي وظنه يمزح فامر ابن الصباح بعض أصحابه باخراج العلوي فاخرجوه الى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة ولما بلغ الخبر الى نظام الملك بعث عسكرا الى قلعة الموت فحصروه فيها وأخذوا عليه الطرق فضاق ذرعه بالحصر فارسل من قتل نظام الملك فلما قتل رجع العسكر عنها ثم ان السلطان محمد بن ملكشاه جهز نحوها العساكر فحصرها وسيرد ذكر ذلك ان شاء الله تعالى * ومنها طبس وبعض قهستان وكان سبب ملكهم لها ان قهستان كان قد بقي فيها بقايا من بني سيمجور امراء خراسان ايام السامانية وكان قد بقي من نسلهم رجل يقال له المنور وكان رئيسا مطاعا عند الخاصة والعامة فلما ولي كلسارغ قهستان ظلم الناس وعسفهم واراد اختا المنور بغير حل فحمل ذلك المنور على ان التجأ الى الاسماعيلية وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها ومن جملتها خور وخوسف وزوزن وقاين وتون وتلك الاطراف المجاورة لها * ومنها قلعة وسنكوه ملكوها وهي بقرب ابهر سنة اربع وثمانين وتأذى بهم الناس لاسيما اهل ابهر فاستغاثوا بالسلطان بركيارق فجعل عليها من يحاصرها فحوصرت ثمانية اشهر وأخذت منهم سنة تسع وثمانين وقتل كل من بها عن آخرهم ومنها قلعة خالنجان على خمسة فراسخ من اصبهان كانت لمؤيد الملك بن نظام الملك وانتقلت الى جاولي سقاو فجعل بها انسانا تركيا فادته نجار باطني واهدى له هدية جليلة ولازمه حتى وثق به وسلم اليه مفاتيح القلعة فعمل دعوة للتركي وأصحابه فسقاهم الخمر فاسكرهم واستدعى ابن عطاش فجاء في جماعة من أصحابه فسلم اليهم القلعة فقتلوا من بها سوى التركي فانه هرب وقوي ابن عطاش بها وصار له على أهل اصبهان القطائع الكثيرة * ومن قلاعهم المذكورة استوناوند وهي بين الري وآمل ملكوها بعد ملكشاه نزل منها صاحبها بالقتل وأخذت منه ومنها أردهن وملكها أبو الفتوح ابن اخت الحسن بن الصباح * ومنها كردكوه وهي مشهورة

استودع الله عينا تتقي دنفا
حتى تؤوب وقلبا يرتجي اهبا
وظاعنا أخذت منه النوى وطرا
من قبل يقضي الهوى من حكمه اربا
نضى عليك قناع الصبر الما
اليك أوبة مشتاق ومنقلبا
الى المقام بدار الذل في كرم
وهمة تمل التوحيد والحببا
وعزمة لا تزال الدهر ضاربة
دون الامير وفوق المشترى طنبا
ياسيد الامراء افخر فما لك
الا اعتنا الشعري واشتهاك أبا
اذا دعتك المعالي عرف هامتها
لم ترض كسرى ولا من قبله ذنبا
ابن الذين أعدوا المال من ملك
يرى الذخيرة ما أعطى وما وهبا
ما الليث مشتملا والسيل منحطما
والبحر ملتطما والليل مقتربا
أمضى شبا منك أدهى منك صاعقة
اجدى يمينا وأدنى منك مطلبا

ومنها قلعة الناظر بخوزستان وقلعة الطنبور وبينها وبين أرجان فرسخان أخذها أبو حمزة الإسكاف وهو من اهل أرجان سافر الى مصر وعاد داعية لهم وقلعة خلادخان وهي بين فارس وخوزستان وأقام بها المفسدون نحو مائتى سنة يقطعون الطريق حتى فتحها عضد الدولة بن بويه وقتل من بها فلما صارت الدولة لملكشاه أقطعها الامير أنز فجعل بها دزدارا فانفذ اليه الباطنية الذين بأرجان يطلبون منه بيعها فأبى فقالوا له نحن نرسل اليك من يناظرك حتى يظهر لك الحق فاجابهم الى ذلك فارسلوا اليه انسانا ديلميا يناظره وكان للدزدار مملوك قد رباه وسلم اليه مفاتيح القلعة فاستماله الباطني فاجابه الى القبض على صاحبه وتسليم القلعة اليهم فقبض عليه وسلم القلعة اليهم ثم اطلقه واستولوا بعد ذلك على عدة قلاع هذه اشهرها

*(ذكر مافعله جاولي سقاو بالباطنية)*

في هذه السنة قتل جاولي سقاو خلقا كثيرا منهم وسبب ذلك ان هذا الامير كانت ولايته البلاد التي بين رامهرمز وأرجان فلما ملك الباطنية القلاع المذكورة بخوزستان وفارس وعظم شرهم وقطعوا الطريق بتلك البلاد واقف جماعة من أصحابه حتى أظهروا الشغب عليه وفارقوه وقصدوا الباطنية واظهروا انهم معهم وعلى رأيهم فاقاموا عندهم حتى وثقوا بهم ثم أظهر جاولي ان الامراء بني برسق يريدون قصده وأخذ بلاده وانه عازم على مفارقتها لعجزه عنهم والمسير الى همذان فلما اظهر ذلك وسار قال من عند الباطنية من أصحابه لهم الرأى اننا نخرج الى طريقه ونأخذه وما معه من الاموال فساروا اليه في ثلثمائة من أعيانهم وصناديدهم فلما التقوا صار من معهم من أصحاب جاولي عليهم ووضعوا السيف فيهم فلم يفلت منهم سوى ثلاثة نفر صعدوا الى الجبل وهربوا وغنم جاولي مامعهم من دواب وسلاح وغير ذلك

*(ذكر قتل صاحب كرمان الباطني وملك غيره)*

كان تيرانشاه بن تورانشاه بن قاورت بك هو الذى قتل الاتراك الاسماعيلية وليسوا منسوبين الى هذه الطائفة الباطنية انما انتسبوا الى أمير اسمه اسمعيل وكانوا من اهل السنة قتل منهم الفي رجل صبرا وقطع ايدى الفين ونفق عليه انسان يقال له ابو زرعة كان كاتبا بخوزستان فحسن له مذهب الباطنية فاجاب اليه وكان عنده فقيه حنفي يقال له احمد بن الحسين البلخي كان مطاعا في الناس فاحضره عنده ليلا واطال الجلوس معه فلما خرج من عنده اتبعه من قتله فلما اصبح الناس دخلوا عليه وفيهم صاحب جيشه فقال لتيرانشاه ايها الملك من قتل هذا الفقيه فقال انت شحنة البلد تسألني من قتله فقال انا اعرف قاتله ونهض من عنده ففارقه في ثلثمائة فارس وسار الى اصبهان فارسل في أثره ألفي فارس ليردوه فقاتلهم وهزمهم وصار الى اصبهان وبها السلطان محمد ومؤيد الملك فاكرمه السلطان وقال أنت والد الملوك وامتعض عسكر كرمان بعد مسيره واجتمعوا وقاتلوا تيرانشاه واخرجوه عن مدينة بردسير التي هي مدينة كرمان فلما فارقها اتفق القاضي والجند وأقاموا أرسلانشاه بن كرمانشاه بن قاورت بك وسار تيرانشاه الى مدينة بم من كرمان فحاربه أهلها ومنعوه منها وأخذوا مامعه من اموال وجواهر وقصد قلعة سميرم وتحصن بها وفيها أمير يعرف بمحمد بهستون فارسل أرسلانشاه جيشا حصروا القلعة فقال محمد بهستون لتيرانشاه انصرف عني فلست أرى الغدر بك وانا رجل مسلم ومقامك

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا
لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا
يامن يراه ملوك الارض فوقهم
كما يرون على أبراجها الشهبا
لا تكذبن فخير القول أصدقه
ولا تهابن في امثالها الدربا
فما السموال عهدا والخليل قرى
ولا ابن سعدى ندى والشنفرى غلبا
من الاسير بعشار اذا اقتسموا
ما ثر المجد فيما أسلفوا نهبا
ولا ابن حجر ولا ذبيان يعشر في
والمازني ولا القيسي منتدبا
هذا الركبته هذا الرهبته
هذا الرغبته هذا اذا طربا
انم واستولى على بلاد
خراسان وارتفاعاتها فجبيت
له عن آخرها * وكتب الرضي
اليه يستنزله عن بعضها
لاطماع حشمه * وعوارض
نوبه * فاعتل عليه باستغراق

عندي يؤذيني وأتهم بك في ديني فلما عزم على الخروج أرسل محمد بن بهستون الى مقدم الجيش الذين يحاصرونهم يعلمه بمسير تيرانشاه فجرد عسكرا الى طريقه فحاربوه وغلبوه وأخذوه وما معه وأخذوا أيضا أبا زرعة فأرسل ارسلانشاه فقتلهما وتسلم جميع بلاد كرمان

*(ذكر السبب في قتل بركيارق الباطنية)*

لما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذحول واحن فلما قتلوا جماعة من الامراء الاكابر وكان أكثر من قتلوا من هو في طاعة محمد مخالف السلطان بركيارق مثل شحنة أصبهان سرمز وأرغش وكمش النظاميين وصهره وغيرهم نسب أعداء بركيارق ذلك اليه واتهموه بالميل اليهم فلما ظفر السلطان بركيارق وهزم أخاه السلطان محمدا وقتل مؤيد الملك وزيره انبسط جماعة منهم في العسكر واستغووا كثيرا منهم وأدخلوهم في مذهبهم وكادوا يظهرون بالكثرة والقوة وحصل بالعسكر منهم طائفة من وجوههم وزاد أمرهم فصاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل فصار يخافهم من يخالفهم حتى انهم لم يتجاسر أحد منهم لا أمير ولا متقدم على الخروج من منزله حاسرا بل يلبس تحت ثيابه درعا حتى ان الوزير الاعز أبا المحاسن كان يلبس زردية تحت ثيابه واستأذن السلطان بركيارق خواصه في الدخول عليه بسلاحهم وعرفوه خوفهم ممن يقاتلهم فأذن لهم في ذلك وأشاروا على السلطان ان يفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافي أمرهم وأعلموه ما يتهمه الناس به من الميل اليهم حتى ان عسكر أخيه السلطان محمد يشنعون بذلك وكانوا في المصاف يكبرون عليهم ويقولون يا باطنية فاجتمعت هذه البواعث كلها فأذن السلطان في قتلهم والفتك بهم وركب هو والعسكر معه وطلبوهم واخذوا جماعة من خيامهم ولم يفلت منهم الا من لم يعرف وكان ممن اتهم بانه مقدمهم الامير محمد ابن دشمنزيار بن علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه صاحب يزد فهرب وسار يومه وليلته فلما كان اليوم الثاني وجد في العسكر قد ضل الطريق ولا يشعر فقتل وهذا وضع المثل أتتك بحائن رجلاه ونهبت خيامه فوجد عنده السلاح المعد واخرج الجماعة المتهمون الى الميدان فقتلوا وقتل منهم جماعة برآء لم يكونوا منهم سعى بهم اعداؤهم وفيمن قتل ولد كيقباذ مستحفظ تكريت فلم يغير والده خطبة بركيارق ولكن شرع في تحصين القلعة وعمارتها ونقض جامع البلد وكان يقاربها لئلا يؤتى منه وجعل بيعة في البلد جامعا وصلى الناس فيه وكتب الى بغداد بالقبض على ابي ابراهيم الاسداباذي الذي كان قد وصل اليها رسولا من بركيارق ليأخذ مال مؤيد الملك وكان من اعيانهم ورؤسهم فاخذ وحبس فلما ارادوا قتله قال هبوا أنكم قتلتموني اتقدرون على قتل من بالقلاع والمدن فقتل ولم يصل عليه أحد والقي خارج السور وكان له ولد كبير قتل بالعسكر معهم وقد كان أهل عانة نسبوا الى هذا المذهب قديما فانهي حالهم الى الوزير أبي شجاع أيام المقتدي بأمر الله فاحضرهم الى بغداد فسئل مشايخهم عن الذي يقال فيهم فانكروا وجحدوا فاطلقهم واتهم أيضا الكيا الهراسي المدرس بالنظامية بانه باطني ونقل ذلك عنه الى السلطان محمد فامر بالقبض عليه فارسل المستظهر بالله من استخلصه وشهد له بصحة الاعتقاد وعلو الدرجة في العلم فأطلق

*(ذكر حصر الامير برغش قهستان وطبس)*

أعطيات جيوشه ارتفاعات خراسان وحاجته الى زيادة يحصلها لتتمة اطماعهم في السنة وهو في ذلك يخلط طاعة بجفاء * ويسر حسوا في ارتغاء * ونصب أبا علي السنجي لصحابة الديوان وبسط يده في المصادرة والاستخراج حتى كنس خراسان بأسرها فلم يبق بها ذو در الأدى خلفه * والصق بظهره بطنه * ثم طالبه بما رفع عليه * وأمر بدق يديه على رجليه * الى أن أعيا ببعض المال * ومات بأثره على شر حال * وصار يكاتب الملك الملقب شهاب الدولة وظهير الدعوة هرون بن ايلك بغراخان * وهو ببلاد الترك سرا على ان يتشاطرا خراسان * وما وراء النهر حتى ملك على الرضى بخارا فكان مثله كما قيل

يحمد ما لو يوسف محمد
رضوا بها ما مات آل محمد

وهو في ذلك كله يقيم رسم الخطبة وشعار الدعوة استبقاء الا بزجه للتقية

فى هذه السنة جمع الامير بزغش وهو أكبر أمير مع السلطان سنجر جموعا كثيرة وقواهم بالمال والسلاح وسار الى بلاد الاسماعيلية فنهبه وخربه وقتل فيهم فاكثر وحصر طبس وضيق عليها ورماها بالمنجنيق فخرب كثيرا من سورها وضعف من بها ولم يبق الا أخذها فارسلوا اليه الرشا الكثيرة واستنزلوه عما كان يريده منهم فرحل عنهم وتركهم فعاودوا عمارة ما انهدم من سورها وملؤها ذخائر من سلاح واقوات وغير ذلك ثم عاودهم بزغش سنة سبع وتسعين فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## •(ذكر ما ملك الفرنج من الشام)•

فيها سار كندفرى ملك الفرنج بالشام وهو صاحب البيت المقدس الى مدينة عكة بساحل الشام فحصرها فاصابه سهم فقتله وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها الى قمص من الفرنج اسمه طنكرى فلما قتل كندفرى سار أخوه بغدوين الى البيت المقدس فى خمسمائة فارس وراجل فبلغ الملك دقاق صاحب دمشق خبره فنهض اليه فى عسكره ومعه الامير جناح الدولة فى جمعه فقاتله فنصر على الفرنج وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة وسبب ذلك ان الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكاتبة من أهلها لان أكثرهم أرمن وليس بها من المسلمين الا القليل فلما كان الآن جمع سقمان بسروج جمعا كثيرا من التركمان وزحف اليهم فلقوه وقاتلوه فهزموه فى ربيع الاول فلما تمت الهزيمة على المسلمين سار الفرنج الى سروج فحصروها وتسلموها وقتلوا كثيرا من أهلها وسبوا حريمهم ونهبوا أموالهم ولم يسلم الا من مضى منهزما وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا وهى بالقرب من عكة على ساحل البحر ملكوها عنوة وملكوا ارسوف بالامان وأخرجوا أهلها منها وفيها فى رجب ملكوا مدينة قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها

## •(ذكر عدة حوادث)•

فى هذه السنة فى شهر رمضان تقدم الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وان يصلى فيه صلاة التراويح ولم يكن جرت بذلك عادة وامر بالجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وهذا أيضا لم تجر به عادة وانما ترك الجهر بالبسملة فى جوامع بغداد لان العلويين اصحاب مصر كانوا يجهرون بها فترك ذلك مخالفة لهم لا اتباعا لمذهب احمد الامام وامر أيضا بالقنوت على مذهب الشافعى فلما كانت الليلة التاسعة والعشرون ختم فى جامع القصر وازدحم الناس عنده وكان زعيم الرؤساء ابو القاسم على بن فخر الدولة بن جهير اخو عميد الدولة قد اطلق من الاعتقال فاختلط بالناس وخرج الى ظاهر بغداد من ثلمة فى السور وسار الى سيف الدولة صدقة بن مزيد فاستقبله وانزله واكرمه وفيها فى المحرم توفى جمال الدولة ابو نصر بن رئيس الرؤساء ابن المسلمة وهو استاذ دار الخليفة وفيه توفى القاضى احمد بن محمد بن عبد الواحد ابو منصور بن الصباغ الفقيه الشافعى واخذ الفقه عن ابن عمه الشيخ ابى نصر بن الصباغ وكان يصوم الدهر وروى الحديث عن القاضى ابى الطيب الطبرى وغيره وفيه توفى شرف الملك ابو سعد محمد بن منصور المستوفى الخوارزمى باصبهان وكان مستوفيا فى ديوان السلطان ملكشاه فبذل مائة الف دينار حتى ترك الاستيفاء وبنى مشهدا على قبر ابى حنيفة رحمة الله عليه ومدرسة بباب الطاق ومدرسة بمرو

أو قصدا الى الرغبة• وقد كان طائفة من دهاقين ماوراء النهر قد املتهم ايام تلك الدولة فقرمت نفوسهم الى الاستبداد• والاحماض به عن خلة الالفة والاعتياد• فواصلوا بغراخان بكتبهم فى توردذلك الحريم• شاحذين عزمه فى المضاء والتصميم• فصار يتطرف تلك الحدود شيأ فشيأ كالبازى يحل نصاح اجفانه على التدريج تأنيسا له من الوحشة * وتسكينا من الروعة * وتضرية على القنص الى ان ورد اسبيجاب فانهض من بخارا آينج الحاجب فى طلبه• ورده على عقبه• فالتقيا على حرب اشابت الذوائب * واثارت الكواكب * ثم انجلت عن اسر آينج الحاجب فى الكثير من القواد• والكثير من الافراد• واستحكم لذلك طمعه فى توردسائر البلاد

## ※ذكر فائق وما انتهى اليه من بعد الوقعة المذكورة※

اقام فائق بناحية مروالروذ على رم الرث وجبر الكسر واسوما فشا فى عسكره من

جمعها المنتقين وفيها في صفر توفي القاضي ابو المعالي عزيزي وكان شافعيا اشعريا وهو من جيلان وله مصنفات كثيرة حسنة وكان ذا دعاوة مع اهل باب الازج اخبار ظريفة وكان قاضيا عليهم وكانوا يبغضونه ويبغضهم وتوفي اسعد بن مسعود بن علي بن محمد ابو ابراهيم العتبي من ولد عتبة بن غزوان نيسابوري ولد سنة اربع واربعمائة وروى عن ابي بكر الحيري وغيره وتوفي في صفر محمد بن احمد بن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ابو الفضائل الربعي الموصلي الفقيه الشافعي تفقه على ابي اسحق الشيرازي وسمع الحديث من ابي الطيب الطبري وغيره وكان ثقة صالحا وتوفي في ربيع الاول منها محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد بن صالح بن سليمان ابن ودعان ابو نصر القاضي الموصلي وهو صاحب الاربعين الودعانية وقد تكلم واقيها فقيل انه سرقها وكانت تصنيف زيد بن رفاعة الهاشمي والغالب على حديثه المناكير وتوفي فيها في ربيع الاول نصر بن احمد بن عبد الله بن البطر القاري ابو الخطاب وولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة سمع ابن رزقويه وغيره وصارت اليه الرحلة لعلو اسناده وكان سماعه صحيحا

(ثم دخلت سنة خمس وتسعين واربعمائة)

*(ذكر وفاة المستعلي بالله وولاية الآمر باحكام الله)*

في هذه السنة توفي المستعلي بالله ابو القاسم احمد بن معد المستنصر بالله العلوي الخليفة المصري لسبع عشرة خلت من صفر وكان مولده في العشرين من شعبان سنة سبع وستين واربعمائة وكانت خلافته سبع سنين وقريبا من شهرين وكان المدبر لدولته الافضل ولما توفي ولي بعده ابنه ابو علي المنصور ومولده ثالث عشر المحرم سنة تسعين واربعمائة وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابوه وله خمس سنين وشهر واربعة ايام ولقب الآمر باحكام الله ولم يكن من تسمى بالخلافة قط اصغر منه ومن المستنصر وكان المستنصر اكبر من هذا ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بتدبير دولته الافضل بن امير الجيوش احسن قيام ولم يزل كذلك يدبر الامر الى ان قتل سنة خمس عشرة وخمسمائة

*(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق والسلطان محمد والصلح بينهما)*

في هذه السنة في صفر كان المصاف الثالث بين السلطان بركيارق ومحمد قد ذكرنا سنة اربع وتسعين قدوم السلطان محمد الى بغداد ورحيل السلطان بركيارق عنها الى واسط مريضا فاقام السلطان محمد ببغداد الى سابع عشر المحرم من هذه السنة وسار عنها هو واخوه السلطان سنجر عائدين الى بلادهم وسنجر يقصد خراسان والسلطان محمد يقصد همذان فلما سار محمد عن بغداد وصلت الاخبار ان بركيارق قد اعترض خاص الخليفة بواسط وسمع منه في حق الخليفة ما يقبح نقله فارسل الخليفة واعاد السلطان محمدا الى بغداد وذكر له ما نقل اليه وعزم على الحركة مع محمد الى قتال بركيارق فقال السلطان محمد لا حاجة الى حركة امير المؤمنين فاني اقوم في هذا القيام المرضي وسار عائدا ورتب ببغداد ابا المعالي المفضل بن عبد الرزاق في جباية الاموال والمغازي شحنة وكان لما دخل بغداد قد خلف عسكره بطريق خراسان فنهبوا البلاد وخربوها فاخذهم السلطان محمد معه وجد السير الى روذراور واما السلطان بركيارق فقد تقدم سنة اربع وتسعين انه سار من بغداد عند وصول محمد اليها قاصدا الى واسط فلما سمع عسكر واسط بقربه منهم خافوا

كلوم الحرب فلما التصم امره وانضم نشره سار يريد بخارا من غير استئمار واستطلاع رأي فارتاب الرضي به فلما قاربها برز الى فنائها السملة بأبيه ورماه بالحج ويكتنزون الحاجبين وسائر مواليه وموالي ابيه وذلك يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانين وثلثمائة فلما رهقه الكفاح وعضه السلاح انجفل انجفال الظليم واقتسمت الهزيمة اصحابه بين القتل والتنكيل والاسر والتذليل ووافق الشط منهزمه فوجد السفن منغبة فركب الخطر واحتال حتى عبره وسار الى بلخ على ان يتشاغب بها ويرتاش واقام بها اياما ثم عبر الى ترمذ وواصل بغراخان بكتبه يبعثه على الانحداره ويحثه على البداره وخوطب من بخارا والى المرزبان ابو الحرث احمد بن محمد الفريغوني بقصده وسهده فجمع بوشاعطيا

منه واخذوا نساءهم واولادهم واموالهم وجمعوا السفن جميعها وانحدروا الى الزبيدية فاقاموا هنالك ووصل السلطان وهو شديد المرض يحمل فى محفة وقد هلك من دواب عسكره ومتاعهم الكثير فانهم كانوا يجدون السير خوفا ان يتبعهم السلطان محمد أو الامير صدقة صاحب الحلة فكانوا كلما جازوا قنطرة هدموها ليمتنع من يجتاز بها من اتباعهم ولما وصلوا الى واسط عوفى بركيارق ولم يكن له ولاصحابه همة غير العبور من الجانب الغربي الى الجانب الشرقى فلم يجد هنالك سفينة وكان الزمان شاتيا شديد البرد والماء زائدا وكان اهل البلد قد خافوهم فلزموا الجامع وبيوتهم فخلت الطرق والاسواق من مجتاز فيها فخرج القاضى أبو على الفارقى الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير واستعطفهما للخلق وطلب انفاذ شحنة لتطمئن القلوب فاجابوه الى ملتمسه وقالوا له نريد ان تجمع لنا من يعبر دوابنا فى الماء وتسبح معها فجمع لهم من شباب واسط واعطاهم الاجرة الوافرة فعبروا دوابهم من الخيل والبغال والجمال وكان الامير اياز بنفسه يسوق الدواب ويفعل ما يفعله الغلمان ولم يكن معهم غير سفينة واحدة انحدرت مع السلطان من بغداد فعبروا أموالهم ورحالهم فيها فلما صاروا فى الجانب الشرقى اطمأنوا ونهب العسكر البلد فرجع القاضى وجدد الخطاب فى الكف عنهم فاجيب الى ذلك فارسل معه من يمنع من النهب ثم ان عسكر واسط ارسلوا الى بركيارق يطلبون الامان ليحضروا الخدمة السلطان فأمنهم فحضر أكثرهم عنده وساروا معه الى بلاد بنى برسق فحضروا أيضا عنده وخدموه واجتمعت العساكر عليه وبلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار يتبعه على نهاوند فادركه بروذراور وكان العسكران متقاربين فى العدة كل واحد منهما أربعة آلاف فارس من الاتراك فتصافوا أول يوم جميع النهار ولم يجر بينهم قتال لشدة البرد وعادوا فى اليوم الثانى ثم تواقفوا كذلك ثم كان الرجل يخرج من أحد الصفين فيخرج اليه من يقاتله فاذا تقاربا اعتنق كل واحد منهما صاحبه وسلم عليه ويعود عنه ثم خرج الامير بلدجى وغيره من عسكر محمد الى الامير اياز والوزير الاعز فاجتمعوا واتفقوا على الصلح لما قد عم الناس من الضرر والملل والوهن فاستقرت القاعدة ان يكون بركيارق السلطان ومحمد الملك ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد جنزة واعمالها واذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل وان يمده السلطان بركيارق بالعساكر حتى يفتح ما يمتنع عليه منها وحلف كل واحد منهما لصاحبه وانصرف الفريقان من المصاف رابع ربيع الاول وسار بركيارق الى مرج قراتكين قاصدا ساوة والسلطان محمد الى اسداباذ وتفرق العسكران وقصد كل امير اقطاعه.

*(ذكر الحرب بين السلطان بركيارق ومحمد وانفساخ الصلح بينهما)*

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كان المصاف الرابع بين السلطان بركيارق واخيه محمد وكان سببه ان السلطان محمد سار من روذراور من الوقعة المذكورة الى اسداباذ ومنها الى قزوين ونسب الامراء الذين سعوا فى ذلك الصلح الى المخامرة عليه والتقاعد به فوضع رئيس قزوين ان يتوسل اليه باولئك الامراء ليحضروا دعوته فاستشفع الرئيس بهم الى السلطان فحضر دعوته بعد أن امتنع ووصى خواصه بحمل السلاح تحت اقبيتهم وحضر الدعوة ومعه الامير ايتكين وبسمل فقتل الامير بسمل وهو من اكابر الامراء وكحل الامير ايتكين وكان الامير ينال بن انوشتكين

وساق من ارض الجوزجان
بريا طاريا وعقبيا فانتدب
لهم احد غلمانه وكان يعرف
بأرسلان آخر الاربى زهاء
خمسمائة من الترك والعرب
فانقضوا عليهم انقضاض
الصقور * على بغاث الطيور
فزقوهم بددا * وجعلوهم
طرائق قددا * وفرشوا
لقضائهم جثث القتلى * وغنموا
مالا لا يعد ولا يحصى * وعادوا
الى بلخ ظاهرين وقد كان
طاهر بن الفضل ملك
الصغانيان على ابى المظفر
محمد بن احمد وهو واحد
خراسان جلالة قدر * ونباهة
ذكر * ومتانة رأى وصبر *
ورصانة نظم ونثر * فانقطع
ابو المظفر الى جانب فائق
صارخا فزعا فاحسن
اصراخه * وامده بن يرده
وراءه * فاغتنم طاهر بن
الفضل خفة اصحاب فائق
ببلخ فلقت انقة اليها * طامعا
فى الاستيلاء عليها * فزحف
المقيمون بها لمدافعته *
ونهدوا لمنابزته * وتناوشوا
القتال * وصدقوا المصاع
والصيال * وثقف بعض

الحاجي قد فارق بركيارق واقام بمجاهدة الباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمدا وسار معه الى الري يضرب النوب الخمس واجتمعت اليه العساكر واقام عدة ايام ووافاه اخوه السلطان بركيارق في اليوم التاسع ووقع بينهما المصاف عند الري وكانت عدة العسكرين متقاربة كل عسكر منهما عشرة آلاف فارس فلما اصطفوا حمل الامير سرخاب بن كيخسرو الديلمي صاحب آبة على الامير ينال فهزمه وتبعه في الهزيمة جميع عسكر محمد وتفرقوا ومضى معظمهم نحو طبرستان ولم يقتل في هذا المصاف غير رجل واحد قتل صبرا ومضى قطعة من المنهزمين نحو قزوين ونهبت خزائن محمد ومضى في نفر يسير الى اصبهان وحمل هو عليه شده ليتبعه اصحابه وسار في طلبه الامير ايلكي بن برسق والامير اياز الى قم وتتبع السلطان بركيارق اصحاب اخيه محمد واخذ اموالهم

*(ذكر حصار السلطان محمد باصبهان)*

لما انهزم السلطان محمد من الوقعة التي ذكرناها بالري مضى الى اصبهان فسبق فارسا والبلد في حكمه وفيه نائبه ومعه من الامراء الامير ينال وغيره من الامراء ودخل المدينة في ربيع الاول وامر بتجديد ما تشعث من السور وهذا السور هو الذي بناه علاء الدولة بن كاكويه سنة تسع وعشرين واربعمائة عند خوفه من طغرلبك وامر محمد بتعميق الخندق حتى صعد الماء فيه وسلم الى كل أمير بابا وكان معه في البلد الف ومائة فارس وخمسمائة راجل ونصب المجانيق ولما علم السلطان بركيارق بمسير اخيه محمد الى أصبهان سار يتبعه فوصلها في جمادى الاولى وعساكره كثيرة تزيد على خمسة عشر ألف فارس ومعها مائة الف من الحواشي وأقام يحاصر البلد وضيق عليه وكان السلطان محمد يدور كل ليلة على سور البلد ثلاث دفعات فلما زاد الامر في الحصار أخرج الضعفاء والفقراء من البلد حتى ذلت الحال وعدمت الاقوات وأكل الناس الخيل والجمال وغير ذلك وقلت الاموال فاضطر السلطان محمد الى ان يستقرض من اعيان البلد فاخذ مالا عظيما ثم عاود الجند الطلب فقسط على أهل البلد شيأ آخر وأخذه منهم بالشدة والعنف فلم تزل الاسعار تغلو حتى بلغ عشرة امنان من الحنطة بدينار واربعة ارطال لحم بدينار وكل مائة رطل تبنا باربعة دنانير ورخصت الامتعة وهانت لعدم الطالب وكانت الاسعار في عسكر بركيارق رخيصة فبقي الحصار على البلد الى عاشر ذي الحجة فلما راى السلطان محمد انه لا قدرة له على الدفع عن البلد وكلما امره يضعف قوى عزمه على مفارقته وقصد جهة أخرى يجمع فيها العساكر ويعود فيدفع الخصم عن الحصار فسار عن البلد في مائة وخمسين فارسا ومعه الامير ينال واستخلف بالبلد جماعة من الامراء البكارقية باقي العسكر فلما فارق العسكر والبلد لم يكن في دوابهم ما يدوم على السير لقلة العلف في الحصار فنزل على ستة فراسخ فلما سمع بركيارق بمسيره سير وراءه الامير اياز في عسكر كثير وامره بالجد في السير في طلبه فقيل ان محمدا سبقهم فلم يدركوه فرجعوا وقيل بل ادركوه فارسل الى الامير اياز يقول انت تعلم ان لي في رقبتك عهودا وأيمانا ما انتقضت ولم يكن مني اليك ما تبالغ في اذاي فعاد عنه وارسل له خيلا واخذ علمه والجتر وثلاثة احمال دنانير وعاد الى بركيارق فحمل عليه واعلام اخيه السلطان محمد منكوسة فانكر بركيارق ذلك وقال ان كان قد اساء فلا ينبغي ان يعمل معه هذا فاخبره الخبر فاستحسن ذلك منه

العرب مكان طاهر بن الفضل فقصد قصده بطعنة في منكبه • اذرته عن مركبه • وبادر اليه فاحتز رأسه عن مركبه • وثار الصياح بمقتله فولى اصحابه على الادبار هاربين بين سمع الارض وبصرها • وهائمين اثناء جرها ومدرها • ولما جرى في امر آنج الحاجب ما جرى • ونقل الى بلاد الترك في زمرة الاسرى • انتقضت عرائر الاعمال بما وراء النهر • ووهت قواها • وتداعت قواعدها وبناها • فاشفق الامير الرضي واركان دولته من ان يتفاقم الامر • ويتراكم الشر • ويعضل حادث الداء • ويتضايق الماء • نحو طب فائق في الاستقاله • وقويل مثرتها بالاقاله • واستنهض الى بخارا الاستقلالها به على سد الخلل • وتعديل الميل • وسرب عنها بعد حسن القبول والاقبال • وازاحة العلة بالاموال • الى سمرقند • فلم يرعه الاخبر بغراخان وهو الملقب

فلما فارق محمد اصبهان ابتدع من المفسدين والسواديه ومن يريد النهب ما يزيد على مائة ألف نفس وزحفوا الى البلد بالسلاليم والدبابات وطموا الخندق بالتبن والتصقوا بالسور وصعد الناس في السلاليم فقاتلهم أهل البلد قتال من يريد يحمى حريمه وماله فعادوا خائبين فحينئذ أشار الامراء على بركيارق بالرحيل فرحل ثامن عشر ذى الحجة من السنة واستخلف على البلد القديم الذى يقال له شهرستان ترشك الصوابى فى ألف فارس مع ابنه ملكشاه وسار الى همذان وكان هذا من أعجب ما سطران سلطانا محصورا قد انقطعت مواده وهو يخطب له فى أكثر البلاد ثم يخلص من الحصر الشديد وينجو من العساكر الكثيرة التى كلها قد شرع اليه رمحه وفوق اليه سهمه

* (ذكر قتل الوزير الاعز ووزارة الخطير أبى منصور) *

فى هذه السنة ثانى عشر صفر قتل الوزير الاعز أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستانى وزير السلطان بركيارق على أصبهان وكان مع بركيارق يحاصر البلد فركب هذا اليوم من خيمته الى خدمة السلطان فجاءه شاب أشقر قيل انه كان من غلمان أبى سعيد الحداد وكان الوزير قتله فى العام الماضى فانتهز الفرصة فيه وقيل كان باطنيا فجرحه عدة جراحات فتفرق أصحابه عنه ثم عادوا اليه فجرح أقربهم منه بجراحات أثخنته وعاد الى الوزير فتركه بآخر رمق وكان كريما واسع الصدر حسن الخلق كثير العمارة ونفر الناس منه لانه دخل فى الوزارة وقد تغيرت القوانين ولم يبق دخل ولا مال ففعل للضرورة ما خافه الناس بسببه وكان حسن المعاملة مع التجار فاستغنى به خلق كثير فكانوا يسألونه ليعاملهم فلما قتل ضاع منهم مال كثير * حكى ان بعض التجار باعه متاعا بألف دينار فقال له خذ بها حنطة من الراذان خمسين كرا كل كر بعشرين دينارا فامتنع التاجر من أخذها وقال لا اريد غير الدنانير فلما كان من الغد دخل اليه التاجر فقال له يهنيك يا فلان فقال وما هو قال خبر حنطتك فقال ما لى حنطة ولا أريدها قال بلى وقد بيعت كل كر بخمسين دينارا فقال أنا لم أتقبل بها فقال الوزير ما كنت لافسخ عقدا عقدته قال فخرجت وأخذت ثمن الحنطة ألفين وخمسمائة دينار واضفت اليها مثلها وعاملته فقتل فضاع الجميع وكان قد نفق عليه عمل الكيمياء واختص به انسان كيميائى فكان يعده الشهر بعد الشهر والحول بعد الحول وقال له بعض أصحابه وقد أحاله عليه بكر حنطة فاستزاده لو كان صادقا فى عمله لما كان يستزيد من القدر القليل وقتل ولم يصح له منه شئ ولما قتل الاعز أبو المحاسن وزر بعده الوزير الخطير أبو منصور الميبذى الذى كان وزير السلطان محمد وكان سبب فراقه لوزارة محمد انه كان معه باصبهان وبركيارق يحاصره وقد سلم اليه محمد بابا من ابوابها يحفظها فقال له الامير ينال بن انوشتكين كنت قد كلفتنا ونحن بالرى لتقصد همذان وقلت انا اقيم بالعسكر من مالى واحصل لهم ما يقوم بهم ولا بد من ذلك فقال له الخطير انا افعل ذلك فلما كان الليل فارق البلد وخرج من الباب الذى كان مسلما اليه وقصد بلده ميبذ واقام بقلعتها متحصنا فارسل اليه السلطان بركيارق وحصره فنزل منها مستأمنا فحمل على بغل باكاف الى العسكر فوصله فى طريقه قتل الوزير الاعز وكتاب السلطان له بالامان وطيب قلبه فلما وصل الى العسكر خلع عليه واستوزره

بشهاب الدولة وظهير الدعوة وقد استعار اليه قوادم الطير ركضا * لم يشل فيه جماما ولا غمضا * فولى فائق من بين يديه هزيعا * ولم يلو على تعرف حال مقيما * وجعل من كان معه من اصحاب السلطان عرضة السيوف * وفريسة لانياب الحتوف * وتوافقت الشهادات على ان انهزامه كان عن مواطأة منه لبغراخان * على آل سامان فعل من لا وفاء يزعه * ولا حياء يردعه * ولا نعمة تحفه * ولا حرمة تكفه * وسار كما هو حتى أتى بعقوة بخارا فراع السلطان بالداهية الدهياء * والخطة النكراء * والقضاء المبرم من السماء * حتى اضطر الى مفارقة الدار * واللياذ بذمة الاستتار *

* ذكر ورود بغراخان بخارا وهجرة الرضى عنها وانصرافه ثانيا اليها بعد انفصال بغراخان عنها *

ودخل بغراخان بخارا فاستقبله فائق مختصا به ومنخرطا فى سلكه ومكثرا

(حادثة يعتبر بها)

في سنة ثلاث وتسعين بيع رحل بني جهير ودورهم بباب العامة ووصل ثمن ذلك الى مؤيد الملك ثم قتل في سنة اربع وتسعين مؤيد الملك وبيع ماله وتركته واخذ الجميع ووصل الى الوزير الاعز وقتل الوزير الاعز هذه السنة وبيع رحله واقتسمت امواله واخذ السلطان ومن ولي بعده اكثرها وتفرقت ايدي سبا وهذا عاقبة خدمة الملوك

(ذكر الفتنة بين ايلغازي وعامة بغداد)

في هذه السنة في رجب كانت فتنة شديدة بين عسكر الامير ايلغازي بن ارتق شحنة بغداد وبين عامتها وسببها ان ايلغازي كان بطريق خراسان فعاد الى بغداد فلما وصل اتى جماعة من اصحابه الى دجلة فنادوا ملاحا ليعبر بهم فتأخر فرماه احدهم بنشابة فوقعت في مقتل فمات فاخذ العامة القاتل وقصدوا باب النوبي فلقيهم ولد ايلغازي مع جماعة فاستنقذه وجرحهم العامة بسوق الثلاثاء فمضى الى ابيه مستغيثا فاخذ حاجب الباب من له في هذه الحادثة عمل فلم يقنع ايلغازي ذلك فعبر باصحابه الى محلة الملاحين المعروفة بربعة القطانين وتبعهم خلق كثير فنهبوا ما وجدوا وقدروا عليه فعطف عليهم العيارون فقتلوا اكثرهم ونزل من سلم في السفن ليعبروا دجلة فلما توسطوها القى الملاحون انفسهم في الماء وتركوهم فغرقوا فكان الغريق اكثر من القتيل وجمع ايلغازي التركمان واراد نهب الجانب الغربي فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة والكيا الهراس المدرس بالنظامية فمنعاه من ذلك فامتنع

(ذكر قصد صاحب البصرة مدينة واسط وعوده عنها)

في هذه السنة في العشرين من شوال قصد الامير اسمعيل صاحب البصرة مدينة واسط للاستيلاء عليها ونحن نبتدي بذكر اسمعيل وتنقل الاحوال به الى ان ملك البصرة وهو اسمعيل ابن سلانجق وكان اليه في أيام ملكشاه شحنكية الري ولما وليها كان أهل الري والرستاقية ذاعرين وليهم وعجز الولاة عنهم فسلك معهم طريقا أصلحهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة فتهذبوا بها وارسل من شعورهم الى السلطان ما عمل منه مقاود وشكلا للدواب ثم عزل عنها ثم ان السلطان بركيارق أقطع البصرة للامير قماج فارسل اليها هذا الامير اسمعيل نائبا عنه فلما فارق قماج بركيارق وانتقل الى خراسان حدثته نفسه بالتغلب على البصرة والاستبداد فانحدر مهذب الدولة ابن أبي الجبر من البطيحة اليه ليحاربه ومعه معقل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الدبيسية فاقبلا في جمع كثير من السفن والخيل ووصلوا الى مطارا فنشب معقل يقاتل قريبا من القلعة التي بناها ينال بمطارا وجددها اسمعيل واحكمها أتاه سهم غرب فقتله فعاد ابن أبي الجبر الى البطيحة وأخذ اسمعيل سفنه وذلك سنة احدى وتسعين فاستمد ابن أبي الجبر كوهرائين فامده بأبي الحسن الهروي وعباس بن أبي الجبر فلقيهما فكسرهما وأسرهما واطلق عباسا على مال ارسله أبوه واصطلحا وأما الهروي فبقي في حبسه مدة ثم أطلقه على خمسة آلاف دينار لم يصح له منها شيء وقوي حال اسمعيل فبنى قلعة بالابلة وقلعة بالشاطئ مقابل مطارا وصار يخوف الجانبين وأمن البصريون به وأسقط شيئا من المكوس واتسعت امارته باشتغال السلاطين وملك الشأن واستضافه الى ما بيده فلما كان هذه



لسواده • وملقيا اليه ليق
قياده • كأنهما كانا على
ميعاد • وتلاقيا عن سابق
صحبة واتحاد • ولما استقرت
الدار بقرارها استأذنه
فائق في النهوض الى بلخ
لاستضافتها الى ولايته •
واثارة اموالها لخزانته •
فاذن له فيه وسار الى ترمذ
وبعث بعثا الى بلخ فاحتاط
عليها ونصب بها من يجبي
الاموال • ويدبر الاعمال •
واهتبل الرضي فرصة البروز
من مستتره في بزة التنكرة
حتى عبر النهر الى آمويه وقد
كان هاجر اليها امامه عدة
من خواصه وحجابه وغلمان
داره عابرين فاعتدوا
بمقدمه عددا • وظنوا انهم
انشؤوا خلقا جديدا •
وتلاحق بهم من تقدم من ابناء
الهجرة من بخارا فتواعدة
وعديدا • واعتمد الامير الرضي
ابا علي البلعمي للوزارة •
وضبط أطراف ذلك القدر
من الامارة • فعجز عن
التدبير لضيق الحال
والمال • وانسداد وجوه

السنة كاتبه بعض عسكر واسط بالتسليم اليه فقوى طمعه فى واسط فاصعد فى السفن الى نمر ابان
وراسلهم فى التسليم فامتنعوا من ذلك وقالوا راسلناك وقد رأينا غير ذلك الرأى فاصعد الى
الجانب الشرقى فخيم تحت النخيل وسفنه بين يديه وخيم جند واسط حذاءه وراسلهم ووعدهم
وهم لا يجيبونه واتفقت العامة مع الجند وشتموه اقبح شتم فلما ايس منهم عاد الى البصرة وسار وا
بازائه من الجانب الآخر فوصل الى العمر وعبر طائفة من اصحابه فوق البلد وهو يظن ان البلد
خاليا وان الناس قد خرجوا منه لما رأى كثرة من بازائه فيوقع الحريق فى البلد فاذا رجع الاتراك
عاد هو من ورائهم فكان ظنه خائبا لان العامة كانوا على دجلة اولهم فى البلد وآخرهم مع
الاتراك بازائه فلما عبر اصحابه عاد الاتراك عليهم ومعهم العامة فقتلوا منهم ثلاثين رجلا واسروا
خلقا كثيرا والقى الباقون انفسهم فى الماء فاتاه من ذلك مصيبة لم يظنها وصار اعيان اصحابه
ماسورين وعاد الى البصرة وكان عودهمن سعادته فانه كان قد قصد الامير ابو سعد محمد بن مضر
ابن محمود البصرة ذلك الوقت وله اعمال واسعة منها نصف عمان وجنابة وسيراف وجزيرة بنى
نفيس وكان سبب قصده اياها انه كان قد صار مع اسماعيل انسان يعرف بجعفرك وآخر اسمه
زنجويه والثالث بابى الفضل الابلى فاطمعوه فى ان يعمل مراكب يرسل فيها مقاتلة فى البحر
الى هذا ابى سعد وغيره فعمل نيفا وعشرين قطعة فلما علم ابو سعد الحال ارسل جماعة كثيرة من
اصحابه فى نحو خمسين قطعة فاتوا الى دجلة البصرة وذلك فى السنة الخالية فاقاموا بها محاربين
وظفروا بطائفة من اصحاب اسماعيل وقتلوا صاحب قلعة الابلة وكاتبوا ابن برسق بخوزستان
يطلبون ان يرسلوا عسكرا ليساعدوهم على اخذ البصرة فتمادى الجواب وركن الطائفتان الى
الصلح على ان يسلم اليهم اسماعيل جعفرك ورفيقه ويقطعهم مواضع ذكروها من اعمال البصرة
فلما رجعوا لم يفعل شيأ من ذلك واخذ مركبين لقوم من اصحاب ابى سعد فحمله ذلك على ان سار
بنفسه فى قطع كثيرة تزيد على مائة قطعة بين كبيرة وصغيرة ووصل الى فوهة نهر الابلة وخرج
عسكر اسماعيل فى عدة مراكب ووقع القتال بينهم وكان البصريون فى نحو عشرة آلاف
واسماعيل فى سبعمائة واصعد البصريون فى دجلة فاحرقوا عدة مواضع وتفرق عسكر اسمعيل
فبعضه بالابلة وبعضه بنهر الدير وبعضه فى مواضع اخر فلما ضعف اسماعيل عن مقاومة ابى سعد
طلب من وكيل الخليفة على ما يتعلق بديوانه من البلاد ان يسعى فى الصلح فارسل اليه فى ذلك
فاعاد الجواب يذكر قبح ما عامله به اسماعيل مرة بعد اخرى وتكررت الرسائل بينهم فاجاب الى
الصلح فاصطلحا واجتمعا وعاد ابو سعد الى بلاده وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية جميلة

*(ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل
وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن)*

فى هذه السنة فى ذى القعدة توفى قوام الدولة كربوقا عند مدينة خوى وكان السلطان بركيارق
قد ارسله فى العام الماضى الى اذربيجان كما ذكرناه فاستولى على اكثرها واتى الى خوى فمرض
بها ثلاثة عشر يوما وكان معه اصبهبذ صباوو بن خمارتكين وسنقرجه فوصى الى سنقرجه
وامر الاتراك بطاعته واخذ له على عسكره العهود ومات على اربعة فراسخ من خوى ولف فى
زلية لعدم ما يكفن فيه ودفن بخوى وسار سنقرجه واكثر العسكر الى الموصل فتسلمها فاقام بها

الاموال * وتزايد عدد المهاجرين من الرجال * وقد كان نبى عبد الله بن عزير الى خوارزم بعد صرفه عن الوزارة فامر الرضى بالكتاب اليه * فى استحضاره لاستئناف الاعتماد عليه * فيما كان يليه * واستكفائه المهم منه وفيه * فبادر اليه مغتنما خدمته فى تلك الحال * متوصلا الى ترضيه بوجوه الاحتيال * وقد كان الرضى من لدن نجوم الشر واستطارة شرره بأعالى ماوراء النهر من جهة الترك يكاتب ابا على محمد بن محمد ابن سيمجور * وهو الملقب بعماد الدولة والمعتمد عليه لحياطة الحوزة وحراسة البيضة فى الاستنفار والاستمداد * ويتلطف له فى التجشم للجهاد وتطهير تلك البلاد * من ذوى البغى والعناد * بعد ان سامحه بأموال خراسان واغضى له عن ارتفاعاتها ترضيا له واحتمالا لامنه واستبقاء للصنيعة عنده وطمعا فى الانتفاع بشأنه * والاستظهار بمكانه * فبعده الاستعداد للنهوض

ثلاثة ايام وكان اعيان الموصل قد كاتبوا ابا موسى التركماني وهو شحنة كيفا ينوب عن كربوقا فانهم وسألوه ان يبادر اليهم ليسلموا اليه البلد فسار مجدا فسمع سنقرجه بوصوله فظن انه جاء اليه خدمة فخرج ليستقبله فاعلمه اهل البلد فلما تقاربا نزل كل واحد منهما لصاحبه عن فرسه واعتنقا وبكيا على قوام الدولة وتسايرا فقال سنقرجه لموسى في جملة حديثه انا مقصودي من جميع ما كان لصاحبنا الخدمة والمنصب والاموال والولايات لكم وبحكمكم فقال موسى من نحن حتى يكون لنا مناصب ودست الامر في هذا الى السلطان يرتب فيه من يريد ويولي من يختار وجرى بينهما مقاولات فجذب سنقرجه سيفه وضرب به صفحا على رأسه فجرحه فالقى موسى نفسه الى الارض وجذب سنقرجه فالقاه الى الارض وكان مع موسى المنصور بن مروان الذي كان ابوه صاحب ديار بكر فجذب سكينا وضرب بها رأس سنقرجه فابانه ودخل موسى البلد وخلع على اصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم فصارت الولاية له ولما سمع شمس الدولة جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الخبر قصد نصيبين وتسلمها وسار موسى قاصدا الى الجزيرة فلما قارب جكرمش غدر بموسى عسكره وصاروا مع جكرمش فعاد موسى الى الموصل وقصده جكرمش وحصره مدة طويلة فاستعان موسى بالامير سقمان بن ارتق وهو بديار بكر واعطاه حصن كيفا وعشرة آلاف دينار فسار سقمان اليه فرحل جكرمش عنه وخرج موسى لاستقبال سقمان فلما كان موسى عند قرية تسمى كراثا فوثب عليه عدة من الغلمان القوامية فقتلوه رماه احدهم بنشابة فقتله فعاد اصحابه منهزمين ودفن على تل هناك يعرف الآن بتل موسى ورجع الامير سقمان الى الحصن فملكها وهي بيد اولاده الى يومنا هذا سنة عشرين وستمائة ووليها حينئذ غازي بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق وقصد جكرمش الموصل وحصرها اياما ثم تسلمها صلحا واحسن السيرة فيها وأخذ القوامية الذين قتلوا موسى فقتلهم واستولى بعد ذلك على الخابور وملك العرب والاكراد فاطاعوه

● (ذكر حال صنجيل الفرنجي وما كان منه في حصار طرابلس) ●

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد لقي قلج ارسلان بن سليمان ابن قتلمش صاحب قونية وكان صنجيل في مائة الف مقاتل وكان قلج ارسلان في عدد قليل فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم كثير واسر كثير وعاد قلج ارسلان بالغنائم والظفر الذي لم يحتسبه ومضى صنجيل مهزوما في ثلاثمائة فوصل الى الشام فارسل فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس الى الامير ياخز خليفة جناح الدولة على حمص والى الملك دقاق بن تتش يقول من الصواب ان يعاجل صنجيل اذ هو في هذه العدة القريبة فخرج الامير ياخز بنفسه وسير دقاق الفي مقاتل واتتهم الامداد من طرابلس فاجتمعوا على باب طرابلس وصافوا صنجيل هناك فاخرج مائة من عسكره الى اهل طرابلس ومائة الى عسكر دمشق وخمسين الى عسكر حمص وبقي هو في خمسين فاما عسكر حمص فانهم انكسروا عند المشاهدة وولوا منهزمين وتبعهم عسكر دمشق واما اهل طرابلس فانهم قاتلوا المائة الذين قاتلوهم فلما شاهد ذلك صنجيل حمل في المائتين الباقية فكسروا اهل طرابلس وقتلوا منهم سبعة آلاف رجل ونازل صنجيل طرابلس وحصرها وأتاه أهل الجبل فاعانوه على حصارها وكذلك أهل السواد وأكثرهم نصارى فقاتل من بها أشد قتال فقتل من الفرنج ثلثمائة

والاستشاد بالبرزة ● حتى استغرقت مواعيده شهورا عدة ثم نهض من نيسابور الى سرخس ومنها الى مرو في مثلها من المدة وهو يتربص في اثناء ذلك زمعة القوم وتقليبهم فيما طرحهم الملك على شاطئ النهر ● فيكون مادونه له ولهم ما وراءه وكان قد اتصل به وبخدمته طائفة يزينون هذا الرأي ويصلونه بعينه ويحيلونه في معرض التصويب عليه تقربا اليه ويوحون اليه انها دولة قد تمت أيامها وحان ان يخرج عليها أعداؤها ودهاؤها ● لاستمرار العثرات من الاطراف بها واتثيال الفتوق من كل الوجوه عليها وان المعنى بنصرتها مخذول بخذلانها ● ومحكوم عليه بالادبار لادبار زمانها ● وهي قواعدها وأركانها ● فلما استقر الرضي بآمويه كتب اليه بأن الخطأ قد برح والبلاء قد برح ● وانه آن له ان يستأثر بعز الاحدوثة في مظاهرته ● والاقتداء بسلفه الذين هم صنائع دولته ودولة آبائه

ثم انه هادنهم على مال وخيل فرحل عنهم الى مدينة انطرسوس وهى من أعمال طرابلس فحصرها وفتحها وقتل من بها من المسلمين ورحل الى حصن الطوبان وهو يقارب رفنية ومقدمه يقال له ابن العريض فقاتلهم فنصر عليه أهل الحصن وأسر ابن العريض منه فارسا من أكابر فرسانه فبذل صنجيل فى فدائه عشرة آلاف دينار وألف أسير فلم يجبه ابن العريض الى ذلك

*(ذكر ما فعله الفرنج)*

فى هذه السنة أطلق الدانشمند بيمند الفرنجى صاحب انطاكية وكان قد أسره وقد تقدم ذكر ذلك وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه اطلاق ابنة باغى سيان الذى كان صاحب انطاكية وكانت فى أسره ولما خلص بيمند من أسره عاد الى انطاكية فقويت نفوس أهلها به ولم يستقر حتى أرسل الى أهل العواصم وقنسرين وما جاورها يطالبهم بالاتاوة فورد على المسلمين من ذلك ما طمس المعالم التى بناها الدانشمند وفيها سار صنجيل الى حصن الاكراد فحصره فجمع جناح الدولة عسكره ليسير اليه ويكبسه فقتله باطنى بالمسجد الجامع فقيل ان الملك رضوان ربيبه وضع عليه من قتله فلما قتل صبح صنجيل حمص من الغد ونازلها وحصر أهلها وملك أعمالها ونزل القمص على عكة فى جمادى الآخرة وضيق عليها وكاد يأخذها ونصب عليها المنجنيقات والابراج وكان له فى البحر ست عشرة قطعة فاجتمع المسلمون من سائر السواحل وأتوا الى منجنيقاتهم وابراجهم فأحرقوها وأحرقوا سفنهم أيضا وكان ذلك نصرا عجيبا أذل الله به الكفار وفيها سار القمص الفرنجى صاحب الرها الى بيروت من ساحل الشام وحصرها وضايقها وأطال المقام عليها فلم ير فيها طمعا فرحل عنها وفيها فى رجب خرجت عساكر مصر الى عسقلان ليمنعوا الفرنج عما بقى فى أيديهم من البلاد الشامية فسمع بهم بردويل صاحب القدس فسار اليهم فى سبعمائة فارس وقاتلهم فنصر الله المسلمين وانهزم الفرنج وكثر القتل فيهم وانهزم بردويل فاختفى فى اجمة قصب فأحرقت تلك الاجمة ولحقت النار بعض جسده ونجا منها الى الرملة فتبعه المسلمون وأحاطوا به فتنكر وخرج منها الى يافا وكثر القتل والاسر فى أصحابه

*(ذكر عود قلعة خفتيذكان الى سرخاب بن بدر)*

فى هذه السنة عادت قلعة خفتيذكان الى الامير سرخاب بن بدر بن مهلهل وكان سبب أخذها منه ان القرابلى وهو من قبيل من التركمان يقال لهم سلغر كان قد أتى الى بلد سرخاب فمنعه من المراعى وقتل جماعة من أصحابه فمضى قرابلى الى التركمان واستجاش بهم وجاء فى عسكر كثير فلقيه سرخاب وقاتله فقتل قرابلى من أصحاب الاكراد قريبا من ألفى رجل وانهزم سرخاب الى بعض جباله فى عشرين رجلا فلما سمع المستحفظان بقلعة خفتيذكان ذلك وكانا رجلين حدثتهما أنفسهما بالاستيلاء عليها وكان بها ذخائره وأمواله وقدرها يزيد على ألفى ألف دينار فملكاها واستأذنا السلطان بركيارق فأنفذا اليه مائتى ألف دينار واستولى التركمان على جميع بلاد سرخاب بن بدر سوى دقوقا وشهرزور فلما كان هذا الوقت قتل أحد المستحفظين الآخر وأرسل الى سرخاب يطلب منه الامان ليسلم اليه القلعة فأمنه على نفسه وعلى ما حصل بيده من أموالها فسلمها اليه ووفى له

فى طاعته ونصرة دعوته * وكف الأذى عن وجهته ورده الى دار قراره * ومعشش أوليائه وانصاره * فقد قطع طمعه الامن جهته * ويئس الامن معونته * واستشعر اليأس الامن لدنه * وقبل هجوم بغراخان على بخارا ماواصله بكتبه فى الاستصراخ والاستغاثة ومجاوزة التلطف الى التضرع فى الاستنفار والاستجاشة فمن تلك الكتب فصل بديع حفظته من انشاء الوزير ابى على الدامغانى وهو *(وانما تحتاج الدولة الى عمادها * ان قصدها من يزعزع راسيات أوتادها * فالله الله فى هذه الدولة فقد جاءتك مستغيثة اياك لائذة بك)* فكان تأثيره فيه تأثير الرخاء * فى الصخرة الصماء * لا خدش ولا حك * ولا شق ولا شك * وفرش خلال ذلك فراش الدالة والاقتراح يستزيد رتبته فى المخاطبة على ما كان يخاطب أبوه وغيره من أصحاب الجيوش به ثم لم يرض بذلك حتى اقترح

## ﴿ذكر قتل قدرخان صاحب سمرقند﴾

قد ذكرنا قبل قدوم الملك سنجر مع أخيه السلطان محمد الى بغداد وعوده الى خراسان فلما وصل الى نيسابور خطب لاخيه محمد بخراسان جميعها ولما كان ببغداد طمع قدرخان جبريل بن عمر صاحب سمرقند في خراسان لبعده عنها وجمع عساكر تملأ الارض قيل كانوا مائة الف فيهم مسلمون وكفار وقصد بلاد سنجر وكان امير من امراء سنجر اسمه كندغدي قد كاتب قدرخان بالاخبار واعلمه مرض سنجر بعد عوده الى بلاده وانه قد اشفى على الهلاك وقوى طمعه بالاختلاف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد وبشدة عداوة بركيارق لسنجر وايثار عليه بالسرعة مهما الاختلاف واقع وانه متى اسرع ملك خراسان والعراق فبادر قدرخان واقدم وقصد البلاد فبلغ السلطان سنجر الخبر وكان قد عوفي فبادر وسار نحوه وقصد اقتاله ومنعه عن البلاد وكان من جملة من معه كندغدي المذكور ولا يتهمه بشيء مما تقدم فوصل الى بلخ في ستة آلاف فارس فبقي بينه وبين قدرخان نحو خمسة ايام فهرب كندغدي الى قدرخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه على الاتفاق والمناصحة وسار من عنده الى ترمذ فملكها وكان الباعث لكندغدي على ما فعل حسده للامير برغش على منزلته ثم تقدم قدرخان فلما تدانى العسكران ارسل سنجر يذكر قدرخان العهود والمواثيق القديمة فلم يصغ الى قوله واذكى سنجر العيون والجواسيس على قدرخان فكان لا يخفى عنه شيء من خبره فاتاه من اخبره انه نزل بالقرب من بلخ وانه خرج متصيدا في ثلثمائة فارس فندب سنجر عند ذلك الامير برغش لقصده فسار اليه فلحقه وهو على تلك الحال فقاتله فلم يصبر من مع قدرخان فانهزموا واسر كندغدي وقدرخان واحضرهما عند سنجر فاما قدرخان فانه قبل الارض واعتذر فقال له سنجر ان خدمتنا او لم تخدمنا فما جزاؤك الا السيف ثم امر به فقتل فلما سمع كندغدي الخبر نجا بنفسه ونزل في قناة ومشى فيها فرسخين تحت الارض على ما به من النقرس وقتل فيها حيتين عظيمتين وسبق اصحابه الى مخرجها وسار منها في ثلاثمائة فارس الى غزنة وقيل بل جمع سنجر عساكره والتقى هو وقدرخان وجرى بينهما مصاف وقتال عظيم كثر فيه القتل فانهزم قدرخان وعسكره وحمل اسيرا الى سنجر فقتله وحصر ترمذ وبها كندغدي فطلب الامان فامنه سنجر ونزل اليه وسلم ترمذ فامره سنجر بمفارقة بلاده فسار الى غزنة فلما وصل اليها اكرمه صاحبها علاء الدولة وحل عنده المحل الكبير واتفق ان صاحب غزنة عزم على قصد اوتان وهي جبال منيعة على اربعين فرسخا من غزنة وقد عصى عليه فيها قوم وتحصنوا بما بها من الوعر ساكنها فقاتلهم عسكر علاء الدولة فلم يظفروا منهم بطائل فتقدم كندغدي منفردا عنهم فابلى بلاء حسنا ونصر عليهم واخذ غنائمهم وحملها الى علاء الدولة فلم يقبل منها شيئا ووفرها عليه فغضب العسكر وحسدوه على ذلك وعلى قربه من صاحبهم وثقته عليه فاشاروا بقبضه وقالوا انا لا نأمن ان يقصد بعض الاماكن فيفعل في امر الدولة ما لا يمكن تلافيه فقال قد تحققت قصدكم ولكن بين البغي عليه فاني اخاف ان آمركم بالقبض عليه فينالكم منه ما تفتضحون به فقالوا الصواب ان توليه ولاية وتقبض عليه اذا سار اليها فولاه ... فيها ... ان يصير فيها ... يخاف جانبه فسار اليها فلما قاربها عرف ما يراد منه فامر بجميع ماله ورجاله

الجمع بين التلقيب والتكنية على العنوان * منسوب الولاء الى امير المؤمنين و... ولاء لآل سامان * تقابل الرضي بجميع ذلك الايجاب * ووفاء بما اشتمل من شريف الخطاب * وقد كان يقترح ذات يوم على لسان خادم الرضي ورد عليه رسول لابن فيار طالما ابرم ايام مقامه بأمل الشطط زيادة على المبذول له تجري مجرى الشطط والمحال فقال ايها الامير ان ذلك السلطان ليوم بحيث لو اقترحت عليه مملكته بالامير لاعمل ولكن وراء اليوم غد فاستنفر لنفسك ما هو اجمل بك * ازكى في الاحدوثة عنك * فكادت عند ذلك العيون ان تصوب * والقلوب ان تذوب * واستقرت القسوة بالبرد الاعلى وعد مطال * وتسويف ومطال * ولا جرم ان الله تعالى كفى الرضي شر ما دهاه ونصره وآواه * واعاده الى خطته ومثواه * وختم بالملك عقباه * واسلم القادر بما كسبت يداه * وما الله بظلام للعبيد

وسار جريدة وكان فى مدة مقامه بغزنة يسأل عن الطرق وتشعبها فانه ندم على قصد تلك الجهة فلما سار سأل راعيا عن الطريق التى يريدها فدله فاخذه معه خوفا ان يكون قد غره ولم يزل سائرا الى ان وصل الى قريب هراة فمات هناك وهو من مماليك تتش بن الب ارسلان الذى كحله اخوه ملكشاه وحبسه بتكريت وقد تقدم ذكر حادثته

## •(ذكر ملك محمد خان سمرقند)•

فى هذه السنة احضر السلطان سنجر محمدا ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان من مرو وملكه سمرقند بعد قتل قدرخان وكان هذا محمد خان من اولاد الخانية بما وراء النهر وامه ابنة السلطان ملكشاه فدفع عن ملك آبائه فقصد مرو واقام بها الى الآن فلما قتل قدرخان ولاه سنجر اعماله وسير معه العساكر الكثيرة فعبروا النهر فاطاعه العساكر بتلك البلاد جميعها وعظم شأنه وكثرت جموعه الا انه انتصب له امير اسمه صاغوبك وزاحمه فى الملك فطمع فيه فجرى له معه حروب احتاج فى بعضها الى الاستنجاد بعساكر سنجر على ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى واما ملك محمد خان البلاد احسن الى الرعايا بوصية من سنجر وحقن الدماء وصار بابه مقصدا وجنابه ملجأ

## •(ذكر عدة حوادث)•

فى هذه السنة فى ربيع الاول خرج تاج الرؤساء ابن اخت امين الدولة ابى سعد بن الموصلايا الى الحلة السيفية مستجيرا بسيف الدولة صدقة وسبب ذلك ان الوزير الاعز وزير السلطان بركيارق كان ينسب اليه انه هو الذى يميل جانب الخليفة الى السلطان محمد فسار خائفا واعتزل خاله امين الدولة الديوان وجلس فى داره فلما قتل الوزير الاعز على ما ذكرنا عاد تاج الرؤساء من الحلة الى بغداد وعاد خاله الى منصبه وفى ربيع الاول ايضا ورد العميد المهذب ابو المجد اخو الوزير الاعز الى بغداد نائبا عن اخيه ظنا منه ان ايلغازى لا يخالفهم حيث كان بركيارق ومحمد قد اتفقا كما ذكرناه فقبض عليه ايلغازى ولم يتغير عن طاعة محمد وفيها فى جمادى الاولى ورد الى بغداد ابن تكش بن الب ارسلان وكان قد استولى على الموصل فخدعه من كان بها حتى يسير عنها الى بغداد ففعل فلما وصل اليها زوجه ايلغازى بن ارتق ابنته وفيها فى شهر رمضان استوزر الخليفة سديد الملك ابا المعالى بن عبد الرزاق ولقب عضد الدين وفيها فى صفر قتل الربعيون بهيت قاضى البلد ابا على بن المثنى وكان ورعا فقيها حنفيا من اصحاب القاضى ابى عبد الله الدامغانى وكان هذا القاضى على ما جرت به عادة القضاة هناك من الدخول بين القبائل فنسبوه فى ذلك الى التحامل عليهم فقتله احدهم فندم الباقون على قتله وفارقت الامراء بنى سيف الدولة صدقة بن مزيد الحلة بالجامعين وسكنها وانما كان يسكن هو وآباؤه قبله فى البيوت العربية وفى جمادى الاولى قتل المؤيد بن شرف الدولة مسلم بن قريش امير بنى عقيل قتله بنو نمير عند هيت قصاصا وفيها توفى القاضى البندنيجى الضرير الفقيه الشافعى انتقل الى مكة فجاور بها اربعين سنة يدرس الفقه ويسمع الحديث ويشتغل بالعبادة وفيها توفى ابو عبد الله الحسين بن محمد الطبرى باصبهان وكان يدرس فقه الشافعى بالمدرسة النظامية وقد جاوز تسعين سنة وهو من اصحاب ابى اسحق وفيها توفى الامير منظور بن عمارة الحسينى امير المدينة على ساكنها الصلاة والسلام وقام ولده مقامه وهو من ولد المهنا وقد كان قتل المعمار الذى انفذه مجد الملك

•(ذكر انصراف الرضى الى بخارا بعد جلاء بغراخان عنها)•
واتفق أن مست بغراخان علة استوبل لها المقام ببخارا فانزعج عنها عائدا وزاء • ومعاودا اهواء • وعمد اهل بخارا الى نفاضات عسكره فطحروهم طحرا • ودحروهم دون حواليها دحرا • وبادر الاتراك الغزية على اثره شلا وطردا وعركا وطحنا • ولم ينفك يمضى على الاحجام والانهزام • على ما به من الم السقام • حتى ذاق كاس الحمام • وحين احس الرضى بجفاله وخروجه على حاله • ابتدر العبور الى بخارا فى التام اليه من حاشيته ورجاله • فتباشر الناس بما اتاحه الله له من عوده الى دار ملكه وقرار عزه • تباشر الصيام بهلال الفطر • وذوى المحول والاعدام باستهلال القطر • وصفت له بخارا وسمرقند وما ماقبهما من ولايته • وسائر مملكته • ولما رأى ابو على ما استقام له من الامر • وانضم من النشر • وسقط من ناجم الشر • وخمد

البلاساني لعمارة القبة التي على قبر الحسن بن علي والعباس رضي الله عنهما وكان من اهل قم فلما قتل البلاساني قتله منطور بعد ان امنه وكان قد هرب منه الى مكة فارسل اليه ما امنه

*(ثم دخلت سنة ست وتسعين واربعمائة)*

*(ذكر استيلاء ينال على الري واخذها منه ووصوله الى بغداد)*

كانت الخطبة بالري للسلطان بركيارق فلما خرج السلطان محمد من اصبهان على ما ذكرناه ومعه ينال بن انوشتكين الحسامي استاذنه في قصد الري واقامة الخطبة له بها فاذن له فسار هو واخوه علي بن انوشتكين فوصلا اليها في صفر فاطاع من بها من نواب بركيارق وخطب لمحمد بالري واستولى ينال على البلد وعسف اهله وصادرهم بمائتي الف دينار واقاما بها الى النصف من ربيع الاول فورد اليه الامير برسق بن برسق من عند السلطان بركيارق فوقع القتال بينهم على باب الري فانهزم ينال واخوه علي فاما علي فعاد الى ولايته قزوين وسلك ينال الجبال فقتل من اصحابه كثير وتشتتوا فلحق الى بغداد في سبعمائة رجل فاكرمه الخليفة واجتمع هو وايلغازي وسقمان ابنا ارتق بمشهد ابي حنيفة وتحالفوا على مناصحة السلطان محمد وساروا الى سيف الدولة صدقة فحلف لهم ايضا على ذلك وعادوا

*(ذكر ما فعله ينال بالعراق)*

قد ذكرنا وصول ينال بن انوشتكين الى بغداد قبل فلما استقر ببغداد ظلم الناس بالبلاد جميعا وصادرهم واستطال اصحابه على العامة بالضرب والقتل والتقسيط وصادر العمال فارسل اليه الخليفة قاضي القضاة ابا الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان وتردد ايضا الى ايلغازي وكان ينال قد تزوج هذه الايام باخته وهي التي كانت زوجة تاج الدولة تتش حتى توسط الامر معه فحضر اليه وحلفوه على الطاعة وترك ظلم الرعية وكف اصحابه ومنعهم فخلف ولم يف باليمين ونكث ودام على الظلم وسوء السيرة فارسل الخليفة الى سيف الدولة صدقة وعرفه ما فعله ينال من نهب الاموال وسفك الدماء وطلب منه ان يحضر بنفسه ليكف ينال فسار من حلته في رمضان ووصل بغداد رابع شوال وضرب خيامه بالصبي واجتمع هو وينال وايلغازي ونواب ديوان الخليفة وتقررت القواعد على مال ياخذه ويرحل عن العراق فطلب ينال المهلة فعاد صدقة عاشر شوال الى حلته وترك ولده دبيسا ببغداد ليمنعهم من الظلم والتعدي مما استقر الامر عليه فبقي ينال الى مستهل ذي القعدة وسار الى اوانا فنهب وقطع الطريق وعسف الناس وبالغ في الفعل القبيح واقطع القرى لاصحابه فارسل الخليفة الى صدقة في ذلك فارسل الف فارس وساروا اليه ومعهم جماعة من اصحاب الخليفة وايلغازي شحنة بغداد فلما سمع ينال بقربهم منه عبر دجلة وسار الى باجسرى وشعثها وقصد شهرابان فمنعه اهلها فقاتلهم فقتل بينهم قتلى ورحل عنهم وسار الى اذربيجان قاصدا الى السلطان محمد وعاد دبيس بن صدقة وايلغازي شحنة بغداد الى مواضعهم

*(ذكر وصول كمشتكين القيصري شحنة الى بغداد والفتنة بينه وبين ايلغازي وسقمان وصدقة)*

في هذه السنة منتصف ربيع الاول ورد كمشتكين القيصري الى بغداد شحنة ارسله اليها السلطان بركيارق وقد ذكرنا في السنة المتقدمة رحيل بركيارق من اصبهان الى همذان فلما



من نائرة الفتنة التي قذورها صماء لا تسمع • ودهياء لا تنقطع • وانضاف الى ذلك ان بغراخان ملك الترك صاحب القرار ببخارا كاتبه على الرسم الذي كان ولاة خراسان يكاتبون اصحاب جيوشهم غير واف لهما بالشريطة التي كانا تعاقدا عليها وتراضيا بها من النزول على رتبة التماثل • واقتسام جانبي الملك على حكم التناصف والتعادل • وربما سقط في يده • وفت في عضده • وذهب عليه امره • واظلم عليه رايه • لاستئثار الاختيار عن خلاف تقديره • وانكشاف العواقب عن عكس ما امله من قداح تدبيره • فاستشار نصحاءه فيما دهاه • واستقدح آراءهم فيما عراه • الى الرضى فاشاروا عليه بمعاودة التقرب واستئناف التلطف واحتيال ما يزيل عارض الوحشة ويمحو سمة المعصية ويستدرك التقصير الواقع في الطاعة فاعد من صنوف الاموال والهدايا ما رام ترضيه به واستمالة قلبه عليه واستلانة جانبه وسخر لها ثقة بعدما احساسه

وصلها أرسل الى بغداد كمشتكين شحنة فلما سمع ايلغازي وهو شحنة بغداد للسلطان محمد ارسل الى أخيه سقمان بن أرتق صاحب حصن كيفا يستدعيه اليه ليعتضد به على منعه وسار الى سيف الدولة صدقة بالحلة واجتمع به وسأله تجديد عهده في دفع من يقصده من جهة بركيارق فاجابه الى ذلك وحالفه فعاد ايلغازي وورد سقمان في عساكره ونهب في طريقه تكريت وسبب تمكنه منها انه أرسل جماعة من التركمان الى تكريت معهم أحمال جبن وسمن وعسل فباعوا ما معهم وأظهروا ان سقمان قد عاد عن الانحدار فاطمأن أهل البلد ووثب التركمان تلك الليلة على الحراس فقتلوهم وفتحوا الابواب وورد اليها سقمان ودخلها ونهبها ولما وصل الى بغداد نزل بالرملة واما كمشتكين فوصل أول ربيع الأول الى قرميسين وأرسل الى من له هوى مع بركيارق واعلمهم بقربه منهم فخرج اليه جماعة منهم فلقوه بالبندنيجين واعلموه الاحوال وأشاروا عليه بالمعاجلة فاسرع السير ووصل الى بغداد منتصف ربيع الاول ففارق ايلغازي داره واجتمع باخيه سقمان واصعدا من الرملة ونهبا بعض قرى دجيل فسار طائفة من عسكر كمشتكين وراءهما ثم عادوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد فارسل كمشتكين القيصري الى سيف الدولة صدقة ومعه حاجب من ديوان الخليفة في طاعة بركيارق فلم يجب الى ذلك وكشف القناع ببغداد في مخالفته وسار من الحلة الى جسر صرصر فقطعت خطبة بركيارق ببغداد ولم يذكر على منابرها أحد من السلاطين واقتصر الخطباء على الدعاء للخليفة لا غير ولما وصل سيف الدولة الى صرصر أرسل الى ايلغازي وسقمان وكانا بحربي يعرفهما انه قد أتى لنصرتهما فعادا ونهبا دجيلا ولم يبقيا على قرية كبيرة ولا صغيرة وأخذت الاموال وافتضت الابكار ونهب العرب والاكراد الذين مع سيف الدولة نهر ملك الا انهم لم ينقل عنهم مثل التركمان من أخذ النساء والفساد معهن لكنهم استقصوا في أخذ الاموال بالضرب والاحراق وبطلت معايش الناس وغلت الاسعار فكان الخبز يساوي عشرة أرطال بقيراط فصار ثلاثة أرطال بقيراط وجميع الاشياء كذلك فارسل الخليفة الى سيف الدولة في الاصلاح فلم تستقر قاعدة وعاد ايلغازي وسقمان ومعهما دبيس بن سيف الدولة صدقة من دجيل فخيموا بالرملة فقصدهم جماعة كثيرة من العامة فقاتلهم فقتل من العامة أربعة نفر وأخذ منهم جماعة فاطلقوا بعد أن أخذت أسلحتهم وازداد الامر شدة على الناس فارسل الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن بن الدامغاني وتاج الرؤساء بن الموصلايا الى سيف الدولة يأمره بالكف عن الامر الذي هو ملابسه ويعرفه ما الناس فيه ويعظم الامر عليه فاظهر طاعة الخليفة ان أخرج القيصري من بغداد والا فليس غير السيف وأرعد وأبرق فلما عاد الرسول استقر الامر على اخراج القيصري من بغداد ففارقها ثاني عشر ربيع الآخر وسار الى النهروان وعاد سيف الدولة الى بلده واعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد وسار القيصري الى واسط فخاف الناس منه وأرادوا الانحدار منها ليأمنوا فمنعهم القيصري وخطب لبركيارق بواسط ونهبوا كثيرا من سوادها فلما سمع صدقة ذلك سار الى واسط فدخلها وعدل في أهلها وكف عسكره عن اذاهم ووصل اليه ايلغازي بواسط وفارقها القيصري ونزل متحصنا بدجلة فقيل لسيف الدولة ان هذه المخاضة فسار اليها بعسكره وقد لبسوا السلاح فلما رآهم عسكر القيصري تفرقوا عنه وبقي في خواص اصحابه فطلب الامان من سيف الدولة فامنه فحضر عنده فاكرمه

بعود الرضي الى قرارة ملكه أن ينهد الى بابه متغلبا عليه ومتحكما على رسمه فيه وكان الرضي قد دهاه من جهته مثل ما دهاه من جانب أبي علي تصاما عن ندائه * وتقاعدا عن فنائه * وتعاميا عن فرض طاعته وولائه * فضرب الرضي وجهه بوجوه حجابه * ورجال بابه * فناوشهم الحرب بغلمانه * وكافة أعوانه * حتى استلحمت العدد الجم من الفريقين * وفرشت الفضاء بالقتلى من الجانبين * ثم انفل عنهم هزيما * وحث مركب النجاء حرصا على النجاة الى الشط هشيما * فعبر الى بعض الاطراف وتلاحق به من أخطأتهم ظبات السيوف وحاق الاسار من أصحابه فانحدروا فأتى بهم الى أبي علي متقلا في حبله * ومتورطا في سلكه * ولا ائذا بذمته * ومستذريا بظل طاعته * فوافق أبو علي منه منيته التي كان يخطبها على الدهر

وقال لقد سمنت قال وتركتنا نسمع أخبر جيشنا من بغداد ثم من واسط ولكن لا نبدل ثم بذل صدقة الامان لجميع عسكر واسط ومن كان مع القيصري سوى رجال بن ثمال فعادوا اليه فامنهم وعاد القيصري الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وخاطب بعده لسيف الدولة وايلغازي واستتاب كل واحد منهما فيما أوله وعادا عنها في العشرين من جمادى الاولى وامن اهل واسط مما كانوا يخافونه فاما ايلغازي فانه اصعد الى بغداد واما سيف الدولة صدقة فانه عاد الى الحلة وارسل ولده الاصغر منصور مع ايلغازي الى المستظهر بالله يسأله الرضا عنه فانه كان قد سخط بسبب هذه الحادثة فوصل الى بغداد وخاطب في ذلك فاجيب اليه

*(ذكر استيلاء صدقة على هيت)*

كانت مدينة هيت لشرف الدولة مسلم بن قريش اقطعه اياها السلطان الب ارسلان ولم تزل معه حتى قتل فنظر فيها اعداء بغداد الى ان مات السلطان ملكشاه ثم اخذها اخوه تتش بن الب ارسلان فلما استولى السلطان بركيارق اقطعها لبهاء الدولة ثروان بن وهب بن وهيبة وانما هو وجماعة من بنى عقيل عند سيف الدولة صدقة وكانا متصافيين وكان صدقة يزوره كثيرا ثم تنافرا وكان سبب ذلك ان صدقة زوج بنتا له من ابن عمه وكان ثروان قد خطبها فرغب الى ذلك فصالفت عقيل وهم في ـله سيف الدولة ان يكونوا اولاد صدقة عليه فانكر صدقة ذلك ربح ثروان عقيب ذلك وعاد مريضا فوكل به صدقة وقال لابد من هيت فارسل ثروان حاجبه وكتب خطه بتسليم البلد اليه وكان بهيت حينئذ محمد بن رافع بن رفاع بن ضبيعة بن مالك بن مقلد بن جعفر وارسل صدقة ابنه دبيسا مع الحاجب ليتسلماها فلم يسلم اليه محمد فعاد دبيس الى ابيه فاخذ صدقة واسطا هذه النوبة اصعد في عسكره الى هيت فخرج اليه منصور بن كثير ابن اخي ثروان ومعه جماعة من اصحابه فلقوا سيف الدولة وحاربوه ساعة من النهار ثم ان جماعة من الربعيين فتحوا لسيف الدولة البلد فدخله اصحابه فلما رأى ذلك منصور ومن معه سلموا البلد اليه فملكه يوم نزوله وخلع على منصور وجماعة من وجوه اصحابه وعاد الى حلته واستخلف عليه ابن عمه ثابت بن كامل

*(ذكر الحرب بين بركيارق ومحمد)*

في هذه السنة ثامن جمادى الآخرة كان المصاف الخامس بين السلطان بركيارق والسلطان محمد وكانت كنجة وبلاد اران جميعها للسلطان محمد وبها عسكره ومقدمهم الامير غزغلي فلما طال مقام محمد باصبهان محصورا توجه غزغلي والامير منصور بن نظام الملك وابن اخيه محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك قاصدين لنصرته ليزاحموا بعين الطاعة وكان آخر ما تقام فيه الخطبة لمحمد زنجان من اعمال اذربيجان فوصلوا الى الري في العشرين من ذي الحجة سنة خمس وتسعين ففارقه عسكر بركيارق ودخلوه واقاموا به ثلاثة ايام ووصلهم الخبر بخروج السلطان محمد من اصبهان وانه وصل الى ساوة فساروا اليه ولقوه بهمذان ومعه ينال وعلي ابنا انوشتكين الحسامي فبلغ عدتهم ستة آلاف فارس فاقاموا بها الى اواخر المحرم فاتاهم الخبر بان السلطان بركيارق قد اتاهم فتلونوا في رأيهم فسار ينال وعلي ابنا انوشتكين الى الري على ما ذكرناه وعزم السلطان محمد على التوجه الى شروان فوصل الى اردبيل فارسل اليه الملك مودود بن اسمعيل بن ياقوتي صاحب

بالتراسة * وبعدها على المعاد ثات أحمد سلاحه * واستقبله باهل عسكره على أتم اجلال واعظام * وأعم اكبار واكرام * وأحسن ترتيب وترحيب * وبشر ريق وترخيب * وتقسم بمكانه روح القسي من الرضى نصرف اليه ما كان أعده له من الهدايا مفصحا بالصفاء والائتلاف * ومصرحا بالتمرد والانحراف * وتحالفا على الصفاء والوفاء * والتظاهر على الاعداء * ونهضا الى سابور للاستعداد * وتقسيم الرأى في هيج الفساد * ولما يئس الرضى من صلاحهما تدبر في الاستعداد عليهما والانتصاف منهما بامير يشتد بأسه * ويجدى في البقاء مراسه * فوقف به التدبير على الامير أبي منصور سبكتكين لما توسمه فيه من أمارة الخير باعتكافه على غزو الهند احتسابا لثواب الله * وادخار الكريم القربة الى الله * فأرسل اليه ابا نصر الفارسي النائب عنه

بعض اذربيجان وكانت قبله لابيه اسمعيل بن ياقوتى وهو خال السلطان بركيارق وكانت اخته زوجة السلطان محمود وهو مطالب السلطان بركيارق بثار ابيه وقد تقدم مقتله اول دولة بركيارق وقال له ينبغى ان تقدم الينا لتجتمع كلمتنا على طاعتك وقتال خصمنا فسار اليه محمد وقصد فى طريقه بين اردبيل وبيلقان وانفرد عن عسكره فوثب عليه نمر وهو غافل فجرح السلطان محمدا فى عضده فاخذ سكينا ووثق بها جوف النمر فالقاه عن فرسه ونجا ثم ان مودود بن اسمعيل توفى فى النصف من ربيع الاول وعمره اثنتان وعشرون سنة ولما بلغ بركيارق اجتماع السلطان محمد والملك مودود سار غير متوقف فوصل بعد موت مودود وكان عسكر مودود قد اجتمعوا على طاعة السلطان محمد وحلفوا له وفيهم سكمان القطبى ومحمد بن باغى سيان الذى كان ابوه صاحب انطاكية وقزل ارسلان بن السبع الاحمر فلما وصل بركيارق وقعت الحرب بينهما على باب خوى من أذربيجان عند غروب الشمس ودامت الى العشاء الآخرة فاتفق ان الامير اياز أخذ معه خمسمائة فارس مستريحين وحمل بهم وقد أعيا العسكر من الجهتين على عسكر السلطان محمد فكسرهم وولوا الادبار لا يلوى أحد على أحد فاما السلطان بركيارق فانه قصد جبلا بين مراغة وتبريز كثير العشب والماء فاقام به أياما وسار الى زنجان وأما السلطان محمد فانه سار مع جماعة من أصحابه الى أرجيش من بلاد أرمينية على أربعين فرسخا من الوقعة وهى من أعمال خلاط من جملة اقطاع الامير سكمان القطبى وسار منها الى خلاط واتصل به الامير على صاحب ارزن الروم وتوجه الى آنى وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادى ومنها سار الى تبريز من أذربيجان وسنذكر باقى اخبارهم سنة سبع وتسعين عند صلحهم ان شاء الله وكان الامير محمد بن مؤيد الملك ابن نظام الملك مع السلطان محمد فى هذه الوقعة فانهزم ودخل ديار بكر وانحدر منها الى جزيرة ابن عمر وسار منها الى بغداد وكان فى حياة أبيه يقيم ببغداد فى سوق المدرسة فاتصلت الشكاوى منه الى أبيه فكتب الى كوهرآيين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة وتوجه سنة اثنتين وتسعين الى مجد الملك البلاسانى ووالده حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل ان يخطب لنفسه بالسلطنة وتوجه بعد قتل مجد الملك الى والده وقد صار وزير السلطان محمد وخطب لمحمد بالسلطنة وبقى بعد قتل والده واتصل بالسلطان محمد وحضر معه هذه الحرب فانهزم

*(ذكر عزل سديد الملك وزير الخليفة ونظر أبى سعد بن الموصلايا فى الوزارة)*

فى هذه السنة منتصف رجب قبض على الوزير سديد الملك أبى المعالى وزير الخليفة وحبس فى دار بدار الخلافة وكان أهله قد وردوا عليه من أصبهان فنقلوا اليه وكان محبسه جميلا وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة فانه قضى عمره فى اعمال السلاطين وليس اليهم هذه القواعد ولما قبض عاد أمين الدولة بن الموصلايا الى النظر فى الديوان ومن عجيب ما جرى من الكلام الذى وقع بعد أيام ان سديد الملك كان يسكن فى دار عميد الدولة بن جهير وجلس فيها مجلسا عاما يحضره الناس لوعظ المؤيد عيسى الغزنوى فانشدوا أبياتا ارتجالها

سديد الملك سدت وخضت بحرا * عميق اللج فاحفظ فيه روحك

وأحى معالم الخيرات واجعل * لسان الصدق فى الدنيا فتوحك

وفى الماضين معتبر فاسرج * من وحك فى السلامة أو جموحك

بابه وكتب على يده يذكرها أعياه من الداء بمكان مواليه أبى على وفائق وخطبهما على دولته * وقصدهما اياه فى نفسه وملكته * واستئثارهما عليه بارتفاعات حوزته * غير راجعين الى حشمه * ولا راعين حق نعمه * ولا مستمسكين من الحياء بعصمه * وان الذى دهمه من أمرهما قد سد عليه وجه الخلاص وطريق الانتصاف الا من جهته * ومما يرجوه من معونته * وألطف القول فى استدعائه * وتطميعه فى كمال ما يكشفه من قصرة أوليائه * بفرط قوته وغنائه * فصادف وصول الكتاب والرسول نفسا منه مرتاحة لاجابته * منشرحة لطاعته * تواقة الى مقام الجبال بارتسام رضاه وموافقته * وبادر بالعبور الى ماوراء النهر للقاء الرضى ومشاهدته * واستماع المقصود من رأيه واشارته * ونهض الرضى الى ناحية كش لخيمه بها

ثم قال سديد الملك من شريس من مرقة السلطان احترقت شفتاه ولم يعد ثم ان ثم أشار الى الدار وقرأ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم فقبض على الوزير بعد أيام

*(ذكر ملك الملك دقاق مدينة الرحبة)*

في هذه السنة في شعبان ملك الملك دقاق بن تتش صاحب دمشق مدينة الرحبة وكانت بيد انسان اسمه قايماز من مماليك السلطان ألب ارسلان فلما قتل كربوقا استولى عليها فسار دقاق وطغتكين اتابكه اليه وحصراه بها ثم رحل عنه وتوفي قايماز هذه السنة في صفر وقام مقامه غلام تركي اسمه حسن فابعد عنه كثيرا من جنده وخطب لنفسه وخاف من دقاق فاستعد واخذ جماعة من السلارية الذين يخافهم فقبض عليهم وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين وصادرهم فتوجه دقاق اليه وحصره فسلم العامة البلد اليه واعتصم حسن بالقلعة فأمنه دقاق فسلم القلعة اليه فاقطعه اقطاعا كثيرا بالشام وقرر أمر الرحبة وأحسن الى أهلها وجعل فيها من يحفظها ورحل عنها الى دمشق

*(ذكر انكسار الفرنج بالشام)*

كان الافضل أمير الجيوش بمصر قد أنفذ مملوكا لابيه لقبه سعد الدولة ويعرف بالطواشي الى الشام لحرب الفرنج فلقيهم بين الرملة ويافا ومقدم الفرنج يعرف ببغدوين لعنه الله تعالى وتصافوا واقتتلوا فحملت الفرنج حملة صادقة فانهزم المسلمون وكان المقدم يحذر ان يموت مترديا فكان يحذر من ركوب الخيل حتى انه ولي بيروت وأرضها مفروشة بالبلاط فقلعه خوفا ان تزلق به فرسه او يعثر فلم ينفعه الحذر عند نزول القدر فلما كانت هذه الوقعة انهزم فتردى به فرسه فسقط ميتا وملك الفرنج خيمه وجميع ما للمسلمين فأرسل الافضل بعده ابنه شرف المعالي في جمع كثير فالتقوا هم والفرنج بيازور بقرب الرملة فانهزم الفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة وعاد من سلم منهم مفلولين فلما رأى بغدوين شدة الامر وخاف القتل والاسر ألقى نفسه في الحشيش واختفى فيه فلما ابعد المسلمون خرج منه الى الرملة وسار شرف المعالي بن الافضل من المعركة ونزل على قصر بالرملة وبه سبعمائة من اعيان الفرنج وفيهم بغدوين فخرج متخفيا الى يافا وقاتل ابن الافضل من بقي خمسة عشر يوما ثم اخذهم فقتل منهم اربعمائة صبرا واسر ثلثمائة الى مصر ثم اختلف أصحابه في مقصدهم فقال قوم نقصد البيت المقدس ونتملكه وقال قوم نقصد يافا ونملكها فبيناهم في هذا الاختلاف اذ وصل الى الفرنج خلق كثير في البحر قاصدين زيارة البيت المقدس فندبهم بغدوين للغزو معه فساروا الى عسقلان وبها شرف المعالي ولم يكن يقوى بحربهم فلطف الله تعالى بالمسلمين فرأى الفرنج حصانة عسقلان وخافوا البيات فرحلوا الى يافا وعاد ولد الافضل الى ابيه فسير رجلا يقال له تاج العجم في البر وهو من اكبر مماليك ابيه وجهز معه اربعة آلاف فارس وسير في البحر رجلا يقال له القاضي ابن قادوس في الاسطول على يافا ونزل تاج العجم على عسقلان فاستدعى ابن قادوس اليه ليتفقا على حرب الفرنج فقال تاج العجم ما يمكنني ان انزل اليك الا بامر الافضل ولم يحضر عنده ولا اعانه فارسل القادوسي الى قاضي عسقلان وشهودها واعيانها واخذ خطوطهم بانه اقام على يافا عشرين يوما واستدعى تاج العجم فلم يأته ولا أرسل رجلا

على موعده * ووصل اليه الامير سبكتكين فالتقيا هناك على أحسن ما سمع به في مثله من تسوية المواكب * وتعبية الجنود والكتائب * وقد كان الامير سبكتكين يستعفي لشيبته من ترجل الخدمة * ويلتزم الارض على رسم الطاعة * فأعفي عنها اكتفاء بصدق العناية والرعاية منه حتى اذا اختلطت الخيول وامتدت الصفوف وأصابت عيناه صفحة وجه الرضي أزعجته روعة الملك وأبهة العز النزول * والتبرع بما كان استعفى منه قبل الوصول * فتلقاه الرضي بأتم الاكرام والاعظام * ورعاية الحق والذمام * وجرى منهما كلام يسمع مثله في الخطابة * وتباشر الخاصة والعامة * وأمر الرضي باقامة ما وجب اقامته من صنوف الانزال * واتباع ذلك بما يصلح اتباعه من طبقات الرجال * وسأله بعد ذلك ان يفرغ له نفسه * وينصرف الى قصد أبي على وفائق وكفاية شرهما

وقف الافضل على الحال أرسل من قبض على تاج العجم وأرسل رجلا لقبه جمال الملك فأسكنه عسقلان وجعله متقدم العساكر الشامية وخرجت هذه السنة وبيد الفرنج لعنهم الله البيت المقدس وفلسطين ما عدا عسقلان ولهم أيضا يافا وارسوف وقيسارية وحيفا وطبرية ولاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وكان صنجيل يحاصر مدينة طرابلس الشام والمواد تأتيها وبها فخر الملك بن عمار وكان يرسل أصحابه في المراكب يغيرون على البلاد التي بيد الفرنج ويقتلون من وجدوا وقصد بذلك أن يخلوا السواد ممن يزرع لتقل المواد من الفرنج فيرحلوا عنه

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة سادس المحرم توفيت بنت أمير المؤمنين القائم بأمر الله التي كانت زوجة السلطان طغرلبك وكانت موصوفة بالدين وكثرة الصدقة وكان الخليفة المستظهر بالله قد الزمها بيتها لانه أبلغ عنها انها تسعى في ازالة دولته وفيها في شعبان أيضا استوزر المستظهر بالله زعيم الرؤساء أبا القاسم بن جهير واستقدمه من الحلة من عند سيف الدولة صدقة وقد ذكرنا في السنة المتقدمة سبب مسيره اليها فلما قدم الى بغداد خرج كل أرباب الدولة فاستقبلوه وخلع عليه الخلع التامة وأجلس في الديوان ولقب قوام الدين وفيه أيضا قتل أبو المظفر بن الخجندي بالري وكان يعظ الناس فقتله رجل علوي حين نزل من كرسيه وقتل العلوي ودفن الخجندي بالجامع وأصل بيت الخجندي من مدينة خجندة بما وراء النهر وينسبون الى المهلب بن أبي صفرة وكان نظام الملك قد سمع أبا بكر محمد بن ثابت الخجندي يعظ بمرو فأعجبه كلامه وعرف محله من الفقه والعلم فحمله الى اصبهان وصار مدرسا بمدرسته بها فنال جاها عريضا ودنيا واسعة وكان نظام الملك يتردد اليه ويزوره وفيها جمع صاغربك بما وراء النهر جموعا كثيرة وهو من أولاد الخانية وقصد محمدخان الذي ملكه السلطان سنجر سمرقند ونازعه في ملكها فضعف محمدخان عنه فأرسل الى السلطان سنجر يستنجده فسار الى سمرقند فأبعد عنه ساغربك وخافه واحتمى منه وأرسل يطلب الامان من سنجر والعفو فاجابه الى ما طلب وحضر ساغربك عنده وقرر الصلح بينه وبين محمدخان وحلف كل واحد منهما لصاحبه وعاد الى خراسان فوصل الى مرو في ربيع الاول سنة سبع وتسعين وأربعمائة وفيها توفي أبو المعالي الصالح ساكن باب الطاق وكان مقلا من الدنيا له كرامات ظاهرة

## *(ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة)*

## *(ذكر ملك بلك بن بهرام بن ارتق مدينة عانة)*

في هذه السنة في المحرم استولى بلك بن بهرام بن أرتق وهو ابن أخي ايلغازي بن ارتق على مدينة عانة والحديثة وكان له مدينة سروج فأخذها الفرنج منه فسار عنها الى عانة وأخذها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط فقصد بنو يعيش سيف الدولة صدقة بن مزيد ومعهم مشايخهم فسألوه الاصعاد اليها وان يتسلمها منهم ففعل وأصعد معهم فرحل التركمان وبهرام عنها وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى حلته فرجع بلك اليها ومعه ألفا رجل من التركمان فانهزم أصحابه قليلا واستدل على المخاضة اليها فخاضها وعبر وملكهم ونهبهم وسبى جميع حريمهم وانحدر طالبا هيت من

عزمه فضمن له بحسن الطاعة * وبذل الوسع والاستطاعة * واستأذنه في الانكفاء الى وطنه ريثما يجمع متفرق الأهبة * وينظم منتثر العدة * ثم يواجه الخطب بجد جديد * وحد حديد * وبأس شديد * ورجال يموجون في بحار من حديد * فأذن له وصرفه وأمر له من الخلع الفاخرة * والاحبية الباهرة * والمبار الوافرة * بما ضاهى جلالة قدره * وأكد الثقة بصادق وعده * ورجع كل منهما الى مكانه * وأقبل على استصلاح شانه * ومحادثة سيفه وسنانه * وورد على أبي علي من ذلك ما أبهم عليه وجه التدبير * وسد عليه باب التقديم والتأخير * وجعل الرأي شورى بين أصحابه * فما كسر الأمر له عن نابه * فكانت زبدة مخضهم مكاتبة فخر الدولة ومعاقدته * وموادته ومعاهدته * وتأميل سال في جانبه ترجى ليوم العثار * وتناوبات الليل والنهار * فأرسل اليه أبا جعفر بن ذي القرنين بما أعرض من تحف خراسان

الجانب الشامي فبلغ الى قريب منها ثم رجع من يومه ولما سمع صدقة تبسم والعساكر ثم عادهم
عند عوده بك

# (ذكر غارة الفرنج على الرقة وقلعة جعبر)

في هذه السنة في صفر اغار الفرنج من الرها على مرج الرقة وقلعة جعبر وكانوا الملتزمين امر
الرها الفرنج أفرقتين وابعدوا وتواعدوا ان تكون الغارة على البلدين فيستغلوا ما استقر بينهم
واغاروا واستاقوا المواشي وأسروا من وقع بأيديهم من المسلمين فكانت القلعة والرقة لك
ابن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب سلمها اليه السلطان ملكشاه سنة تسع وسبعين وقد
ذكرناه فيها

# (ذكر الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد)

في هذه السنة في ربيع الآخر وقع الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد ابني ملكشاه وكان سببه
ان الحروب تطاولت بينهما وعم الفساد فصارت الاموال منهوبة والدماء مسفوكة والبلاد
مخربة والقرى محرقة والسلطنة مطموع فيها محكوم عليها وأصبح الملوك مقهورين بعد ان
كانوا قاهرين وكان الامراء الاكابر يؤثرون ذلك ويختارونه ليدوم تحكمهم وانبساطهم
وادلالهم وكان السلطان بركيارق حينئذ بالري والخطبة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان
وفارس وديار بكر والجزيرة وبالحرمين الشريفين وكان السلطان محمد باذربيجان والخطبة له
فيه وبلاد اران وارمينية وأصبهان والعراق كلها ما عدا تكريت وأما اعمال البطائح فبعض
يخطب فيها لبركيارق وبعضها لمحمد وأما البصرة فكان يخطب فيها لهما جميعا وأما خراسان فان
السلطان سنجر كان يخطب له في جميعها وهي من حدود جرجان الى ما وراء النهر ولا خطبة للسلطان
محمد فلما رأى السلطان بركيارق المال عنده معدوما والطمع من العسكر زائدا أرسل القاضي ابا
المظفر الجرجاني الحنفي وابا الفرج احمد بن عبد الغفار الهمذاني المعروف بصاحب قراتكين
الى أخيه محمد في تقرير قواعد الصلح فسارا اليه وهو بالقرب من مراغة فذكرا ما أرسلا فيه
ورغباه في الصلح وفضيلته وما شمل البلاد من الخراب وطمع عدو الاسلام في اطراف الارض
فاجاب الى ذلك وأرسل فيه رسلا واستقر الامر وحلف كل واحد منهما لصاحبه وتقررت
القاعدة ان السلطان بركيارق لا يعترض اخاه محمدا في الطبل وان لا يذكر معه على باب
البلاد التي صارت له وان لا يكاتب احدهما الآخر بل تكون المكاتبة من الوزيرين ولا يعارض
احد من العسكر في قصد ايهما شاء وان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسبيذرود الى
باب الابواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام ويكون له من بلاد العراق بلاد سيف الدولة
صدقة فاجاب بركيارق الى هذا وزال الخلف والشغب وارسل السلطان محمد الى اصحابه باصبهان
يأمرهم بالانصراف عن البلد وتسليمه الى اصحاب اخيه وسار السلطان بركيارق الى اصبهان
فلما سلمه اليه اصحاب اخيه دعاهم الى ان يكونوا معه وفي خدمته فامتنعوا ولم يزالوا في خدمة
صاحبهم فسماهم اهل العسكرين جميعا اهل الوفاء ووجه وامن اصبهان معهم حريم السلطان
محمد اليه واكرمهم بركيارق وحمل لاهل اخيه المال الكثير ومن الدواب ثلثمائة جمل ومائة
وعشرين بغلا تحمل الثقل وسيرهم العساكر يخدمونهم ولما وصلت رسل السلطان بركيارق



وانفرد أبو علي الصاحب بمثل
ذلك طمعا في حصول الغرض
المقصود من الاشتمال على يده
بحسن مقاربته ووساطته
قال وحدثني أبو جعفر انه
دخل على الصاحب فعرض
عليه ما كان صحبه ثم قال له
مخاطبا عن صاحبه مثلنا
في حمل هذا التافه الطفيف
القليل الى الصاحب
الجليل مثل من يستبضع
التمر الى هجر فقال الصاحب
قد ينقل التمر من مدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم
الى هجر لا للحاجة اليه ولكن
للتبرك به وسعى الصاحب
في تمهيد الحال وتوكيد
أسباب الوصال حتى تمت
الالفة واشتبكت العصمة
ودرت المكاتبة واستحكمت
الصداقة وقد كان مأمون
ابن محمد صاحب الجرجانية
وأبو عبد الله خوارزمشاه
قد أحسنا التقرب الى
الرضي أيام انحيازه الى
آمويه بما ساعدهما الوقت
عليه من مال ورجال
فعرف ذلك لهما وأحب
ان يجزيهما عما خدماه به
وقدماه من قدم الطاعة له

الى الخليفة المستظهر بالله بالصلح ولما استقرت القواعد عليه حضر ايلغازي بالديوان وسأل في اقامة الخطبة لبركيارق فأجيب الى ذلك وخطب له بالديوان يوم الخميس تاسع عشر جمادى الاولى وخطب له من الغد بالجوامع وخطب له ايضا بواسط ولما خطب ايلغازي ببغداد لبركيارق وصار في جملته ارسل الامير صدقة الى الخليفة يقول كان امير المؤمنين ينسب الي كل ما يتجدد من ايلغازي من اخلال بواجب الخدمة وشرط الطاعة ومن اطراح المراقبة والآن فقد أبدى صفحته لبركيارق الذي استنابه وأنا غير صابر على ذلك بل أسير لاخراجه عن بغداد فلما سمع ايلغازي ذلك شرع في جمع التركمان وورد صدقة بغداد فنزل مقابل التاج وقبل الارض ونزل في مخيمه بالجانب الغربي ففارق ايلغازي بغداد الى يعقوبا وأرسل الى صدقة يعتذر من طاعته لبركيارق بالصلح الواقع وان اقطاعه حلوان وغيرها في جملة بلاده وان بغداد التي هو شحنة فيها قد صارت له فذلك الذي ادخله في طاعته فرضي عنه صدقة وعاد الى الحلة وفي ذي القعدة سيرت الخلع من الخليفة للسلطان بركيارق وللامير اياز ولوزير بركيارق وهو الخطير والعهد بالسلطنة وحلفوا جميعهم للخليفة وعادوا

*(ذكر ملك الفرنج جبيل وعكا من الشام)*

في هذه السنة وصلت مراكب من بلاد الفرنج الى مدينة لاذقية فيها التجار والاجناد والحجاج وغير ذلك واستعان بهم صنجيل الفرنجي على حصار طرابلس فحصروها معه برا وبحرا وضايقوها وقاتلوها أياما فلم يروا فيها مطمعا فرحلوا عنها الى مدينة جبيل فحصروها وقاتلوا عليها قتالا شديدا فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمانا وسلموا البلد اليهم فلم تف الفرنج لهم بالامان وأخذوا أموالهم واستنقذوها بالعقوبات وأنواع العذاب فلما فرغوا من جبيل ساروا الى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين ملك الفرنج صاحب القدس على حصارها فنازلوها وحصروها في البر والبحر وكان الوالي بها اسمه بنا ويعرف بزهر الدولة الجيوشي نسبة الى ملك الجيوش الافضل فقاتلهم أشد قتال فزحفوا اليه غير مرة فعجز عن حفظ البلد فخرج منه وملك الفرنج البلد بالسيف قهرا وفعلوا باهله الافعال الشنيعة وسار الوالي به الى دمشق فاقام بها ثم عاد الى مصر واعتذر الى الافضل فقبل عذره

*(ذكر غزوة حران وجكرمش الفرنج)*

لما استطال الفرنج خذلهم الله تعالى بما ملكوه من بلاد الاسلام واتفق لهم اشتغال عساكر الاسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضا فتفرقت حينئذ بالمسلمين الآراء واختلفت الاهواء وتمزقت الاموال وكانت حران لمملوك من مماليك ملكشاه اسمه قراجه فاستخلف عليها انسانا يقال له محمد الاصبهاني وخرج في العام الماضي فعصى الاصبهاني على قراجه وأعانه أهل البلد لظلم قراجه وكان الاصبهاني جلدا شهما فلم يترك بحران من أصحاب قراجه سوى غلام تركي يعرف بجاولي وجعله اصفهسلار العسكر وأنس به فجلس معه يوما للشرب فاتفق جاولي مع خادم له على قتله فقتلاه وهو سكران فعند ذلك سار الفرنج الى حران وحصروها فلما سمع معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش ذلك وكان بينهما حرب وسقمان يطالبه بقتل ابن اخيه وكل منهما يستعد للقاء صاحبه وأنا اذكر سبب قتل جكرمش له ان شاء الله تعالى أرسل كل منهما الى

فجعل نسا برسم مأمون بن محمد وأبيورد برسم خوارزمشاه وعقد لكل منهما على عمله فانتهض كل واحد منهما من يقوم بضبط عمله وتدبير ما أضيف له فأفرج أبو علي المأمون بن محمد عن نسا لحكم حال في المودة بينهما قديمة * واسباب في الاتحاد اكيدة * ودفع أبو عبد الله خوارزمشاه عن أبيورد اعتلالا بأنها ولاية أخيه أبي ابراهيم وانه لا يسعه النزول عنها * الا بعوض له منها * وأمر بطرد أصحابه عنها وشلهم دونها فأسر ذلك خوارزمشاه في نفسه * الى أن تمكن من الفرصة في أمره * فاستشفى منه على ما نشرحه عند الانتهاء الى ذكره * وطلعت خلال ذلك رايات الامير سبكتكين من غزنة على ما كان سبق من وعده وقد جمع واحتشد * واستمد واستنجد * وقام في الاحتياط والاستظهار وقعد * وساق أمامه الفيول التي ملكها على ملوك الهند في غزواته ومقاماته وعبر الرشى الى

صاحبه يدعوه الى الاجتماع معه لتلافى امر حران ويعلمه انه قد بذل نفسه لله تعالى وثوابه فكل
واحد منهما اجاب صاحبه الى ماطلب منه وسارا فاجتمعا على الخابور وتحالفا وسارا الى لقاء
الفرنج وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس من التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس
من الترك والعرب والاكراد فالتقوا على نهر البليخ وكان المصاف بينهم هناك فاقتتلوا فأظهر
المسلمون الانهزام فتبعهم الفرنج نحو فرسخين فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاؤا
وامتلأت أيدى التركمان من الغنائم ووصلوا الى الاموال العظيمة لان سواد الفرنج كان
قريبا وكان بيمند صاحب انطاكية وطنكرى صاحب الساحل قد انفردوا وراء جبل ليأتيا
المسلمين من وراء ظهورهم اذا اشتدت الحرب فلما خرجا رأيا الفرنج منهزمين وسوادهم منهوبا
فأقاما الى الليل وهربا فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهما كثيرا وأسروا كذلك وافلتا فى ستة
فرسان وكان القمص بردويل صاحب الرها قد انهزم مع جماعة من قمامصتهم وخاضوا نهر
البليخ فوحلت خيولهم فجاء تركمانى من أصحاب سقمان فأخذهم وحمل بردويل الى خيم صاحبه
وقد سار فيمن معه لاتباع بيمند فرأى أصحاب جكرمش ان اصحاب سقمان قد استولوا على مال
الفرنج ويرجعون هم من الغنيمة بغير طائل فقالوا لجكرمش أى منزلة تكون لنا عند الناس
وعند التركمان اذا انصرفوا بالغنائم دوننا وحسنوا له أخذ القمص فانفذ فأخذ القمص من خيم
سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الامر وركب أصحابه للقتال فردهم وقال لهم لا يقوم فرح
المسلمين فى هذه الغزاة بغمهم باختلافنا ولا أوثر شفاء غيظى بشماتة الاعداء بالمسلمين ورحل
لوقته وأخذ سلاح الفرنج وراياتهم وألبس أصحابه لبسهم وأركبهم خيلهم وجعل يأتى
حصون شيحان وبها الفرنج فيخرجون ظنا منهم ان أصحابهم نصروا فيقتلهم ويأخذ الحصن
منهم فعل ذلك بعدة حصون وأما جكرمش فانه سار الى حران فتسلمها واستخلف بها صاحبه وسار
الى الرها فحصرها خمسة عشر يوما وعاد الى الموصل ومعه القمص الذى أخذه من خيام سقمان
ففاداه بخمسة وثلاثين دينارا ومائة وستين أسيرا من المسلمين وكان عدة القتلى من الفرنج
يقارب اثنى عشر ألف قتيل

## (ذكر وفاة دقاق وملك ولده)

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى الملك دقاق بن تتش بن الب أرسلان صاحب دمشق وخطب
اتابكه طغتكين لولده وهو طفل له سنة واحدة وجعل اسم المملكة فيه ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش
ابن تتش عم هذا الطفل فى ذى الحجة وله من العمر اثنتا عشرة سنة ثم ان طغتكين اشار عليه
بقصد الرحبة فخرج اليها فملكها وعاد فمنعه طغتكين من دخول البلد فمضى الى حصون له واعاد
طغتكين خطبة الطفل ولد دقاق وقيل ان سبب استيحاش بكتاش من طغتكين ان والدته خوفته
منه وقالت انه زوج والدة دقاق وهى لا تتركه حتى تقتلك ويستقيم الملك لولدها فخاف ثم انه
حسن له من كان يحسد طغتكين مفارقة دمشق وقصد بعلبك وجمع الرجال والاستنجاد بالفرنج
والعود الى دمشق واخذها من طغتكين فخرج من دمشق سرا فى صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه
الامير ايتكين الحلبى وهو من جملة من ترد مع بكتاش ذلك وهو صاحب بصرى فعاثا فى نواحى
حوران ولحق بهما كل من يريد الفساد وراسلا بغدوين ملك الفرنج يستنجدانه فأجابهما الى

الجوزجان والتقى مع الامير
أبى الحارث الفريغونى والى
وأقام الى أن وصل اليه
الامير سبكتكين ولحق به
الشار ملك غرور ومن يجرى
مجراه من زعماء البلاد فى
طبقات الاجناد فاجتمع
اجناد شرقت بهم المسالك
والمذاهب * وأحدقت
عليهم المراتع والمشارب
* فنهض أبو على وفائق من
نيسابور الى هراة وبها
ايلمنكو غلامه وصاحب
جيشه تخيم بها مبادرا ما عمها
ومراميا دونها وضوى
اليه من كان مقيما من
جهته بمرو الروذ وباذغيس
وغيرهما أخذا بالحيطة
واحتراسا من الغرة وسار
الرضى مع الامير سبكتكين
حتى أناخا بناحية بوشنج
فأرسل عند ذلك أبو على الى
الامير سبكتكين يذكره
الحال التى كانت بينه وبين
أبيه من المودات المهيدة *
والحرمات الوكيدة * وما
استمرا عليه بعد من سيرته فى
الاتحاد والوداد والاشتراك
والاستهلاك ويسأله أن
يتوسط الامير بينه وبين

ذلك وسار اليهما فاجتمعا به وقرروا القواعد معه وأقاما عنده مدة فلم يريا منه غير التحريض على الافساد فى أعمال دمشق وتخريبها فلما يئسا من نصره عادا من عنده وتوجها فى البرية الى الرحبة فملكها ايكاش وعادعنها واستقام امر طغتكين بدمشق واستبد بالامر وأحسن الى الناس وبث فيهم العدل فسروا به سرورا كثيرا

*(ذكر استيلاء صدقة على واسط)*

فى هذه السنة فى شوال انحدر سيف الدولة صدقة بن مزيد من الحلة الى واسط فى عسكر كثير وامر فنودى بها فى الاتراك الذين أقام فقد برئت منه الذمة فسار جماعة منهم الى بركيارق وجماعة الى بغداد وصار مع صدقة جماعة منهم ثم انه أحضر مهذب الدولة بن أبى الجبر صاحب البطيحة وضمنه البلد مدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار وعاد الى الحلة وأقام مهذب الدولة بواسط الى سادس ذى القعدة وانحدر الى بلده

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى ربيع الاول أطلق سديد الملك أبو المعالى من الاعتقال وهو الذى كان وزير الخليفة ولما أطلق هرب الى الحلة السيفية ومنها الى السلطان بركيارق فولاه الاشراف على ممالكه وفيها توفى امين الدولة ابو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا فجأة وكان قد اضر وكان بليغا فصيحا وكان ابتداء خدمته للقائم بأمر الله سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة خدم الخلفاء خمسا وستين سنة كل يوم تزداد منزلته حتى ناب عن الوزارة وكان نصرانيا فأسلم سنة اربع وثمانين وكان كثير الصدقة جميل المحضر صالح النية ووقف املاكه على ابواب البر ومكاتباته مشهورة حسنة ولما مات خلع على ابن اخته ابى نصر ولقب نظام الحضرتين وقلد ديوان الانشاء وفيها كانت ببغداد بين العامة فتن كثيرة وانتشر العيارون وفيها قتل ابو نعيم بن ساوة الطبيب الواسطى وكان من الحذاق فى الطب وله فيه اصابات حسنة وفيها عزل السلطان سنجر وزيره المجير ابا الفتح الطغرائى وسبب ذلك ان الامير برغش وهو اصفهسلار العسكر السنجرى الذى اليه ما لطف فيه لا يتم له امر مع هذا السلطان ووقع الى سنجر لا يتم له امر مع الامير برغش مع كثرة جموعه فجمع برغش اصحاب العمائم وعرض عليهم الملطفين فاتفقوا على كاتب الطغرائى وظهرت عليه فقتل وقبض سنجر على الطغرائى واراد قتله فمنعه برغش وقال له حق خدمة فابعده الى غزنة وفيها جمع برغش كثيرا من عساكر خراسان وأتاه كثير من المتطوعة وسار الى قتال الاسماعيلية فقصد طبس وهى لهم فخربها وما جاورها من القلاع والقرى واكثر فيهم القتل والنهب والسبى وفعل بهم الافعال العظيمة ثم ان اصحاب سنجر اشاروا بان يؤمنوا ويشرط عليهم انهم لا يبنون حصنا ولا يشترون سلاحا ولا يدعون أحدا الى عقائدهم فسخط كثير من الناس هذا الامان وهذا الصلح ونقموه على سنجر ثم ان برغش بعد عوده من هذه الغزاة توفى وكانت خاتمة امره الجهاد رحمه الله وفى هذه السنة توفى ابو بكر على بن احمد بن زكرياء الطريثيثى وكان صوفيا محدثا مشهورا وفى رجب توفى القاضى ابو الحسين احمد بن محمد الثقفى قاضى الكوفة ومولده فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وهو من ولد عروة بن مسعود ومن تلاميذ القاضى الدامغانى وولى القضاء بعده ابنه ابو البركات وفى ربيع الآخر توفى ابو عبد الله الحسين

الرضى على ما يجلو حزازة قلبه * ويطفئ حرارة غيظه * ويسترد شارد أناته * ويمسح جانب مرضاته * محتكما عليه بما يستصوبه فى حسم الداء * وحقن الدماء * وتسكين الدهماء * وتأليف الاهواء * فأحسن الامير سبكتكين الاصغاء الى ما سأل وسد النطاق لما التمس ومال جهده الى الاستصلاح * ووضع السلاح * على عادته فى كراهة الفتن * وامانة الاحقاد والاحن * وسأل الرضى فى مجالس عدة شفاها ورسالة ان يأخذ بأدب الله تعالى فى العفو والغفران * واقالة العثرة بفضل البر والاحسان * ايثارا للذى هو أقرب للتقوى * وأجدى فى البدء والعقبى * ولم يزل به على اتصال نفرته * واشتعال جمرته * حتى سمح بالاجابه * وأسمح بالعفو والاقالة * على أن يفتدى من أرش عصيانه بخمسة عشر ألف ألف درهم يؤديها فى ثلاثة أنجم على رسم المواقفات وكتب اليه الامير

ابن علي بن البسري البندار المحدث ومولده سنة اربع واربعمائة

(ثم دخلت سنة ثمان وتسعين واربعمائة)

(ذكر وفاة السلطان بركيارق)

في هذه السنة ثاني شهر ربيع الآخر توفي السلطان بركيارق بن ملكشاه وكان قد مرض باصبهان بالسل والبواسير فسار منها في محفة طالبا بغداد فلما وصل الى بروجرد ضعف عن الحركة فأقام بها أربعين يوما فاشتد مرضه فلما أيس من نفسه خلع على ولده ملكشاه وعمره حينئذ أربع سنين وثمانية أشهر وخلع على الامير اياز وأحضر جماعة الامراء وأعلمهم انه قد جعل ابنه ولي عهده في السلطنة وجعل الامير اياز أتابكه وأمرهم بالطاعة لهما ومساعدتهما على حفظ السلطنة لولده والذب عنها فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة وبذل النفوس والاموال في حفظ ولده وسلطنته عليه واستحلفهم على ذلك فحلفوا وأمرهم بالمسير الى بغداد فساروا فلما كانوا على اثني عشر فرسخا من بروجرد وصلهم خبر وفاته وكان بركيارق قد تخلف على عزم العود الى اصبهان فعاجلته منيته فلما سمع الامير اياز بموته أمر وزيره الخطير الميبذي وغيره بأن يسيروا مع تابوته الى أصبهان فحمل اليها ودفن في تربة جددتها له سريته ثم ماتت بعد ايام فدفنت بازائه وأحضر اياز السرادقات والخيام والجتر والشمسة وجميع ما يحتاج اليه السلطان فجعله برسم ولده ملكشاه

(ذكر عمره وشيء من سيرته)

لما توفي بركيارق كان عمره خمسا وعشرين سنة ومدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وقاسى من الحروب واختلاف الامور عليه ما لم يقاسه أحد واختلفت به الاحوال بين رخاء وشدة وملك وزواله وأشرف في عدة نوب بعد اسلام النعمة على ذهاب المهجة ولما قوي أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له ادركته منيته ولم يهزم في حروبه غير مرة واحدة وكان امراؤه قد طمعوا فيه للاختلاف الواقع حتى انهم كانوا يطلبون نوابه ليقتلوهم فلا يمكنه الدفع عنهم وكان متى خطب له ببغداد وقع الغلاء ووقفت المعايش والمكاسب وكان اهلها مع ذلك يحبونه ويختارون سلطنته وقد ذكرنا من الاحوال ما وقفت عليه ومن أعجبها دخوله أصبهان هاربا من عمه تتش فكنه عسكر أخيه محمود وصاحبها من دخولها ليقبضوا عليه فاتفق ان أخاه محمودا مات فاضطروا الى ان يملكوه وهذا من أحسن الفرج بعد الشدة وكان حليما كريما صبورا عاقلا كثير المداراة حسن القدرة لا يبالغ في العقوبة وكان عفوه اكثر من عقوبته

(ذكر الخطبة لملكشاه بن بركيارق)

في هذه السنة خطب لملكشاه بن بركيارق بالديوان يوم الخميس سلخ ربيع الآخر وخطب له بجوامع بغداد من الغد يوم الجمعة وكان سبب ذلك ان ايلغازي شحنة بغداد سار في المحرم الى السلطان بركيارق وهو باصبهان يحثه على الوصول الى بغداد ورحل معه فلما مات بركيارق سار مع ولده ملكشاه والامير اياز الى بغداد فوصلوها سابع عشر ربيع الآخر ولقوا في طريقهم بردا شديدا لم يشاهدوا مثله بحيث انهم لم يقدروا على الماء لجموده وخرج

الوزير

سبكتكين بذكر ما استتم من الصلح على يديه * واستلمه من عقد الصلاح بسعيه وكده * وتشاور أصحاب أبي علي ووجوه قواده في اقتسام هذا المال بينهم معونة له على ما لزمه من الغرامه * واغتناما لما يرجون عليه من السلامه * فصادف ذلك حدثا من شبابهم * ونزقا من أحداثهم * وذهابا منهم بأنفسهم عن الاذعان للمكافه * والرضا بالصلح الجامع لمصلحة الكافه * وثار من ذؤبان الاتراك وسرعان الصعاليك طائفة الى معسكر الامير سبكتكين فاختلسوا منه غلاما له كان يلي أمر فيلته وقادوه في عدة من أفيالها واغترتهم وانضاف الى ذلك أن رسول الامير سبكتكين لما كر وراءه بجواب ما تحمله وافق أبا الفضل الزيادي أحد أنياب أبي علي موكلا ببعض تلك الثنايا والمخارم في أفواه الفجاج ومداخل الشعاب وقال له هيهات ان ميلك الى ضلال * وان عنادا حسبك ما ينطق الا في محال * ماجم

الوزير ابو القاسم على بن جهير فلقيهم من ديالى وكانوا خمسة آلاف فارس وحضر ايلغازى والامير طغايرك بالديوان وخاطبوا فى اقامة الخطبة لملكشاه بن بركيارق فاجيب اليها وخطب له ولقب بالقاب جده ملكشاه وهى جلال الدولة وغيره من الالقاب ونثرت الدنانير عند الخطبة له

*(ذكر حصر السلطان محمد جكرمش بالموصل)*

لما اصطلح السلطان بركيارق والسلطان محمد كما ذكرناه فى السنة الخالية وسلم محمد مدينة أصبهان الى بركيارق وسار اليها أقام محمد بتبريز من أذربيجان الى ان وصل أصحابه الذين بأصبهان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن اثره كان فى حفظ أصبهان وأقام الى صفر من هذه السنة وسار الى مراغة ثم الى اربل يريد قصد جكرمش صاحب الموصل ليأخذ بلاده فلما سمع جكرمش بمسيره اليه جدد سور الموصل ورم ما احتاج الى اصلاح وأمر أهل السواد بدخول البلد واذن لاصحابه فى نهب من لم يدخل وحصر محمد المدينة وأرسل الى جكرمش يذكر له الصلح بينه وبين أخيه وأن فى جملة ما استقر ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه الكتب من بركيارق اليه بذلك والايمان على تسليمها اليه وقال له ان أطعت فانا لا آخذها منك بل أقرها بيدك وتكون الخطبة لى بها فقال جكرمش ان كتب السلطان وردت الى بعد الصلح تأمرنى ان لا اسلم البلد الى غيره فلما رأى محمد امتناعه باكره القتال وزحف اليه بالنقابين والدبابات وقاتل أهل البلد أشد قتال وقتلوا خلقا كثيرا لحبهم لجكرمش لحسن سيرته فيهم فامر جكرمش ففتح فى السور ابواب لطاف يخرج منها الرجالة يقاتلون فكانوا يكثرون القتل فى العسكر ثم زحف محمد مرة فنقب فى السور اصحابه وادركهم الليل فاصبحوا وقد عمره اهل البلد وشحنوه بالمقاتلة وكانت الاسعار عندهم رخيصة فى الحصار كانت الحنطة تساوى كل ثلاثين مكوكا دينارا والشعير خمسون مكوكا بدينار وكان بعض عسكر جكرمش قد اجتمعوا بتل يعفر فكانوا يغيرون على اطراف العسكر ويمنعون الميرة عنهم فدام القتال عليهم الى عاشر جمادى الاولى فوصل الخبر الى جكرمش بوفاة السلطان بركيارق فاحضر أهل البلد واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان فقالوا اموالنا وارواحنا بين يديك وانت اعرف بشأنك فاستشر الجند فهم اعرف بذلك فاستشار امراءه فقالوا لما كان السلطان حيا قد كنا على الامتناع ولم يتمكن احد من طروق بلدنا وحيث توفى فليس للناس اليوم سلطان غير هذا والدخول تحت طاعته اولى فأرسل الى محمد يبذل الطاعة ويطلب وزيره سعد الملك ليدخل اليه فحضر الوزير عنده واخذ بيده وقال المصلحة ان تحضر الساعة عند السلطان فانه لا يخالفك فى جميع ما تلتمسه واخذ بيده وقام فسار معه جكرمش فلما رآه اهل الموصل قد توجه الى السلطان جعلوا يبكون ويصيحون ويحثون التراب على رؤسهم فلما دخل على السلطان محمد اقبل عليه واكرمه وعانقه ولم يمكنه من الجلوس وقال ارجع الى رعيتك فان قلوبهم اليك وهم متطلعون الى عودك فقبل الارض وعاد ومعه جماعة من خواص السلطان وسأل السلطان من الغد ان يدخل البلد لتزين له فامتنع من ذلك فعمل سماطا بظاهر الموصل عظيما وحمل الى السلطان من الهدايا والتحف ولوزيره أشياء جليلة المقدار

بأحلاس الصلح وأبنائه ما دامت هذه العيون حافظة سوادها * والعواتق حاملة نجادها * يعنى به قول القائل

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

فالقت هذه الاخبار الى الامير سبكتكين استشاط غضبا * وقضى من ادبار القوم عجبا * وعزم على المناجزة واستخار الله تعالى فى صدق المجاهدة وأرسل الى أبى على أن خذ فى ارهاف سيفك وسنانك فقد جئتك بما لا يقيك منه سوى حد الحسام * وثبات المقام * وزحف الى الفضاء الرحب بفروته يوم الاربعاء للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة فرتب الخيول مقانب ومناسر * وعبا الجيوش ميامن ومياسر * وشحن الصفوف بفيلته المجففة كأنها شواهق أعلام * أو طوارق غمام * ووقف الرضى به وبالامير محمود ولده فى القلب مشحونا بكماة الرجال * ومحفوفا بحماة الابطال *

كما قيل

من كل أروع يرتاع المنون له * اذا تجرد لا نكس ولا جذ

## (ذكر وصول السلطان الى بغداد وصلحه مع ابن اخيه والامير اياز)

لما وصل خبر وفاة السلطان بركيارق الى أخيه السلطان محمد وهو يحاصر الموصل جلس للعزاء وأصلح جكرمش صاحب الموصل كما ذكرناه وسار الى بغداد ومعه سكمان القطبي وهو ينسب الى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود واسمعيل ابن عم ملكشاه وسار معه جكرمش وغيرهما من الامراء وكان سيف الدولة صدقة صاحب الحلة قد جمع خلقا كثيرا من العساكر فبلغت عدتهم خمسة عشر ألف فارس وعشرة آلاف راجل وأرسل ولديه بدران ودبيسا الى السلطان محمد يحثه على المجيء الى بغداد فاستصحبهما معه الى بغداد فلما سمع الامير اياز بمسيره اليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد وجمع الامراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه على طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم في ذلك ينال وصباوة فانهم بالغوا في الاطماع في السلطان محمد والمنع له من السلطنة فلما تفرقوا قال له وزيره الصفي أبو المحاسن يا مولانا ان حياتي مقرونة بثبات نعمتك ودولتك وانا أكثر التزاما بك من هؤلاء وليس الرأي ما أشاروا به فان كلا منهم يقصد ان يسلك طريقا اذا اراد يقيم سوقا لنفسه بك وأكثرهم يناويك في المنزلة وانما يمنعهم من منازعتك قلة العدد والمال والصواب مصالحة السلطان محمد وطاعته وهو يقرك على اقطاعك ويزيدك عليه مهما أردت فتردد رأي الامير اياز في الصلح والمباينة الا ان حركته في المباينة ظاهرة وجمع السفن التي ببغداد عنده وضبط المشارع من متطرق الى عسكره والى البلد ووصل السلطان محمد الى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الاولى ونزل عند الجانب الغربي بأعلى بغداد وخطب له بالجانب الغربي ولملكشاه بن بركيارق بالجانب الشرقي واما جامع المنصور فان الخطيب قال فيه اللهم أصلح سلطان العالم وسكت وخاف الناس من امتداد الشر والنهب فركب اياز في عسكره وهم عازمون على الحرب وسار الى ان أشرف على عسكر السلطان محمد وعاد الى مخيمه فدعا الامراء الى اليمين مرة ثانية على المناصحة لملكشاه فأجاب البعض وتوقف البعض وقالوا قد حلفنا مرة ولا فائدة في اعادة اليمين لانا ان وفينا بالاولى وفينا بالثانية وان لم نف بالاولى فلا نفي بالثانية فأمر اياز حينئذ وزيره الصفي أبا المحاسن بالعبور الى السلطان محمد في الصلح وتسليم السلطنة اليه وترك منازعته فعبر يوم السبت لسبع بقين من الشهر الى عسكر محمد واجتمع بوزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فعرفه ما جاء فيه فحضر عند السلطان محمد وأدى الصفي رسالة صاحبه اياز واعتذر عما كان منه أيام بركيارق فأجابه محمد جوابا لطيفا سكن به قلبه وطيب نفسه وأجاب الى ما التمسه من اليمين فلما كان الغد حضر قاضي القضاة والنقيبان والصفي وزير اياز عند السلطان محمد فقال له وزير سعد الملك ان اياز يخاف لما تقدم منه وهو يطلب اليمين لملكشاه ابن أخيك ولنفسه وللامراء الذين معه فقال السلطان اما ملكشاه فانه ولدي ولا فرق بيني وبين أخي واما اياز والامراء فأحلف لهم الا ينال الحسامي وصباوة فحلفه الكيا الهراسي مدرس النظامية على ذلك وحضر الجماعة اليمين فلما كان من الغد حضر الامير اياز عند السلطان محمد فلقيه وزير السلطان وكافة الناس ووصل سيف الدولة صدقة ذلك الوقت ودخلا جميعا الى السلطان فأكرمهما وأحسن اليهما

يكاد سين يلاقي القرن من حنق * قبل السنان على حوبائه يرده * وسارت خيل الارض سائرة * والجبال مائرة * والنجوم منكدرة * والسماء منفطرة * وثار من وقع السنابك نقع أوهم كسوف النهار الشامس * أو عود ظلام الليل الدامس * وقد كان أبو علي رتب الجيوش اسوة الامير سبكتكين فجعل فائقا في الميمنة وأثناء أبا القاسم بن سيمجور وايلمنكو في الميسرة وثبت في القلب مع حماته * وذوي الوفاء والمسئلة من ثقاته * فكانوا على الحقيقة حبيس الاواويس ممن ربص الحديد وامات الحمر والبيض * وأشرقت عليهم الشمس فبرقت لها الاحداق * وتلألأت الآفاق * حتى اذا تدانت الطائفتان بين الفريقين بدأت الفائقية بالحملة على ميسرة الرئيس فبددوا انتظامهم * وزعزعوا عن المقام أقدامهم * وثنى أبو القاسم بن سيمجور بحملها على من بإزائه فصنع صنيع الآخرين ودخل دارا ابن شمس المعالي

وقيل بل ركب السلطان ولقيهما ووقف احدهما عن يمينه والآخر عن يساره واقام السلطان ببغداد الى شعبان وسار الى اصبهان وفعل فيها مانذكره آنفا ان شاء الله تعالى

*(ذكر قتل الامير اياز)*

في هذه السنة ثالث عشر جمادى الآخرة قتل الامير اياز قتله السلطان محمد وسبب ذلك ان اياز لما سلم السلطنة الى السلطان محمد وسار في جملته واستحلفه لنفسه فلما كان ثامن جمادى الآخرة عمل دعوة عظيمة في داره وهي دار كوهرائين ودعا السلطان اليها وقدم له شيأ كثيرا من جملته الحبل البلخش الذي اخذ من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك وقد تقدم ذكر ذلك وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد وكان من الاتفاق الردي ان اياز تقدم الى غلمانه ليلبسوا السلاح من خزانته ليعرضهم على السلطان فدخل عليهم رجل من ابهر يتطايب معهم ويضحكون منه مع كونه يتصوف فقالوا له لابد من ان نلبسك درعا ونعرضك فالبسوه الدرع تحت قميصه وتناولوه بايديهم وهو يسألهم ان يكفوا عنه فلم يفعلوا فلشدة ما فعلوا به هرب منهم ودخل بين خواص السلطان فعتصما بهم فرآه السلطان مذعورا وعليه لباس عظيم فاستراب به فقال لغلام له بالتركية المسه من غير ان يعلم أحد ففعل فرأى الدرع تحت قميصه فاعلم السلطان بذلك فاستشعر وقال اذا كان أصحاب العمائم قد لبسوا السلاح فكيف الاجناد وقوي استشعاره لكونه في داره وفي قبضته فنهض وفارق الدار وعاد الى داره فلما كان ثالث عشر الشهر استدعى السلطان الامير صدقة واياز وجكرمش وغيرهم من الامراء فلما حضروا أرسل اليهم انه بلغنا ان قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها الى الجزيرة وينبغي ان تجتمع آراؤكم على من يسير اليه ليمنعه ويقاتله فقال الجماعة ليس لهذا غير الامير اياز فقال اياز ينبغي ان اجتمع انا وسيف الدولة صدقة بن مزيد على هذا الامر والدفع لهذا القاصد فقيل ذلك للسلطان فاعاد الجواب يستدعي اياز وصدقة والوزير سعد الملك ليحرر الامر في حضرته فنهضوا اليه ليدخلوا اليه وكان قد أعد جماعة من خواصه ليقتلوا اياز اذا دخل اليه فلما دخلوا ضرب أحدهم رأسه فابانه فاما صدقة فغطى وجهه بكمه وأما الوزير فانه غشي عليه ولف اياز في مسح وألقي على الطريق عند دار المملكة وركب عسكر اياز فنهبوا ما قدروا عليه من داره فارسل السلطان من حماها من النهب وتفرق أصحابه من يومهم وكان زوال تلك النعمة العظيمة والدولة الكبيرة في لحظة بسبب هزل ومزاح فلما كان من الغد كفنه قوم من المتطوعة ودفنوه في المقابر المجاورة لقبر أبي حنيفة رحمه الله وكان عمره قد جاوز اربعين سنة وهو من جملة مماليك السلطان ملكشاه ثم صار بعد موته في جملة أمير آخر فاتخذه ولدا وكان غزير المروءة شجاعا حسن الرأي في الحرب واما وزيره الصفي فانه اختفى ثم أخذ وحمل الى دار الوزير سعد الملك ثم قتل في رمضان وعمره ست وثلاثون سنة وكان من بيت رياسة بهمذان

*(ذكر وفاة سقمان بن أرتق)*

كان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس قد كاتب سقمان يستدعيه الى نصرته على الفرنج وبذل له المعونة بالمال والرجال فبينما هو يتجهز للمسير أتاه كتاب طغتكين صاحب دمشق يخبره انه مريض قد أشفى على الموت وانه يخاف ان مات وليس بدمشق من يحميها أن يملكها الفرنج

قابوس بن وشمكير من قلب ابي علي فطنوه يسعى لشرف المقام * ورعاية حق الذمام والانعام * حتى اذا بلغ بين الصفين وفي ظهره بترسه واقبل على موقف الرضى بوجهه فاستامن اليه * ووقف للقتال بين يديه * فاخذل اصحاب ابي علي لما أخفره من الذمه * وقطعه من العصمه * اشفاقا من مواطأة اضرابه وعندها حمل الامير محمود بن سبكتكين على قلب ابي علي في سواد فدح بثقله كاهل الارض وسد بقسطله مناكب الافق فلم يثبت احد من اصحاب ابي علي لكفاح * أو مدافعة بسلاح * بل انفضوا عن موقفهم انفضاض العقد خانه النظام * وانسل منه الفذ والتوام * وجعلوها هزيمة انتكست بها الاعلام * وغصت بجموعهم الاباطح والاعلام * وركب الامير محمود اكتافهم بضربات تفلق الهام انصافا * وتسوق النفوس مزاعفا * فلم يثنه الاسر عن تلك الجموع * ومن خفف عن ظهره ثقل

ويستدعيه ليوصي اليه وبما يعتمده في حفظ البلد فلما رأى ذلك أسرع في المسير عازماً على اخذ دمشق وقصد الفرنج طرابلس وابعادهم عنها فوصل الى القريتين واتصل خبره بطغتكين فخاف عاقبة ما صنع ولقوة فكره زاد مرضه ولامه أصحابه على ما فرط في تدبيره وخوفوه عاقبة ما فعل وقالوا له قد رأيت سيدك تاج الدولة لما استدعاه الى دمشق ليمنعه كيف قتله حين وقعت عينه عليه فبينما هم يدبرون الرأي بأي حيلة يردونه أتاهم الخبر بانه وصل القريتين ومات وحمله أصحابه وعادوا به فأتاهم فرج لم يحتسبوه وكان مرضه الذي مات به الخوانيق يعتريه دائماً فأشار عليه أصحابه بالعود الى حصن كيفا فامتنع وقال بل أسير فان عوفيت تممت ما عزمت عليه ولا يراني الله تثاقلت عن قتال الكفار خوفاً من الموت وان أدركني أجلي كنت شهيداً سائراً في جهاد فساروا فاعتقل لسانه يومين ومات في صفر وبقي ابنه ابراهيم في أصحابه وجعل في تابوت وحمل الى الحصن وكان حازماً ذا رأي كثير الخير وقد ذكرنا سبب أخذه لحصن كيفا واما ملكه ماردين فان كربوقا خرج من الموصل نقصد آمد وحارب صاحبها فاستنجد صاحبها وهو تركماني بسقمان فحضر عنده وصاف كربوقا وكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر يستنده يا قد حضر مع كربوقا ومعه جماعة كثيرة من أصحاب أبيه فلما اشتد القتال ظهر سقمان فالتقى أصحاب آقسنقر زنكي ولد صاحبهم بين أرجل الخيل وقالوا قاتلوا عن ابن صاحبكم فقاتلوا حينئذ قتالاً شديداً فانهزم سقمان وأسروا ابن اخيه ياقوتي بن ارتق فحبسه كربوقا بقلعة ماردين وكان صاحبها انسان مغنياً للسلطان بركيارق فطلب منه ماردين وأعمالها فأقطعه اياها فاتفق ان ياقوتي في حبسه مدة فمشت زوجة ارتق الى كربوقا وسألته اطلاقه فأطلقه فنزل عند ماردين وكانت قد أعجبته فأقام ليعمل في تملكها والاستيلاء عليها وكان من عند ماردين من الاكراد قد طمعوا في صاحبها المغني وأغاروا على اعمال ماردين عدة دفعات فراسله ياقوتي يقول قد صار بيننا مودة وصداقة وأريد أن أعمر بلدك بان امنع عنه الاكراد وأغير على الاماكن وآخذ الاموال انفقها في بلدك وأقيم في الربض فاذن له في ذلك فجعل يغير من باب خلاط الى بغداد فصار ينزل معه بعض أجناد القلعة طلباً للكسب وهو يكرمهم ولا يتعرضهم فأمنوا اليه فاتفق ان في بعض الاوقات نزل معه أكثرهم فلما عادوا من الغارة أمر بقبضهم وتقييدهم وسيقهم الى القلعة ونادى من بها من أهليهم ان فتحتم الباب والا ضربت أعناقكم فامتنعوا فقتل انساناً منهم فسلم القلعة من بها اليه وبقي بها ثم انه جمع جمعاً وسار الى نصيبين وأغار على بلد جزيرة ابن عمر وهي لجكرمش فلما عاد أصحابه بالغنيمة أتاهم جكرمش وكان ياقوتي قد أصابه مرض فجز منه عن لبس السلاح وركوب الخيل فحمل الى فرسه فركبه وأصابه سهم فسقط منه فأتاه جكرمش وهو يجود بنفسه فبكى عليه وقال له ما حملك على ما صنعت يا ياقوتي فلم يجبه فمات ومشت زوجة ارتق الى ابنها سقمان وجمعت التركمان وطلبت بثأر ابن ابنها وحصر سقمان نصيبين وهي لجكرمش فسير جكرمش الى سقمان مالاً كثيراً فأخذه ورضي وقال انه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله وملك ماردين بعد ياقوتي اخوه علي وصار في طاعة جكرمش واستخلف بها أميراً اسمه على أيضاً فارسل علي الوالي بماردين الى سقمان يقول له ابن اخيك يريد ان يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلم الحماه اليه على ابن اخيه وطلب اعادة القلعة اليه فقال انما اخذتها

لئلا

الجواشن والدروع وغنم اهل العسكر أمو الا والا تعدى بعضها على الصلح المعقود لبقيت الوجوه بمائها ووضعت الحرب تلك الاوزار عن أبنائها وسار أبو على بالفل من اشياعه الى نيسابور فأمال بها على جبر الكسيرة ونيل الصبر استعدادا للانفسار عنها قبل وهي العناق وموقف التلاق وخيم الرضى والامير ان سبكتكين ومحمود بظاهر هراة ريثما استجمت ركائبهم وتوفرت على الاولياء رغائبهم واقب الامير الرضى الامير سبكتكين بناصر الدولة ووارث ملكه السلطان محمود ابسيف الدولة وقلده قيادة الجيوش سادا مكان أبي علي به وسار الى نيسابور في هيئة اشعرت النفوس مهابة وملأت قلوب العداة كآبة ورجال كالقروم المصاعب وافيال كالاسود الغوارب محطومة بالأساود وفي ذلك يقول ابو الفتح البستي
بسيف الدولة اتسقت امور
رأيناها مبددة النظام

لئلا يخرب البيت فاقطعه جبل جور ونقله اليه وكان جكرمش يعطي عليا كل سنة عشرين الف دينار فلما اخذه سقمان ماردين منه ارسل علي الى جكرمش يطلب منه المال فقال انما كنت اعطيتك احتراما لماردين وخوفا من مجاورتك والآن فاصنع ما انت صانع فلا قدرة لك علي

*(ذكر حال الباطنية هذه السنة بخراسان)*

في هذه السنة سار جمع كثير من الاسماعيلية من طريثيث عن بعض اعمال بيهق وشاعت الغارة في تلك النواحي واكثروا القتل في اهلها والنهب لاموالهم والسبي لنسائهم ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة وفي هذه السنة اشتد امرهم وقويت شوكتهم ولم يكفوا ايديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم فمن جملة فعلهم ان قفل الحاج تجمع هذه السنة مما وراء النهر وخراسان والهند وغيرها من البلاد فوصلوا الى جوار الري فاتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف وقتلوهم كيف شاؤا وغنموا اموالهم ودوابهم ولم يتركوا شيأ وقتلوا هذه السنة ابا جعفر بن المشاط وهو من شيوخ الشافعية اخذ الفقه عن الخجندي وكان يدرس بالري ويعظ الناس فلما نزل من كرسيه أتاه باطني فقتله

*(ذكر حال الفرنج هذه السنة مع المسلمين بالشام)*

في هذه السنة في شعبان كانت وقعة بين طنكري الفرنجي صاحب انطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب انهزم فيها رضوان وسببها ان طنكري حصر حصن ارتاح وبها نائب الملك رضوان فضيق الفرنج على المسلمين فارسل النائب بالحصن الى رضوان يعرفه ما هو فيه من الحصر الذي اضعف نفسه ويطلب النجدة فسار رضوان في عسكر كثير من الخيالة وسبعة آلاف من الرجالة منهم ثلاثة آلاف من المتطوعة فساروا حتى وصلوا الى قنسرين وبينهم وبين الفرنج قليل فلما رأى طنكري كثرة المسلمين ارسل الى رضوان يطلب الصلح فاراد ان يجيب فمنعه اصبهبذ صباوو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز فامتنع من الصلح واصطفوا للحرب فانهزمت الفرنج من غير قتال ثم قالوا نعود ونحمل عليهم حملة واحدة فان كانت لنا والا انهزمنا فحملوا على المسلمين فلم يثبتوا وانهزموا وقتل منهم واسر كثير واما الرجالة فانهم كانوا قد دخلوا معسكر الفرنج لما انهزموا فاشتغلوا بالنهب فقتلهم الفرنج ولم ينج الا الشريد فاخذ اسيرا وهرب من في ارتاح الى حلب وملكه الفرنج لعنهم الله تعالى وهرب اصبهبذ صباوو الى طغتكين اتابك بدمشق فصار معه ومن اصحابه

*(ذكر حرب الفرنج والمصريين)*

في ذي الحجة من هذه السنة كانت وقعة بين الفرنج والمسلمين كانوا فيها على السواء وسببها ان الافضل وزير صاحب مصر كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الخالية الى الفرنج فقهرهم واخذ الرملة منهم ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهم ما ان الفتح له فاتاهم سرية الفرنج فتقاعد كل فريق منهم بالآخر حتى كاد الفرنج يظهرون عليهم فرحل عند ذلك شرف المعالي الى ابيه بمصر فنفذ ولده الآخر وهو سناء الملك حسين في جماعة من الامراء منهم جمال الملك النائب بعسقلان للمصريين وارسلوا الى طغتكين اتابك بدمشق يطلبون منه عسكرا

سما وحمى بني سام وحام
فليس كمثله سام وحام
وسنجري ذكره آنفا بسيف الدولة الى ان افاء الله الملك منه الى مظنة الاستحقاق *
وشهره بلقب اليمين في جميع كور الآفاق * وفي هذه الوقعة يقول ابو عامر النحدي
قل للعوادث غضي الطرف خائبة
فقد أضاء بسيف الدولة الامل
بصاحب الجيش محمود العلى بذخت
أركان ملك عليها اغبر ماطال
تاج الزمان وسيف الملك عاصمه
وخاتم الملك في يسراه يشتعل
في تاجه قمر في درعه أسد
في جوده أمل في بأسه أجل
باهت به الخيل واختال السرير به
وأقبلت طاعة تسعى بها الدول
لو صافح الشمس من عز دنت مثلا
أو خاطب النجم لبى صوته زحل
رأى خراسان منه هيبة قهرت

فارسل اليهم اصبهبذ صباوو ومعه الف وثلثمائة فارس وكان المصريون في خمسة آلاف
وقصدهم بغدوين الفرنجي صاحب القدس وعكة ويافا في الف وثلثمائة فارس وثمانية آلاف
راجل فوقع المصاف بينهم بين عسقلان ويافا فثبتت احدى الطائفتين على الاخرى فقتل من
المسلمين الف ومائتان ومن الفرنج مثلهم وقتل جمال الملك امير عسقلان فلما رأى المسلمون انهم
قد تكافؤا في النكاية قطعوا الحرب وعادوا الى عسقلان وعاد صباوو الى دمشق وكان مع
الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش وكان طغتكين قد عدل في الملك الى ولد اخيه
دقاق وهو طفل وقد ذكرناه فدعاه ذلك الى قصد الفرنج والكون معهم

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة عظم فساد التركمان بطريق خراسان من اعمال العراق وقد كانوا قبل ذلك ينهبون
الاموال ويقطعون الطريق الا انهم عندهم مراقبة فلما كان هذه السنة اطرحوا المراقبة
وعملوا الاعمال الشنيعة فاستعمل ايلغازي بن ارتق وهو شحنة العراق على ذلك البلد ابن
اخيه بلك بن بهرام بن ارتق وامره بحفظه وحياطته ومنع الفساد عنه فقام في ذلك القيام
المرضي وحمى البلاد وكف الايدي المتطاولة وسار بلك الى حصن خانيجار وهو من اعمال
سرخاب بن بدر فحصره وملكه وفيها في شعبان جعل السلطان محمد قسيم الدولة سنقر البرسقي
شحنة بالعراق وكان موصوفا بالخير والدين وحسن العهد لم يفارق محمدا في حروبه كلها وفيها
اقطع السلطان محمد الكوفة للامير قايماز واوصى صدقة ان يحمي اصحابه من خفاجة فاجاب
الى ذلك وفيها في شهر رمضان وصل السلطان محمد الى اصبهان فامن اهلها ونشر فيهم الامن وازال
ما كان يشملهم من الخبط والعسف والمصادرة وشتان بين خروجه منها اولا واستخفاؤه وعوده اليها
سلطانا حاكما وعدل في اهلها وازال عنهم ما يكرهون وكف الايدي المتطرقة اليهم من الجند
وغيرهم فصارت كلمة العامي اقوى من كلمة الجندي ويد الجندي قاصرة عن العامي من هيبة
السلطان وعدله وفيها كثر الجدري في كثير من البلدان لاسيما العراق فانه كان به كله ومات
به من الصبيان ما لا يحصى وتبعه وباء كثير وموت عظيم وتوفي في هذه السنة في شوال احمد بن
محمد بن احمد ابو علي البرداني الحافظ ومولده سنة ست وعشرين واربعمائة سمع ابن غيلان
والبرمكي والعشاري وغيرهم وتوفي ابو المعالي ثابت بن بندار بن ابراهيم البقال ومولده سنة
ست عشرة واربعمائة سمع ابا بكر البرقاني واباعلي بن شاذان وكانت وفاته في جمادى الآخرة
من هذه السنة وفي رابع جمادى الاولى توفي ابو الحسن محمد بن علي بن ابي الصقر الفقيه الشافعي
ومولده سنة تسع واربعمائة وكان اديبا شاعرا فمن قوله

من قال لي جاه ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذا الشنع على * صديقه لا كان من كانا

وفيها ايضا توفي ابو نصر بن اخت ابن الموصلايا وكان كاتبا للخليفة جيد الكتابة وكان عمره سبعين
سنة ولم يخلف وارثا لانه اسلم واهله نصارى فلم يرثوه وكان يحمل الاثقال … كان كثير الصدقة وتوفي
المؤيد عيسى بن عبد الله بن القاسم الغزنوي كان واعظا شاعرا كاتبا قدم بغداد ووعظ بها
ونصر مذهب الاشعري وكان له قبول عظيم وخرج منها فمات باسفراين

حتى تزعزع منها السهل والجبل
اشمت رعيته والله يكلؤها
بهام مكة مضروبا بها المثل
لمالطي آل عمير وصبيهم
بالنيل شمخا عليها الصيد والاسل
حتى اذا ما التقى الجمعان لم يقفوا
ذلا وانضوا كمادمالهم فلل
فالهند والغور قد شابت شعورهم
لما رأوا منك من بأس وقد فشلوا
فصدر بالجود من ملك
اذا النفوس استقلت والوغى زجل
أرويت سمر القنا والبيض صادية
وصدت وهي لا كادا العدى عمل
وانت اجود من شؤبوب عادية
في اثر سارية سيما بيل
ثم ارتحلوا على جمنيسابور ولما سمع ابو علي بنيشهم فارقها مصدرا الى جرجان
على الوثيقة التي كان اخذها على فخر الدولة في بذل المشاركة * وصدق

(ثم دخلت سنة تسع وتسعين واربعمائة)

*(ذكر خروج منكبرس على السلطان محمد)*

فى هذه السنة فى المحرم أظهر منكبرس ابن الملك بوربرس بن الب ارسلان وهو ابن عم السلطان محمد العصيان للسلطان محمد والخلاف عليه وسبب ذلك انه كان مقيما باصبهان فلحقته ضائقة شديدة وانقطعت المواد عنه فخرج منها وسار الى نهاوند فاجتمع عليه بها جماعة من العسكر وظاهره على أمره جماعة من الامراء وتغلب على نهاوند وخطب لنفسه بها وكاتب الامراء بنى برسق يدعوهم الى طاعته ونصرته وكان السلطان محمد قد قبض على زنكى بن برسق فكاتب زنكى اخوته وحذرهم من طاعة منكبرس وما فيها من الاذى والخطر وأمرهم بتدبير الامر فى القبض عليه فلما أتاهم كتاب أخيهم بذلك أرسلوا الى منكبرس يبذلون له الطاعة والموافقة فسار اليهم وساروا اليه فاجتمعوا به وقبضوا عليه بالقرب من أعمالهم وهى بلد خوزستان وتفرق أصحابه وأخذوا منكبرس الى أصبهان فاعتقله السلطان مع بنى عمه تكش وأخرج زنكى بن برسق وأعاده الى مرتبته واستنزله واخوته عن اقطاعهم وهى لشتر وسابور خواست وغيرها ما بين الاهواز وهمذان واقطعهم عوضها الدينور وغيرها واتفق أن ظهر بنهاوند أيضا فى هذه السنة رجل من السواد ادعى النبوة فاطاعه خلق كثير من السوادية واتبعوه وباعوا أملاكهم ودفعوا اليه أثمانها فكان يخرج ذلك جميعه وسمى أربعة من أصحابه أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وقتل بنهاوند فكان أهلها يقولون ظهر عندنا فى مدة شهرين اثنان ادعى أحدهما النبوة والآخر المملكة فلم يتم لواحد منهما أمره

*(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج)*

فى هذه السنة فى صفر كانت وقعة بين طغتكين اتابك صاحب دمشق وبين قمص كبير من قامصة الفرنج وسبب ذلك انه تكررت الحروب والغارات بين عسكر دمشق وبغدوين فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ففى آخر الامر بنى بغدوين حصنا بينه وبين دمشق نحو يومين فخاف طغتكين من عاقبة ذلك وما يحدث به من الضرر فجمع عسكره وخرج الى مقاتلتهم فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرهما الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين فعرفه القمص غناءه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا وتقدم طغتكين الى الفرنج واقتتلوا واشتد القتال فانهزم اميران من عسكر دمشق فتبعهما طغتكين وقتلهما وانهزم الفرنج الى حصنهم فاحتموا به فقال طغتكين من احسن قتالهم وطلب منى امرا فعلته معه ومن اتانى بحجر من حجارة الحصن اعطيته خمسة دنانير فبذل الرجالة نفوسهم وصعدوا الى الحصن وخربوه وحملوا حجارته الى طغتكين فوفى لهم بما وعدهم وامر بالقاء الحجارة فى الوادى واسروا من بالحصن فامر بهم فقتلوا كلهم واستبقى الفرسان اسراء وكانوا مائتى فارس ولم ينج ممن كان فى الحصن الا القليل وعاد طغتكين الى دمشق منصورا فزين البلد أربعة أيام وخرج منها الى رفنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج وصاحبه ابن اخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج

*(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)*

المساهمة * حتى ألم بها وكتب اليه بالحالة التى ألجأته الى قصد ولايته * والانقطاع الى جانب مملكته * وأرسل أبا نصر الحاجب اليه فى تقرير حاله * واستدعاء معونته بذاته وماله * واستناب الصاحب فى تنجز ما كان يعده لنفسه على الايام من بركة وصاله * ويعده لها من ثمرة وداده * فامر بمال يقام مياومة لوكيله وبألفى الف درهم من ارتفاعات جرجان لاهل عسكره واقام هو وفائق حتى انحسر عن غرة الربيع قناع الشتاء * وانكشف عن الزمهرير آفاق السماء * وقد كان الرضى انحرف عند انحراف الاميرين ناصر الدين سبكتكين والامير سيف الدولة الى نيسابور بعبد الله ابن عزير الطوسى الى طوس التحاقا عليه مما صوره له من ارصادهما اياه بالمكروه على مادعته النصيحة اليه من مناقشتهما له فى بعض الاموال والاعمال فنهض الامير سيف الدولة محمود على اثره اظهارا للبراءة واستشعارا للطاعة واستقاما

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين عبادة وخفاجة وسببها ان رجلا من عبادة أخذته جماعة خفاجة جملين فجاء اليهم وطالبهم بهما فلم يعطوه شيأ فاخذ منهم غارة أحد عشر بعيرا فلقته خفاجة وقتلوا من أصحابه رجلا وقطعوا يدا آخر وكان ذلك بالموقف من اعمال السيفية فتفرق بينهم أهلها فسمعت عبادة الخبر فتواعدت وانحدرت الى العراق للاخذ بثارها وسار واليهم جماعة من امرائهم فبلغت عدتهم سبعمائة فارس وكانت خفاجة دون هذه العدة فراسلهم خفاجة يبذلون الدية ويصطلحون فلم يجبهم الى ذلك عبادة وأشار به سيف الدولة صدقة فلم تقبل عبادة فالتقوا واقتتلوا بالقرب من الكوفة ومع عبادة الابل والغنم بين البيوت فكمنت لهم خفاجة ثلثمائة فارس وقاتلوهم مطاردة من غير جد في القتال فداموا كذلك ثلاثة أيام ثم انهم اشتد بينهم القتال واختلطوا حتى تركوا الرماح وتضاربوا بالسيوف فبينما هم كذلك وقد اعيا الفريقان من القتال اذ طلع كمين خفاجة وهم مستريحون فانهزمت عبادة وانتصرت عليهم خفاجة وقتل من وجوه عبادة اثنا عشر رجلا ومن خفاجة جماعة وغنمت خفاجة الاموال من الخيل والابل والغنم والعبيد والاماء وكان الامير صدقة بن مزيد قد أعان خفاجة سرا فلما وصل المنهزمون اليه هنأهم صدقة بالسلامة فقال له بعضهم مازلت أقاتل واضارب وأنا طامع في الظفر بهم حتى رأيت فرسك الشقراء تحت أحدهم فعلمت انهم أجلبوا علينا بخيلك ورجلك وانا لا طاقة لنا بهم فتصروا علينا بمونتك ولولا نجدتك لم يعيبه صدقة

## (ذكر ملك صدقة البصرة)

في هذه السنة في جمادى الاولى انحدر سيف الدولة من الحلة الى البصرة فملكها وقد ذكرنا فيما تقدم تمكن اسمعيل بن ارسلانجق من البصرة ونواحيها وأقام بها عشر سنين نافذ الامر وازداد قوة وتمكنا بالاختلاف الواقع بين السلاطين واخذ الاموال السلطانية وكان قد راسل صدقة واظهر له انه في طاعته وموافقته فلما استقر الامر للسلطان محمد اراد ان يرسل الى البصرة مقطعا يأخذها من اسمعيل فخاطب صدقة في معناها حتى اقرت البصرة عليه فانفذ السلطان عميدا اليها ليتولى ما يتعلق بالسلطان هناك فمنعه اسمعيل ولم يمكنه من عمله وفعل ما خرج به عن حد المجاملة فامر السلطان صدقة بقصده واخذ البصرة منه فتحرك لذلك فاتفق ظهور ينشكين وخلافه على السلطان وانه على قصد واسط فسر اسمعيل بذلك وزاد انبساطه وارسل صدقة حاجباله وكان قبله قد خدم اباه وجده الى اسمعيل يأمره بتسليم الشرطة واعمالها الى مهذب الدولة بن ابي الجبر لانها كانت في ضمانه فوصل الى الشرطة واخذ منها اربعمائة دينار فاحضره اسمعيل وحبسه واخذ الدنانير منه فلما رأى صدقة مكاشفته سار من حلته واظهر انه يريد قصد الرحبة ثم جد السير الى البصرة فلم يشعر اسمعيل الا بقربه منه ففرق اصحابه في القلاع التي استجدها بمطارا ونهر معقل وغيرهما واعتقل وجوه العباسيين والعلويين وقاضي البصرة ومدرسها واعيان اهلها ونازلهم صدقة فجرى قتال بين طائفة من عسكره وطائفة من البصريين قتل فيه ابو النجم بن ابي القاسم الوراني وهو ابن خال سيف الدولة صدقة فما مدح به سيف الدولة ورثى به ابو النجم ابن ابي القاسم قول بعضهم

الندمة وازاحة لعارض الفتنة وطار عبد الله بن عزير بقوادم العقاب تحت خوافي الليل الى مرو على عوادل الطرق اشفاقا على نفسه من عادية التضريب * فعل المتهم المريب * وتلقى الرضي مورد سيف الدولة باتم اقبال واشبال * وصرفه وراءه على أحسن حال وأنعم بال * ثم ارتحل بعقبه الى مرو لاستقاء وزيره ثم منها الى بخارا حتى استقر بها على سريره * وقد كان الاميران ناصر الدين سبكتكين وسيف الدولة حين وصلا الى نيسابور فرشا مهاد العدل * ورفعا عماد الامن وتتبعا رسوما كانت جانفة من قبل * فنسخاها بيت الرافة * وحسم المخافة * وارتياد مصلحة الكافة * فانشرحت الصدور * واستقامت الامور * وامنت الطرق * واتصلت القوافل والرفق * ثم سنح للامير ناصر الدين ان ينقلب الى هراة لمطالعة ما كان برسمه فسار واقام سيف الدولة بنيسابور * على قيادة الجيوش وزعامة الجمهور * وقد كان ابو على لمح الى زيادة من المال تحمل اليه من الري معونة له على

تهن ياخير من يحمى حريم حمى * فيما اغتدت به الدنيا مع الدين
ركبت البصرة الغراء فى لجب * غر كجيش على يوم صفين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها * لكنه كان رجما للشياطين

وأقام صدقة محاصرا لاسمعيل بالبصرة فأشار على سيف الدولة صدقة بعض أصحابه بالعود عنها واعلموه انهم لا يظفرون بطائل فأشار عليهم بالمقام وقالوا ان رحلنا كانت كسرة وكان رأى سيف الدولة المقام وقال ان تعذر على فتح البصرة لم يطعنى أحد واستعجزنى الناس ثم ان اسمعيل خرج من البلد وقاتل صدقة فسار بعض أصحاب صدقة الى مكان آخر من البلد ودخلوه وقتلوا من السوادية الذين جمعهم اسمعيل خلقا كثيرا وانهزم اسمعيل الى قلعته بالجزيرة فأدركه بعض أصحاب سيف الدولة واراد قتله فقدم اليه أحد غلمانه بنفسه فوقعت الضربة فيه فأثخنته ونهبت البصرة وغنم من معه من عرب البر وغيرهم ما فيها ولم يسلم منهم الا المحلة المجاورة لقبر طلحة والمربد فان العباسيين دخلوا المدرسة النظامية وامتنعوا بها وحموا المربد وعمت المصيبة لاهل البلد سوى من ذكرنا وامتنع اسمعيل بقلعته فاتفق ان المهذب بن ابى الجبر انحدر فى سفن كثيرة وأخذ القلعة التى لاسمعيل بمطارا وقتل بها خلقا من أصحاب اسمعيل وحمل الى صدقة كثيرا فأطلقهم فلما علم اسمعيل بذلك ارسل الى صدقة يطلب الامان على نفسه واهله وامواله فأجابه الى ذلك واجله سبعة ايام فأخذ كل ما يمكنه حمله مما يعز عليه وما لم يقدر على حمله اهلكه بالماء وغيره ونزل الى سيف الدولة وأمن سيف الدولة اهل البصرة من كل اذى ورتب عندهم شحنة وعاد الى الحلة ثالث جمادى الآخرة وكان مقامه بالبصرة ستة عشر يوما وأما اسمعيل فانه لما سار صدقة الى الحلة قصد هو الباسيان الى ان وصله ماله فى المراكب وسار نحو فارس وصار يتعنت اصحابه وزوجته وقبض على جماعة من خواصه وقال لهم انتم سقيتم ولدى افراسياب السم حتى مات وكان قد مات فى صفر من هذه السنة ففارقه كثير منهم حتى زوجته فارقته وسارت الى بغداد واخذته الحمى وقويت عليه فلما بلغ رامهرمز انفرد فى خيمته ولم يظهر لاصحابه يوما وليلة فظهر لهم موته فنهبوا امواله وتفرقوا فارسل الامير برامهرمز فردهم واخذ ما معهم من امواله ودفن بالقرب من ايذج وكان عمره قد جاوز خمسين سنة وكانت سيرته قد حسنت فى اهل البصرة اخيرا

*(ذكر حصر رضوان نصيبين وعوده عنها)*

فى هذه السنة فى شهر رمضان حصر الملك رضوان بن تتش نصيبين وسبب ذلك انه عزم على حرب الفرنج واجتمع معه من الامراء ايلغازى بن ارتق الذى كان شحنة بغداد والاصبهبذ صباوو والى بن ارسلان تاش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل فقال ايلغازى الرأى اننا نقصد بلاد جكرمش وما والاها فنملكها ونتكثر بعسكرها والاموال ووافقه الى فسار الى نصيبين فى عشرة آلاف فارس مستهل رمضان وكان قد جعل فيها اميرين من اصحابه فى عسكر فتحصنوا بالبلد وقاتلوا من وراء السور ورمى البى بن ارسلان تاش بنشابة فجرح جرحا شديدا فعاد الى سنجار واما جكرمش فانه بلغه الخبر بنزولهم على نصيبين وهو بالحامة التى بالقرب من طنزة يتداوى بمائها من مرضه فرحل الى الموصل وقد انتقل اليها اهل السواد فخيم على باب

اقامات اهل عسكره فكتب اليه ابو نصر الحاجب بأنى قد عرضت الكتاب على فخر الدوله وقررت المراد وكان من جواب فخر الدولة ان مثل الملوك مثل الانهار العظام تصطفق مياهها * وتزخر شعابها * فيرى الناس ملتقى عبابها ومصطفق أمواجها * ويغفلون عن عدد الجداول التى تغترف منها * والسواقى التى تتشعب عنها * ولو أنا قدرنا على مؤن خراسان لاستضفناها الى ما نليه من سرة الارض وواسطة الاقاليم لكنا قد سمحنا بما تيسر * والعذر ظاهر فيما تعذر * فاستوحش أبو على من جوابه * واستشار قائده ووجوه قواده فى تدبير الامر بصوابه * واتيانه من بابه * فاختلفت آراؤهم بحسب اجتهادهم فى المشوره * ورويتهم فى استشفاف العواقب المستوره * فأشار بعضهم بلزوم جرجان واستخلاصها واقامة الخطبة للرضى بها والكتاب اليه بالطاعة

البلد عازما على حرب رضوان واستعمل المخادعة فكاتب اعيان عسكر رضوان ورغبهم حتى
افسد نياتهم وتقدم الى اصحابه بنصيبين بخدمة الملك رضوان وباخراج الاقامة السمع
الاحتراز منه وارسل الى رضوان يبذل له خدمته والدخول فى طاعته ويقول له ان السلطان
محمدا قد حصرنى ولم يبلغ منى غرضا فترحل عن ملح وان قبضت على ايلغازى الذى قد عرفت
انت وغيرك فساده وشره فانا معك ومعينك بالرجال والاموال والسلاح فاتفق هذا ورضوان
قد تغيرت نيته مع ايلغازى فازداد تغيرا وعزم على قبضه فاستدعاه وقال له هذه بلاد عظيمة
وربما استولى الفرنج على حلب والمصلحة مصالحة جكرمش واستصحابه معنا فانه يسير بعساكر
كثيرة ظاهرة التجمل ونعود الى قتال الفرنج فان ذلك اعود باجتماع شمل المسلمين فقال له
ايلغازى انك جئت بحكمك وانت الآن بحكمى لا امكنك من المسير بدون اخذ هذه البلاد
فان اقمت والا بدات بقتالك وكان ايلغازى قد قويت نفسه بكثرة من اجتمع عنده من التركمان
وكان الملك رضوان قد واعد قوما من اصحابه ليقبضوا عليه فلما جرى ما ذكرناه امرهم رضوان
فقبضوا عليه وقيدوه فلما سمع التركمان الحال اظهروا الخلاف والامتناع ففارقوا رضوان
والتجؤا الى سور المدينة واصعدوا ايلغازى الى قلعتها وخرج من بنصيبين من العسكر فاعانوه
فلما رأى التركمان ذلك تفرقوا ونهبوا ما قدروا عليه من المواشى وغيرها ورحل رضوان من
وقته وسار الى حلب وكان جكرمش قد رحل من الموصل قاصدا حرب القوم فلما بلغ تل يعفر اتاه
المبشرون بانصراف رضوان على اختلاف وافتراق فرحل عند ذلك الى سنجار ووصلت اليه رسل
رضوان تستدعى منه النجدة وينبه عليه ما فعل بايلغازى فاجابه مغالطة ولم يف له بما وعد ونازل
سنجار ليشفى غيظه من صهره البى بن ارسلان تاش بما تقدم من معاداته ومظاهرة اعدائه وكان
البى على شدة من المرض بالسهم الذى اصابه على نصيبين فلما نازل جكرمش عليها انفذ البى الى اصحابه
ان يحملوه اليه فحملوه فى محفة فحضر عنده واخذ يعتذر مما كان منه وقال جئت مذنبا فافعل بى
ما تراه فرق له واعاده الى بلده فلما عاد قضى نحبه فلما مات عصى على جكرمش من كان بسنجار
وتمسكوا بالبلد فقاتله بقية رمضان وشوال ولم يظفر منهم بشئ فجاء تمرك اخو ارسلان تاش عم
البى فاصلح حاله مع جكرمش وبذل له الخدمة فعاد الى الموصل

*(ذكر ملك طغتكين بصرى)*

قد ذكرنا سنة سبع وتسعين حال بكتاش بن تتش وخروجه من دمشق واتصاله بالفرنج ومعه
آيتكين الحلبى صاحب بصرى وسيرهما الى الرحبة وعودهما عنها فلما ضعفت احوالهم سار
طغتكين الى بصرى فحصرها وبها اصحاب آيتكين فراسلوا طغتكين وبذلوا له التسليم اليه بعد
اجل قرروه بينهم فاجابهم الى ذلك فرحل عنهم الى دمشق فلما انقضى الاجل هذه السنة تسلمها
واحسن الى من بها ووفى لهم بما وعدهم وبالغ فى اكرامهم واكثر الثناء عليه والدعاء له ومالت
النفوس اليه واحبوه

*(ذكر ملك الفرنج حصن افامية)*

فى هذه السنة ملك الفرنج حصن افامية من بلاد الشام وسبب ذلك ان خلف بن ملاعب
الكلابى كان متغلبا على حمص وكان الشر به عظيما ورجاله يقطعون الطريق فكثر الحرامية

وضمان الاتاوة اذ كانت
تلك ولاية قد اعيت صيد
الملوك وصناديد القروم * على
خطبتهم لها بايهم العساكر *
وطلابهم اياها بسمر الرماح
وبيض البواتر * واذ التم
عليهم مصونات الرغائب *
وتغريرهم فيها بكريمات
النفوس والمراتب * وقد
حصلت له عفوا صفوا *
وانقضت عليه سهوا رهوا *
وبيع الدين بالضمار محال *
واقالة النادم التى ضلال *
* واشار فائق بمناهضة
الامير سيف الدولة
ومناهضته لاعتراض
الفرصة عليه بتفرق
الجموع عنه واخلال ابيه *
ولمخالفة هوا جربان طباع
عسكرهم ونكايته فيهم
مقدار ما يتنكر لهم النصل
ويحتدم عليهم الحر ووافق
هذا الرأى جمهور العساكر
لحرصهم على الوطن *
ونزاعهم الى الاهل والسكن *
فاتفقوا على هذا الرأى
وتطابقوا على الانكفاء *
واضطروا اباعلى الى
مساعدتهم * واتباع
ارادتهم * وعند ذلك ورد
الخبر بمضى الصاحب اسمعيل

عنده فاخذها منه تتش بن الب أرسلان وابعده عنها فتقلبت به الاحوال الى ان دخل الى مصر ولم يلتفت اليه من بها فاقام بها واتفق ان المتولى لافامية من جهة الملك رضوان ارسل الى صاحب مصر وكان يميل الى مذهبهم يستدعى منهم من يسلم اليه الحصن وهو من امنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انى ارغب فى قتال الفرنج وأوثر الجهاد فسلموه اليه واخذوا رهائنه فلما ملكه خلع طاعتهم ولم يرع حقهم فارسلوا اليه يتهددونه بما يفعلونه بولده الذى عندهم فاعاد الجواب انى لا ازل من مكانى وابعثوا الى ببعض اعضاء ولدى حتى آكله فايسوا من رجوعه الى الطاعة وأقام بافامية يخيف السبيل ويقطع الطريق واجتمع عنده كثير من المفسدين فكثرت أمواله ثم ان الفرنج ملكوا سرمين وهى من أعمال حلب وأهلها غلاة فى التشيع فلما ملكه الفرنج تفرق أهله فتوجه القاضى الذى به الى ابن ملاعب وأقام عنده فاكرمه وأحبه ووثق به فاعمل القاضى الحيلة عليه وكتب الى أبى طاهر المعروف بابن الصائغ وهو من أعيان أصحاب الملك رضوان ووجوه الباطنية ودعاتهم ووافقهم على الفتك بابن ملاعب وان يسلم افامية الى الملك رضوان فنقل شئ من هذا فاتى الى ابن ملاعب أولاده وكانوا قد تسللوا اليه من مصر وقالوا له قد بلغنا عن هذا القاضى كذا وكذا والرأى ان تعاجله وتحتاط لنفسك فان الامر قد اشتهر وظهر فاحضره ابن ملاعب فاتاه فى كمه مصحف لانه رأى أمارات الشر فقال له ابن ملاعب ما بلغه عنه فقال له ايها الامير قد علم كل أحد انى اتيتك خائفا جائعا فامنتنى واغنيتنى وعززتنى فصرت ذا مال وجاه فان كان بعض من حسدنى على منزلتى منك وما غمرنى من نعمتك سعى بى اليك فاسألك ان تأخذ جميع ما معى وأخرج كما جئت وحلف له على الوفاء والنصح فقبل عذره وأمنه وعاود القاضى مكاتبة أبى طاهر بن الصائغ وأشار عليه ان يوافق رضوان على انفاذ ثلثمائة رجل من أهل سرمين ويتقدم معهم خيلا من خيول الفرنج وسلاحا من أسلحتهم ورؤسا من رؤس الفرنج ويأتون الى ابن ملاعب ويظهرون انهم غزاة ويشكون من سوء معاملة الملك رضوان وأصحابه لهم وانهم فارقوه فلقيهم طائفة من الفرنج فظفروا بهم ويحملون جميع ما معهم اليه فاذا اذن لهم فى المقام اتفقت آراؤهم على اعمال الحيلة عليه ففعل ابن الصائغ ذلك ووصل القوم الى افامية وقدموا الى ابن ملاعب بما معهم من الخيل وغيرها فقبل ذلك منهم وامرهم بالمقام عنده وانزلهم فى ربض افامية فلما كان فى بعض الليالى نام الحراس بالقلعة فقام القاضى ومن بالحصن من اهل سرمين ودلوا الحبال واصعدوا اولئك القادمين جميعهم وقصدوا اولاد ابن ملاعب وبنى عمه واصحابه فقتلوهم واتى القاضى وجماعة معه الى ابن ملاعب وهو مع امرأته فاحس بهم فقال من انت فقال ملك الموت جئت اقبض روحك فناشده الله فلم يرجع عنه وجرحه وقتله وقتل اصحابه وهرب ابناه فقتل احدهما والتحق الآخر بابى الحسن بن منقذ صاحب شيزر فحفظه لعهد كان بينهما ولما سمع ابن الصائغ خبر افامية سار اليها وهو لا يشك انها له فقال له القاضى ان وافقتنى واقمت معى فبالرحب والسعة ونحن بحكمك والا فارجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه وكان احد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان على ابيه فولاه طغتكين حصنا وضمن على نفسه حفظ الطريق فلم يفعل وقطع الطريق واخذ القوافل فاستغاثوا الى طغتكين

ابن عباد لسبيله وكان معنيا بصالح أبى على وتحسين آثاره ❊ والاشارة على فخر الدولة باغتنام جواره ❊ ومعاونته على ثاره ❊ فكره الى أبى على نعيمه فضل المقام وأغراه بتعجيل الانتقال ❊ ولما استأثر الله بالصاحب اكثر شعراء العصر فى مراثيه فمنها قول أبى محمد الخازن

يا كافى الملك ما وفيت حقك من
مدح وان طال تمجيد وتأبين

فت الصفات فما يرثيك من أحد
الا وتزيينه اياك تهجين

مذ نواعى العلا قد قمن نادبة
من بعد ما ندبتك الخرد العين

تبكى عليك العطايا والصلات كما
تبكى عليك الرعايا والسلاطين

ماتت وحدك لا بل كل من ولدت
حواء طرا بل الدنيا بل الدين

لم يبق للجود ربع منذ بنت ولا
للسودد اسم ولا للمجد آيين

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم
واستيقظوا بعد ما نام الملاعين

لا يعجب الناس منهم ان هم

منه فارسل اليه من طلبه فهرب الى الفرنج واستدعاهم الى حصن افامية وقال ليس به غير
قوت شهر فاقاموا عليه يحاصرونه فجاع اهله وملكه الفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليه
واخذوا ابن الصائغ فقتلوه وكان هو الذي اظهر مذهب الباطنية بالشام هكذا ذكر بعضهم ان
ابا طاهر ابن الصائغ قتله الفرنج بافامية وقد قيل ان ابن بديع رئيس حلب قتله سنة سبع وخمسمائة
بعد وفاة رضوان وقد ذكرناه هناك والله اعلم

●(ذكر نهب العرب البصرة)●

قد ذكرنا استيلاء الامير صدقة على البصرة وانه استناب بها مملوكا كان لجده دبيس بن مزيد اسمه
التونتاش وجعل معه مائة وعشرين فارسا فاجتمعت ربيعة والمنتفق ومن انضم اليهم من
العرب وقصدوا البصرة في جمع كثير فقاتلهم التونتاش فاسروه وانهزم اصحابه ولم يقدر من بها
على حفظها فدخلوها بالسيف واحرقوا القصبة واحرقوا الاسواق والدور والبساتين ونهبوا
ما قدروا عليه واقاموا ينهبون ويحرقون اثنين وثلاثين يوما وتشرد اهلها في السواد ونهبت
خزانة كتب كانت وقفها القاضي ابو الفرج بن ابي البقاء وبلغ الخبر صدقة فارسل
عسكرا فوصلوا وقد فارقها العرب ثم ان السلطان محمدا ارسل شحنة وعميدا الى البصرة واخذها
من صدقة وعاد اهلها اليها وشرعوا في عمارتها

●(ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج)●

كان صنجيل الفرنجي لعنه الله قد ملك مدينة جبلة واقام على طرابلس يحصرها فحين لم يقدر
ان يملكها بنى بالقرب منها حصنا وبنى تحته ربضا واقام مراصدا لها ومنتظرا وجود فرصة
فيها فخرج فخر الملك ابو علي بن عمار صاحب طرابلس فاحرق ربضه ووقف صنجيل على بعض
سقوفه المحترقة ومعه جماعة من القمامصة والفرسان فانخسف بهم فمرض صنجيل من ذلك
عشرة ايام ومات وحمل الى القدس فدفن فيه ثم ان ملك الروم امر اصحابه باللاذقية ان يحملوا الميرة
الى هؤلاء الفرنج الذين على طرابلس فحملوها في البحر فاخرج اليها فخر الملك بن عمار اسطولا
فجرى بينهم وبين الروم قتال شديد فظفر المسلمون بقطعة من الروم فاخذوها واسروا من كان بها
وعادوا ولم تزل الحرب بين اهل طرابلس والفرنج خمس سنين الى هذا الوقت فقلت الاقوات
به وخاف اهله على نفوسهم واولادهم وحرمهم فجلا الفقراء وافتقر الاغنياء وظهر من ابن عمار
صبر عظيم وشجاعة ورأي سديد ومما اضر بالمسلمين فيها ان صاحبها استنجد سقمان بن ارتق
فجمع العساكر وسار اليه فمات في الطريق على ما ذكرناه واذا اراد الله امرا هيأ اسبابه
واجرى ابن عمار الجرايات على الجند والضعفاء فلما قلت الاموال عنده شرع يقسط على الناس
ما يخرجه في باب الجهاد فاخذ من رجلين من الاغنياء مالا مع غيرهما فخرج الرجلان الى الفرنج
وقالا ان صاحبنا صادرنا فخرجنا اليكم لنكون معكم وذكرا له انه تاتيه الميرة من عرقة والجبل
فجعل الفرنج جمعا على ذلك الجانب يحفظه من دخول شئ الى البلد فارسل ابن عمار وبذل
للفرنج مالا كثيرا ليسلموا الرجلين اليه فلم يفعلوا فوضع عليهما من قتلهما غيلة وكانت طرابلس
من اعظم بلاد الاسلام واكثرها تجملا وثروة فباع اهلها من الحلي والاواني الغريبة ما لا حد
عليه حتى بيع كل مائة درهم نقرة بدينار وشتان بين هذه الحالة وبين حال الروم ايام السلطان الب

انتشروا
مضى سليمان فاضل الشياطين

●(ومنها قول أبي سعيد الرستمي الاصفهاني)●

أبعد ابن عباد يهش الى العلا
أخو أمل أم يستماح جواد
أبى الله الا ان يموتا بموته
فما لهما حتى المعاد معاد

●(ومنها قول أبي عيسى المنجم)●

والله والله لا أفلحتم أبدا
بعد الوزير ابن عباد بن عباس
ان كان منكم وزير فاقطعوا وزري
أو كان منكم رئيس فاقطعوا راسي

●(ومنها قول ابي العباس الضبي وقد اجتاز ببابه بعد موته)●

أيها الباب لم علاك اكتئاب
أين ذاك الحجاب والحجاب
قل بلا رهبة وغير احتشام
مات مولاي فاعترائي اكتئاب
مات من كان يفزع الدهر منه
فهو الآن في التراب تراب

●(ومنها قول أبي الفتح البستي الكاتب)●

مضى صاحب الدنيا فلم يبق بعده

ارسلان وقد ذكرت ظفره بهم سنة ثلاث وستين واربعمائة وقد كان بعض اصحابه وهو كمشتكين دواتى عميد الملك هرب منه خوفا لما قبض على صاحبه عميد الملك وسار الى الرقة فملكها وصار معه كثير من التركمان فيهم الافشين واحدثا فسادا وقتلا وارسلا امرها الى الب ارسلان ودخل الافشين بلاد الروم وقاتل الفردوس صاحب انطاكية فهزمه وقتل من الروم خلقا كثيرا وسار ملك الروم من القسطنطينية الى مطلية فدخل الافشين بلاده ووصل الى عمورية وقتل في غزاته مائة ألف آدمي ولما عاد الى بلاد الاسلام وتفرق من معه خرج عليه عسكر الرها وهي حينئذ للروم ومعهم بنو نمير من العرب فقاتلهم ومعه مائتا فارس فهزمهم وغنم ونهب بلاد الروم فارسل ملك الروم رسولا الى القائم بامر الله يسأله الصلح فارسل الى الب ارسلان في ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار وأربعة آلاف ثوب أصنافا وثلثمائة رأس بغال افشتمات بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذين استجزهم وبين حال الناس في زماننا هذا وهو سنة ست عشرة وستمائة مع الفرنج أيضا والتتر وستري ذلك مشروحا ان شاء الله تعالى لتعلم الفرق نسأل الله تعالى ان ييسر للاسلام وأهله قائما يقوم بنصرهم وان يدفع عنهم بمن أحب من خلقه وما ذلك على الله بعزيز

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة ورد الى بغداد انسان من الملثمين ملوك الغرب قاصدا الى دار الخلافة فأكرم وكان معه انسان يقال له الفقيه من الملثمين أيضا فوعظ الفقيه في جامع القصر واجتمع له العالم العظيم وكان يعظ وهو متلثم لا يظهر منه غير عينيه وكان هذا الملثم قد حضر مع ابن الافضل امير الجيوش بمصر وقعته مع الفرنج وأبلى بلاء حسنا وكان سبب مجيئه الى بغداد ان المغاربة كانوا يعتقدون في العلويين أصحاب مصر الاعتقاد القبيح فكانوا اذا أرادوا الحج يعدلون عن مصر وكان أمير الجيوش بدر والد الافضل اراد اصلاحهم فلم يميلوا اليه ولا قاربوه فامر بقتل من ظفر به منهم فلما ولي ابنه الافضل أحسن اليهم واستعان بمن قاربه منهم على حرب الفرنج وكان هذا من جملة من قاتل معه فلما خالط المصريين خاف العود الى بلاده فقدم بغداد ثم عاد الى دمشق ولم يكن للمصريين حرب مع الفرنج الا وشهدها فقتل في بعضها شهيدا وكان شجاعا فتاكا مقداما وفيها في ربيع الآخر ظهر كوكب في السماء له ذؤابة كقوس قزح آخذة من المغرب الى وسط السماء وكان يرى قريبا من الشمس قبل ظهوره ليلا وبقي يظهر عدة ليال ثم غاب وفيها وصل الملك قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش صاحب بلاد الروم الى الرها ليحصرها وبها الفرنج فراسله أصحاب جكرمش المقيمون بحران ليسلموها اليه فسار اليهم وتسلم البلد وفرح به الناس لاجل جهاد الفرنج فاقام بحران اياما ومرض مرضا شديدا أوجب عوده الى ملطية فعاد مريضا وبقي اصحابه بحران وفي هذه السنة توفي الشيخ ابو منصور الخياط المقري امام مسجد ابن جردة وكان خيرا صالحا وفيها قتل القاضي ابو العلاء صاعد بن ابي محمد النيسابوري الحنفي بجامع اصبهان قتله باطني وفيها توفي ابو الفوارس الحسن بن علي بن الحسين بن الخازن صاحب الخط الجيد وعمره سبعون سنة قيل انه كتب خمسمائة ختمة وفيها في المحرم توفي القاضي ابو الفرج عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة وله ثلاث وثمانون سنة وكان من الفقهاء الشافعية

---

كريم يروى الارض فيض غمامه
فقدناه لما تم واعتم بالعلا
كذاك خسوف البدر عند تمامه

*(ومنها قول ابي منصور الثعالبي رحمه الله)*

الايا غرة العليا
الايا نكتة الدنيا
وشمس الارض فرد الدهـ
ـر عين السودد الهني
اما استحيا أبو يحيى
اقبض المهجة الكبرى
لئن ختمت بك الدنيا
فقد فتحت بك الاخرى

ووصل ابو علي من جرجان على ممت جوين غرة شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وثلثمائة وتقدمه فائق على طريق اسفراين حتى اذا قارب حدود نيسابور عدل اليه واختلط به وسارا مستعدين للحرب * الجدين في الطعن والضرب * وبلغ سيف الدولة خبرهما فكتب الى الامير سبكتكين باقبالهما وبرز الى ظاهر البلد * في

المشهورين تفقه على الماوردي وابي اسحق واخذ النحو عن الرقي والدهان وابن برهان وكان
عظيما مقدما عند الخلفاء والسلاطين وفيها في المحرم توفي سهل بن احمد بن علي الارغياني ابو
الفتح الحاكم تفقه على الجويني وبرز ثم ترك المناظرة وبنى رباطا واشتغل بالعبادة وقراءة
القرآن وفيها في صفر توفي الامير مهارش بن مجلي وله نحو ثمانين سنة وهو الذي كان الخليفة القائم
عنده بالحديثة وكان كثير الصلاة والصوم يحب الخير واهله ولما توفي ملك الحديثة بعده ابنه
سليمان

(ثم دخلت سنة خمسمائة)

● (ذكر وفاة يوسف بن تاشفين وملك ابنه علي) ●

في هذه السنة توفي امير المسلمين يوسف بن تاشفين ملك الغرب والاندلس وكان حسن السيرة خيرا
عادلا يميل الى اهل الدين والعلم ويكرمهم ويصدر عن رأيهم ولما ملك الاندلس على ما ذكرناه
جمع الفقهاء واحسن اليهم فقالوا له ينبغي ان تكون ولايتك من الخليفة لتجب طاعتك على
الكافة فارسل الى الخليفة المستظهر بالله امير المؤمنين رسولا ومعه هدية كثيرة وكتب معه كتابا
يذكر ما فتح الله من بلاد الفرنج وما اعتمده من نصرة الاسلام ويطلب تقليدا بولاية البلاد
فكتب له تقليد من ديوان الخلافة بما اراد ولقب امير المسلمين وسيرت اليه الخلع فسر بذلك
سرورا كثيرا وهو الذي بنى مدينة مراكش للمرابطين وبقي على ملكه الى خمسمائة فتوفي
وملك بعده البلاد ولده علي بن يوسف وتلقب ايضا امير المسلمين فازداد في اكرام العلماء والوقوف
عند اشارتهم وكان اذا وعظه احدهم خشع عند استماع الموعظة ولان قلبه لها وظهر ذلك عليه
وكان يوسف بن تاشفين حليما كريما دينا خيرا يحب اهل العلم والدين ويحكمهم في بلاده وكان
يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام فمن ذلك ان ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى احدهم الف دينار
يتجر بها وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين وتمنى الآخر زوجته النفزاوية وكانت من
احسن النساء ولها الحكم في بلاده فبلغه الخبر فاحضرهم واعطى متمني المال الف دينار
واستعمل الآخر وقال للذي تمنى زوجته يا جاهل ما حملك على هذا الذي لا تصل اليه ثم ارسله
اليها فتركته في خيمة ثلاثة ايام تحمل اليه كل يوم طعاما واحدا ثم احضرته وقالت له ما اكلت
هذه الايام قال طعاما واحدا فقالت كل النساء شيء واحد وامرت له بمال وكسوة واطلقته

● (ذكر قتل فخر الملك بن نظام الملك) ●

في هذه السنة قتل فخر الملك ابو المظفر علي بن نظام الملك يوم عاشوراء وكان اكبر اولاده وقد
ذكرنا سنة ثمان وثمانين واربعمائة وزارته للسلطان بركيارق فلما فارق وزارته قصد نيسابور
واقام عند الملك سنجر بن ملكشاه ووزر له واصبح يوم عاشوراء صائما وقال لاصحابه رأيت
الليلة في المنام الحسين بن علي عليه السلام وهو يقول عجل الينا وليكن افطارك عندنا وقد
اشتغل فكري به ولا محيد عن قضاء الله وقدره وقالوا له يحميك الله والصواب ان لا تخرج اليوم
والليلة من دارك فاقام يومه يصلي ويقرأ القرآن وتصدق بشيء كثير فلما كان وقت العصر خرج
من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون
فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف فاحضره عنده رحمة له فقال ما حالك فدفع

اليه

سف من المدد ● وشيء به
على انتظار المدد فاعوزه
عن المراد ● وناوشه الحرب
قبل وصول الامداد ●
فاضرم عليه نارها ● وباشر
بنفسه وخاصته اوارها ●
من حيث ترجل رأد الضحى
الى ان التقت ذكاء بيمينها في
كافر فتصفرت ارض الوغى
بدماء القتلى واصبحت
مناسم الفيول وبالا كانوا
اركان الصفوف ● عند اشتجار
الزحوف ● واختلاط
الاسنة والسيوف ● وهم
اصحاب ابي علي بالانخذال ●
جبنا عن النزال ● ثم تداعوا
مناص ● طلبا للخلاص ●
فكانت حملة وافقها القدر
وعن ان نصار سيف الدولة
بمعظم جيشه الى مناخ ابيه
الامير سبكتكين في امان
من لباس الظلام ارصادا
للخصوم يوم الكر وعلى
اخذ الثار ● واسلامهم
لقدار الاقدار ● وتخلف
عند ذلك عنه ما اعياه
اصحابه من اثقال وثقله
اثقال ● وعجز عن خدمة

اليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها اذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات فحمل الباطني الى سنجر فقرره فاقر على جماعة من أصحاب السلطان كذبا وقال انهم وضعوني على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوبا عليهم ثم قتل الباطني بعدهم وكان عمر فخر الملك ستا وستين سنة

*(ذكر ملك صدقة بن مزيد تكريت)*

في هذه السنة في صفر تسلم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن مزيد قلعة تكريت وقد ذكرنا فيما تقدم انها كانت لبني مقن العقيليين وكانت الى آخر سنة سبع وعشرين واربعمائة بيد رافع بن الحسين بن مقن فمات ووليها ابن اخيه ابو منعة خميس بن تغلب بن حماد ووجد بها خمسمائة الف دينار سوى المصاغ وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ووليها ولده أبو غشام فلما كانت سنة اربع وأربعين وثب عليه عيسى اخوه وملك القلعة والاموال فلما اجتاز به طغرلبك سنة ثمان وأربعين صالحه على بعض المال فرحل عنه وخافت زوجته أميرة بعد موته أن يعود أبو غشام يملك القلعة فقتلته وكان قد بقي في الحبس أربع سنين واستنابت في القلعة ابا الغنائم بن المحلبان فسلمها الى أصحاب السلطان طغرلبك فسارت الى الموصل فقتلها ابن أبي غشام بابيه وأخذ شرف الدولة مسلم بن قريش مالها ورد طغرلبك أمر القلعة الى انسان يعرف بابي العباس الرازي فمات بها بعد ستة أشهر فملكها المهرباط وهو ابو جعفر محمد بن أحمد بن خشنام من بلد الثغر فاقام بها احدى وعشرين سنة ومات ووليها ابنه سنتين وأخذتها منه تركان خاتون ووليها لها كوهرآيين ثم ملكها بعد وفاة ملكشاه قسيم الدولة آقسنقر صاحب حلب فلما قتل صارت للامير كمشتكين الجاندار فجعل فيها رجلا يعرف بابي المصارع ثم عادت الى كوهرآيين اقطاعا ثم أخذها منه مجد الملك البلاساني فولى فيها كيقباذ بن هزارسب الديلمي فاقام بها اثنتي عشرة سنة فظلم أهلها واساء السيرة فلما اجتاز به سقمان بن ارتق سنة ست وتسعين ونهبها كان كيقباذ ينهبها ليلا وسقمان ينهبها نهارا فلما استقر السلطان محمد بعد موت أخيه بركيارق اقطعها للامير آقسنقر البرسقي شحنة بغداد فسار اليها وحصرها مدة تزيد على سبعة أشهر حتى ضاق على كيقباذ الامر فراسل صدقة بن مزيد ليسلمها اليه فسار اليها في صفر هذه السنة وتسلمها منه وانحدر البرسقي ولم يملكها ومات كيقباذ بعد نزوله من القلعة بثمانية أيام وكان عمره ستين سنة واستناب صدقة بها ورام بن أبي فراس بن ورام وكان كيقباذ ينسب الى الباطنية وكان موته من سعادة صدقة فانه لو أقام عنده لعرض صدقة لظنون الناس في اعتقاده ومذهبه

*(ذكر الحرب بين عبادة وخفاجة)*

في هذه السنة في ربيع الاول كانت حرب بين عبادة وخفاجة ظفرت عبادة واخذت بثارها من خفاجة وكان سبب ذلك ان سيف الدولة صدقة ارسل ولده بدران في جيش الى طرف بلاده مما يلي البطيحة ليحميها من خفاجة لانهم يؤذون اهل تلك النواحي فقربوا منه وتهددوا اهل البلاد فكتب الى ابيه يشكو منهم ويعرفه حالهم فاحضر عبادة وكانت خفاجة قد فعلت بهم العام الماضي ما ذكرناه فلما حضروا عنده قال لهم ليتجهزوا مع عسكره ليأخذوا بثارهم

صحبته طائفة من الرجال الهنود * وسائر افناء الجنود * فذكت عند ذلك شعلة لابي على اطمعته في استقلاله * وعوده الى المعهود من حاله * لكن الله قضاها سببا لاستئصاله * واستئصاله * واشير عليه عند المامه بنيسابور ان يتبع اثر الاميرين مجلا لهما عن عدة الارتياش * والانتعاش * وقوة الاستنجاد والاستعداد * فارتز بها فعل من كان بصيرته * واخلت مريرته * وعمي عليه قصده * ونبي اليه جده * واخذ يعلل بصفور يده وخلو خزانته واشفاقه من خذلان عسكره اياه ان دعاهم الى البراح * وسامهم خطة الكفاح واخذ يكتب الى بخارا معتذرا عن جنايته * ومتنصلا من بادرته * ومستقيلا عارض عثرته * ومستميحا قبول عذرته * وارسل الى الامير سبكتكين رسالة الواهي جلده * المتناهي كده * المتخاذل لسانه ويده *

من خفاجة فساروا فى مقدم عسكره فادركوا حلة من خفاجة من بنى كليب لبلادهم تارون
لم يشعروا به فقالوا من انتم فقالت عبادة نحن أصحاب دبيس فعلموا أنهم عبادة فقاتلوهم وصبرت
خفاجة فبينما هم فى القتال اذ سمع طبل الجيش فانهزموا وقتلت منهم عبادة جماعة وكان قتلهم
عشرة من وجوههم وتركت عساكرهم اموالهم فامر صدقة بحراستها وحمايتها وامر العسكر ان
يؤثروا عبادة بما اخذوه من اموال خفاجة مقابلة لهم بما اخذ منهم فى العام الماضى واصاب
خفاجة من مفارقة بلادها ونهب اموالها وقتل رجالها امر عظيم وانتزحت الى نواحى البصرة
واقامت عبادة فى بلاد خفاجة ولما انهزمت خفاجة وتفرقت ونهبت اموالها جاءت امرأة منهم
الى الامير صدقة فقالت له انك سبيتنا وسلبتنا قوتنا وغربتنا واضعت حرمتنا فابقاك الله فى نفسك
وجعل صورة اهلك كصورتنا فكظم الغيظ واحتمل لها ذلك واعطاها اربعين جملا ولم يمض غير
قليل حتى قابل الصدقة فى نفسه واولاده فان دعاء الملهوف عند الله بمكان

## (ذكر مسير جاولى سقاوو الى الموصل واسر صاحبها جكرمش)

فى هذه السنة فى المحرم اقطع السلطان محمد جاولى سقاوو الموصل والاعمال التى بيد جكرمش
وكان جاولى قبل هذا قد استولى على البلاد التى بين خوزستان وفارس واقام بها سنتين وعمر
قلاعها وحصنها واساء السيرة فى اهلها وقطع ايديهم وجدع انوفهم وسمل اعينهم فلما تمكن
السلطان محمد من السلطنة خافه جاولى وارسل السلطان اليه الامير مودود بن التونتكين
فقصده فتحصن منه جاولى وحصره مودود ثمانية اشهر فارسل جاولى الى السلطان انى لا انزل الى
مودود فان ارسلت غيره نزلت فارسل اليه خاتمه مع امير آخر فنزل جاولى وحضر الخدمة باصبهان
فرأى من السلطان ما يحب وامره السلطان بالمسير الى الفرنج ليأخذ البلاد منهم واقطعه
الموصل وديار بكر والجزيرة كلها وكان جكرمش لما عاد من عند السلطان الى بلاده كما ذكرناه
وعد من نفسه الخدمة وحمل المال فلما استقر ببلاده لم يف بما قال وتثاقل فى الخدمة وحمل
المال فاقطع بلاده لجاولى فجاء الى بغداد واقام بها الى اول ربيع الاول وسار الى الموصل
وجعل طريقه على البوازيج فملكها ونهبها اربعة ايام بعد ان امن اهلها وحلف لهم انه يحميهم
فلما ملكها سار الى اربل واما جكرمش فانه لما بلغه مسيره الى بلاده كتب فى جمع العساكر فاتاه
كتاب ابى الهيجاء بن موسك الكردى الهذبانى صاحب اربل يذكر استيلاء جاولى على البوازيج
ويقول له ان لم تعجل المجئ الى امتنع عليه وغنمه والا اضطررت الى موافقته والمسير معه فبادر
جكرمش وعبر الى شرقى دجلة وسار فى عسكر الموصل قبل اجتماع عساكره وارسل اليه ابو
الهيجاء عسكره مع اولاده فاجتمعوا وتقربوا باكليا من اعمال اربل والقاهم جاولى وهو فى الف
فارس وكان جكرمش فى الفى فارس ولا يشك انه باختيار جاولى اليه فلما اصطف الحرب حمل جاولى
من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه وبقى جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج
كان به فهو لا يقدر يركب وانما يحمل فى محفة فلما انهزم اصحابه قاتل عنه ركابى اسود قتالا
عظيما فقتل وقاتل معه واحد من اولاد الملوك قاورت بك بن داود واسمه احمد فقاتل بين يديه
فطعن فجرح وانهزم فمات بالموصل ولم يقدر اصحاب جاولى على الوصول الى جكرمش حتى قتل
الركابى الاسود فحينئذ اخذوه اسيرا واحضروه عند جاولى فامر بحفظه وحراسته وكانت

يعمل بالكشمة التى اشتهرت
بالامير سيف الدولة على
فائق وسائر اهل عسكره
لاكراههم اياه على مفارقة
جرجان ومفاوضة خراسان
وانه لو وجد الى مراده
سبيلا او فى ذرى اختياره
وهواه مقيلا لما التفت
لفت خراسان ماعاش تفاديا
عن وخشته وتحرزا عن
كراهته ويسأله ان يهب
له ثاره ويستوهب له خطاه
وعثاره فلم تزد رسالته
على التطميع فى اقباله
والتنبيه على انخذاله
والتغرية على اقتناصه
والايمان من فوته وخلاصه
وبث الامير سبكتكين كتبه
الى من تفرق عنه فى دار
مملكته واطراف ولايته
من قواده واجناده فى
استنهاضهم الى مخيمه
واستعجالهم الى مضربه
وانهض الوزير ابا النصر بن
ابى زيد الى والى سجستان
خلف بن احمد يحثه اللحاق
به وكتب الى والى الجوزجان
ابى الحرث الفريغونى

عساكر جكرمش التي استدعاها قد وصلت الى الموصل بعد مسيره بيومين فسار واجرائد ليدركوا الحرب فلقيهم المنهزمون ليقضي الله امرا كان مفعولا

*(ذكر حصر جاولي سقاوو الموصل وموت جكرمش)*

لما انهزم العسكر واسر جكرمش وصل الخبر الى الموصل فاقعدوا في الامر زنكي بن جكرمش وهو صبي عمره احدى عشرة سنة وخطبوا له واحضروا اعيان البلد والتمسوا منهم المساعدة فاجابوا الى ذلك وكان مستحفظ القلعة مملوكا لجكرمش اسمه غزغلي فقام في ذلك المقام المرضي وفرق الاموال التي جمعها جكرمش والخيول وغير ذلك على الجند وكاتب سيف الدولة صدقة وقلج ارسلان والبرسق شحنة بغداد بالمبادرة اليهم ومنع جاولي عنهم ووعدوا كلا منهم ان يسلموا البلد اليه فاما صدقة فلم يجبهم الى ذلك ورأى طاعة السلطان واما البرسق وقلج ارسلان فنذكر حالهما ثم ان جاولي حصر الموصل ومعه كرماوي بن خراسان التركماني وغيره من الامراء وكثر جمعه وامر ان يحمل جكرمش كل يوم على بغل و ينادي اصحابه بالموصل ليسلموا البلد ويخلصوا صاحبهم مما هو فيه ويامرهم هو بذلك فلا يسمعون منه وكان يسجنه في جب و يوكل به من يحفظه لئلا يسرق فاخرج في بعض الايام ميتا وعمره نحو ستين سنة وكان شأنه قد علا ومنزلته قد عظمت وكان قد شيد سور الموصل وقواه وبنى عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها غاية ما يقدر عليه وكان مع جكرمش رجل من اعيان الموصل يقال له ابو طالب بن كسيرات وبنو كسيرات الى الآن بالموصل من اعيان اهلها وكان ابو طالب قد تقدم عند جكرمش وارتفعت منزلته واستولى على اموره وحضر معه الحرب فلما اسر جكرمش هرب ابو طالب الى اربل وكان اولاد ابي الهيجاء صاحب اربل قد حضر والحرب مع جكرمش واسرهم جاولي فارسل الى ابي الهيجاء يطلب ابن كسيرات فاطلقه وسيره اليه فاطلق جاولي ابن ابي الهيجاء فلما حضر ابن كسيرات عند جاولي ضمن له فتح الموصل و بلاد جكرمش وتحصيل الاموال فاعتقله اعتقالا جميلا وكان قاضي الموصل ابو القاسم بن ودعان عدوا لابي طالب فارسل الى جاولي يقول له ان قتلت ابا طالب سلمت الموصل اليك فقتله وارسل راسه اليه فاظهر الشماتة به واخذ كثيرا من امواله وودائعه فثار به الاتراك غضبا لابي طالب ولتفرده بما اخذ من امواله فقتلوه وكان بينهما شهر واحد وقد رأينا كثيرا وسمعنا ما لا نحصيه من قرب وفاة احد المتعادين بعد صاحبه

*(ذكر الحرب بين ملك القسطنطينية والفرنج)*

في هذه السنة كانت وحشة مستحكمة بين ملك الروم صاحب القسطنطينية وبين بيمند الفرنجي فسار بيمند الى بلاد ملك الروم ونهبها وعزم على قصده فارسل ملك الروم الى الملك قلج ارسلان بن سليمان صاحب قونية واقصرا وغيرهما من تلك البلاد يستنجده فامده بجمع من عسكره فقوي بهم وتوجه الى بيمند فالتقوا وتصافوا واقتتلوا وصبر الفرنج بشجاعتهم وصبر الروم ومن معهم لكثرتهم ودامت الحرب ثم اجلت الوقعة عن هزيمة الفرنج واتى القتل على اكثرهم واسر كثير منهم والذين سلموا عادوا الى بلادهم بالشام وعاد عسكر قلج ارسلان الى بلادهم عازمين على المسير الى صاحبهم بديار الجزيرة فاتاهم خبر قتله على ما نذكره ان شاء الله تعالى فتركوا الحركة واقاموا

عنه فطالع حضرة الرضى باستعداده وانتظار ما يرد عليه من مثاله وكتب الى القواد بنواحي خراسان بالبدار اليه وتتابعت الامداد من كل جانب عليه فصار الامير سبكتكين في جيوش لو راموا الجوا لاستنزلوا طائرته او وردوا البحر لابدوا قرارته وسار للانتقام مسير الليل غابت كواكبه والسيل ضاقت به مذاهبه وقد كان فائق عدل الى طوس يكاتب الامير سبكتكين مداهنا ويطمعه في الانحياز اليه مهادنا فلقي وجهه بمثاله وكال عليه مثل مكياله وتكفل امير ك الطوسي احد الامراء التاروذية لابي علي بين الطاعة والمناعة والموافقة والمنافقة يقدم رجلا للورود ويؤخر اخرى للقعود فارسل ابو علي ابا القاسم الفقيه اليهما لاستماله وتحذيرهما اقدام الضلالة فنهض اليهما واخذ له الميثاق عليهما

## •(ذكر ملك قلج ارسلان الموصل)•

قد ذكرنا ان اصحاب جكرمش كتبوا الى الامير صدقة وقسيم الدولة البرسق والملك قلج ارسلان ابن سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب بلاد الروم يستدعون كل منهم اليهم ليسلموا البلد اليه فاما صدقة فامتنع ورأى طاعة السلطان واما قلج ارسلان فانه سار في عسكره فلما سمع جاولي سقاوو بوصوله الى نصيبين رحل عن الموصل واما البرسق فانه كان شحنة بغداد فسار منها الى الموصل فوصلها بعد رحيل جاولي عنها فنزل بالجانب الشرقي ولم يلتفت احد اليه ولا راسلوه الا مرة واحدة فعاد في باقي يومه ثم ان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين اتاه اصحاب جكرمش فلما سمع جاولي بقربه رحل من الموصل الى سنجار وودع رحله بها واتصل به الامير ايلغازي بن ارتق وجماعة من عسكر جكرمش فصار معه اربعة آلاف فارس فاتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه الى الشام ويقول له ان الفرنج قد عجز من بالشام عن منعهم فسار الى الرحبة وارسل اهل الموصل وعسكر جكرمش الى قلج ارسلان وهو بنصيبين استحلفوه لهم فحلف واستحلفهم على الطاعة له والمناصحة وسار معهم الى الموصل فملكها في الخامس والعشرين من رجب ونزل بالمروج وخرج اليه ولد جكرمش واصحابه فخلع عليهم وجلس على التخت واسقط السلطان محمدا وخطب لنفسه بعد الخليفة واحسن الى العسكر واخذ القلعة من غزغلي مملوك جكرمش وجعل له فيها دزدارا ورفع الرسوم المحدثة في الظلم وعدل في الناس واستمالهم وقال من سعى الي باحد قتلته فلم يسع احد باحد واقر القاضي ابا محمد عبد الله بن القاسم بن الشهرزوري على القضاء بالموصل وجعل الرياسة لابي البركات محمد بن محمد بن خميس وهو والد شيخنا ابي الربيع سليمان وكان في جملة قلج ارسلان الامير ابراهيم بن ينال التركماني صاحب آمد ومحمد بن جبق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرتبرت فاما ابراهيم بن ينال فكان سبب ملكه مدينة آمد ان تاج الدولة تتش حين ملك ديار بكر سلمها اليه فبقيت بيده واما محمد بن جبق فكان سبب ملكه لحصن زياد ان هذا الحصن كان بيد الفلادروس الرومي ترجمان ملك الروم وكانت الرها وانطاكية من اعماله فلما ملك سليمان بن قتلمش والد هذا قلج ارسلان انطاكية وملك فخر الدولة ابن جهير ديار بكر ضعف الفلادروس عن اقامة ما يحتاج اليه حصن زياد من الميرة والاقامة فاخذه جبق واسلم الفلادروس على يد السلطان ملكشاه واقام على الرها فلم يزل عليها حتى مات واخذها الامير بزان بعده وكان بالقرب من حصن زياد حصن آخر بيد انسان من الروم اسمه افرنجي وكان يقطع الطريق و يكثر قتل المسلمين فارسل اليه جبق هدية وطلب اليه مودته وان يعين كل واحد منهما صاحبه فاجابه الى ذلك فكان جبق يعين افرنجي على قطع الطريق وغيره وكذلك افرنجي يعين جبق فلما وثق كل واحد بصاحبه ارسل اليه جبق اني اريد قصد بعض الاماكن وطلب ان يرسل اليه اصحابه فارسلهم اليه فلما سار واجتمعه في الطريق تقدم بكتفهم وحملهم الى قلعة افرنجي وقال لاهلها والله لئن لم تسلموا الى افرنجي لاضربن اعناقهم ولآخذن الحصن عنوة ولا قتلنكم على دم واحد ففتحوا له الحصن وسلموا اليه افرنجي فقتله واخذ امواله وسلاحه وكان عظيما ومات جبق فولي بعده ابنه محمد

## •(ذكر قتل قلج ارسلان وملك جاولي الموصل)•

وكتب اليه يستحثه العاق بهما فسار ابو علي وتلقاه فائق وامبرك بناحية الطابران فاتفقت كلمتهم على التظاهر والتضافر وخلصت نياتهم في التساعد والترافد• واختاروا معسكرا بقرب اندرخ فخيموا به وقد كان ابو القاسم اخو ابي علي قد عتب عليه لعدوله بولاية هراة وغرات اعمالها عنه الى ايلنكو غلامه وتقصيره به فيما كان يخطبه ويقترحه عليه من امثالها على وفائه في ولائه اياه• والتزامه حكم المشاركة في كل ماتابه وعراه •فتقاعس ابو القاسم عنه عند نهضته من نيسابور اعتلالا عليه بقية من اشغاله• حتى اذا تنفست مدة ارتحاله• آيسه من وصله ووصاله• واحوج ما كان الى عونه ونضاله• فزاد ذلك في اضغانه وكرماله• وحث الامير سبكتكين تلك الخيول في قصد ابي علي حتى اناخ

فقدذ كرناان قلج ارسلان لما وصل الى نصيبين سار جاولى عن الموصل الى سنجار ثم الى الرحبة فوصلها فى رجب وحصرها الى الرابع والعشرين من شهر رمضان وكان صاحبها حينئذ يعرف بمحمد بن السباق وهو من بنى شيبان رتبه بها الملك دقاق لما فتحها واخذ ولده رهينة وجعله معه الى دمشق فلما توفى ارسل هذا الشيبانى قوما سرقوا ولده وحملوه اليه فلما وصل اليه خلع الطاعة للدمشقيين وخطب فى بعض الاوقات لقلج ارسلان فلما وصل اليها جاولى وحصرها ارسل الى الملك رضوان يعرفه انه على الاجتماع به ومساعدته على من يحاربه ويشرط عليه انه اذا تسلم البلاد سار معه ليكشف الفرنج عن بلاده فلما استقرت القاعدة بينهما حضر عنده رضوان فاشتد الحصار على اهل البلد وضاقت عليهم الامور واتفق جماعة كانوا باحد الابراج وارسلوا الى جاولى واستحلفوه على حفظهم وحراستهم وامروه ان يقصد البرج الذى هم فيه عند انتصاف الليل ففعل ذلك فرفع من فى البرج اصحابه اليهم فى الحبال فصعد وابو قاتهم وطبولهم فخذل من فى البلد ودخله اصحاب جاولى فى اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان ونهبوه الى الظهر ثم امر برفع النهب ونزل اليه محمد الشيبانى صاحب البلد واطاعه وصار معه ثم ان قلج ارسلان لما فرغ من امر الموصل سار عنها الى جاولى ليقاتله ويحاربه وجعل ابنه ملكشاه فى دار الامارة وعمره احدى عشرة سنة ومعه امير يدبره وجماعة من العسكر وكانت عدة عسكره اربعة آلاف فارس بالعدة الكاملة والخيل الجيدة وسمع العسكر بقوة جاولى فاختلفوا وكان اول من خالف عليه ابراهيم بن ينال صاحب آمد فانه فارق خيامه واثقاله وعاد من الخابور الى بلده وكذلك غيره وعمل قلج ارسلان على المطاولة لما بلغه من قوة جاولى وكثرة جموعه وارسل الى بلاده يطلب عساكره لانها كانت عند ملك الروم نجدة له على قتال الفرنج كما ذكرناه فلما وصل الى الخابور بلغت عدته خمسة آلاف وكان مع جاولى اربعة آلاف من جيدهم الملك رضوان وجماعة من عسكره الا ان شجعانه اكثر واغتنم جاولى قلة عسكر قلج ارسلان فقاتله قبل وصول عساكره اليه فالتقوا فى العشرين من ذى القعدة فحمل قلج ارسلان على القوم بنفسه حتى خالطهم فضرب يد صاحب العلم فابانها ووصل الى جاولى بنفسه فضربه بالسيف فقطع الكزاغند ولم يصل الى بدنه وحمل اصحاب جاولى على اصحابه فهزموهم واستباحوا اثقالهم وسوادهم فلما رأى قلج ارسلان انهزام عسكره علم انه ان أسر فعل به فعل من لم يترك للصلح موضعا لاسيما وقد نازع السلطان فى بلاده واسم السلطنة فالقى نفسه فى الخابور وحمى نفسه من اصحاب جاولى بالنشاب فانحدر به الفرس الى ماء عميق فغرق وظهر بعد ايام فدفن بالشمسانية وهى من قرى الخابور وسار جاولى الى الموصل ولما وصل اليها فتح اهلها الباب ولم يتمكن من بها من اصحاب قلج ارسلان من منعهم ونزل بظاهر البلد واخذ كل واحد من اصحاب جكرمش الذى حضر الوقعة مع قلج ارسلان الى جهة فلما ملك جاولى الموصل اعاد خطبة السلطان محمد وصادر جماعة من بها من اصحاب جكرمش وسار الى جزيرة ابن عمر وبها حبشى بن جكرمش ومعه امير من غلمان ابيه اسمه غزغلى فحصره مدة ثم انهم صالحوه وحملوا اليه ستة آلاف دينار وغيرها من الدواب والثياب ورحل عنهم الى الموصل وارسل ملكشاه بن قلج ارسلان الى السلطان محمد

*(ذكر احوال الباطنية باصبهان وقتل ابن عطاش)*

يطوس مقابلا لعسكره فثار فتيان الخيول * وشبان الخزو الى التطارد والتجالد فبقوا على ذلك معامة يومهم * فلما قبض الليل مسافة أبصارهم * عادوا الى مضاربهم * وشاور أبو على وجوه قواده فى معاودة الحرب فأشار عليه أميرك الطوسى وذوو الحصافة منهم بتلجى شعب الجبل والاستظهار على الامير سبكتكين بمناعة أرجائه * وغزارة مائه * وسعة العاوية من ورائه * ومعادنة الحرب على اغراء الرجالة الطوسية بأطراف عسكره مبيتين وخاربين * ومغيرين وعائثين الى أن يدركه الملال * و يلحقه الفشل * ويتفرق عنه الحشر فمنذ هابنا جزوته على بصيرة * وقوة مريرة * واستقامة خبرة * فشغب من سمع هذا الرأى من أحداث العسكر وقالوا

ملك السلطان محمد القلعة التى كان الباطنية ملكوها بالقرب من اصبهان واسمها
... قتل صاحبها احمد بن عبد الملك بن عطاش وولده وكانت هذه القلعة قد بناها
... شاه واستولى عليها بعد احمد بن عبد الملك بن عطاش وسبب ذلك انه اتصل بدزدار كان بها
فلما مات استولى احمد عليها وكان الباطنية باصبهان قد البسوه تاجا وجمعوا له اموالا وانما فعلوا
ذلك به لتقدم ابيه عبد الملك فى مذهبهم فانه كان اديبا بليغا حسن الخط سريع البديهة عفيفا
وابتلى بحب هذا المذهب وكان هذا ابنه احمد جاهلا لا يعرف شيأ وقيل لابن الصباح صاحب
قلعة الموت لماذا تعظم ابن عطاش مع جهله قال لمكان ابيه لانه كان أستاذى وصار لابن
عطاش عدد كثير وباس شديد واستفحل امره بالقلعة فكان يرسل اصحابه لقطع الطريق وأخذ
الاموال وقتل من قدروا على قتله فقتلوا خلقا كثيرا لا يمكن احصاؤهم وجعلوا له على القرى
السلطانية واملاك الناس ضرائب يأخذونها ليكفوا عنهم الاذى فتعذر بذلك انتفاع
السلطان بقراه والناس باملاكهم وتمشى لهم الامر بالخلف الواقع بين السلطانين بركيارق ومحمد
فلما صفت السلطنة لمحمد ولم يبق له منازع لم يكن عنده امر اهم من قصد الباطنية وحربهم
والانتصاف للمسلمين من جورهم وعسفهم فرأى البداية بقلعة اصبهان التى بأيديهم لان
الاذى بها اكثر وهى متسلطة على سرير ملكه فخرج بنفسه فحاصرهم فى سادس شعبان وكان
قد عزم على الخروج اول رجب فاتاه من يتعصب لهم من العسكر فاخبره ان الملك
ارسلان بن سليمان قد ورد بغداد وملكها واتصلوا فى ذلك مكاتبات ثم اظهروا ان خلافا قد
تجدد بخراسان فتوقف السلطان لتحقيق الامر فلما ظهر بطلانه عزم عزمة مثله وقصد حربهم
وصعد جبلا يقابل القلعة من غربيها ونصب له التخت فى اعلاه واجتمع له من أصبهان وسوادها
لحربهم الامم العظيمة للذحول التى يطالبونهم بها واحاطوا بجبل القلعة ودوره اربعة فراسخ
ورتب الامراء لقتالهم فكان يقاتلهم كل يوم امير فضاق الامر بهم واشتد الحصار عليهم
وتعذرت عندهم الاقوات فلما اشتد الامر عليهم كتبوا فتوى فيها ما يقول السادة الفقهاء
أئمة الدين فى قوم يؤمنون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وان ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم
حق وصدق وانما يخالفون فى الامام هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم وان يقبل
طاعتهم ويحرسهم من كل أذى فأجاب أكثر الفقهاء بجواز ذلك وتوقف بعضهم فجمعوا
للمناظرة ومعهم أبو الحسن على بن عبد الرحمن السمنجانى وهو من شيوخ الشافعية فقال بمحضر
من الناس يجب قتالهم ولا يجوز اقرارهم بمكانهم ولا ينفعهم التلفظ بالشهادتين فانهم يقال لهم
اخبرونا عن امامكم اذا اباح لكم ما حظره الشرع أو حظر عليكم ما أباحه الشرع أتقبلون
أمره فانهم يقولون نعم وحينئذ تباح دماؤهم بالاجماع وطالت المناظرة فى ذلك ثم ان الباطنية
سألوا السلطان أن يرسل اليهم من يناظرهم وعينوا على أشخاص من العلماء منهم القاضى
ابو العلاء صاعد بن يحيى شيخ الحنفية باصبهان وقاضيها وغيره فصعدوا اليهم وناظروهم وعادوا
كما صعدوا وانما كان قصدهم التعلل والمطاولة فلج حينئذ السلطان فى حصرهم فلما أعيتهم
المضايقة اذعنوا الى تسليم القلعة على أن يعطوا عوضا عنها قلعة خالنجان وهى على سبعة فراسخ
من اصبهان وقالوا انا نخاف على دمائنا واموالنا من العامة فلا بد من مكان نحتمى به منهم فأشير

على

فى هذه السنة ...
شاهدز ...
ملك ...
قا ...

فالتقا أول العز وتدافع
الوقت لا يعرف الناس أنا
غيل عن المماطلة الى المطاولة
* وعن المساورة الى المصابرة
* فهالهن فساقيم المنية *
ونصحهم منها كما سارويه
* فانتقض عليهم التدبير *
وصار المأمور هو الامير *
ووثب كلا العسكرين عند
انفلاق الصبح الى الاستعداد
لقاء * والاحتشاد لحرة
الهيجاء * وانثالوا على
تسوية الصفوف * مشحونة
بالالوف * كآجام الليوث
من ذبل القنا والسيوف *
وحسن الامير سبكتكين
مواقف عسكره * بنصب
فيلته فكانت تحت الجنائب
أطوادا فارعة * وأمواجا
متدافعة * ودنا الفريقان
بعضهم من بعض فلم يرع
ميسرة ابى على الا رهج
ثار عليهم من وراء قرية
فرضتهم ذات اليمين

على السلطان اجابتهم الى ما طلبوا فسألوا ان يؤخرهم الى النوروز ويرحلوا الى خالنجان ويسلموا قلعتهم وشرطوا ان لا يسمع قول متنصح فيهم وان قال أحد عنهم شيأ سلمه اليهم وان من أتاه منهم رده اليهم فاجابهم اليه وطلبوا ان يحمل اليهم من الاقامة ما يكفيهم يوما بيوم فأجيبوا اليه فى كل هذا وقصدهم المطاولة انتظارا لفتق ينفتق أو حادث يتجدد ورتب لهم وزير السلطان سعد الملك ما يحمل اليهم كل يوم من الطعام والفاكهة وجميع ما يحتاجون اليه فجعلوا هم يرسلون ويبتاعون من الاطعمة ما يجمعونه ليمتنعوا فى قلعتهم ثم انهم وضعوا من أصحابهم من يقتل أميرا كان يبالغ فى قتالهم فوثبوا عليه وجرحوه وسلم منهم فحينئذ أمر السلطان باخراب قلعة خالنجان وجدد الحصار عليهم فطلبوا ان ينزل بعضهم ويرسل السلطان معهم من يحميهم الى ان يصلوا الى قلعة الناظر بارجان وهى لهم وينزل بعضهم ويرسل معهم من يوصلهم الى طبس وان يقيم البقية منهم فى ضرس من القلعة الى ان يصل اليهم من يخبرهم بوصول أصحابهم فينزلون حينئذ ويرسل معهم من يوصلهم الى ابن الصباح بقلعة ألموت فأجيبوا الى ذلك فنزل منهم الى الناظر والى طبس وساروا وتسلم السلطان القلعة وخربها ثم ان الذين ساروا الى قلعة الناظر وطبس وصل منهم من أخبر ابن عطاش بوصولهم فلم يسلم السن الذى بقى بيده ورأى السلطان منه الغدر والعود عن الذى قرره فأمر بالزحف اليه فزحف الناس عامة ثانى ذى القعدة وكان قد قل عنده من يمنع ويقاتل فظهر منهم صبر عظيم وشجاعة زائدة وكان قد استأمن الى السلطان انسان من أعيانهم فقال لهم انى أدلكم على عورة لهم فأتى بهم الى جانب لذلك السن لهم لا يرام فقال لهم اصعدوا من ههنا فقيل انهم قد ضبطوا هذا المكان وشحنوه بالرجال فقال ان الذى ترون اسلحة وكزاغندات قد جعلوها كهيئة الرجال لقلتهم عندهم وكان جميع من بقى ثمانين رجلا فزحف الناس من هناك فصعدوا منه وملكوا الموضع وقتل أكثر الباطنية واختلط جماعة منهم مع من دخل فخرجوا معهم واما ابن عطاش فانه أخذ أسيرا فترك أسبوعا ثم انه أمر به فشهر فى جميع البلد وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشى جلده تبنا وقتل ولده وحمل رأساهما الى بغداد والقت زوجته نفسها من رأس القلعة فهلكت وكان معها جواهر نفيسة لم يوجد مثلها فهلكت أيضا وضاعت وكانت مدة البلوى بابن عطاش اثنتى عشرة سنة

*(ذكر الخلاف بين سيف الدولة صدقة ومهذب الدولة صاحب البطيحة)*

فى هذه السنة اختلف سيف الدولة صدقة بن مزيد ومهذب الدولة السعيد بن أبى الجبر صاحب البطيحة وانضاف حماد بن أبى الجبر الى صدقة وأظهر معاداة ابن عمه مهذب الدولة ثم اتفقوا وكان سبب ذلك ان صدقة لما أقطعه السلطان محمد مدينة واسط ضمنها منه مهذب الدولة واستناب فى الاعمال أولاده وأصحابه فمدوا أيديهم فى الاموال وفرطوا فيها وفرقوها فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى فى خلاصه بدران بن صدقة وهو صهر مهذب الدولة فاخرجه من الحبس وأعاده الى بلده البطيحة وضمن حماد بن أبى الجبر واسط فافضل على مهذب الدولة كثير من أمره فآل الامر الى الاختلاف بعد الاتفاق فان المصطنع اسمعيل جد حماد والمختص محمدا والد مهذب الدولة أخوان وهما ابنا أبى الجبر وكانت اليهما رياسة أهلهما وجماعتهم فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر والد حماد مقامه وهلك المختص محمد وقام

فاداهم بالامير سيف الدولة فى العلم والرم * والنيل المد لهم * فتزلزلت اقدامهم * وضلت احلامهم وافهامهم * ورأوا ان قلب ابى على قد حل على قلب الامير سبكتكين فساعدوهم على حلتهم تناديا عن ايقاع الامير سيف الدولة بهم فرقوا مصفه * ونفضوا عن الزحام مرقه * فوقف لهم الامير سبكتكين فمن احتف به والتف عليه من خواص غلمانه وردها تم فى وجوههم * فارتدوا على ادبارهم * وقد اطل سيف الدولة عليهم من ورائهم فبقوا محصورين بين العسكرين * واخذتهم السيوف من كلا الجانبين * وثار قتام خلط البعض بالبعض فلم يسمع غير وقع البيض على بيض المفارق * وحطم الدبابيس ما بين الطلى والعواتق * وظلت خراطيم

ابنه مهذب الدولة لنقاء امه وصارا يتنازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه الى ان أخذه
مهذب الدولة ايام كوهرائين وسار به الى كوهرائين فحمله الى أصبهان فهلك فطر
مهذب الدولة وصير كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه وكان حماد شابا
فاكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاله وزاد في اقطاعه فكثر ماله فسار يحسده مهذب الدولة
ويبطن بغضه ويظهر في بعض الاوقات وكان مهذب الدولة يداريه ويجتهد فلما مات
كوهرائين انتقل حماد عن مهذب الدولة واظهر ما في نفسه فاجتهد مهذب الدولة في اعادته الى
ما كان فلم يفعل فسكت عنه فجمع النفيس بن مهذب الدولة جمعا وقصد حمادا فهرب منه الى
سيف الدولة بالنيل فاعاده صدقة ومعه جماعة من الجند فندم مهذب الدولة فارسل حماد الى
صدقة يعرفه ذلك فارسل اليه كثيرا من الجند فقوى عزم مهذب الدولة على المحاربة لانه لا يطلق به
العجز فاشار عليه اهله بترك الخروج من موضعه لمناعته فلم يفعل وسير مقدمته واصحابه في الانهر
فجعل حماد وأخوه له الكمناء واندفعوا من بين أيديهم فطمع أصحاب مهذب الدولة وتبعوهم
فخرج عليهم الكمناء فلم يسلم منهم الا من يحضر أجله فقتل منهم وأسر خلق كثير فقوي طمع حماد
وأرسل الى صدقة يستنجده فارسل اليه مقدم جيشه سعيد بن حميد العمري وغيره من المقدمين
وجمعوا السفن ليقاتلوا مهذب الدولة فرأوا أمرا محكما فلم يمكنهم الدخول اليه وكان حماد بخيلا
ومهذب الدولة جوادا فارسل الى سعيد بن حميد الاقامات الوافرة والصلات الكثيرة واستماله
فمال اليه واجتمع به وتقرر الامر على ان أرسل مهذب الدولة ابنه النفيس الى صدقة فرضي عنه
وأصلح بينهم وبين حماد ابن عمهم وعادوا الى حال حسنة من الاتفاق وكان صلحهم في ذي الحجة سنة
خمسمائة

## (قتل وزير السلطان ووزارة احمد بن نظام الملك)

في شوال من هذه السنة قبض السلطان محمد على وزيره سعد الملك أبي المحاسن وأخذ ماله وصلبه
على باب اصبهان وصلب معه اربعة نفر من اعيان اصحابه والمنتمين اليه اما الوزير فنسب الى
خيانة السلطان وأما الاربعة فنسبوا الى اعتقاد الباطنية وكانت مدة وزارته سنتين وتسعة
اشهر وكان في ابتداء حاله يصحب تاج الملك ابا الغنائم وتعامل بعده ثم استعمله مؤيد الملك بن نظام
الملك فجعله على ديوان الاستيفاء وخدم السلطان محمدا لما حصره اخوه السلطان بركيارق
باصبهان خدمة حسنة ولما فارقها محمد حفظها الحفظ التام وقام المقام العظيم فاستوزره محمد
ووسع له في الاقطاع وحكمه في دولته ثم نكبه وهذا آخر خدمة الملوك وما أحسن ما قال عبد
الملك بن مروان أنعم الناس عيشا من له ما يكفيه وزوجة ترضيه ولا يعرف أبوابنا هذه الخبيثة
فنؤذيه ولما قبض الوزير استشار السلطان فيمن يجعله وزيرا فذكر له جماعة فقال السلطان
ان آبائي درجوا على نظام الملك البركة ولهم عليه الحق الكثير وأولاده أغذياء نعمتنا ولا معدل عنهم
فأمر لابي نصر أحمد هذا بالوزارة ولقب ألقاب أبيه قوام الدين نظام الملك صدر الاسلام وكان
سبب قدومه الى باب السلطان انه لما رأى انقراض دولة أهل بيته لزم داره بهمذان فاتفق ان
رئيس همذان وهو الشريف أبو هاشم آذاه فسار الى السلطان شاكيا منه ومتظلما فقبض
السلطان على الوزير وأحمد هذا في الطريق فلما وصل اليه ذكره وخلع عليه خلع الوزارة

القبول • تسلب الفرسان
من صهوات الخيول • وتلحق
القاتل بالمقتول وبلغ سيف
الدولة من الايقاع بهم
والاثخان فيهم والانتقام
منهم وصب السيف عليهم
ما لم يسمع به رستم في زمانه •
ولا تمه خدمة عنانه • وهذبته
آداب سيفه وسنانه • وفات
النجم وزنت بقايا المهج •
تحت غواشي الرهج • وبرزايا
الارواح • من بين مشتجر
الرماح • فانجلت المعركة
عن قتلى مضرجين في الدماء
• وجرحى مفترسين على
الغبراء • واسرى آيسين من
الفداء • وركب سيف الدولة
أكتاف القوم • فأسر منهم
من قصر عن اقتحام شعاب
الجبل • ورمى عليه وجوه
تلك المغارات والمداخل •
وكان من جملة الاسرى
أبو علي بن بشرا الحاجب
وبكتكين الفرغاني وارسلان
بك وأبو علي بن نوشتكين

وتمكنه ومكنه وقوى أمره وهذا من الفرج بعد الشدة فانه حضر شاكيا فصار مشكيا

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في صفر عزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئا اليها وكانت ملجأ لكل ملهوف فارسل اليه صدقة من أخذه اليه الى الحلة وكانت وزارته ثلاث سنين وخمسة أشهر وأياما وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة وفيها عبرة فان أباه أبا نصر بن جهير بناها بانقاض أملاك الناس وأخذ بسببها أكثر ما دخل فيها فخربت عن قريب ولما عزل استنيب قاضي القضاة أبو الحسن بن الدامغاني ثم تقررت الوزارة في المحرم من سنة احدى وخمسمائة لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب وخلع عليه فيه وفيها في شوال توفي الامير أبو النوارس سرخاب بن بدر بن مهلهل المعروف بابن أبي الشوك الكردي وكانت له أموال كثيرة وخيول لا تحصى وولي الامر بعده أبو منصور بن بدر وقام مقامه وبقيت الامارة في بيته مائة وثلاثين سنة وقد تقدم من أخباره ما فيه كفاية وفي هذه السنة توفي أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد الاصبهاني بن أخت عبد الرحمن بن أبي عبد الله بن منده ومولده سنة ثمان وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث مشهورا بالرواية وفيها توفي أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج البغدادي في صفر وهو مكثر من الرواية وله تصانيف حسنة وأشعار لطيفة وهو من أعيان الزمان وعبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب أبو محمد الشيرازي الفقيه ولي التدريس بالنظامية ببغداد سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وكان يروي الحديث أيضا وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي المعروف بابن الطيوري البغدادي ومولده سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان مكثرا من الحديث ثقة صالحا عابدا وأبو الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب النحوي سمع الحديث من أبي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما وكان اماما في النحو واللغة

(ثم دخلت سنة احدى وخمسمائة)

*(ذكر قتل صدقة بن مزيد)*

في هذه السنة في رجب قتل الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد الاسدي أمير العرب وهو الذي بنى الحلة السيفية بالعراق وكان قد عظم شانه وعلا قدره واتسع جاهه واستجار به صغار الناس وكبارهم فاجارهم وكان كثير العناية بامور السلطان محمد والتقوية لبده والشد منه على اخيه بركيارق حتى انه جاهر بركيارق بالعداوة ولم يبرح على مصافاة السلطان محمد وزاده محمد اقطاعا من جملته مدينة واسط واذن له في أخذ البصرة ثم افسد ما بينهما العميد ابو جعفر محمد بن الحسين البلخي وقال في جملة ما قال عنه ان صدقة قد عظم امره وزاد ماله وكثر ادلاله وبسط في الدولة وحمايته كل من يفر اليه من عند السلطان وهذا لا يحتمله الملوك لاولادهم ولو ارسلت بعض أصحابك لملك بلاده وأمواله ثم انه تعدى ذلك حتى طعن في اعتقاده ونسبه وأهل بلده الى مذهب الباطنية وكذب وانما كان مذهبه التشيع لاغير ووافق أرغون السعدي أبا جعفر العميد وانتهى ذلك الى صدقة وكانت زوجة أرغون بالحلة وأهله فلم يؤاخذهم بشئ مما كان له أيضا عنده من بقايا خراج بلده فامر صدقة ان يخلص

وأما سازبن بمجان روز الجبلي واشكرستان بن أبي جعفر الديلي وهؤلاء اعيان عسكر أبي علي ورتوت قواده* ووجوه اركانه واعضاده* وسار ابو علي وفائق بين مهاوي تلك الجبال ومصاعد تلك القلال* الى ان اناخا بقلعة كلات وهي التي تخفق الرياح بين نعافها* وتزل الابصار دون روابيها وشعافها* فاضا فهما بها الميرك الطوسي الى ان ظهر انهما عدد من سبق ومن لحق* وبجملة من اجتمع عن تفرق* وكان أبو علي قد سرب الفيلة التي قبض عليها بباب نيسابور الى كلات في جملة ضبنته وكتب أبو علي بن بغرا الحاجب وسائر الاسرى يذكرون له ان الامير سبكتكين استدعاهم ومناهم* ووصلهم وحباهم* ووعدهم الافراج عنهم متى

ذلك اليه باسمه ويسلم الى نوبته وأما سبب قتله فان صدقة كان كما ذكرنا يستجير به كل خائف
من خليفة وسلطان وغيرهما وكان السلطان محمد قد سخط على أبي دلف سرخاب بن كيخسرو
صاحب ساوة وآبة فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به فأجاره فأرسل السلطان يطلب من صدقة
أن يسلمه الى نوابه فلم يفعل وأجاب انني لا أمكن منه بل أحامي عنه وأقول ما قاله أبو طالب
لقريش لما طلبوا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وظهر منه أمور أنكرها السلطان فتوجه الى العراق ليتلافى هذا الأمر فلما سمع صدقة
استشار أصحابه في الذي يفعله فأشار عليه ابنه دبيس بأن ينفذه الى السلطان ومعه الأموال
والخيل والتحف ليستعطف له السلطان وأشار سعيد بن حميد صاحب جيش صدقة بالمحاربة
وجمع الجند وتفريق المال فيهم واستطال في القول فمال صدقة الى قوله وجمع العساكر واجتمع
اليه عشرون ألف فارس وثلاثون ألف راجل فأرسل اليه المستظهر بالله يحذره عاقبة أمره
وينهاه عن الخروج عن طاعة السلطان ويعرض له توسط الحال فأجاب صدقة انني على طاعة
السلطان لكن لا آمن على نفسي في الاجتماع به وكان الرسول بذلك عن الخليفة نقيب النقباء
علي بن طراد الزينبي ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهروي الى صدقة يطيب قلبه
ويزيل خوفه ويأمره بالانبساط على عادته ويعرفه عزمه على قصد الفرنج ويأمره بالتجهز
للغزاة معه فأجاب ان السلطان قد أفسد أصحابه قلبه علي وغيروا حالي معه وزال ما كان عليه في
حقي من الانعام وذكر سالف خدمته ومناصحته وقال سعيد بن حميد صاحب جيشه لم يبق لنا
في صلح السلطان مطمع ولترين خيولنا بحلوان وامتنع صدقة من الاجتماع بالسلطان ووصل
السلطان الى بغداد في العشرين من ربيع الآخر ومعه وزيره نظام الملك أحمد بن نظام الملك
وسير البرسقي شحنة بغداد في جماعة من الامراء الى صرصر فنزلوا عليها وكان وصول السلطان
جريدة لا يبلغ عسكره ألفي فارس فلما تيقن ببغداد مكاشفة صدقة أرسل الى الامراء يأمرهم
بالوصول اليه والجد في السير وتعجيل ذلك فوردوا اليه من كل جانب ثم وصل كتاب صدقة الى
الخليفة في جمادى الأولى يذكر أنه واقف عند ما رسم له ويقرر من حاله مع السلطان ومهما أمره
من ذلك امتثله فأنفذ الخليفة الكتاب الى السلطان فقال السلطان أنا ممتثل ما يأمر به الخليفة
ولا مخالفة عندي فأرسل الخليفة الى صدقة يعرفه اجابة السلطان الى ما طلب منه ويأمره بانفاذ
ثقته ليستوثق له ويحلف السلطان على ما يقع الاتفاق عليه فعاد صدقة عن ذلك الرأي وقال اذا
رحل السلطان عن بغداد أمددته بالمال والرجال وما يحتاج اليه في الجهاد وأما الآن وهو
ببغداد وعسكره بنهر الملك فما عندي مال ولا غيره وان جاولي سقاوو وايلغازي بن ارتق قد
أرسلا الي بالطاعة لي والموافقة معي على محاربة السلطان وغيره ومتى أردتهما وصلا الي في
عساكرهما وورد الى السلطان قرواش بن شرف الدولة وكرماوي بن خراسان التركماني وأبو
عمران فضل بن ربيعة بن حازم بن الجراح الطائي وآباؤه كانوا أصحاب البلقاء والبيت المقدس ومنهم
حسان بن المفرج الذي مدحه التهامي وكان فضل تارة مع الفرنج وتارة مع المصريين فلما رأى
طغتكين أتابك على هذه الحال طرده من الشام فلما طرده التجأ الى صدقة وعاقده فأكرمه صدقة

رقت تلك الفيلة الى حرابة
أمثالها من مشايخها وسألوه
ان يفعل ذلك تنفيسا عنهم
وتخليصا لهم فتقدم أبو علي
الى أميرك بردها والافراج
عنها ونهض هو وفائق على
سمت أبيورد مصحرين عن
تلك المضايق فبعث أميرك
تلك الفيول الى الامير
سبكتكين وكتب اليه بريئة
انه المتقرب بردها المتفرد
بالخدمة فيها فأمنه من بذلك
رتبته وأحبط على أبي علي
قربته * وفي ذكر هذه الوقعة
يقول ابو الفتح البستي

ألم تر ما أتاه أبو علي
وكنت أراه ذا لب وكيس
عصى السلطان فابتدرت اليه
رجال يقلعون أبا قبيس
وصير طوس معقله فأضحى
عليه طوس أشأم من طويس

وسار ابو علي وفائق الى سواد

واهدى له هدايا كثيرة منها سبعة آلاف دينار عينا فلما كانت هذه الحادثة بين صدقة والسلطان سار في الطلائع ثم هرب الى السلطان فلما وصل خلع عليه وعلى أصحابه وازله بدار صدقة ببغداد فلما سار السلطان الى قتال صدقة استأذنه فضل في اتيان البرية ليمنع صدقة من الهرب ان اراد ذلك فاذن له فعبر بالانبار وكان آخر العهد به وانفذ السلطان في جمادى الاولى الى واسط الامير محمد بن بوقا التركماني فاخرج عنها نائب صدقة وأمن الناس كلهم الا اصحاب صدقة فتفرقوا ولم ينهب احد وانفذ خيله الى بلد قوسان وهو من اعمال صدقة فنهبه اقبح نهب واقام عدة ايام فارسل صدقة اليه ثابت بن سلطان وهو ابن عم صدقة ومعه عسكر فلما وصلوا اليها خرج منها الاتراك واقام ثابت بها وبينه وبينهم دجلة ثم ان ابن بوقا عبر جماعة من الجند ارتضاهم وعرف شجاعتهم فوقفوا على موضع مرتفع على نهر سالم يكون ارتفاعه نحو خمسين ذراعا فقصدهم ثابت وعسكره فلم يقدروا يقربون الترك من النشاب والمدد يأتيهم من ابن بوقا وجرح ثابت في وجهه وكثر الجراح في أصحابه فانهزم هو ومن معه وتبعهم الاتراك فقتلوا منهم وأسروا ونهب طائفة من الترك مدينة واسط واختلط بهم رجالة ثابت فنهبت معهم فسمع ابن بوقا الخبر فركب اليهم ومنعهم وقد نهبوا بعض البلد ونادى في الناس بالامان واقطع السلطان اواخر جمادى الاولى مدينة واسط لقسيم الدولة البرسق وأمر ابن بوقا بقصد بلد صدقة ونهبه فنهبوا فيه ما لا يحد واما السلطان محمد فانه سار عن بغداد الى الزعفرانية ثاني جمادى الآخرة فارسل اليه الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب يأمره بالتوقف وترك العجلة خوفا على الرعية من القتل والنهب وأشار قاضي أصبهان بذلك واتباع أمر الخليفة فاجاب السلطان الى ذلك فارسل الخليفة الى صدقة نقيب النقباء على بن طراد وجمال الدولة مختصا الخادم فسارا الى صدقة فابلغاه رسالة الخليفة يأمره بطاعة السلطان وينهاه عن المخالفة فاعتذر صدقة وقال ما خالفت الطاعة ولا قطعت الخطبة في بلادي وجهز ابنه دبيسا ليسير معهما الى السلطان فبينما الرسل وصدقة في هذا الحديث اذ ورد الخبر ان طائفة من عسكر السلطان قد عبروا من مطيراباذ وان الحرب بينهم وبين اصحاب صدقة قائمة على ساق فتجلد صدقة لاجل الرسل وهو يشتهي الركوب الى أصحابه خوفا عليهم وكان الرسل اذا سمعوا ذلك ينكرونه لانهم قد تقدموا الى العسكر عند عبورهم عليهم انه لا يتعرض أحد منهم الى حرب حتى نعود فان الصلح قد قارب فقال صدقة للرسول كيف اثق ارسل ولدي الآن وكيف آمن عليه وقد جرى ما ترون فان تكفلتم برده الى اتقدته فلم يتجاسروا على كفالته فكتب الى الخليفة يعتذر عن انفاذ ولده بما جرى وكان سبب هذه الوقعة ان عسكر السلطان لما رأوا الرسل اعتقدوا وقوع الصلح فقال بعضهم الرأي اننا ننهب شيأ قبل الصلح فاجاب البعض وامتنع البعض فعبر من أجاب النهر ولم يتأخر من لم يجب لئلا ينسب الى خور وجبن ولئلا يتم على من عبروهن فيكون عاره واذاه عليهم فعبر وابعدهم ايضا فاتاهم أصحاب صدقة وقاتلوهم فكانت الهزيمة على الاتراك وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر جماعة من أعيانهم وكثير من غيرهم وغرق جماعة منهم الامير محمد بن باغيسيان الذي كان أبوه صاحب انطاكية وكان عمره نيفا وعشرين سنة وكان محبا للعلماء وأهل الدين وبقي باقطاعه من اذربيجان عندة مدارس ولم يجسر الاتراك يعرفون السلطان بما أخذ منهم من الاموال

أبيورد على ان يقصدا كورة نسا فسبق الفائق ان يعدل الى سرخس لرأي رآه فخذل أبا علي في المكان وسار بمن معه من غلمان فلما سمع أبو علي بنبئه ارسل اليه باني غير مفارقك على أي حال تصرفت بنا من اجداب واخصاب واحزان واسهال وأن ركوب هذا الطريق كان على ما سنح لنا بادي الرأي من الصواب * واذقد بدا لك في التدبير فرأيي تابع لرأيك * وها أنا من ورائك * فوقف له الى أن لحق به وسارا الى سرخس ومنها الى مرو وحين تسامع الامير سبكتكين بخبر عدولهما عن سمت ابيورد نهض على اثرهما واستخلف ولده الامير سيف الدولة على ما فوض اليه من أعمال نيسابور ضامنا عنه كفاية أمرهما * فقضيا أوطارهما بمرو ثم اخترقا مفازة آمل

والدواب خوفاً منه حيث فعلوا ذلك بغير امره وطمع العرب بهم لهذه الهزيمة وظهر منهم التغير والتيه والطمع وأظهروا انهم باعوا كل اسير بدينار وان ثلاثة باعوا اسيراً بخمسة قراريط وأكلوا بها خبزاً وهريسة وجعلوا ينادون من يتغدى باسير ويتعشى باسير وظهر من الاتراك اضطراب عظيم وأعاد الخليفة مكاتبة صدقة بتقرير أمر الصلح فأجاب انه لا يخالف ما يؤمر به وكتب صدقة ايضاً الى السلطان يعتذر عما نقل عنه ومن الحرب التي كانت بين اصحابه وبين الاتراك وان جند السلطان عبرت الى اصحابه فمنعوا عن انفسهم بغير علمه وانه لم يحضر الحرب ولم ينزع يداً من طاعة ولا قطع خطبته من بلده ولم يكن صدقة كاتبه قبل هذا الكتاب فارسل الخليفة نقيب النقباء وابا سعد الهروي الى صدقة فقصدا السلطان اولاً واخذا منه الامان لمن يقصده من اقارب صدقة فلما وصلا الى صدقة وقالا له عن الخليفة ان اصلاح قلب السلطان موقوف على اطلاق الاسرى ورد جميع ما اخذ من العسكر المنهزم فاجاب اولاً بالانقياد والطاعة ثم قال لو قدرت على الرحيل من بين يدي السلطان لفعلت لكن وراءي من ظهري وظهر ابي وجدي ثلثمائة امرأة ولا يسعهن مكان ولو علمت اني اذا جئت السلطان منتسلاً قبلني واستخدمني لفعلت لكنني اخاف انه لا يقبل عذري ولا يعفو عن زلتي واما ما نهب فان الخلق كثير وعندي من لا اعرفه وقد نهبوا ودخلوا البرية وقد طالت علي عليهم ولكن ان كان السلطان لا يعارضني فيما في يدي ولا في أبرته وان يقرر شاب بن كيخسرو على اقطاعه بساوة وان يتقدم الى ابن بوقا باعادة ما نهب من بلادي وان يخرج وزير الخليفة يحلفه بما اثق اليه من الايمان على المحافظة فيما بيني وبينه فحينئذ اخدم بالمال وادوس بساطه بعد ذلك فعادوا لم ذا ومعهم ابو منصور بن معروف رسول صدقة فردهم الخليفة وارسل السلطان معهم قاضي اصبهان ابا اسمعيل فاما ابو اسمعيل فلم يصل اليه وعاد من الطريق واصر صدقة على القول الاول فحينئذ سار السلطان ثامن رجب من الزعفرانية وسار صدقة في عساكره الى قرية مطر وامر جنده بلبس السلاح واستأمن ثابت بن سلطان بن دبيس بن علي بن مزيد وهو ابن عم صدقة الى السلطان محمد وكان يحسد صدقة وهو الذي تقدم ذكره انه كان بواسط فاكرمه السلطان واحسن اليه ووعده الاقطاع ووردت العساكر الى السلطان منهم بنو برسق وعلاء الدولة ابو كاليجار كرشاسب بن علي بن فرامرز ابي جعفر بن كاكويه وآباؤه كانوا اصحاب اصبهان وفرامرز هو الذي سلمها الى طغرلبك وقتل أبوه مع تتش وغيره عسكر السلطان دجلة ولم يعبروا انهاراً وامر صدقة على ارض واحدة بينهما نهر والتقوا تاسع عشر رجب وكانت الريح في وجوه اصحاب السلطان فلما التقوا صارت في ظهورهم وفي وجوه اصحاب صدقة ثم ان الاتراك رموا بالنشاب فكان يخرج في كل رشقة عشرة آلاف نشابة فلم يقع منهم الا في فرس أو فارس وكان اصحاب صدقة كلما حملوا منعهم النهر من الوصول الى الاتراك والنشاب ومن عبر منهم لم يرجع وتقاعدت عبادة وخفاجة وجعل صدقة ينادي يا آل خزيمة يا آل ناشرة يا آل عوف ووعد الاكراد بكل جميل لما ظهر من شجاعتهم وكان راكباً على فرسه المهلوب ولم يكن لاحد مثله فجرح الفرس ثلاث جراحات واخذ الامير احمد بل بعد قتل صدقة فسيره الى بغداد في سفينة فمات في الطريق وكان لصدقة فرس آخر قد ركبه صاحبه ابو نصر بن تفاحة فلما رأى الناس وقد

النشاط عجزين بعقوبة القاته وصعوبة المسالك • وانسداد المسالك وانهدام المناحل وأقيامها عما القرار وأرسل ابو على اباالحسين محمد بن كثير وأرسل فائق عبد الرحمن بن أحمد الفقيه وزيرهما الى بخارا في استعتاب الرضى واسترضائه • واستمالته الى رعاية حقوق مواليه وأوليائه فاما أبو الحسين ابن كثير فانه صرف وراءه على وجه جميل وكتب الى ابي على في تمهيد وتأميل ورسم له أن ينصرف الى الجرجانية فيقيم بها الى أن يستأنف تدبير أمره بواجبه وأما عبد الرحمن بن احمد فانه أمر باعتقاله • ووضع في الحبس على رسم امثاله • وندب من بخارا بعض المسودة بكتاب الى مأمون بن محمد والى الجرجانية

غشوا صدقة وهرب عليه فناداه صدقة فلم يجبه وحمل صدقة على الاتراك فضربه غلام منهم على وجهه فشوهه وبجعل يقول انا ملك العرب انا صدقة فاصابه سهم فى ظهره وادركه غلام اسمه بزغش كان أشل فتعلق به وهو لا يعرفه وجذبه عن فرسه فسقط الى الارض هو والغلام فعرفه صدقة فقال يا بزغش ارفق فضربه بالسيف فقتله وأخذ رأسه وحمله الى البرسقى فحمله الى السلطان فلما رآه عانقه وامر لبزغش بصلة وبقى صدقة طريحا الى ان سار السلطان فدفنه انسان من المدائن وكان عمره تسعا وخمسين سنة وكانت امارته احدى وعشرين سنة وحمل رأسه الى بغداد وقتل من أصحابه ما يزيد على ثلاثة آلاف فارس فيهم جماعة من أهل بيته وقتل من بنى شيبان خمس وتسعون رجلا وأسر ابنه دبيس بن صدقة وسرخاب بن كيخسرو الديلمى الذى كانت هذه الحرب بسببه فأحضر بين يدى السلطان فطلب الامان فقال قد عاهدت الله انى لا اقتل أسيرا فان ثبت عليك انك باطنى قتلتك وأسر سعيد بن حميد العمرى صاحب جيش صدقة وهرب بدران بن صدقة الى الحلة فاخذ من المال وغيره ما امكنه وسير امه ونساءه الى البطيحة الى مهذب الدولة أبى العباس أحمد بن أبى الجبر وكان بدران صهر مهذب الدولة على ابنته ونهب من الاموال ما لا يحد وكان له من الكتب المنسوبة الخط شئ كثير الوف مجلدات وكان يحسن يقرأ ولا يكتب وكان جوادا حليما صدوقا كثير البر والاحسان ما برح ملجأ لكل ملهوف يأتى من يقصده بالبر والتفضل ويبسط قاصديه ويزورهم وكان عادلا والرعايا معه فى امن ودعة وكان عفيفا لم يتزوج على امرأته ولا تسرى عليها فما ظنك بغيره ولم يصادر أحدا من نوابه ولا أخذهم باساءة قديمة وكان أصحابه يودعون أموالهم فى خزانته ويدلون عليه ادلال الولد على الوالد ولم يسمع برعية أحبت اميرها كحب رعيته له وكان متواضعا محتملا يحفظ الاشعار ويبادر الى النادرة رحمه الله لقد كان من محاسن الدنيا وعاد السلطان الى بغداد ولم يصل الى الحلة وأرسل الى البطيحة امانا لزوجة صدقة وأمرها بالظهور فاصعدت الى بغداد فاطلق السلطان ابنها دبيسا وانفذ معه جماعة من الامراء الى لقائها فلما لقيها ابنها بكيا بكاء شديدا ولما وصلت الى بغداد أحضرها السلطان واعتذر من قتل زوجها وقال وددت انه حمل الى حتى كنت افعل معه ما يجب الناس به من الجميل والاحسان لكن الاقدار غلبتنى واستحلف ابنها دبيسا انه لا يسعى بفساد

*(ذكر وفاة تميم بن المعز صاحب افريقية وولاية ابنه يحيى)*

فى هذه السنة فى رجب توفى تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية وكان شهما شجاعا ذكيا له معرفة حسنة وكان حليما كثير العفو عن الجرائم العظيمة وله شعر حسن فمنه انه وقع حرب بين طائفتين من العرب وهم عدى ورياح فقتل رجل من رياح ثم اصطلحوا واهدروا دمه وكان صلحهم مما يضر به وببلاده فقال أبياتا يحرض على الطلب بدمه وهى

متى كانت دماؤكم تطل * اما فيكم بثار مستقل
اغانم ثم سالم ان فشلتم * فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى * كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى * ولا بيض تفل ولا تسل

لبتذلمه بتقريره ساله * وذكر ما ألشئ من الرأى فى بابه * فامتعض فانقى بها وبلبه رسوله وعمد على أن يعبر النهر الى ماوراء ملتجئا الى ايلك خان ومقصر خالياه * ومستعينا به على ما دهاه * وأشار على أبى على أن يساعده ويجمع اليه يده وساعده * فان الغرض المقصود فى طرحه الى الجرجانية تفريق ذات بينهما فى المساعدة والمرافدة * والاجتماع على الحادثات باليد الواحده * وان الذى غمس فيه أيديهما من الخلاف على تلك الدولة اضطرارا كان أو اختيارا لا يوجب الاغضاء عن تبعاته *

فعمد اخوة المقتول فقتلوا أميرا من عدى واشتد بينهم القتال وكثرت القتلى حتى اخرجوا بنى عدى من افريقية قيل انه اشترى جارية بثمن كثير فبلغه ان مولاها الذى باعها ذهب عقله وأسف على فراقها فاحضره تميم بين يديه وأرسل الجارية الى داره ومعها من الكسوات والأوانى الفضة وغيرها ومن الطيب وغيره شئ كثير ثم أمر مولاها بالانصراف وهو لا يعلم بذلك فلما وصل الى داره ورآها على تلك الحال وقع مغشيا عليه لكثرة سروره ثم أفاق فلما كان الغد أخذ الثمن وجميع ما كان معها وحمله الى دار تميم فانتهره وأمر باعادة جميع ذلك الى داره وكان له فى البلاد أصحاب اخبار يجرون عليهم ارزاقا سنية ليطالعوه باحوال أصحابه لئلا يظلموا الناس فكان بالقيروان تاجر له مال وثروة فذكر فى بعض الايام التجار تميما ودعوا له وذلك التاجر حاضر فترحم على أبيه المعز ولم يذكره فرفع ذلك الى تميم فاحضره الى قصره وسأله هل ظلمتك فقال لا قال فهل ظلمك بعض أصحابى قال لا قال فلم اطلقت لسانك بذمى فسكت فقال لولا ان يقال شره فى ماله لقتلتك ثم أمر به فصفع فى حضرته قليلا ثم أطلقه فخرج واصحابه ينتظرونه فسألوه عن خبره فقال اسرار الملوك لا تذاع فصارت بافريقية مثلا ولما توفى كان عمره تسعا وسبعين سنة وكانت ولايته ستا واربعين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما وخلف من الذكور ما يزيد على مائة ومن البنات ستين بنتا ولما توفى ملك بعده ابنه يحيى بن تميم وكانت ولادته بالمهدية لاربع بقين من ذى الحجة سنة سبع وخمسين واربعمائة وكان عمره حين ولى ثلاثا وأربعين سنة وستة أشهر وعشرين يوما ولما ولى فرق أموالا جزيلة واحسن السيرة فى الرعية

● (ذكر ملك يحيى قلعة قليبية) ●

لما ملك يحيى بن تميم بعد ابيه جرد عسكرا كثيفا الى قلعة قليبية وهى من أحسن قلاع افريقية فنزل عليها وحصرها حصارا شديدا ولم يبرح حتى فتحها وحصنها وكان أبوه تميم قد رام فتحها فلم يقدر على ذلك ولم يزل مظفرا منصورا لم يهزم له جيش

● (ذكر قدوم ابن عمار بغداد مستنفرا) ●

فى هذه السنة فى شهر رمضان ورد القاضى فخر الملك أبو على بن عمار صاحب طرابلس الشام الى بغداد قاصدا باب السلطان محمد مستنفرا على الفرنج طالبا تسيير العساكر لازاحتهم والذى حثه على ذلك انه لما طال حصر الفرنج لمدينة طرابلس على ما ذكرناه ضاقت عليه الاقوات وقلت واشتد الامر عليه وعلى أهل البلد فن الله عليهم سنة خمسمائة بميرة فى البحر من جزيرة قبرس وانطاكية وجزائر البنادقة فاشتدت قلوبهم وقووا على حفظ البلد بعد ان كانوا استسلموا فلما بلغ فخر الملك انتظام الامور للسلطان محمد وزوال كل مخالف رأى لنفسه وللمسلمين قصده والانتصار به فاستناب بطرابلس ابن عمه ذا المناقب وأمره بالمقام بها ورتب معه الاجناد برا وبحرا واعطاهم جامكية ستة أشهر سلفا وجعل كل موضع الى من يقوم بحفظه بحيث ان ابن عمه لا يحتاج الى فعل شئ من ذلك وسار الى دمشق فاظهر ابن عمه الخلاف له والعصيان عليه ونادى بشعار المصريين فلما عرف فخر الملك ذلك كتب الى أصحابه يامرهم بالقبض عليه وحمله الى حصن الخوابى ففعلوا ما أمرهم وكان ابن عمار قد استصحب معه من الهدايا ما لم يوجد عند ملك مثله من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة والخيل الرائقة فلما وصل الى اتابك طغتكين

والذهول من تقلبات أنيابه وحماته ● فاختار أبو على مباعدته على مساعدته ● ومجانبته على مقاربته ● نظرا لله تعالى فيما حكم به من صدع شمله ● وقطع حبله ووضع رحله ●

وليس لرحل حطه الله رافع
وليس لامر شاءه الله دافع

وافترقا عن مناخهما أما فائق فعبر النهر الى ما وراءه عادلا الى ايلك مستجيرا اياه ● وواصلا لاعروته بعراه ● وأما أبو على فانه نهض من بخارا على أثره بكتوزون الحاجب قاصدا بجيحون ودلسف وولى كل منهما صاحبه ظهره ● بعد أن أبلى فى اللقاء عذره ● فقبله ايلك خان أحسن قبول ● وقراه

وطغتكين اتابك وخيم على ظاهر البلد وسأله طغتكين الدخول اليه فدخل يوما واحدا الى الطعام وادخل حمامه وسار عنها ومعه ولد طغتكين يشيعه فلما وصل الى بغداد أمر السلطان كافة الامراء بتلقيه واكرامه وأرسل اليه شبارته وفيها دسته الذي يجلس عليه ليركب فيها فلما نزل اليها قعد بين يدي موضع السلطان فقال له من بها من خواص السلطان قد أمرنا أن يكون جلوسك في دست السلطان فلما دخل على السلطان أجلسه وأكرمه وأقبل عليه بحديثه وسير الخليفة خواصه وجماعة أرباب المناصب فلقوه وانزله الخليفة واجرى عليه الجراية العظيمة وكذلك أيضا فعل السلطان وفعل معه مالم يفعل مع الملوك الذين معهم امثاله وهذا جميعه ثمرة الجهاد في الدنيا ولاجر الآخرة أكبر ولما اجتمع بالسلطان قدم هديته وسأله السلطان عن حاله وما يعانيه في مجاهدة الكفار ويقاسيه من ركوب الخطوب في قتالهم فذكر له حاله وقوة عدوه وطول حصره وطلب النجدة وضمن انه اذا سيرت العساكر معه أوصل اليهم جميع ما يلتمسونه فوعده السلطان بذلك وحضر دار الخلافة وذكر أيضا نحو ما ذكره عند السلطان وحمل هدية جميلة نفيسة وأقام الى ان رحل السلطان عن بغداد في شوال فاحضره عنده بالنهروان وقد تقدم الى الامير حسين بن أتابك قتلغتكين ليسير معه العساكر التي سيرها الى الموصل مع الامير مودود لقتال جاولي سقاوو ليمضوا معه الى الشام وخلع عليه السلطان خلعا نفيسة واعطاه شيأ كثيرا وودعه وسار ومعه الامير حسين فلم يجد ذلك نفعا وكان ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى ثم ان فخر الملك بن عمار عاد الى دمشق منتصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة فاقام بها أياما وتوجه منها مع العسكر من دمشق الى جبلة فدخلها وأطاعه أهلها واما أهل طرابلس فانهم راسلوا الافضل أمير الجيوش بمصر يلتمسون منه واليا يكون عندهم ومعه الميرة في البحر فسير اليهم شرف الدولة بن أبي الطيب واليا ومعه الغلة وغيرها مما يحتاج اليه البلاد في الحصار فلما صار فيها قبض على جماعة من أهل ابن عمار وأصحابه واخذ ما وجده من ذخائره وآلاته وغير ذلك وحمل الجميع الى مصر في البحر

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة في شعبان أطلق السلطان محمد الضرائب والمكوس ودار البيع والاجتيازات وغير ذلك مما يناسبه بالعراق وكتبت به الالواح وجعلت في الاسواق وفيها في شهر رمضان ولي القاضي أبو العباس بن الرطبي الحسبة ببغداد وفيه أيضا عزل الخليفة وزيره مجد الدين بن المطلب برسالة من السلطان بذلك ثم أعيد الى الوزارة باذن السلطان وشرط عليه شروطا منها العدل وحسن السيرة وان لا يستعمل أحدا من أهل الذمة وفيها اعاد الاصبهبذ صباوة من دمشق وكان هرب عند قتل اياز فلما قدم أكرمه السلطان واقطعه رحبة مالك بن طوق وفيها سابع شوال خرج السلطان الى ظاهر بغداد عازما على العود الى أصبهان وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر وسبعة عشر يوما وفيها في ذي الحجة احترقت خرابة ابن جردة فهلك فيها كثير من الناس واما الامتعة والاموال واثاث البيوت فهلك منها ما لا حد له وخلص خلق بنقب نقبوه في سور المحلة الى مقبرة باب ابرز وكان بها جماعة من اليهود فلم ينقلوا شيأ لتمسكهم بسبتهم وكان بعض أهله قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم في السبت الذي يلي العيد فعادوا فوجدوا بيوتهم

أحسن مقول ومفعول* وضمن له الوفاء بأمله * ووده الى ما استنزل عنه من عمله* وأما ابو علي فانه أخطأ الطريق* وحرم التوفيق* فصار متقلا بما اجترحه من العصيان* مخلا بما فاته من فرصة البر والاحسان* قد كان بيد القدر* بمورد الحيرة والسدر* وعمت عليه غياهب القضاء* مذاهب الفضاء* فهو يخبط خبط عشواء * مستبسلا للمقدور* مستسلما للطوارق المحذور* وانشدني أبو حاتم الحنفي المذكر في مثل حاله لبعضهم

اذا أراد الله أمرا بامرئ
وكان ذا رأي وعقل وبصر
وحيلة يعملها في كل ما

قد خربت واهلهم قد احترقوا وأموالهم قد هلكت ثم تبع ذلك حريق في عدة اماكن منها درب
القيار وقراح ابن رزين فارتاع الناس لذلك وأبطلوا معايشهم وأقاموا الليل والنهار يحرسون
بيوتهم في الدروب وعلى السطوح وجعلوا عندهم الماء المعد لاطفاء النار فظهر ان سبب هذا
الحريق ان جارية احبت رجلا فواقفته على المبيت عندها في دار مولاها سرا واعدت له
ما يسرقه اذا خرج ويأخذها هي أيضا معه فلما أخذها طرحا النار في الدار وخرجا فاظهر الله
عليهما وفعل الفضيحة بهما فأخذا وحبسا وفيها جمع بغدوين ملك الفرنج عسكره وقصد مدينة
صور وحصرها وأمر ببناء حصن عندها على تل المعشوقة وأقام شهرا محاصرا لها فصانعه
واليها على سبعة آلاف دينار فأخذها ورحل عن المدينة وقصد مدينة صيدا فحصرها برا وبحرا
ونصب عليها البرج الخشب ووصل الاسطول المصري في الدفع عنها والحماية لمن فيها فقاتلهم
اسطول الفرنج فظهر المسلمون عليهم فاتصل بالفرنج مسير عسكر دمشق نجدة لأهل صيدا فرحلوا
عنها بغير فائدة وفيها ظهر كوكب عظيم له ذوائب فبقي ليالي كثيرة ثم غاب * وتوفي في هذه السنة في
شعبان ابراهيم بن مياس بن مهدي أبو اسحق القشيري الدمشقي سمع الحديث الكثير من
الخطيب البغدادي وغيره وتوفي في ذي القعدة أبو سعد اسمعيل بن عمرو بن محمد النيسابوري
المحدث كان يقرأ الحديث للغرباء قرأ صحيح مسلم على عبد الغافر الفارسي عشرين مرة

(ثم دخلت سنة اثنتين وخمسمائة)

* (ذكر استيلاء مودود وعسكر السلطان على الموصل وولاية مودود) *

في هذه السنة في صفر استولى مودود والعسكر الذي أرسله السلطان معه على مدينة الموصل
وأخذوها من أصحاب جاولي سقاوو وقد ذكرنا سنة خمسمائة استيلاء جاولي عليها وما جرى بينه
وبين جكرمش والملك قلج ارسلان وهلاكهما على يده وصار معه بعد ذلك العسكر الكثير
والعدة التامة والاموال الكثيرة وكان السلطان محمد قد جعل اليه ولاية كل بلد يفتحه فاستولى
على كثير من البلاد والاموال وكان سبب أخذ البلاد منه انه لما استولى عليها وعلى الاموال
الكثيرة منها لم يحمل الى السلطان منها شيئا فلما وصل السلطان الى بغداد لقصد بلاد سيف الدولة
صدقة أرسل الى جاولي يستدعيه اليه بالعساكر وكرر الرسل اليه فلم يحضر وغالط في الاعذار
اليه وأظهر انه يخاف ان يجتمع به ولم يقنع بذلك حتى كاتب صدقة وأظهر له انه معه ومساعده
على حرب السلطان وأطمعه في الخلاف والعصيان فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما
ذكرناه تقدم الى الامراء بني برسق وسكمان القطبي ومودود بن التونتكين وآقسنقر البرسقي
ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي وأبي الهيجاء صاحب اربل بالمسير الى الموصل
وبلاد جاولي وأخذها منه فتوجهوا نحو الموصل فوجدوا جاولي عاصيا قد شعث سور الموصل
واحكم ما بناه جكرمش واعد الميرة والاقوات والآلات واستظهر على الاعيان بالموصل
فحبسهم واخرج من احداثهم ما يزيد على عشرين الفا ونادى متى اجتمع اثنان على الحديث
في هذا الامر قتلتهما وخرج عن البلد ونهب السواد وترك بالبلد زوجته ابنة برسق واستحفظها
القلعة ومعها ألف وخمسمائة فارس من الاتراك سوى غيرهم وسوى الرجالة ونزل العسكر عليها
في شهر رمضان سنة احدى وخمسمائة وصادرت زوجته من بقي بالبلد وعسفت فتنا الخارجين

يأتي به مكروه أسباب القدر
أغراه بالجهل وأعمى قلبه
وسله من عقله سل الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه
رد اليه عقله ليعتبر
ثم ورد أبو علي قدما على سمت
الجرجانية الى أن بلغ به المسير
الى هزاراسف وهي قرية
تقابل بلدة خوارزم من
الجانب الغربي فأرسل اليه
خوارزمشاه من أقام له نزلا
وقدم اليه عذرا ووعده
العبور اليه غدا ليشاهده *
وقضاء حق وفادته * وقد
كان أزهاه الي رجل من
أقناء عسكره في خمر الغياض
والآجام * لا تهتدي اليه جنح
الظلام * وحكى لي أبو علي
الشناني أحد ثقات أبي

عنـه وبالغت فى الاحترازعليهم فاوحشهم ذلك ودعاهم الى الانحراف عنها وقوتل أهـل البلد قتالا متتابعا فتمادى الحصار باهلها من خارج والظلم من داخل الى آخر المحرم والجند بها يمنعون عامًا من القرب من السور فلما طال الامر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم جصاص يعرف بسعدى على تسليم البلد وتحالفوا على التساعد وأتوا وقت صلاة الجمعة والناس بالجامع وصعدوا برجا واغلقوا ابوابه وقتلوا من به من الجند وكانوا نيامًا فلم يشعروا بشئ حتى قتلوا وأخذوا سلاحهم والقوهم الى الارض وملكوا برجا آخر ووقعت الصيحة وقصدهم ماتنا فارس من العسكر ورموهم بالنشاب وهم يقاتلون وينادون بشعار السلطان فزحف عسكر السلطان اليهم ودخلوا البلد من ناحيتهم وملكوه ودخله الامير مودود ونودى بالسكون والامن وان يعود الناس الى دورهم واملاكهم واقامت زوجة جاولى بالقلعة ثمانية أيام وراسلت الامير مودودا فى ان يفرج لها عن طريقها وان يحلف لها على الصيانة والحراسة فحلف وخرجت الى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه وولى مودود الموصل وما ينضاف اليها

*(ذكر حال جاولى مدة الحصار)*

واما جاولى فانه لما وصل عسكر السلطان الى الموصل وحصرها سار عنها وأخذ معه القمص صاحب الرها الذى كان قد أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وقد ذكرنا ذلك وسار الى نصيبين وهى حينئذ للامير ايلغازى بن ارتق وراسله وسأله الاجتماع به واستدعاه الى معاضدته وان يكونا يدا واحدة واعلمه ان خوفهما من السلطان ينبغى ان يجمعهما على الاحتماء منه فلم يجبه ايلغازى الى ذلك ورحل عن نصيبين ورتب بها ولده وأمره بحفظها من جاولى وان يقاتله ان قصده وسار الى ماردين فلما سمع جاولى ذلك عدل عن نصيبين وقصد دارا وأرسل الى ايلغازى ثانيا فى المعانى وسار بعد الرسول فبينما رسوله عند ايلغازى بماردين لم يشعر الا وجاولى معه فى القلعة وحده وقصد ان يتألفه ويستميله فلما رآه ايلغازى قام اليه وخدمه ولما رأى جاولى محسنا للظن فيه غير مستشعر منه لم يجد الى دفعه سبيلا فنزل معه وعسكرا بظاهر نصيبين وسارا منها الى سنجار وحاصراها مدة فلم يجبهما صاحبها الى صلح فتركاه وسارا نحو الرحبة وايلغازى يظهر لجاولى المساعدة ويبطن الخلاف وينتظر فرصة لينصرف عنه فلما وصلا الى عرابان من الخابور هرب ايلغازى ليلا وقصد نصيبين

*(ذكر اطلاق جاولى للقمص الفرنجى)*

لما هرب ايلغازى من جاولى سار جاولى الى الرحبة فلما وصل الى ماكسين اطلق القمص الفرنجى الذى كان أسيرا بالموصل وأخذه معه واسمه بردويل وكان صاحب الرها وسروج وغيرهما وبقى فى الحبس الى الآن وبذل الاموال الكثيرة فلم يطلق فلما كان الآن أطلقه جاولى وخلع عليه وكان مقامه فى السجن ما يقارب خمس سنين وقرر عليه ان يفدى نفسه بمال وان يطلق اسرى المسلمين الذين فى سجنه وان ينصره متى أراد ذلك منه بنفسه وعسكره وماله فلما اتفقا على ذلك سير القمص الى قلعة جعبر وسلمه الى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين وهو من فرسان الفرنج وشجعانهم وهو صاحب تل باشر وغيرها وكان أسر مع القمص

على وكان قد نهض رسولا من جهته الى أبى عبدالله خوارزم شاه انه أنشده ابياتا لابن المعتز ورسم له تبليغها الى أبى على على معنى النصيحة وهى

اذا أمكنت فرصة فى العدو
فلا تبد شغلك الا بها
فان لم تلج بابها مسرعا
أتاك عدوك من بابها
واياك من ندم بعدها
وتأميل أخرى وأنى بها

قال فرويتها اياه وذلك قبل استيحاش أبى عبدالله منه فقبلها منه بجنة ثم ذهل عنها كأن لم يقرع بها قط سمعه* ولم يستودعها يوما من الدهر ذرعه* ولم يعلم انها كانت رهنا من الايام لها بارتقاب

في تلك الوقعة ففدى نفسه بعشرين ألف دينار فلما وصل جوسلين الى قلعة جعبر أقام رهينة
عوض القمص وأطلق القمص وسار الى انطاكية وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه
وأخذ عوضه أخاه وحموه وأخا زوجة القمص وسيرهما الى القمص ليقوى به وليحثه على اطلاق
الاسرى وانفاذ المال وما ضمنه فلما وصل جوسلين الى منبج أغار عليها ونهبها وكان معه جماعة من
أصحاب جاولي فأنكروا عليه ذلك ونسبوه الى الغدر فقال ان هذه المدينة ليست لكم

•(ذكر ما جرى بين هذا القمص وبين صاحب انطاكية)•

لما اطلق القمص وسار الى انطاكية أعطاه طنكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلا وسلاحا
وثيابا وغير ذلك وكان طنكري قد أخذ الرها من أصحاب القمص حين أسر فخاطبه الآن في
ردها عليه فلم يفعل فخرج من عنده الى تل باشر فلما قدم عليه جوسلين وقد أطلقه جاولي سره
ذلك وفرح به وسار اليهما طنكري صاحب انطاكية بعساكره ليحاربهما قبل ان يقوى
أمرهما ويجتمع عسكرهما ويلحق بهما جاولي ويعضدهما فكانوا يقتتلون فاذا فرغوا من القتال
اجتمعوا وأكل بعضهم مع بعض وتحادثوا وأطلق القمص من الاسرى المسلمين مائة وستين
أسيرا كلهم من سواد حلب وكساهم وسيرهم وعاد طنكري الى انطاكية من غير فصل حال
ومضى القمص وجوسلين وأغارا على حصون طنكري صاحب انطاكية والتجآ الى
ولاية كواسيل وهو رجل أرمني ومعه خلق كثير من المرتدين وغيرهم وهو صاحب رعبان
وكيسوم وغيرهما من القلاع شمالي حلب فأنجد القمص بألف فارس من المرتدين وألفي
راجل فقصدهم طنكري فتنازعوا أمر الرها فتوسط بينهم البطرك الذي لهم وهو عندهم
كالامام الذي للمسلمين لا يخالف أمره وشهد جماعة من المطارنة والقسيسين ان بيمند خال
طنكري قال له لما أراد ركوب البحر والعود الى بلاده أن يعيد الرها الى القمص اذا خلص من
الاسر فأعادها عليه طنكري تاسع صفر وعبر القمص الفرات ليسلم الى أصحاب جاولي المال
والاسرى فأطلق في طريقه مختلفا كثيرا من الاسرى من حران وغيرها وكان بسروج ثلثمائة
مسلم ضعفى فعمر أصحاب جاولي مساجدهم وكان رئيس سروج مسلما قد ارتد فسمعه أصحاب
جاولي يقول في الاسلام قولا شنيعا فضربوه وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع فذكر ذلك
للقمص فقال هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين فقتله

•(ذكر حال جاولي بعد اطلاق القمص)•

لما اطلق جاولي القمص بما كسبن سار الى الرحبة فأتاه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور ابنا
سيف الدولة صدقة وكانا بعد قتل أبيهما بقلعة جعبر عند سالم بن مالك فتعاهدوا على المساعدة
والمعاضدة ووعدهما انه يسير معهما الى الحلة وعزموا ان يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن
الب ارسلان فوصل اليهم وهم على هذا العزم الاصبهبذ صباوو وكان قد قصد السلطان فأقطعه
الرحبة وقد ذكرناه فاجتمع بجاولي وأشار عليه ان يقصد الشام فان بلاده خالية من الاجناد
والفرنج قد استولوا على كثير منها وعرفه انه متى قصد العراق والسلطان بها أو قريبا منها لم يأمن
شرا يصل اليه فقبل قوله وأصعد عن الرحبة فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر
يستغيث به من بني نمير وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثب جوشن النميري ومعه جماعة من

النوائب • واتقاء الدوائب •
ولم يدر أن للافعال والاعمال
جزاء يحيق بأربابها وحيا أو
بطيئا • محسنا أو مسيئا •
وغفل لنيته تلك من
الاحتراس • واقتدى
بغفلته سائر الناس • حتى
اذا أثقل العيون كراها •
ونقه النجوم سراها • نجت
الآفاق بخفق الطبول •
وغطغطة الطبول • وأحيط
بالقصر الذى نزله أبو علي
على قتاله • أو نيل المراد من
استنزاله • فثار من حف
حوله من غلمانه للدفاع •
وثار بنجدات المصاع •
ونفث بنفسه الى زعيم
القوم يسأله ماخطبك •
ولماذا سربك فقال له ان
خوارزم شاه أمرك

بنى نمير فقتل علياً وملك الرقة فبلغ ذلك الملك رضوان فسار من حلب الى صفين فصادف تسعين رجلاً من الفرنج معهم مال من فدية القمص صاحب الرها قد سيره الى جاولى فأخذه وأسر عدداً منهم وأتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب فاستنجد سالم بن مالك جاولى وسأله ان يرحل الى الرقة ويأخذها وعده بما يحتاج اليه فقصد الرقة وحصرها سبعين يوماً فضمن له بنو نمير مالاً وخيلاً فارسل الى سالم انني فى أمر أهم من هذا وانا بازاء عدو ويجب التشاغل به دون غيره وأنا عازم على الانحدار الى العراق فان تم أمرى فالرقة وغيرها لك ولا اشتغل عن هذا المهم بحصار خمسة نفر من بنى نمير ووصل الى جاولى الامير حسين بن اتابك قتلغتكين وكان أبوه اتابك السلطان محمد فقتله وتقدم ولده هذا عند السلطان واختص به فسيره السلطان مع فخر الملك بن عمار ليصلح الحال مع جاولى ويأمر العساكر بالمسير مع ابن عمار الى جهاد الكفار فحضر عند جاولى وأمره بتسليم البلاد وطيب قلبه عن السلطان وضمن الجميل اذا سلم البلاد وأظهر الطاعة والعبودية فقال جاولى انا مملوك السلطان وفى طاعته وحمل اليه مالاً وثياباً لها مقدار جليل وقال له سر الى الموصل ورحل العسكر عنها فانى أرسل معك من يسلم ولدى اليك رهينة وينفذ السلطان اليها من يتولى أمرها وجباية أموالها ففعل حسين ذلك وسار ومعه صاحب جاولى فلما وصلا الى العسكر الذى على الموصل وكانوا الى يفتحوها بعد فأمرهم حسين بالرحيل فكلهم أجاب الا الامير مودود فانه قال لا ارحل الا بامر السلطان وقبض على صاحب جاولى وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قتلغتكين الى السلطان فاحسن النيابة عن جاولى عنده وسار جاولى الى مدينة بالس فوصلها ثالث عشر صفر فاحتمى أهلها منه وهرب من بها من أصحاب الملك رضوان صاحب حلب فحصرها خمسة أيام وملكها بعد ان نقب برجاً من ابراجها فوقع على النقابين فقتل منهم جماعة وملك البلد وصلب جماعة من اعيانه عند النقب وأحضر القاضى محمد بن عبد العزيز بن الياس فقتله وكان فقيهاً صالحاً ونهب البلد وأخذ منه مالاً كثيراً

## *(ذكر الحرب بين جاولى والفرنج)*

وفى هذه السنة فى صفر كان المصاف بين جاولى سقاوو وبين طنكرى الفرنجى صاحب انطاكية وسبب ذلك ان الملك رضوان كتب الى طنكرى صاحب انطاكية يعرفه ما عليه جاولى من الغدر والمكر والخداع ويحذره منه ويعلمه انه على قصد حلب وانه ان ملكها لا يبقى للفرنج معه بالشام مقام وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه فاجابه طنكرى الى منعه وبرز من انطاكية فارسل اليه رضوان ستمائة فارس فلما سمع جاولى الخبر أرسل الى القمص صاحب الرها يستدعيه الى مساعدته وأطلق له ما بقى عليه من مال المفاداة فسار الى جاولى فلحق به وهو على منبج فوصل الخبر اليه وهو على هذه الحال بان الموصل قد استولى عليها عسكر السلطان وملكوا خزائنه وأمواله فاشتد ذلك عليه وفارقه كثير من أصحابه منهم أتابك زنكى بن آقسنقر وبكتاش النهاوندى وبقى جاولى فى ألف فارس وانضم اليه خلق من المطوعة فنزل بتل باشر وقاربهم طنكرى وهو فى ألف وخمسمائة فارس من الفرنج وستمائة من أصحاب ملك رضوان سوى الرجالة فجعل جاولى فى ميمنته الامير اقسيان والامير التونتاش الابرى وغيرهما وفى الميسرة الامير بدران بن صدقة والاصبهبذ صباوو وسنقر دراز وفى القلب القمص بغدوين

فتقرب اليه برفق الاذعان * دون عنف الضراب والطعان * فهو للفتنة أطفى * وللاحنة أنفى * ولباع الانتقام أقصر * ثم أنت بالرأى أبصر * فبادر أبو على الى النزول فاسترده الزعيم حتى عبر به النهر نحو صاحبه وذلك قبل الفجر من ليلة السبت غرة شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلثمائة فأمر به الى بعض القصور معتقلاً لانيه وشد الطلب على أصحابه وقواده فأسر منهم الاعيان والاركان وأفلت ايلمنكو صاحب جيشه بمن اتبعه نحو الجرجانية ونودى بين الافراد * وخدم القواد * من أقام يومه بزاراسف أبيح دمه فتفرقوا أيدى سبا فى الاقطار * كشوارد

وجوسلين الفرنجيين ووقعت الحرب فحمل أصحاب انطاكية على القمص صاحب الرها واشتد القتال فازاح طغتكين القلب عن موضعه وحملت ميسرة جاولي على رجالة صاحب انطاكية فقتلت منهم خلقا كثيرا ولم يبق غير هزيمة صاحب انطاكية فحينئذ عمد أصحاب جاولي الى جنائب القمص وجوسلين وغيرهما من الفرنج فركبوها وانهزموا فمضى جاولي وراءهم فلم يرجعوا وكانت طاعتهم قد زالت عنهم حين أخذت الموصل منه فلما رأى انهم لا يعودون معه اهمته نفسه وخاف من المقام فانهزم وانهزم باقي عسكره فاما الاصبهبذ صباوو فسار نحو الشام واما بدران ابن صدقة فسار الى قلعة جعبر واما ابن بكرمش فقصد جزيرة ابن عمر واما جاولي فقصد الرحبة وقتل من المسلمين خلق كثير ونهب صاحب انطاكية أموالهم واثقالهم وعظم البلاء عليهم من الفرنج وهرب القمص وجوسلين الى تل باشر والتجأ اليهما خلق كثير من المسلمين فقعلا معهم الجميل وداويا الجرحى وكسوا العراة وسيراهم الى بلادهم

الامثال والاشباه واعتقل الباقون على صغار وخساره الى ان أذن الله في خلاصه والى الجرجانية مأمون بن محمد وذلك انه لما سمع بنبأ أبي علي وما ارتكب منه خوارزم شاه اضطرب قلقا واضطرم حنقا وبات يرعى النجوم ارقا الى أن استتب له التدبير عليه فرماه بعسكر جرار يستنفذون مثاقيل الاعمال ويخوضون مشارع الاهوال وينفذون رواسي الجبال ويستنزلون العصم من صفف التلال وسار فيهم ايانكو في خواص أبي علي رجال قد أوغرتهم المفاقط والاحن وأحرجتهم النوائب والمحن فهم يسمون الى الثار لنفي العار ودرك الاوتار فعبروا

*(ذكر عود جاولي الى السلطان)*

لما انهزم جاولي سقاوو قصد الرحبة فلما قاربها بات دونها في عدة فوارس فاتفق ان طائفة من عسكر الامير مودود الذين أخذوا الموصل منه اغاروا على قوم من العرب يجاورون الرحبة فقاربوا جاولي وهم لا يشعرون به ولو علموا لاخذوه فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر أن يقيم في الجزيرة ولا بالشام ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع اليه ويداوي به مرضه غير قصد باب السلطان محمد عن رغبة واختيار وكان واثقا بالامير حسين بن قتلغتكين فرحل من مكانه وهو خائف حذر قد اخفى شخصه وكتم أمره وسار الى عسكر السلطان وكان بالقرب من اصبهان فوصل اليه في سبعة عشر يوما من مكانه بلده في السير فلما وصل المعسكر قصد الامير حسين فدخل الى السلطان فدخل اليه وكفنه تحت يده فآمنه وأتاه الامراء يهنونه بذلك وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه اليه فاعتقله باصبهان

*(ذكر الحرب بين طغتكين والفرنج والهدنة بعدها)*

في هذه السنة كانت حرب شديدة بين طغتكين اتابك والفرنج وسببها ان طغتكين سار الى طبرية وقد وصل اليها ابن اخت بغدوين الفرنجي ملك القدس قصارا واقتتلا وكان طغتكين في ألفي فارس وكثير من الرجالة وكان ابن أخت ملك الفرنج في اربعمائة فارس والفي راجل فلما اشتد القتال انهزم المسلمون فترجل طغتكين ونادى بالمسلمين وشجعهم فعادوا الى الحرب وكسروا الفرنج واسروا ابن أخت الملك وحمل الى طغتكين فعرض طغتكين عليه الاسلام فامتنع منه وبذل في فداء نفسه ثلاثين ألف دينار واطلاق خمسمائة أسير فلم يقنع طغتكين منه بغير الاسلام فلما لم يجب قتله بيده وأرسل الى الخليفة والسلطان الاسرى ثم اصطلح طغتكين وبغدوين ملك الفرنج على وضع الحرب أربع سنين وكان ذلك من لطف الله تعالى بالمسلمين ولولا هذه الهدنة لكان الفرنج بلغوا من المسلمين بعد الهزيمة الآتي ذكرها أمرا عظيما

*(ذكر انهزام طغتكين من الفرنج)*

في هذه السنة في شعبان انهزم اتابك طغتكين من الفرنج وسبب ذلك ان حصن عرقة وهو من أعمال طرابلس كان بيد غلام للقاضي فخر الملك أبي علي بن عمار صاحب طرابلس وهو من

الحصون المنيعة فعدى على مولاه فضاق به القوت وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الفرنج
في نواحيه فأرسل الى أتابك طغتكين صاحب دمشق وقال له أرسل من يتسلم هذا الحصن مني قد
عجزت عن حفظه ولان يأخذه المسلمون خير لي دنيا وآخرة من أن يأخذه الفرنج فبعث اليه
طغتكين صاحبا له اسمه اسرائيل في ثلثمائة رجل فتسلم الحصن فلما نزل غلام ابن عمار رماه
رماه اسرائيل في الاختلاط بسهم فقتله وكان قصده بذلك ان لا يطلع أتابك طغتكين على ما خلفه
بالقلعة من المال واراد طغتكين قصد الحصن للاطلاع عليه وتقويته بالعساكر والاقوات
وآلات الحرب فنزل الغيث والثلج مدة شهرين ليلا ونهارا فمنعه فلما زال ذلك سار في أربعة
آلاف فارس ففتح حصونا للفرنج منها حصن الاكمة فلما سمع السرداني الفرنجي بمجيء طغتكين
وهو على حصار طرابلس توجه في ثلثمائة فارس فلما أشرف أوائل أصحابه على عسكر طغتكين
انهزموا وخلوا اثقالهم ورحالهم ودوابهم للفرنج فغنموا وقووا به وزاد في تجملهم ووصل
المسلمون الى حمص على أقبح حال من التقطع ولم يقتل منهم أحد لانه لم تجر حرب وقصد السرداني
الى عرقة فلما نازلها طلب من كان بها الامان فامنهم على نفوسهم وتسلم الحصن فلما خرج من
فيه قبض على اسرائيل وقال لا اطلقه الا باطلاق فلان وهو أسير كان بدمشق من الفرنج
منذ سبع سنين ففودي به وأطلقا معا ولما وصل طغتكين الى دمشق بعد الهزيمة أرسل اليه ملك
القدس يقول له لا تظن اني انقض الهدنة للذي تم عليك من الهزيمة فالملوك ينالهم أكثر مما
نالك ثم تعود أمورهم الى الانتظام والاستقامة وكان طغتكين خائفا ان يقصده بعد هذه الكسرة
فينال من بلده كل ما أراد

*(ذكر صلح السنة والشيعة ببغداد)*

في هذه السنة في شعبان اصطلح عامة بغداد السنة والشيعة وكان الشر منهم على طول الزمان
وقد اجتهد الخلفاء والسلاطين والشحن في اصلاح الحال فتعذر عليهم ذلك الى ان اذن الله
تعالى فيه وكان بغير واسطة وكان السبب في ذلك ان السلطان محمدا لما قتل ملك العرب صدقة
كما ذكرناه خاف الشيعة ببغداد أهل الكرخ وغيرهم لان صدقة كان يتشيع هو وأهل
بيته فشنع أهل السنة عليهم بانهم نالهم غم وهم لقتله فخاف الشيعة واغضوا على سماع هذا ولم
يزالوا خائفين الى شعبان فلما دخل شعبان تجهز السنة لزيارة قبر مصعب بن الزبير وكانوا قد تركوا
ذلك سنين كثيرة ومنعوا منه لتنقطع الفتن الحادثة بسببه فلما تجهزوا للمسير اتفقوا على ان
يجعلوا طريقهم في الكرخ فاظهروا ذلك فاتفق رأى أهل الكرخ على ترك معارضتهم وانهم
يمنعونهم فصار السنة تسير أهل كل محلة منفردين ومعهم من الزينة والسلاح شئ كثير وجاء
اهل باب المراتب ومعهم فيل قد عمل من خشب وعليه الرجال بالسلاح وقصدوا جميعهم الكرخ
ليعبروا فيه فاستقبلهم أهله بالبخور والطيب والماء المبرد والسلاح الكثير واظهروا بهم السرور
وشيعوهم حتى خرجوا من المحلة وخرج الشيعة ليلة النصف منه الى مشهد موسى بن جعفر
وغيره فلم يعترضهم أحد من السنة فعجب الناس لذلك ولما عادوا من زيارة مصعب لقيهم أهل
الكرخ بالفرح والسرور فاتفق ان اهل باب المراتب انكسر فيلهم عند قنطرة باب حرب فقرا
لهم قوم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الى آخر السورة

الى كاث مدينة خوارزمشاه
واحاطوا بها احاطة الاطواق
بالاعناق وناوشوه الحرب *
من كل اوب ودرب * فظلت
تلفح وجوه رجاله بجمراتها
حتى اجلتهم عنها مدحورين *
وحصلتهم في ربقة الاسار
مقهورين * ودمروا على
خوارزمشاه في قرارة بيته
فاعطاهم بيديه * ووصل
الى ابي علي فحمل ثقل قيده
على كعبيه * وتبادلت
حالاهما في رقعة من أديم
النهار فصار الاسير منهما أميرا
والامير أسيرا * وكان ذلك
على الله يسيرا * وتحمل أبو
علي نحو الجرجانية في أحسن
حال وأتم شعار * وحمل أبو
عبد الله خوارزمشاه على
قتب عار بين خزي وعار *
فاستقبلها مأمون بن محمد

## ﴿ذكر عدة حوادث﴾

في هذه السنة قدم منصور بن صدقة بن مزيد الى باب السلطان فتقبله وأكرمه وكان قد هرب
بعد قتل والده الى الآن واتصل أخوه بدران بن صدقة بالامير مودود وهو الملك صاحب
الموصل فأكرمه وأحسن صحبته وفيها في جمادى زادت دجلة زيادة عظيمة وتقطعت الطرق
وغرقت الغلات الشتوية والصيفية وحدث غلاء عظيم بالعراق بلغت الكارة الدقيق الخشكار
عشرة دنانير امامية وعدم الخبز رأسا وأكل الناس التمر والباقلاء الاخضر وأما أهل السواد
فانهم لم يأكلوا جميع شهر رمضان ونصف شوال سوى الحشيش والتوت وفي رجب عزل
وزير الخليفة أبو المعالي هبة الله بن المطلب ووزر أبو القاسم على بن ابى نصر بن جهير وفيها
في شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالله ابنة السلطان ملكشاه وهي اخت السلطان محمد وكان
الذي خطب خطبة النكاح القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد النيسابوري الحنفي وكان المتولي
لقبول العقد نظام الملك احمد بن نظام الملك وزير السلطان بوكالة من الخليفة وكان الصداق مائة
الف دينار ونثرت الجواهر والدنانير وكان العقد باصبهان وفيها ولي مجاهد الدين بهروز
شحنكية بغداد وكان سبب ذلك ان السلطان محمدا كان قبض على ابى القاسم الحسين بن عبد
الواحد صاحب المخزن وعلى ابى الفرج بن رئيس الرؤساء واعتقلهم عنده ثم اطلقهم الآن
وقرر عليهم مالا يحملونه اليه وارسل مجاهد الدين بهروز لقبض المال وامره السلطان بعمارة دار
المملكة ففعل ذلك وعمر الدار واحسن الى الناس فلما قدم السلطان الى بغداد ولاه شحنكية
العراق جميعه وخلع على سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة وولاه الحلة السيفية وكان
صار ماسار اذا راى وجلد وفي شوال ملك الامير سكمان القطبي صاحب خلاط مدينة
ميافارقين بالامان بعد ان حصرها وضيق على اهلها عدة شهور وعدمت الاقوات بها واشتد
الجوع بأهلها فسلموها وفي هذه السنة في صفر قتل قاضي أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي
بهمذان وكان قد تجرد في امر الباطنية تجردا عظيما وصار يلبس درعا حذرا منهم ويحتاط
ويحترز فقصده انسان عجمي يوم جمعة ودخل بينه وبين أصحابه فقتله وقتل صاعد بن محمد بن عبد
الرحمن أبو العلاء قاضي نيسابور يوم عيد الفطر قتله باطني وقتل الباطني ومولده سنة ثمان
وأربعين واربعمائة وسمع الحديث وكان حنفي المذهب وفي هذه السنة سار قفل عظيم من
دمشق الى مصر فأتى الخبر الى ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر وأخذ كل من فيه ولم ينج
منهم الا القليل ومن سلم أخذه العرب وفي فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن
شيزر على حين غفلة من اهله في مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا
الى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد النصارى وكانوا قد أحسنوا
الى هؤلاء الذين أفسدوا كل الاحسان فبادر أهل المدينة الباشورة فأصعدهم النساء
في الحبال من الطاقات وصاروا معهم وأدركهم الامراء بنو منقذ أصحاب الحصن فصعدوا اليهم
فكبروا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد
وقتل من كان على مثل رأيهم في البلد وفيها وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء فكتبوا الى
أميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء فأحضرهم عنده وأمرهم أن يعملوا شيئا من

فقابل أبا على بالاحتشام
والاجلال وعوضنا بأبي
عبد الله من ضروب
الاذلال وحمل على
المال والخلع أموالت
عمر من يجهونه لا كابر
أبي على واجلاله ورشا طرفه
صنوف أمواله وأقام
العطايا العامة رجاله حتى
انتقلت أحواله وأحل
يوم احتفاله وقراهم ذات
يوم وكان قد اتخذ جلدا
كأنما عمل عليه صناع
صنعاء تزيينا وتصنيعا
وتنضيدا وتصيدا فأخذ
عليه في الشرب استاد
الملك ومثله القدم اذ
كان قد حبر الشراب ورده
متذبذبا فلما أخذت
الكؤس مأخذها منها

من صناعتهم فقالوا نعمل النقرة فأحضر لهم ما طلبوا من آلة وغيرها وقعد معهم هو والشريف أبو الحسن وقائد جيشه اسمه ابراهيم وكانا يختصان به فلما رأى الكيماوية المكان خاليا من جمع ثاروا بهم فضرب أحدهم يحيى بن تميم على رأسه فوقعت السكين في عمامته فلم تصنع شيأ ورفسه يحيى فالقاه على ظهره ودخل يحيى بابا وأغلقه على نفسه فضرب الثاني الشريف فقتله وأخذ القائد ابراهيم السيف فقاتل الكيماوية ووقع الصوت فدخل أصحاب الامير يحيى فقتلوا الكيماوية وكان زيهم زي أهل الاندلس فقتل جماعة من أهل البلد على مثل زيهم وقيل للامير يحيى ان هؤلاء رآهم بعض الناس عند المقدم بن خليفة واتفق ان الامير أبا الفتوح بن تميم أخا يحيى وصل تلك الساعة الى القصر في أصحابه قد لبسوا السلاح فمنع من الدخول فثبت عند الامير يحيى ان ذلك بوضع منهما فأحضر المقدم بن خليفة وأمر أولاد أخيه فقتلوه قصاصا لانه قتل أباهم وأخرج الامير أبا الفتوح وزوجته بلارة بنت القاسم بن تميم وهي ابنة عمه ووكل بهما في قصر زياد بين المهدية وسفاقس فبقي هنالك الى ان مات يحيى وملك بعده ابنه علي سنة تسع وخمسمائة فسير أبا الفتوح وزوجته بلارة الى ديار مصر في البحر فوصلا الى اسكندرية على ما نذكره ان شاء الله وفيها في المحرم قتل عبد الواحد بن اسمعيل بن احمد بن محمد أبو المحاسن الروياني الطبري الفقيه الشافعي مولده سنة خمس عشرة واربعمائة وكان حافظا للمذهب ويقول لو احترقت كتب الشافعي لامليتها من قلبي وفيها في جمادى الآخرة توفي الخطيب ابو زكرياء يحيى بن علي التبريزي الشيباني اللغوي صاحب التصانيف المشهورة وله شعر ليس بالجيد وفيها في رجب توفي السيد ابو هاشم زيد الحسني العلوي رئيس همذان وكان نافذ الحكم ماضي الامر وكانت مدة رياسته اياها سبعا واربعين سنة وجده لامه الصاحب ابو القاسم ابن عباد وكان عظيم المال جدا فمن ذلك انه اخذ منه السلطان محمد في دفعة واحدة سبعمائة الف دينار لم يبع لاجلها املاكا ولا استدان دينارا واقام بعد ذلك بالسلطان محمد عدة شهور في جميع ما يريده وكان قليل المعروف وفيها في ذي الحجة توفي ابو الفوارس الحسن بن علي الخازن الكاتب المشهور بجودة الخط وله شعر منه

عنت الدنيا لطالبها * واستراح الزاهد الفطن
عرف الدنيا فلم يرها * وسواه حظه الفتن
كل ملك نال زخرفها * حظه مما حوى كفن
يقتني مالا ويتركه * في كلا الحالين مفتتن
املي كوني على ثقة * من لقاء الله مرتهن
اكره الدنيا وكيف بها * والذي تسخو به وسن
لم تدم قبلي على احد * فلماذا الهم والحزن

وقيل توفي سنة تسع وتسعين واربعمائة وقد ذكرناه

*(ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة)*

*(ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت من الشام)*

في هذه السنة حادي عشر ذي الحجة ملك الفرنج طرابلس وسبب ذلك ان طرابلس كانت قد

اقترح احضار خوارزمشاه فاحضر يحجل في قيده ولم يزد في جواب ما سئل عنه وعبر به على الاطراق * ويسم الارض بالحداق * وجملة أمره انه أمر به فأذريت هامته عن منكبيه فقد سرح الى الارض بشيبته البيضاء * كذلك يفعل الله ما يشاء * وصفت خوارزم للمأمون بن محمد فرتب بها من أقام الخطبة برسمه * وجبى أموالها على حكمه * وتابع كتبه الى الرضى * مستشفعا في أمر أبي علي * وسائلا تدبير أمره بما يؤنس وحشته * ويجبر خلته * فخوطب هو وأبو علي في الملتمس * بصفقة الملابس * رضا من يطوي على حقد دفين وداء

صارت في حكم صاحبه بمصر ونائبه فيها الى الآن وقد ذكرنا ذلك سنة احدى وخمسمائة فلما كان هذه السنة أول شعبان وصل اسطول كبير من بلد الفرنج في البحر ومقدمهم قمص كبير اسمه ريمند بن صنجيل ومراكبه مشحونة بالرجال والسلاح والميرة فنزل على طرابلس وكان نازلا عليها قبله السرداني ابن اخت صنجيل وليس بابن اخته بل هو قمص آخر فجرت بينهما فتنة أدت الى الشر والقتال فوصل طنكري صاحب انطاكية اليها معونة للسرداني ووصل الملك بغدوين صاحب القدس في عسكره فاصلح بينهم ونزل الفرنج جميعهم على طرابلس وشرعوا في قتالها ومضايقة اهلها من اول شعبان والصقوا ابراجهم بسورها فلما رأى الجند واهل البلد ذلك سقط في ايديهم وذلت نفوسهم وزادهم ضعفا تأخر الاسطول المصري عنهم بالميرة والنجدة وكان سبب تأخره أنهم فرغوا منه ومن البعث عليه واختلفوا فيه أكثر من سنة وسار فردته الريح فتعذر عليهم الوصول الى طرابلس ليقضي الله أمرا كان مفعولا وشد الفرنج القتال عليها من الابراج والزحف فهجموا على البلد وملكوه عنوة وقهرا يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة ونهبوا ما فيها وأسروا الرجال وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الاموال وغنموا من أهلها من الاموال والامتعة وكتب دور العلم الموقوفة ما لا يحد ولا يحصى فان أهلها كانوا من أكثر أهل البلاد أموالا وتجارة وسلم الوالي الذي كان بها وجماعة من جندها كانوا التمسوا الامان قبل فتحها فوصلوا الى دمشق وعاقب الفرنج أهلها بأنواع العقوبات وأخذت دفائنهم وذخائرهم من مكامنهم

•(ذكر ملك الفرنج جبيل وبانياس)•

لما فرغ الفرنج من طرابلس سار طنكري صاحب انطاكية الى بانياس وحصرها وافتتحها وامن أهلها ونزل مدينة جبيل وفيها فخر الملك بن عمار الذي كان صاحب طرابلس وكان القوت فيها قليلا فقاتلها الى ان ملكها في الثاني والعشرين من ذي الحجة من السنة بالامان وخرج فخر الملك بن عمار سالما ووصل عقيب ملك طرابلس الاسطول المصري بالرجال والمال والغلال وغيرها ما يكفيهم سنة فوصل الى صور بعد أخذها بثمانية ايام للقضاء النازل بأهلها وفرقت الغلال التي فيه والذخائر في الجهات المنفذة اليها صور وصيدا وبيروت وأما فخر الملك بن عمار فانه قصد شيزر فأكرمه صاحبها الامير سلطان بن علي بن منقذ الكناني واحترمه وسأله أن يقيم عنده فلم يفعل وسار الى دمشق فأنزله طغتكين صاحبها وأجزل له في الحمل والعطية وأقطعه أعمال الزبداني وهو عمل كبير من اعمال دمشق وكان ذلك في المحرم سنة اثنتين وخمسمائة

•(ذكر الحرب بين محمد خان وساغربك)•

في هذه السنة عاد ساغربك وجمع العساكر الكثيرة من الاتراك وغيرهم وقصد أعمال محمد خان بسمرقند وغيرها فأرسل محمد خان الى سنجر يستنجده فسير اليه الجنود واجتمع معه أيضا كثير من العساكر وسار الى ساغربك فالتقوا بنواحي الخشب واقتتلوا فانهزم ساغربك وعساكره وأخذت السيوف منهم مأخذها وكثر الاسر فيهم والنهب فلما فرغوا من حربهم وأمن محمد خان من شر ساغربك عاد العسكر السنجري الى خراسان فعبروا النهر الى بلخ

•(ذكر عدة حوادث)•

في العدو ردوى وأمر أبو
على بالمسير الى خدمة السرير
فلاحت له أماني تصديها
جده• وسلط عليها أتراده•
• فخص قصر بخارا سائرا
الى دمه بقدمه وقد أغفلت
الايام قلبه عن ذكر فعلاته
وزلاته التي قدر اسقدورا
• وليقضي الله أمرا كان
مفعولا• ولما شارف بخارا
استقبله الوزير عبد الله بن
عزير والقواد على طبقاتهم
مهنئين ومبركين ومضى
بهم الى السهلة ونزل بها
وأخذ يلثم الارض الى أن
بلغ السدة ورفع له الحجاب
• وسار أمامه الحجاب الى
أن وصل الى الرضى
فاستغرق أدب الخدمة
• وليس ذل كفران النعمة

فى هذه السنة فى المحرم سير السلطان وزيره نظام الملك احمد بن نظام الملك الى قلعة ألموت لقتال الحسن بن الصباح ومن معه من الاسماعيلية فحصروهم وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضا وفيها فى ربيع الآخر قدم السلطان الى بغداد وعاد عنها فى شوال من السنة أيضا وفيها فى شعبان توجه الوزير نظام الملك الى الجامع فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرح فى رقبته فبقى مريضا مدة ثم برأ وأخذ الباطنى الذى جرحه فسقى الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فأقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا وفيها عزل وزير الخليفة وهو أبو المعالى ابن المطلب ووزر بعده الزعيم أبو القاسم بن جهير فخرج ابن المطلب من دار الخليفة مستترا هو وأولاده واستجار بدار السلطان وفيها جهز يحيى بن تميم صاحب افريقية خمسة عشر شينيا وسيرها الى بلاد الروم فلقيها اسطول الروم وهو كبير فقاتلوهم وأخذوا استقطع من شوانى المسلمين ولم ينهزم بعد ذلك ليحيى جيش فى البحر والبر وسير ابنه أبا الفتوح الى مدينة سفاقس واليا عليها فثار به أهلها فنهبوا قصره وهموا بقتله فلم يزل يحيى يعمل الحيلة عليهم حتى فرق كلمتهم وبدد شملهم وملك رقابهم فسجنهم وعفا عن دمائهم وذنوبهم وفيها توفى الامير ابراهيم ينال صاحب آمد وكان قبيح السيرة مشهورا بالظلم فجلا كثير من أهلها لجوره وملك بعده ولده وكان أصلح حالا منه وفيها فى ثامن ذى القعدة ظهر فى السماء كوكب من الشرق له ذؤابة ممتدة الى القبلة وبقى يطلع الى آخر ذى الحجة ثم غاب

*(ثم دخلت سنة أربع وخمسمائة)*

*(ذكر ملك الفرنج مدينة صيدا)*

فى هذه السنة فى ربيع الآخر ملك الفرنج مدينة صيدا من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل فى البحر الى الشام ستون مركبا للفرنج مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحج البيت المقدس وليغزو بزعمه المسلمين فاجتمع بهم بغدوين ملك القدس وتقررت القاعدة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيدا ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برا وبحرا وكان الاسطول المصرى مقيما على صور فلم يقدر على انجاد صيدا فعمل الفرنج برجا من الخشب واحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار عنه والحجارة وزحفوا به فلما عاين أهل صيدا ذلك ضعفت نفوسهم واشفقوا ان يصيبهم مثل ما اصاب أهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنج وطلبوا من ملكهم الامان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم والعسكر الذى عندهم ومن اراد المقام به عندهم أمنوه ومن اراد المسير عنهم لم يمنعوه وحلف لهم على ذلك فخرج الوالى وجماعة كثيرة من أعيان أهل البلد فى العشرين من جمادى الاولى الى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوما ورحل بغدوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيدا بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين أقاموا بها عشرين ألف دينار فأفقرهم واستغرق أموالهم

*(ذكر استيلاء المصريين على عسقلان)*

كانت عسقلان للعلويين المصريين ثم ان الخليفة الآمر باحكام الله استعمل عليها انسانا يعرف بشمس الخلافة فراسل بغدوين ملك الفرنج بالشام وهادنه وأهدى اليه مالا وعروضا

واستنزل بعقبه ايانكو فى كبار اخوته وقواده حتى اذا نودى بدابته للخروج من الدار عدل بهم الى بعض الحجر وسلك هو والآخرون فى القيود والاصفاد وأطلق على الوقوف بالباب أيدى الاولياء والحشم فطبقوهم بالنهب والسلب * وسلخوهم بين كل مضيق ودرب وختمت حال أبى على بيومه ذلك يوم تطامن فيه صوره واستقام صعره * ونضج له ثمره * وأعياه على ورده صدره * كذلك كفران النعمة لا يرضى الا بسخط صاحبه * وايساد الزمان عليه بأنيابه ونوائبه * ورحم الله من قال * فلقد أحسن المقال

فامتنع به من أحكام المصريين عليه الا فيما يريد من غير مجاهرة بذلك فوصلت الاخبار بذلك الى الآمر باحكام الله صاحب مصر والى وزيره الافضل أمير الجيوش فعظم الامر عليهما وجهزا عسكرا وسيراه الى عسقلان مع قائد كبير من قوادهما وأظهرا أنه يريد الغزاة وأمرا القائد سرا ان يقبض على شمس الخلافة اذا حضر عندهم ويقيم هو عوضه بعسقلان أميرا فسار العسكر فعرف شمس الخلافة الحال فامتنع من الحضور عند العسكر المصرى وجاهر بالعصيان وأخرج من كان عنده من عسكر مصر خوفا منهم فلما عرف الافضل ذلك خاف أن يسلم عسقلان الى الفرنج فارسل اليه وطيب قلبه وسكنه وأقره على عمله وأعاد عليه أقطاعه بمصر ثم ان شمس الخلافة خاف أهل عسقلان فاحضر جماعة من الارمن واتخذهم جندا ولم يزل على هذه الحال الى آخر سنة أربع وخمسمائة فانكر الامر أهل البلد فوثب به قوم من أعيانه وهو راكب فجرحوه فانهزم منهم الى داره فتبعوه وقتلوه ونهبوا داره وجميع ما فيها ونهبوا بعض دور غيره من أرباب الاموال بهذه الحجة وأرسلوا الى مصر بجلية الحال الى الآمر والافضل فسر ابذلك وأحسنا الى الواصلين بالبشارة وارسلا اليه واليا يقيم به ويستعمل مع أهل البلد الاحسان وحسن السيرة فتم ذلك وزال ما كانوا يخافونه

*(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب وغيره)*

فى هذه السنة جمع صاحب انطاكية عساكره من الفرنج وحشد الفارس والراجل وسار نحو حصن الاثارب وهو بالقرب من مدينة حلب بينهما ثلاثة فراسخ وحصره ومنع عنه الميرة فضاق الامر على من به من المسلمين فنقبوا من القلعة نقبا قصدوا أن يخرجوا منه الى خيمة صاحب انطاكية فيقتلوه فلما فعلوا ذلك وقربوا من خيمته استأمن اليه صبى أرمنى فعرفه الحال فاحتاط واحترز منهم وجد فى قتالهم حتى ملك الحصن قهرا وعنوة وقتل من أهله الفى رجل وسبى وأسر الباقين ثم سار الى حصن زردنا فحصره ففتحه وفعل بأهله مثل الاثارب فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفا من الفرنج وكذلك أهل بالس وقصد الفرنج البلدين فرأوهما وليس بهما أنيس فعادوا عنها وسار عسكر من الفرنج الى مدينة صيدا فطلب أهلها منهم الامان فامنوهم وتسلموا البلد فعظم خوف المسلمين منهم وبلغت القلوب الحناجر وأيقنوا باستيلاء الفرنج على سائر الشام لعدم الحامى له والمانع عنه فشرع أصحاب البلاد الاسلامية بالشام فى الهدنة معهم فامتنع الفرنج من الاجابة الا على قطيعة يأخذونها الى مدة يسيرة فصالحهم الملك رضوان صاحب حلب على اثنين وثلاثين ألف دينار وغيرها من الخيول والثياب وصالحهم صاحب صور على سبعة آلاف دينار وصالحهم ابن منقذ صاحب شيزر على أربعة آلاف دينار وصالحهم على الكردى صاحب حماة على الفى دينار وكانت مدة الهدنة الى وقت ادراك الغلة وحصادها ثم ان مراكب أقلعت من ديار مصر فيها التجار ومعهم الامتعة الكثيرة فوقع عليها مراكب الفرنج فاخذوها وغنموا ما مع التجار وأسروهم فسار جماعة من أهل حلب الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم فقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا من الصلاة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان انفاذ العساكر للجهاد وسير من دار الخلافة منبرا الى جامع السلطان فلما كان الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر

اذا المرء لم يرض ما أمكنه *
ولم يأت من أمره أزينه
وأعجب بالعجب فاقتاده *
وتاه به التيه فاستحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره *
سيضحك يوما ويبكى سنه
وقد كان الامير سبكتكين
متجابرا على أثرابى على
فلما بلغه ايقاع خوارزم
شاه بأبى على عدل الى بلخ
فنفس بها على جلته فى
الطاعة وارتياد مصلحة
الكافة الى ان وردا بو على
بخارا وعزف بابه بما تقدم
ذكره وطلع اثناء ذلك كتاب
الرضى عليه بما يؤيه ابلاك
شأن من الانحدار عن الاعالى
وجمار تماق أيدى عماله من
أعمال تلك النواحى ويسأله
حسم أثار وقف فى وجهه

بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم حاجب الباب من الدخول فغلبوه على ذلك ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة وهجموا الى المنبر فكسروه وبطلت الجمعة ايضا فارسل الخليفة الى السلطان في المعنى يأمره بالاهتمام بهذا الفتق ورتقه فتقدم حينئذ الى من معه من الامراء بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده الملك مسعودا مع الامير مودود صاحب الموصل وتقدموا الى الموصل ليلحق بهم الامراء ويسيرون الى قتال الفرنج وانقضت السنة وساروا في سنة خمس وخمسمائة وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## *(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة عزل نظام الملك أحمد من وزارة السلطان ووزر بعده الخطير محمد بن الحسين الميبذي وفيها ورد رسول ملك الروم الى السلطان يستنفره على الفرنج ويحثه على قتالهم ودفعهم عن البلاد وكان وصوله قبل وصول أهل حلب وكان اهل حلب يقولون للسلطان اما تتقي الله تعالى أن يكون ملك الروم اكثر حمية منك للاسلام حتى قد ارسل اليك في جهادهم وفيها في رمضان زفت ابنة السلطان ملكشاه الى الخليفة وزينت بغداد وغلقت وكان بها فرحة عظيمة لم يشاهد الناس مثلها وفيها هبت بمصر ريح سوداء أظلمت بها الدنيا واخذت بانفاس الناس ولم يقدر احد يفتح عينيه ومن فتحها لا يبصر يده ونزل على الناس رمل ويئس الناس من الحياة وايقنوا بالهلاك ثم تجلى قليلا وعاد الى الصفرة وكان ذلك من اول وقت العصر الى بعد المغرب وفيها في المحرم توفي الكيا الهراس الطبري واسمه ابو الحسن علي بن محمد بن علي وكان من اعيان الفقهاء الشافعية اخذ الفقه عن امام الحرمين الجويني ودرس بعده في النظامية ببغداد وتوفي بها ودفن عند تربة الشيخ ابي اسحق ودرس بعده في النظامية الامام ابو بكر الشاشي وفيها توفي ابو الحسين ادريس بن حمزة بن علي الرملي الفقيه الشافعي من اهل الرملة بفلسطين تفقه على ابي الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وعلى الشيخ ابي اسحق الشيرازي ودخل خراسان وولي التدريس بسمرقند فتوفي بها

## *(ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة)*

## *(ذكر مسير العساكر الى قتال الفرنج)*

في هذه السنة اجتمعت العساكر التي امرها السلطان بالمسير الى قتال الفرنج فكانوا الامير مودود صاحب الموصل والامير سكمان القطبي صاحب تبريز وبعض ديار بكر والامير ايلبكي وزنكي ابنا برسق ولهما همذان وما جاورها والامير احمديل وله مراغة وكوتب الامير ابو الهيجاء صاحب اربل والامير ايلغازي صاحب ماردين والامراء البكجية بالعراق بالملك مسعود ومودود فاجتمعوا ما عدا الامير ايلغازي فانه سير ولده اياز واقام هو فلما اجتمعوا ساروا الى بلد سنجار ففتحوا عدة حصون للفرنج وقتلوا من بها منهم وحصروا مدينة الرها مدة ثم رحلوا عنها من غير ان يملكوها وكان سبب رحيلهم عنها ان الفرنج اجتمعت جميعها فارسها وراجلها وساروا الى الفرات ليعبروها ويمنعوا الرها من المسلمين فلما وصلوا الى الفرات بلغهم كثرة المسلمين فلم يقدموا عليه واقاموا على الفرات فلما رأى المسلمون ذلك رحلوا عن الرها الى حران ليطمع الفرنج ويعبروا الفرات اليهم ويقاتلوهم فلما رحلوا عنها جاء الفرنج ومعهم الميرة والذخائر الى الرها فجعلوا فيها

والعبور بالكفاية أمره * متمما للصنيعة عنده في استمهاء دولته * واستبقاء ملكه وحوزته * فاستشار في ذلك وجوه نصحائه ووزرائه * فترجحت الاجوبة بين تبعيد وتقريب * وتخطئة وتصويب * ثم اخذته العزة بالوفاء * وهزته الحفيظة للنداء * فعدل عن مشورة النصحاء * الى صريحة العزم والرأي واقبل على الاستعداد والاحتشاد * وبث كتبه الى ولاة الاطراف وزعماء البلاد * بتعجيل الورود * وتقديم الوفود * وعجل هو الى العبور * قبل تلاحق الجمهور * ومضى الى ما بين كش ونسف فخيم بقرية

كل ما يعتاجون اليه بعد ان كانوا أقلوا الميرة وقد أشرفوا على ان يؤخذوا وأخذوا كل من فيه
عجز وضعف وفقر وعادوا الى الفرات فعبروه الى الجانب الشامى وطرقوا أعمال حلب فأفسدوا
ما فيها ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وسبوا خلقا كثيرا وكان سبب ذلك ان الفرنج لما عبروا الى
الجزيرة خرج الملك رضوان صاحب حلب الى ما أخذه الفرنج من أعماله فاستعاد بعضه ونهب
منهم وقتل فلما عادوا وعبروا الفرات فعلوا بأعماله ما فعلوا واما العسكر السلطانى فانه لما سمع بعود
الفرنج وعبورهم الفرات رحلوا الى الرها وحصروها فرأوا أمرا محكما قد قويت نفوس أهلها
بالذخائر التى تركت عندهم وبكثرة المقاتلين عنهم ولم يجدوا فيها مطمعا فرحلوا عنها وعبروا الفرات
فحصروا القلعة تل باشر خمسة واربعين يوما ورحلوا عنها ولم يبلغوا غرضا ووصلوا الى حلب فأغلق
الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم ثم مرض هناك الامير سكمان القطبى فعاد مريضا فتوفى فى
بالس فجعله أصحابه فى تابوت وحملوه عائدين الى بلاده فقصدهم ايلغازى ليأخذهم ويغنم ما معهم
فجعلوا تابوته فى القلب وقاتلوا بين يديه فانهزم ايلغازى وغنموا ما معه وساروا الى بلادهم ولما
غلق الملك رضوان أبواب حلب ولم يجتمع بالعساكر السلطانية رحلوا الى معرة النعمان واجتمع بهم
طغتكين صاحب دمشق ونزل على الامير مودود فاطلع من الامراء على نيات فاسدة فى حقه
فخاف ان تؤخذ منه دمشق فشرع فى مهادنة الفرنج سرا وكانوا قد نكلوا عن قتال المسلمين
فلم يتم ذلك وتفرقت العساكر وكان سبب تفرقهم ان الامير برسق بن برسق الذى هو اكبر الامراء
كان به نقرس فهو يحمل فى محفة ومات سكمان القطبى كما ذكرنا واراد الامير احمديل صاحب
مراغة العود ليطلب من السلطان ان يقطعه ما كان لسكمان من البلاد وأتابك طغتكين ما أخذ
دمشق خاف الامراء على نفسه فلم ينصحهم الا انه حصل بينه وبين مودود صاحب الموصل مودة
وصداقة فتفرقوا لهذه الاسباب وبقى مودود وطغتكين بالمعرة فسارا ونزلا على نهر
العاصى ولما سمع الفرنج بتفرق عساكر الاسلام طمعوا وكانوا قد اجتمعوا كلهم بعد
الاختلاف والتباين وساروا الى فامية فسمع بهم سلطان بن منقذ صاحب شيزر فسار الى مودود
وطغتكين وهون عليهما امر الفرنج وحرضهما على الجهاد فرحلوا الى شيزر ونزلوا عليها ونزل
الفرنج بالقرب منهم فضيق عليهم عسكر المسلمين الميرة وناوشوهم بالقتال والفرنج يحفظون
نفوسهم ولا يعطون مصافا فلما رأوا قوة المسلمين عادوا الى فامية وتبعهم المسلمون فتخطفوا من
ادركوه فى ساقتهم وعادوا الى شيزر فى ربيع الاول

*(ذكر حصر الفرنج مدينة صور)*

لما تفرقت العساكر اجتمعت الفرنج على قصد مدينة صور وحصرها فساروا اليها مع الملك
بغدوين صاحب القدس وحشدوا وجمعوا ونازلوها وحصروها فى الخامس والعشرين من
جمادى الاولى وعملوا عليها ثلاثة ابراج خشب علو البرج سبعون ذراعا وفى كل برج الف رجل
ونصبوا عليها المجانيق والصقوا احدها الى سور البلد واخلوه من الرجال وكانت صور للآمر
باحكام الله العلوى ونائبه بها عز الملك الاعز فاحضر أهل البلد واستشارهم فى حيلة يدفعون بها
شر الابراج عنهم فقام شيخ من أهل طرابلس وضمن على نفسه احراقها وأخذ معه ألف رجل
بالسلاح التام ومع كل رجل منهم حزمة حطب فقاتلوا الفرنج الى أن وصلوا الى البرج الملتصق

تدعى تيازى الى أن وصل اليه ولاة وزنجان والقلل والصغانيان وسائر اطراف خراسان * وورد عليه الامير سيف الدولة من نيسابور فى هيئة راقت العيون وهيبة راعت القلوب * ورجال تدربتهم الحروب * فى تجورها * وارضعتهم التجارب من شطورها * ثم تبعه بعسكر ما وراء النهر جمع من كبار الملوك واعيان القروم وطبقات

بالمدينة فالقى الحطب من جهاته وألقى فيه النار ثم خاف ان يشتغل الفرنج الذين فى البرج باطفاء النار ويتخلصوا فرماهم بجريب كان قد اعدها مملوأة من العذرة فلما سقطت عليهم اشتغلوا بها وبما نالهم من سوء الرائحة والتلويث فتمكنت النار منه فهلك كل من به الا القليل واخذ منه المسلمون ما قدروا عليه بالكلاليب ثم اخذ سلال العنب الكبار وترك فيها الحطب الذى قد سقاه بالنفط والزفت والكتان والكبريت ورماهم بسبعين سلة واحرق البرجين الآخرين ثم ان أهل صور حفروا اسراديب تحت الارض ليسقط فيها الفرنج اذا زحفوا اليهم وليخسف برج ان عملوه وسيروه اليهم فاستأمن نفر من المسلمين الى الفرنج واعلموهم بما عملوه فحذروا منها وأرسل أهل البلد الى اتابك طغتكين صاحب دمشق يستنجدونه ويطلبونه ليسلموا البلد اليه فسار فى عساكره الى نواحى بانياس وسير اليهم نجدة مائتى فارس فدخلوا البلد فامتنع من فيه بهم واشتد قتال الفرنج خوفا من اتصال النجدات ففنى نشاب الاتراك فقاتلوا بالخشب وفنى النفط فظفروا بسرب تحت الارض فيه نفط لا يعلم من خزنه ثم ان عز الملك صاحب صور ارسل الاموال الى طغتكين ليكثر من الرجال ويقصدهم ليملك البلد فارسل طغتكين طائرا فيه رقعة ليعلمه وصول المال ويأمره ان يقيم مركبا بمكان ذكره لتجئ الرجال اليه فسقط الطائر على مركب الفرنج فاخذه رجلان مسلم وافرنجى فقال الفرنجى نطلقه لعل فيه فرجا لهم فلم يمكنه المسلم وحمله الى الملك بغدوين فلما وقف عليه سير مركبا الى المكان الذى ذكره طغتكين وفيه جماعة من المسلمين الذين استأمنوا اليه من صور فوصل اليهم العسكر فكلموهم بالعربية فلم ينكروهم وركبوا معهم فاخذوهم أسرى وحملوهم الى الفرنج فقتلوهم وطمعوا فى أهل صور فكان طغتكين يغير على اعمال الفرنج من جميع جهاتها وقصد حصن الحبيس فى السواد من اعمال دمشق وهو للفرنج فحصره وملكه بالسيف وقتل كل من فيه وعاد الى الفرنج الذين على صور وكان يقطع الميرة عنهم فى البر فاحضروها فى البحر وخندقوا عليهم ولم يخرجوا اليه فسار الى صيدا واغار على ظاهرها فقتل جماعة من البحرية واحرق نحو عشرين مركبا على الساحل وهو مع ذلك يواصل اهل صور بالكتب يأمرهم بالصبر والفرنج يلازمون قتالهم وقاتل اهل صور قتال من أيس من الحياة فدام القتال الى اوان ادراك الغلات فخاف الفرنج ان طغتكين يستولى على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى عكا وعاد عسكر طغتكين اليه واعطاهم اهل صور الاموال وغيرها ثم اصلحوا ما تشعث من سورها وخندقها وكان الفرنج قد طموه

## *(ذكر انهزام الفرنج بالاندلس)*

فى هذه السنة خرج اذفونش الفرنجى صاحب طليطلة بالاندلس الى بلاد الاسلام بها يطلب ملكها والاستيلاء عليها وجمع وحشد فاكثر وكان قد قوى طمعه فيها بسبب موت امير المسلمين يوسف بن تاشفين فسمع امير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين الخبر فسار اليه فى عساكرها وجموعه فلقيه فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر للمسلمين وانهزم الفرنج وقتلوا قتلا ذريعا واسر منهم بشر كثير وسبى منهم وغنم من أموالهم ما يخرج من الاحصاء فخافه الفرنج بعد ذلك وامتنعوا من قصد بلاده وذل اذفونش حينئذ وعلم ان فى البلاد حاميا لها وذابا عنها وفى هذه السنة فى جمادى الآخرة توفى الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الامام المشهور

الجنود ما جمعه ذلك المناخ وبلغ ايلك خان عبورهم القاته فارسل الى الامير ناصر الدين سبكتكين مدة من شيوخ بابه يذكرانهما اخوان فى ذات الله تعالى لاتفاقهما على نصرة الاسلام * واقتسامهما ديار الترك والهند بالغزو والانتقام * وانهما بحكم مساعيهما فى ظهار دين الله * وافلاج حجة الله * احق بارتفاعات خراسان وما وراء النهر من مستخلص بيته * على ما آرب نفسه * وشهوات بدنه * لا يشهد مقاما محمودا * ولا يشهر حساما مغمودا * وان اجتماعهما على حظيهما أعود عليهما من ركوب الغرر * واجتلاب الضرر *

(ثم دخلت سنة ست وخمسمائة)

في هذه السنة في المحرم سار مودود صاحب الموصل الى الرها فنزل عليها ورعى عسكره زرعها
ورحل عنها الى سروج وفعل بها كذلك وأهمل الفرنج ولم يحترزهم فلم يشعر الا وجوسلين
صاحب تل باشر قد كبسهم وكانت دواب العسكر منتشرة في المرعى فأخذ الفرنج كثيرا منها
وقتلوا كثيرا من العسكر فأما المسلمون فانهم عادوا عنهم الى سروج وفيها ارتحل السلطان
محمد من بغداد وكان مقامه هذه المرة خمسة أشهر فلما وصل الى أصبهان قبض على زين الملك أبي
سعد القمي وسلمه الى الامير كاميار لعداوة بينهما فلما وصل الى الري أركبه كاميار على دابة
بمركب ذهب وأظهر ان السلطان خلع عليه على مال قرره عليه فحصل بذلك مالا كثيرا من أهل
القمي ثم صلبه وكان سبب قبضه انه كان يكثر الطعن على الخليفة والسلطان وفيها كان ببغداد
رجل مغربي يعمل الكيمياء بزعمه اسمه أبو علي فحمل الى دار الخلافة وكان آخر العهد به وفيها
ورد الى بغداد يوسف بن أيوب الهمداني الواعظ وكان من الزهاد العابدين فوعظ الناس بها
فقام اليه رجل متفقه يقال له ابن السقاء فآذاه في مسئلة وعاوده فقال له اجلس فاني أجد من
كلامك رائحة الكفر ولعلك تموت على غير دين الاسلام فاتفق بعد مديدة ان ابن السقاء خرج
الى بلاد الروم وتنصر وفيها في ذي القعدة سمع ببغداد صوت هدة عظيمة ولم يكن بالسماء غيم
حتى يظن انه صوت رعد ولم يعلم أحد أي صوت كان وفيها توفي بسيل الارمني صاحب الدروب
بلاد ابن لاون فسار طنكري صاحب انطاكية أول جمادى الآخرة الى بلاده طمعا في ان
يملكها فمرض في طريقه فعاد الى انطاكية فمات ثامن جمادى الآخرة وملكها ابن اخته
سرخال واستقام الامر فيها بعد ان جرى بين الفرنج خلف بسببه فاصلح بينهم القسوس
والرهبان وفيها توفي قراجه صاحب حمص وكان ظالما وقام ولده قيرخان مكانه وكان مثله في
السيرة وفي هذه السنة توفي المعمر بن علي أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ البغدادي ومولده سنة
تسع وعشرين وأربعمائة وكان له خاطر حاد ومجون حسن وكان الغالب على وعظه أخبار
الصالحين وتوفي أحمد بن الفرج بن عمر الدينوري والد شهدة وكان يروي عن أبي يعلى بن الفراء
وابن المأمون وابن المهتدي وابن النقور وغيرهم وكان حسن السيرة متزهدا وتوفي أبو العلاء
صاعد بن منصور بن اسمعيل بن صاعد الخطيب النيسابوري وكان من أعيان الفقهاء وولي قضاء
خوارزم وكان يروي الحديث

(ثم دخلت سنة سبع وخمسمائة)

(ذكر قتال الفرنج وانهزامهم وقتل مودود)

في هذه السنة في المحرم اجتمع المسلمون وفيهم الامير مودود بن التونتكين صاحب الموصل
وتميرك صاحب سنجار والامير اياز بن ايلغازي وطغتكين صاحب دمشق وكان سبب اجتماع
المسلمين ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد دمشق ونهبه وخربه أواخر سنة ست
وخمسمائة وانقطعت المواد عن دمشق فغلت الاسعار فيها وقلت الاقوات فارسل طغتكين
صاحبها الى الامير مودود يشرح له الحال ويستنجده ويحثه على سرعة الوصول اليه فجمع
عسكرا وسار فعبر الفرات آخر ذي القعدة سنة ست وخمسمائة فخافه الفرنج وسمع طغتكين خبره

فسار

ناظ يخلص الى غيرهما وانه
لا يستقل قدرته ان يعدل
بالسيف عن اعداء الله الى
وجهه الا اذا اضطره اليه
ابتداؤه وسامه الدفاع عن
نفسه اعتداؤه فليختر أيها
الامرين براس ووفاق
وافتراق وائتلاف واختلاف
فهو يسم بناره ويحذو
على غراره فيرجع اليه ان
اعتاد الرضى اباه بتأميله من
خذله أبناء دولته وكفره
أنشأ نعمته ويضم اليه
الاغماض دون سيف يجري
عليه وملك يراد انتزاعه
من يديه وان تفريده
بجميع ما يعود به على
استغراقه أيام العمر فيه
احب اليه من مقة الخذلان
واختيار الاساءة على -

فسار اليه ولقيه بسلمية واتفق رأيهم على قصد بغدوين ملك القدس فساروا الى الاردن فنزل المسلمون عند الاقحوانة ونزل الفرنج مع ملكهم بغدوين وجوسلين صاحب جيشهم وغيرهما من المقدمين والفرسان المشهورين ودخلوا بلاد الفرنج مع مودود وجمع الفرنج فالتقوا عند طبرية ثالث عشر المحرم واشتد القتال وصبر الفريقان ثم ان الفرنج انهزموا وكثر القتل فيهم والاسر وممن أسر ملكهم بغدوين فلم يعرف فأخذ سلاحه وأطلق فنجا وغرق منهم في بحيرة طبرية ونهر الاردن كثير وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ووصل الفرنج الى مضيق دون طبرية فلقيهم عسكر طرابلس وانطاكية فقويت نفوسهم بهم وعاودوا الحرب فاحاط بهم المسلمون من كل ناحية وصعد الفرنج الى جبل غربي طبرية فاقاموا به ستة وعشرين يوما والمسلمون بازائهم يرمونهم بالنشاب فيصيبون من يقرب منهم ومنعوا الميرة عنهم لعلهم يخرجون الى قتالهم فلم يخرج منهم أحد فسار المسلمون الى بيسان ونهبوا بلاد الفرنج بين عكا الى القدس وخربوها وقتلوا من ظفروا به من النصارى وانقطعت المادة عنهم لبعدهم عن بلادهم فعادوا ونزلوا بمرج الصفر الامير مودود وأذن للعساكر في العود والاستراحة ثم الاجتماع في الربيع لمعاودة الغزاة وبقي في خواصه ودخل دمشق في الحادي والعشرين من ربيع الاول ليقيم عند طغتكين الى الربيع فدخل الجامع يوم الجمعة في ربيع الاول ليصلي فيه وطغتكين فلما فرغوا من الصلاة وخرج الى صحن الجامع ويده في يد طغتكين وثب عليه باطني فضربه فجرحه أربع جراحات وقتل الباطني وأخذ راسه فلم يعرفه أحد فاحرق وكان صائما فحمل الى دار طغتكين واجتهد به ليفطر فلم يفعل وقال لا القيت الله الا صائما فمات من يومه رحمه الله فقيل ان الباطنية بالشام خافوه وقتلوه وقيل بل خافه طغتكين فوضع عليه من قتله وكان خيرا عادلا كثير الخير (حدثني) والدي قال كتب ملك الفرنج الى طغتكين بعد قتل مودود كتابا من فصوله ان امة قتلت عميدها يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله ان يبيدها ولما قتل تسلم تميرك صاحب سنجار ماله من الخزائن والسلاح وحملها الى السلطان ودفن مودود بدمشق في تربة دقاق صاحبها وحمل بعد ذلك الى بغداد فدفن في جوار أبي حنيفة ثم حمل الى أصبهان

*(ذكر الخلف بين السلطان سنجر ومحمد خان والصلح بينهما)*

في هذه السنة كثر الحديث عند سنجر أن محمد خان بن سليمان بن داود قد مد يده الى اموال الرعايا وظلمهم ظلما كثيرا وانه خرب البلاد بظلمه وشره وانه قد صار استخف باوامر سنجر ولا يلتفت الى شيء منها فتجهز سنجر وجمع عساكره وسار يريد قصده بما وراء النهر فخاف محمد خان فارسل الى الامير قماج وهو اكبر امير مع سنجر يسأله ان يصلح الحال بينه وبين سنجر وارسل أيضا الى خوارزمشاه بمثل ذلك وسألهما في ارضاء السلطان عنه واعترف بأنه اخطأ فاجاب سنجر الى صلحه على شرط ان يحضر عنده ويطأ بساطه فارسل محمد خان يذكر خوفه لسوء صنيعه ولكنه يحضر الخدمة ويخدم السلطان وبينهما نهر جيحون ثم يعاود بعد ذلك الحضور عنده والدخول اليه فحسنوا الاجابة الى ذلك والاشتغال بغيره فامتنع ثم اجاب وكان سنجر على شاطئ جيحون من الجانب الغربي وجاء محمد خان الى الجانب الشرقي فترجل وقبل الارض وسنجر راكب وعاد كل واحد منهما الى خيامه ورجعوا الى بلادهم وسكنت الفتنة بينهما

الاحسان * فليقطع طمعه من النزاع * حول تلك الرباع * أو فليأذن بحرب تحطم فيها متون الصفاح * وتتقصد معها عوالي الرماح * وترخص عندها غوالي المهجات والارواح * فلما علم ايلك جده * وذاق بلسان الاختبار ما عنده * قرع للامر ظنبوبه * وشد للحرب حيزومه * ورمى احياء الترك بقداح هي فيما بينهم علامات الاستنفار فثار اليه الطم والرم كما قيل
(جيوش تضل البلق في حجراتها
ترى الاكم فيها سجدا للحوافر)
وكتب الامير ناصر الدين سبكتكين الى الرضي يستحثه اللحاق به لتقدمهم هيبته في مناهضة الخصم وفل حده *

(ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة سارت قافلة عظيمة من دمشق الى مصر فاتى الخبر الى بغدوين ملك الفرنج فسار اليه وعارضه في البر فاخذهم اجمعين ولم ينج منهم الا القليل ومن سلم اخذه العرب وفي هذه السنة توفي الوزير ابو القاسم علي بن محمد بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ووزر بعده الربيب ابو منصور ابن الوزير ابي شجاع محمد بن الحسين وزير السلطان وفيها توفي الملك رضوان بن تاج الدولة تتش بن الب ارسلان صاحب حلب وقام بعده بحلب ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشرة سنة وكانت امور رضوان غير محمودة قتل اخويه ابا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في كثير من اموره لقلة دينه ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلؤ الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناها لؤلؤ ولم يكن الب ارسلان اخرس وانما في لسانه حبسة وتمتمة وامه بنت باغيسيان الذي كان صاحب انطاكية وقتل الاخرس اخوين له احدهما اسمه ملكشاه وهو من ابيه وامه واسم الآخر مبارك شاه وهو من ابيه وكان ابوه فعل مثله فلما توفي قتل ولداه مكافاة لما اعتمده مع اخويه وكان الباطنية قد كثروا بحلب في ايامه حتى خافهم ابن بديع رئيسها واعيان اهلها فلما توفي قال ابن بديع لالب ارسلان في قتلهم والايقاع بهم فامره بذلك فقبض على مقدمهم ابي طاهر الصائغ وعلى جميع اصحابه فقتل ابا طاهر وجماعة من اعيانهم واخذ اموال الباقين واطلقهم فمنهم من قصد الفرنج وتفرقوا في البلاد وفي هذه السنة توفي ببغداد ابو بكر احمد بن علي بن بدران الحلواني الزاهد منتصف جمادى الاولى وروى الحديث عن القاضي ابي الطيب الطبري وابي محمد الجوهري وابي طالب العشاري وغيرهم وروى عنه خلق كثير ومن آخرهم ابو الفضل عبد الله بن الطوسي خطيب الموصل واسمعيل ابن احمد بن الحسين بن علي ابو علي بن ابي بكر البيهقي الامام ابن الامام ومولده سنة ثمان وعشرين واربعمائة وتوفي بمدينة بيهق ولوالده تصانيف كثيرة مشهورة وشجاع بن ابي شجاع فارس بن الحسين بن فارس ابو غالب الذهلي الحافظ ومولده سنة ثلاثين واربعمائة وروى عن ابيه وابي القاسم وابن المهتدي والجوهري وغيرهم والاديب ابو المظفر محمد بن احمد بن محمد الابيوردي الشاعر المشهور وله ديوان حسن ومن شعره

تنكر لي دهري ولم يدر انني ... اعز واحداث الزمان تهون
وظل يريني الخطب كيف اعتداؤه ... وبت اريه الصبر كيف يكون

وله ايضا

ركبت طرفي فاذرى دمعه اسفا ... عند انصرافي منهم مضمر الياس
وقال حتام تؤذيني فان سنحت ... حوائج لك فاركبني الى الناس

وكانت وفاته باصبهان وهو من ولد عنبسة بن ابي سفيان بن حرب الاموي وتوفي ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشي الامام الفقيه الشافعي في شوال ومولده سنة سبع وعشرين واربعمائة سمع ابا بكر الخطيب وابا يعلى بن الفراء وغيرهم وتفقه على ابي عبد الله محمد بن الكازروني بديار بكر وعلى ابي اسحق الشيرازي ببغداد وعلى ابي نصر بن الصباغ وفيها توفي ابو نصر المؤتمن بن احمد بن الحسن الساجي الحافظ المقدسي ومولده سنة خمس واربعين واربعمائة

وزحزحته عن صدر الملك الى ما وراءه واشفق ابن عزير على نفسه من سركته للهنات التي كانت الجأته الى الهرب والملاذ به من سوء الطلب وتصحيح للرضى بأن الامير ناصر الدين سبكتكين وعامة ولاة الاطراف صبروا التصرف احسن عدة وعتاد وابلغ استظهار واستشهاد وان المحن التي اعترتك قد تنفست عن تجمل مثلك ووحلت بريشة الله عن رحلك فصبح بك ان تجاوز من حاله اعلى من حالك ورجاله اتم استظهارا من فرسان رجالك والرأي لك ان تستعفيه عن شهادتك يتمسك على ان تحشر اليه وجوه القواد في جماهير

وكان مكثرا من الحديث وتفقه على ابى اسحق وكان ثقة

(ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة)

*(ذكر مسير آقسنقر البرسقى الى الشام لحرب الفرنج)*

فى هذه السنة سير السلطان محمد الامير آقسنقر البرسقى الى الموصل واعمالها واليا عليها لما بلغه قتل مودود وسير معه ولده الملك مسعودا فى جيش كثيف وامره بقتال الفرنج وكتب الى سائر الامراء بطاعته فوصل الى الموصل واتصلت به عساكرها وفيهم عماد الدين زنكى بن آقسنقر الذى ملك هو واولاده الموصل بعد ذلك وكان له الشجاعة فى الغاية واتصل به أيضا تميرك صاحب سنجار وغيرهما فسار البرسقى الى جزيرة ابن عمر فسلمها اليه نائب مودود بها وسار معه الى ماردين فنازلها البرسقى حتى أذعن له ايلغازى صاحبها وسير معه عسكرا مع ولده اياز فسار عنه البرسقى الى الرها فى خمسة عشر ألف فارس فنازلها فى ذى الحجة وقاتلها وصبر له الفرنج وأصابوا من بعض المسلمين غرة فاخذوا منهم تسعة رجال وصلبوهم على سورها فاشتد القتال حينئذ وحمى المسلمون وقاتلوا فقتلوا من الفرنج خمسين فارسا من اعيانهم واقام عليها شهرين واياما وضاقت الميرة على المسلمين فرحلوا من الرها الى سميساط بعد ان خربوا بلد الرها وبلد سروج و بلد سميساط واطاعه صاحب مرعش على ما نذكره ثم عاد الى شحنات (١) فقبض على اياز بن ايلغازى حيث لم يحضر أبوه ونهب سواد ماردين

*(ذكر طاعة صاحب مرعش وغيرها البرسقى)*

فى هذه السنة توفى بعض كنود الفرنج ويعرف بكواسيل وهو صاحب مرعش وكيسوم ورعبان وغيرها فاستولت زوجته على المملكة وتحصنت من الفرنج وأحسنت الى الاجناد وراسلت آقسنقر البرسقى وهو على الرها واستدعت منه بعض أصحابه لتطيعه فسير اليها الامير سنقر دزدار صاحب الخابور فلما وصل اليها أكرمته وحملت اليه مالا كثيرا وبينما هو عندها اذ جاء جمع من الفرنج فواقعوا أصحابه وهم نحو مائة فارس واقتتلوا قتالا شديدا ظفر فيه المسلمون بالفرنج وقتلوا منهم أكثرهم وعاد سنقر دزدار وقد أصحبته الهدايا للملك مسعود والبرسقى وأذعنت بالطاعة ولما عرف الفرنج ذلك عاد كثير ممن عندها الى انطاكية

*(ذكر الحرب بين البرسقى وايلغازى وأسر ايلغازى)*

لما قبض البرسقى على اياز بن ايلغازى سار الى حصن كيفا وصاحبها الامير ركن الدولة داود بن اخيه سقمان فاستنجده فسار معه فى عسكره واحضر خلقا كثيرا من التركمان وسار الى البرسقى فلقيه أواخر السنة واقتتلوا قتالا شديدا صبروا فيه فانهزم البرسقى وعسكره وخلص اياز بن ايلغازى من الاسر فارسل السلطان اليه يتهدده فخافه وسار الى الشام الى حمية طغتكين صاحب دمشق فاقام عنده اياما وكان طغتكين أيضا قد استوحش من السلطان لانه نسب اليه قتل مودود فاتفقا على الامتناع والالتجاء الى الفرنج والاحتماء بهم فراسلا صاحب انطاكية وسالفاه فحضر عندهما على بحيرة قدس عند حمص وجددوا العهود وعاد الى انطاكية وعاد طغتكين الى دمشق وسار ايلغازى الى الرستن على عزم قصد ديار بكر وجمع التركمان والعود فنزل بالرستن ليستريح فقصده الامير قيرخان بن قراجة صاحب حمص وقد تفرق عن ايلغازى

الاجناد * من اطراف البلاد * وتحكمه فيما يراه من محاكمة * أو مسالمة * أو مكالفة * أو مصالحة * ليكون فيصل الامر بيديه * على الوجه الذى هو اخف عليه * فكتب الرضى بذلك اليه * فعلم ناصر الدين سبكتكين ان ذلك من تسويل ابن عزير وافتعاله * وتمويهه واحتياله * وقصده ان يحبط عليه سعيه الذى سعاه فى العبور * واستجاشة الجمهور * وتحمل الاثقال * واستنفاق الاموال * فسرب الامير سيف الدولة وأخاه بغراجق فى قرابة عشرين ألف رجل الى بخارا لازعاجه عن مكانه وسير معهما أبا نصر أحمد ابن محمد بن أبى زيد لتداول امر الديوان الذى كان

اصحابه فظفر به قرجان واسره ومعه جماعة من خواصه وارسل الى السلطان يعرفه ذلك ويسأله تعجيل انفاذ العساكر لئلا يغلبه طغتكين على ايلغازى ولما بلغ طغتكين الخبر عاد الى حمص وارسل فى اطلاقه فامتنع قرجان وحلف ان لم يبعد طغتكين ليقتلن ايلغازى فارسل ايلغازى الى طغتكين ان الملازمة توذينى وتسفك دمى والمصلحة عودك الى دمشق فعاد وانتظر قرجان وصول العساكر السلطانية فتأخرت عنه فخاف ان يخدع اصحابه لطغتكين ويسلموا اليه حمص فعدل الى الصلح مع ايلغازى على ان يطلقه ويأخذ ابنه اياز رهينة ويصاهره ويمنعه من طغتكين وغيره فاجابه الى ذلك فاطلقه وحالفه وسلم اليه ابنه اياز وسار عن حمص الى حلب وجمع التركمان وعاد الى حمص وطالب بولده اياز وحصر قرجان الى ان وصلت العساكر السلطانية فعاد ايلغازى على مانذكره

## ●(ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه وما كان منه مع السلطان سنجر)●

فى هذه السنة فى شوال توفى الملك علاء الدولة أبو سعد مسعود بن أبى الملك ابراهيم بن أبى سعد مسعود بن محمود بن سبكتكين صاحب غزنة بها وملك بعده ابنه أرسلانشاه وامه سلجوقية وهى أخت السلطان ألب أرسلان بن داود فقبض على اخوته وسجنهم وهرب أخ له اسمه بهرام الى خراسان فوصل الى السلطان سنجر بن ملكشاه فارسل الى أرسلانشاه فى معناه فلم يسمع منه ولا اصغى الى قوله فتجهز سنجر للمسير الى غزنة واقامة بهرامشاه فى الملك فارسل ارسلانشاه الى السلطان محمد يشكو من اخيه سنجر فارسل السلطان الى اخيه سنجر يأمره بمصالحة ارسلانشاه وترك التعرض له وقال للرسول ان رأيت اخى وقد قصدهم وسار نحوهم أو قارب ان يسير فلا تمنعه ولا تبلغه الرسالة فان ذلك يفت فى عضده ويوهنه ولا يعود ولاتى على اخى الدنيا احب الى فوصل الرسول الى سنجر وقد جهز العساكر الى غزنة وجعل على مقدمته الامير انر فقدم عسكره ومعه الملك بهرامشاه فساروا حتى بلغوا بست واتصل بهم فيها ابو الفضل نصر بن خلف صاحب سجستان وجمع ارسلانشاه الكبير فسير جيشا كثيفا فهزمه وانهبه وعاد من سلم الى غزنة على اسوأ حال فخضع حينئذ ارسلانشاه وارسل الى الامير انر يضمن له الاموال الكثيرة ليعود عنه ويحسن للملك سنجر العود عنه فلم يفعل وتجهز السلطان سنجر بعد انر المسير بنفسه فارسل اليه ارسلانشاه امرأة عمه نصر تسأله الصفح والعود عن قصده وهى أخت الملك سنجر من السلطان بركيارق وكان علاء الدولة أبو سعد قد قتل زوجها ومنعها من الخروج عن غزنة وتزوجها فسيرها الآن ارسلانشاه فلما وصلت الى أخيه ارسلت بامره بها من الاموال والهدايا وكان معها مائتا الف دينار وغير ذلك وطلب من سنجر ان يسلم أخاه بهرام اليه وكانت موغرة الصدر من ارسلانشاه فهونت امره على سنجر واطمعته فى البلاد وسهلت الامر عليه وذكرت له ما فعل باخوته وكان قتل بعضا وكحل بعضا من غير خروج منهم عن الطاعة فسار الملك سنجر فلما وصل الى بست ارسل خادما من خواصه الى ارسلانشاه فى رسالة فقبض عليه فى بعض القلاع فسار حينئذ سنجر مجدا فلما سمع بقربه منه اطلق الرسول ووصل سنجر الى غزنة ووقع بينهما المصاف على فرسخ من غزنة بصحراء شهراباذ وكان ارسلانشاه فى ثلاثين الف

فلما احس ابن عزير ترميه باقبال الهم رأى ليث الموت كاشرا عن نابه ● وعقاب العقاب كاسرا جناحيه ● فابتغى للانفضاض عليه ● نفقا فى الارض أو سلما فى السماء حتى اذا اعياه ● ما توخاه ● فزع الى الاعتصام ● ولاذ بكنف الاستتار ● فولى الرضى أبا النصر بن ابى زيد ما كان يليه ابن عزير وهو الشهاب الثاقب ● والنقاب الذى هذبته المناقب ● فاقام بكفايته عماده ● وقوم منآده ● وحذف عنه ما كان قد آده ● ووصفه أبو الفتح البستى بأبيات وفى الصدق بها حقه وهى

فديت أبا النصر المرتجى
لتفريج كل ظلام يظل

فارس وخلق كثير من الرجالة ومعه مائة وعشرون فيلا على كل فيل اربعة نفر فحملت الفيلة على القلب وفيه سنجر فكان من فيه ينهزمون فقال سنجر لغلمانه الاتراك ارموها بالنشاب فتقدم ثلاثة آلاف غلام فرموا الفيلة رشقا واحدا جميعا فقتلوا منها عدة فعدلت الفيلة عن القلب الى الميسرة وبها أبو الفضل صاحب سجستان وجالت عليهم فضعف من في الميسرة فشجعهم أبو الفضل وخوفهم من الهزيمة مع بعد ديارهم وترجل عن فرسه بنفسه وقصد كبير الفيلة ومتقدمها ودخل تحته فشق بطنها وقتل فيلين آخرين ورأى الامير أنر وهو في الميمنة ما في الميسرة من الحرب فحمل عليهم من وراء عسكر غزنة وقصد الميسرة واختلط بهم واعانهم فكانت الهزيمة على الغزنوية وكان ركاب الفيلة قد شدوا انفسهم عليها بالسلاسل فلما عضهم الحرب وعمل فيهم السيف ألقوا انفسهم فبقوا معلقين عليها ودخل السلطان سنجر غزنة في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ومعه بهرامشاه فاما القلعة الكبيرة المشتملة على الاموال وبينها وبين البلد تسعة فراسخ وهي عظيمة لا مطمع فيها ولا طريق عليها وكان ارسلانشاه قد سجن فيها اخاه طاهرا الخازن وهو صاحب بهرامشاه واعتقل بها أيضا زوجة بهرامشاه فلما انهزم ارسلانشاه استمال اخوه طاهر المستحفظ بها فبذل له وللاجناد الزيادات فسلموا القلعة الى الملك سنجر واما قلعة البلد فان ارسلانشاه كان اعتقل بها رسول سنجر فلما اطلقه بقي غلمانه بها فسلموا القلعة ايضا بغير قتال وكان قد تقرر بين بهرامشاه وبين سنجر ان يجلس بهرام على سرير جده محمود بن سبكتكين وحده وان تكون الخطبة بغزنة للخليفة والسلطان محمد وللملك سنجر وبعدهم لبهرامشاه فلما دخلوا غزنة كان سنجر راكبا وبهرامشاه بين يديه راجلا حتى جاء السرير فصعد بهرامشاه فجلس عليه ورجع سنجر وكان يخطب له بالملك ولبهرامشاه بالسلطان على عادة آبائه فكان هذا من أعجب ما يسمع به وحصل لاصحاب سنجر من الاموال ما لا يحد ولا يحصى من السلطان والرعايا وكان في دور ملوكها عدة دور على حيطانها الواح الفضة وسواقي الماء الى البساتين من الفضة أيضا فقلع من ذلك أكثره ونهب فلما سمع سنجر ما يفعل منع عنه بجهده وصلب جماعة حتى كف الناس وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على الفي ألف دينار وألف وثلثمائة قطعة مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريرا من الذهب والفضة وأقام بغزنة أربعين يوما حتى استقر بهرامشاه وعاد نحو خراسان ولم يخطب بغزنة لسلجوقي قبل هذا الوقت حتى ان السلطان ملكشاه مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك واما أرسلانشاه فانه لما انهزم قصد هندوستان واجتمع عليه اصحابه فقويت شوكته فلما عاد سنجر الى خراسان توجه الى غزنة فلما عرف بهرامشاه قصده اياه توجه الى باميان وارسلا الى الملك سنجر يعلمه الحال فارسل اليه عسكرا واقام ارسلانشاه بغزنة شهرا واحدا وسار يطلب اخاه بهرامشاه فبلغه وصول عسكر سنجر فانهزم بغير قتال للخوف الذي قد باشر قلوب أصحابه ولحق بجبال أوغنان فسار أخوه بهرامشاه وعسكر سنجر في اثره وأخربوا البلاد التي هو فيها وأرسلوا الى أهلها يتهددونهم فسلموه بعد المضايقة فاخذه متقدم جيش الملك سنجر واراد حمله الى صاحبه فخاف بهرامشاه من ذلك فبذل له مالا فسلمه اليه فخنقه ودفنه بتربة ابيه بغزنة وكان عمره سبعا وعشرين سنة وكان احسن اخوته صورة وكان قتله في جمادى الآخرة

لهذلم خده لا بكل
اذا كان في الحرب سيف بكل
فيوجز لكنه لا يخل
ويطنب لكنه لا يمل
وكيف يمل وتوفيق من
أفاد العقول عليه يدل
تجود قريحته بالبديع
عفوا بجود القراح المغل
مدق مجل واولى الكفاة
بأعلى الصفات مدق مجل
وكتب اليه عند استقرار
الوزارة عليه
أبلغ مقالي كل عاف مجتدي
ومؤمل في قصده أن يهتدي
عرج على الشيخ الجليل المرتجي
وزر الوزارة أحمد بن محمد
فرواؤه ملء العيون وحبه
ملء القلوب وسيبه ملء اليد

سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وانما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة

## (ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها فخربت كثيرا من الرها وحران وسميساط وبالس وغيرها وهلك من الخلق كثير تحت الهدم وفيها قتل تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان صاحب حلب قتله غلمانه بقلعة حلب واقاموا بعده أخاه سلطانشاه ابن رضوان وكان المستولى عليه لؤلؤ الخادم وفيها توفى الشريف النسيب أبو القاسم على بن ابراهيم بن العباس الحسينى فى ربيع الآخر بدمشق.

## (ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة)

## (ذكر انهزام عسكر السلطان من الفرنج)

قد ذكرنا ما كان من عصيان ايلغازى وطغتكين على السلطان وقوة الفرنج فلما اتصل ذلك بالسلطان محمد جهز عسكرا كثيرا وجعل مقدمهم الامير برسق بن برسق صاحب همذان ومعه الامير جيوش بك والامير كنتغدى وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بالبداءة بقتال ايلغازى وطغتكين فاذا فرغوا منهما قصدوا بلاد الفرنج وقاتلوهم وحصروا بلادهم فساروا فى رمضان من سنة ثمان وخمسمائة وكان عسكرا كثير العدة وعبروا الفرات آخر السنة عند الرقة فلما قاربوا حلب راسلوا المتولى لامرها لؤلؤا الخادم ومقدم عسكرها المعروف بشمس الخواص يأمرونهما بتسليم حلب وعرضوا عليهما كتب السلطان بذلك فغالطا فى الجواب وأرسلا الى ايلغازى وطغتكين يستنجدانهما فسارا اليهم فى ألفى فارس ودخلا حلب فامتنع من بها حينئذ عن عسكر السلطان وأظهروا العصيان فسار الامير برسق بن برسق الى مدينة حماة وهى فى طاعة طغتكين وبها ثقله فحصرها وفتحها عنوة ونهبها ثلاثة ايام وسلمها الى الامير قرجان صاحب حمص وكان السلطان قد امر ان يسلم اليه كل بلد يفتحونه فلما رأى الامراء ذلك فشلوا وضعفت نياتهم فى القتال بحيث تؤخذ البلاد وتسلم الى قرجان فلما سلموا حماة الى قرجان سلم اليهم اياز بن ايلغازى وكان قد اسره فسار ايلغازى وطغتكين وشمس الخواص الى انطاكية واستجاروا بصاحبها روجيل وسألوه ان يساعدهم على حفظ مدينة حماة فلم يبلغهم قصدها ووصل اليهم بانطاكية بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من شياطين الفرنج اتفق رأيهم على ترك اللقاء لكثرة المسلمين وقالوا انهم عند هجوم الشتاء يتفرقون واجتمعوا بقلعة افامية وأقاموا نحو شهرين فلما انتصف ايلول ورأوا عزم المسلمين على المقام تفرقوا فعاد ايلغازى الى ماردين وطغتكين الى دمشق والفرنج الى بلادها وكانت افامية وكفرطاب للفرنج فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها فلما اشتد الحصر على الفرنج ورأوا الهلاك قتلوا أولادهم ونساءهم وأحرقوا اموالهم ودخل المسلمون البلد عنوة وقهرا وأسروا صاحبه وقتلوا من بقى فيه من الفرنج وساروا الى قلعة افامية فرأوها حصينة فعادوا عنها الى المعرة وهى للفرنج أيضا وفارقهم الامير جيوش بك الى وادى بزاعة فملكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وتقدمهم ثقلهم ودوابهم على جارى العادة والعساكر فى اثره متلاحقة وهم آمنون لا يظنون احدا يتقدم على القرب منهم وكان روجيل صاحب انطاكية لما بلغه حصر كفرطاب سار فى

---

يقرى أمور الملك رأيا فيصلا
وعزيمة تزرى بكل مهند
ويفيض نائله بسيل ناعب
فتقول سائله غرقت فلدى أمدى
فاتن الرجاء الى علاء فانه
غوث الردى غيث الصدى
بدر الندى
لا زال فى يوم اغر مبشر
بسعادة غراء تطلع فى غد
ليقيم كل مؤيد ويديم كل
مسعد ويضم كل مبدد
وقد كان الامير سبكتكين
احس بابقاء ابن عزير على
ابى على وجده فى النضال
عنه لما يقدره فى الايام من
التسلح به عليه فلوح الرضى
بحيله الى ما يقع من نقله الى
جنابه * فاوجب قبل
وصول سيف الدولة اليه

خمسمائة فارس وألفي راجل للمنع فوصل الى المكان الذى ضربت فيه خيام المسلمين على غير علم بهم فرآها خالية من الرجال المقاتلة لانهم لم يصلوا اليها فنهب جميع ما هنالك وقتل كثيرا من السوقية وغلمان العسكر ووصلت العساكر متفرقة فكان الفرنج يقتلون كل من وصل اليهم ووصل الامير برسق فى نحو مائة فارس فرأى الحال فصعد تلا هنالك ومعه اخوه زنكى واحاط بهم السوقية والغلمان واحتموا بهم ومنعوا الامير برسق من النزول فاشار عليه اخوه ومن معه بالنزول والنجاة بنفسه فقال لا افعل بل اقتل فى سبيل الله واكون فداء المسلمين فغلبوه على رأيه فنجا هو ومن معه فتبعهم الفرنج نحو فرسخ ثم عادوا وتمموا الغنيمة والقتل واحرقوا كثيرا من الناس وتفرق العسكر واخذ كل واحد جهة ولما سمع الموكلون بالاسرى المأخوذين من كفر طاب ذلك قتلوهم وكذلك فعل الموكل بإياز بن ايلغازى قتله ايضا وخاف اهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين التى بالشام فانهم كانوا يرجون النصر من جهة هذا العسكر فاتاهم ما لم يكن فى الحساب وعادت العساكر عنهم الى بلادها واما برسق واخوه زنكى فانهما توفيا فى سنة عشر وخمسمائة وكان برسق خيرا دينا وقد ندم على الهزيمة وهو يتجهز للعود الى الغزاة فاتاه اجله

*(ذكر ملك الفرنج رفنية واخذها منهم)*

فى هذه السنة فى جمادى الآخرة ملك الفرنج رفنية من ارض الشام وهى لطغتكين صاحب دمشق وقووها بالرجال والذخائر وبالغوا فى تحصينها فاهتم طغتكين لذلك وقوى عزمه على قصد بلاد الفرنج بالنهب لها والتخريب فاتاه الخبر عن رفنية بخلوها عن عسكر يمنع عنها وليس هنالك الا الفرنج الذين رتبوا لحفظها فسار اليها جريدة فلم يشعر من بها الا وقد هجم عليهم البلد فدخله عنوة وقهرا واخذ كل من فيه من الفرنج اسيرا فقتل البعض وترك البعض وغنم المسلمون من سوادهم وكراعهم وذخائرهم ما امتلأت منه ايديهم وعادوا الى بلادهم سالمين

*(ذكر وفاة يحيى بن تميم وولاية ابنه على)*

فى هذه السنة توفى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب افريقية يوم عيد الاضحى فجأة وكان منجم قد قال له فى منستير مولده ان عليه قطعا فى هذا اليوم فلا تركب فلم يركب وخرج اولاده واهل دولته الى المصلى فلما انقضت الصلاة حضروا عنده للسلام عليه وتهنئته وقرأ القراء وانشد الشعراء وانصرفوا الى الطعام فقام يحيى من باب آخر ليحضر معهم على الطعام فلم يمش غير ثلاث خطا حتى وقع ميتا وكان ولده على بمدينة سفاقس فاحضر وعقدت له الولاية ودفن يحيى بالقصر ثم نقل الى التربة بالمنستير وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وخمسة عشر يوما وكانت ولايته ثمان سنين وخمسة اشهر وخمسة وعشرين يوما وخلف ثلاثين ولدا فقال عبد الجبار بن محمد بن حمديس الصقلى يرثيه ويهنئ ابنه عليا بالملك

ما أغمد العضب الاجرد الذكر * ولا اختفى قمر حتى بدا قمر
بموت يحيى اميت الناس كلهم * حتى اذا ما على جاءهم نشروا
ان يبعثوا بسرور من تملكه * فمن منية يحيى بالاسى قبروا
اوفى على فسن الملك ضاحكة * وعينها من ابيه دمعها همر
شقت جيوب المعالى بالاسى فبكت * فى كل أفق عليه الانجم الزهر

استعافه به * وحل هو وايلنكو فى عمارية كانت ناقة امره * وقاصمة لظهره * واسر الامير سبكتكين به ونقل الى جردين فى محمل لو رأى من قبل مثله فى منامه * لعاف برد الماء على زرقة جمامه * واستمر فى عن طيب الحياة باقى ايامه * ثم واجد فيما بين ثم وض سيف الدولة الى بخارا ايلك فى قبائل الترك واستأنف مسئلة الصلح فأوجب الامير سبكتكين اجابته الى ملتمسه لقعود الرضى عن مشاهدته * وفتوره فى امره ونصرته * واشترط عليه ان يزحزح جهادون قطوان فلا يطلق عليه عنانه * ولا يسرح اليه عماله واعوانه * على ان

وقل لابن تميم حزن مادهما * فكل حزن عظيم فيه محتقر
قام الدليل ويحيى لاحياة له * ان المنية لا تبقى ولا تذر

وكان يحيى عادلا في رعيته ضابطا للامور ودولته مدبرا لجميع احواله رحيما بالضعفاء والفقراء يكثر الصدقة عليهم ويقرب اهل العلم والفضل وكان عالما بالاخبار وايام الناس والطب وكان حسن الوجه اشهل العين الى الطول ماهو ولما استقر علي في الملك جهز اسطولا الى جزيرة جربة وسببه ان اهلها كانوا يقطعون الطريق وياخذون التجار فحصرها وضيق على من فيها فدخلوا تحت طاعته والتزموا ترك الفساد وضمنوا اصلاح الطريق وكف عنهم عند ذلك وصلح امر البحر وأمن المسافرون

•(ذكر عدة حوادث)•

في هذه السنة في رجب قدم السلطان محمد بغداد ووصل اليه اتابك طغتكين صاحب دمشق في ذي القعدة وسأل الرضا عنه فرضي عنه السلطان وخلع عليه ورده الى دمشق وفيها أمر الامام المستظهر بالله ببيع البدرية وهي منسوبة الى بدر غلام المعتضد بالله وكانت من أحسن دور الخلفاء وكان ينزلها الراضي بالله ثم تهدمت وصارت تلا فامر القادر بالله أن يسور عليها سور لا تنضم الى الدار الامامية فنفعل ذلك فلما كان الآن أمر ببيعها فبيعت وعمرها الناس وفيها في شعبان وقعت الفتنة بين العامة وسببها ان الناس لما عادوا من زيارة مصعب اختصموا على من يدخل أولا فاقتتلوا وقتل بينهم جماعة وعادت الفتن بين أهل المحال كما كانت ثم سكنت وفيها اقطع السلطان محمد الموصل وما كان بيد آقسنقر البرسقي للامير جيوش بك وسير ولده الملك مسعود وأقام البرسقي بالرحبة وهي اقطاعه الى ان توفي السلطان محمد وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى وفيها توفي اسمعيل بن محمد بن أحمد بن ملة الاصبهاني أبو عثمان بن أبي سعيد الواعظ سمع الكثير وحدث ببغداد وغيرها وعبدالله بن المبارك بن موسى السقطي أبو البركات له رحلة وله تصانيف وكان أديبا

(ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة)

•(ذكر قتل أحمديل بن وهسوذان)•

في هذه السنة أول المحرم حضر اتابك طغتكين صاحب دمشق دار السلطان محمد ببغداد وحضر جماعة الامراء ومعهم أحمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي صاحب مراغة وغيرها من أذربيجان وهو جالس الى جانب طغتكين فاتاه رجل متظلم وبيده رقعة وهو يبكي ويسأله ان يوصلها الى السلطان فاخذها من يده فضربه الرجل بسكين فجذبه أحمديل وتركه تحته فوثب رفيق للباطني وضرب أحمديل سكينا أخرى فاخذتهما السيوف وأقبل رفيق لهما وضرب أحمديل ضربة اخرى فعجب الناس من اقدامه بعد قتل صاحبيه وظن طغتكين والحاضرون ان طغتكين كان المقصود بالقتل وانه بامر السلطان فلما علموا انهم باطنية زال هذا الوهم

•(ذكر وفاة جاولي سقاوو واوصل بلاد فارس معه)•

في هذه السنة توفي جاولي سقاوو وكان السلطان ببغداد عازما على المقام بها فاضطر الى المسير

بقرب سمرقند على فائق ايجابا لشفاعته * ورعاية لما سلف في بيت الرضى من حق طاعته * وعقدت وثيقة الصلح على هذه الجملة بشهود الفقهاء والاعيان من الجانبين وانصرف كل منهما عن وجه صاحبه وعاد الامير سبكتكين الى بلخ وسار سيف الدولة نحو نيسابور ورد على الرضى ما كان متوجبا من امور الاعمال واقبل الوزير ابو نصر على مهمات الوزارة * واكثرها شغل الاثارة * وقصور لتناقص الولايات * وقصور الارتفاعات * عن الرفاهيا كان مثبتا في التقديم من وجوه الاطماع والاقامات * وجعل يزجي فيها يوما بيوم *

الى أصبهان ليكون قريبا من فارس لئلا تختلف عليه وقد ذكرنا حال جاولى بالموصل الى ان ملكت منه وأخذها السلطان فلما قصد السلطان ورضى عنه اقطعه بلاد فارس فسار جاولى اليها ومعه ولد السلطان جغرى وهو طفل له من العمر سنتان وأمره باصلاحها وقمع المفسدين بها فسار اليها فأول ما اعتمده فيها انه لما توسط بلاد الامير بلدجى وهو من كبار مماليك السلطان ملكشاه ومن جملة بلاده كليل وسرماه وكان معه كذا بتلك البلاد راسله جاولى ليحضر خدمة جغرى ولد السلطان وعلم جغرى ان يقول بالفارسية خذوه فلما دخل بلدجى قال جغرى على عادته خذوه فأخذ وقتل ونهبت أمواله وكان لبلدجى من جملة حصونه قلعة اصطخر وهى من أمنع القلاع وأحصنها وكان بها أهله وذخائره وقد استناب فى حفظها وزيرا له يعرف بالجهرمى فعصى عليه وأخرج اليه أهله وبعض المال ولم تزل فى يد الجهرمى حتى وصل جاولى الى فارس فأخذها منه وجعل فيها أمواله وكان بفارس جماعة من أمراء الشوانكارة وهم خلق كثير لا يحصون ومقدمهم الحسن بن المبارز المعروف بخسرو وله فسا وغيرها فراسله جاولى ليحضر خدمة جغرى فأجاب انى عبد السلطان وفى طاعته فأما الحضور فلا سبيل اليه لانى قد عرفت عادتك مع بلدجى وغيره ولكننى أحمل الى السلطان ما يؤثره فلما سمع جاولى جوابه علم انه لا مقام له بفارس معه فأظهر العود الى السلطان وحمل اثقاله على الدواب وسار كأنه يطلب السلطان ورجع الرسول الى خسرو فأخبره فاغتر وقعد للشرب وأمن وأما جاولى فانه عاد من الطريق الى خسرو جريدة فى نفر يسير فوصل اليه وهو مخمور نائم فكبسه فانبهه أخوه فضلوه فلم يستيقظ فصب عليه الماء البارد فأفاق وركب من وقته وانهزم وتفرق أصحابه ونهب جاولى ثقله وأمواله وأكثر القتل فى أصحابه ونجا خسرو الى حصنه وهو بين جبلين يقال لاحدهما انج وسار جاولى الى مدينة فسا فتسلمها ونهب كثيرا من بلاد فارس منهم جهرم وسار الى خسرو وحصره مدة وضيق عليه فرأى من امتناع حصنه وقوته وكثرة ذخائره ما علم ان المدة تطول عليه فصالحه ليشتغل بباقى بلاد فارس ورحل عنه الى شيراز فأقام بها ثم توجه الى كازرون فملكها وحصر أبا سعد محمد بن مما فى قلعته وأقام عليها سنتين صيفا وشتاء فراسله جاولى فى الصلح فقتل الرسول فارسل اليه قوما من الصوفية فأطعمهم الهريسة والقطائف ثم امر بهم فخيطت أدبارهم وألقوا فى الشمس فهلكوا ثم نفد ما عند أبى سعد فطلب الامان فأمنه وتسلم الحصن ثم ان جاولى أساء معاملته فهرب فقبض على أولاده وبث الرجال فى اثره فرأى بعضهم زنجيا يحمل شيأ فقال ما معك فقال زادى ففتشه فرأى دجاجا وحلواء السكر فقال ما هذا من طعامك فضربه فأقر على أبى سعد وانه يحمل ذلك اليه فقصده وهو فى شعب جبل فأخذه الجندى وحمله الى جاولى فقتله وسار الى دارابجرد وصاحبها اسمه ابراهيم فهرب صاحبها منه الى كرمان خوفا منه وكان بينه وبين صاحب كرمان صهر وهو ارسلانشاه بن كرمانشاه بن ارسلان بك بن قاورت فقال له لو تعاضدنا لم يقدر علينا جاولى وطلب منه النجدة وسار جاولى بعد هربه منه الى حصار رتيل رتنه يعنى مضيق رتنه وهو موضع لم يؤخذ قهرا قط لانه وادٍ نحو فرسخين وفى صدره قلعة منيعة على جبل عال واهل دارابجرد يتحصنون به اذا خافوا فأقاموا به وحفظوا اعلاه فلما رأى جاولى حصانته سار يطلب البرية نحو كرمان كاتما امره ثم رجع من طريق كرمان الى دارابجرد

ويغسل دمائهم ... بعض غلمانه فتمكنوا به * وذلك على رأس خمسة اشهر من وزارته * فضاق الرضى ذرعا بما دهاه لاشفاقه من ظن الامير سبكتكين ان هناك قصدا فى امره * أو رضا بالحادثة به * واظهر الاكتئاب * واستعظم المصاب * وبرز من الدار فصلى على جنازته * وامر باقامة التنكيل والقتل على الفتكة به * وانشدنى المضراب الموشجى فيه يرثيه

قلوب الناس آلمة سقاما
ونفس المجد والهة سقيمه
وما فجعت بك الدنيا ولكن
تركت بفقدك الدنيا يتيمه
ولبعض اهل العصر يرثيه
لما نوى صدر الوزارة احمد
وخوت نجوم المجد فى ملحوده

مظهراً انه من عسكر الملك ارسلان شاه صاحب كرمان فاستقبله اهل المدينة فاسمهم مدد لهم مع صاحبهم فاظهروا السرور وادخلوه فى دخول المضيق فلما دخله وضع السيف فيهم فلم يبق منهم الا القليل ونهب اموال اهل دارابجرد وعاد الى مكانه وراسل خسرو يعلمه عزمه على التوجه الى كرمان ويدعوه اليه فلم يجد بداً من موافقته فنزل اليه مطيعاً وسار معه الى كرمان وارسل الى صاحبها القائم بامرها ابا طاهر عبد الله بن طاهر قاضى شيراز يأمره باعادة الشوانكارة لانهم رعية السلطان ويقول انه متى اعادهم عاد عن قصد بلاده والا قصده فاعاد صاحب كرمان جواب الرسالة يتضمن الشفاعة فيهم حيث استجاروا به ولما وصل الرسول الى جاولى احسن اليه واجزل له العطاء واقسده على صاحبه وجعل عيناً له عليه وارسل معه اعادة عسكر كرمان ليدخل البلاد وهم غارون فلما عاد الرسول ولقي السيرجان وبها عساكر صاحب كرمان ووزيره مقدم الجيش اعلم الوزير ما عليه جاولى من المقاربة وانه يفارق ما كرهوه واكثر من هذا النوع وقال لكنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وان اعداءه جاولى طمعوا فيهم بها والعسكر والرأى ان تعاد العساكر الى بلادها فعاد الوزير والعساكر وخلت السيرجان وسار جاولى فى اثر الرسول فنزل بفرج وهى الحد بين فارس وكرمان فحاصرها فلما بلغ ذلك صاحب كرمان احضر الرسول وانكر عليه اعادة العسكر فاعتذر اليه وكان مع الرسول فراش لجاولى ليعود اليه بالاخبار فارتاب به الوزير فعاقبه فاقر على الرسول فصلب ونهبت امواله وصلب الفراش وندب العساكر الى المسير الى جاولى فساروا فى ستة آلاف فارس وكانت الولاية التى هى الحد بين فارس وكرمان بيد انسان يسمى موسى وكان ذا رأى ومكر فاجتمع بالعسكر واشار عليهم بنزول الجادة المسلوكة وقال ان جاولى يحتاط بها وسلك بهم طريقاً غير مسلوكة بين جبال ومضايق وكان جاولى يحاصر فرج وقد ضيق على من بها وهو يدمن الشرب فسير اميراً فى طائفة من عسكره ليلقى العسكر المنفذ من كرمان فسار الامير فلم يرهم فظن انهم قد عادوا فرجع الى جاولى وقال ان العسكر كان قليلاً فعاد خوفاً منا فاطمأن حينئذ جاولى وازداد من شرب الخمر ووصل عسكر كرمان اليه ليلاً وهو سكران نائم فايقظه بعض اصحابه واخبره فقطع لسانه فاتاه غيره وايقظه وعرفه الحال فاستيقظ وركب وانهزم وقد تفرق عسكره منهزمين فقتل منهم واسر كثير وادرك خسرو وابن ابى سعد الذى قتل جاولى اباه فسارا معه فى اصحابهما فالتفت فلم ير معه احداً من اصحابه الاتراك فخاف على نفسه منهم فقالا له انا لا نغدر بك ولن ترى منا الا الخير والسلامة وسارا معه حتى وصل الى مدينة فسا واتصل به المنهزمون من اصحابه واطلق صاحب كرمان الاسرى وجهزهم وكانت هذه الوقعة فى شوال سنة ثمان وخمسمائة وبقى جاولى يدبر الامر ليعاود كرمان ويأخذ بثاره فتوفى الملك جغرى ابن السلطان محمد وعمره خمس سنين وكانت وفاته فى ذى الحجة سنة تسع وخمسمائة ففت ذلك فى عضده فارسل ملك كرمان رسولاً الى السلطان وهو ببغداد يطلب منه منع جاولى عنه فاجابه السلطان انه لا بد من ارضاء جاولى وتسليم فرج اليه فعاد الرسول فى ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة فتوفى جاولى فامنوا ما كانوا يخافونه فلما سمع السلطان سار عن بغداد الى اصبهان شوقاً على فارس من صاحب كرمان .

•(ذكر فتح جبل وسلات وتونس)•

اذربت من فرط المصائب مدامعا
كانما به بدر وقد ورد وقه
فاز المقول وقد رأى فرط الهوى
والطرف يمزج دمعه بصديده
خذمن عليك تفات قولا زابرا
دعنى ابكيه بنفحة جوده

•(ذكر ابى القاسم بن سيمجور واخى ابى على وما افضى اليه امره بعد تقاعده عنه)•

ولما انحاز ابو القاسم عن اخيه اقام بجرة الى ان ورد الامير بكتكين نافاكثر مر الامير وتفسح اليه متعرضا ب ابو رفعهم وفى عمالة ثقاته ولاته وتوسعه ورفع قدره وقوى امره وشهد له باسره وخاب له الى الرضى

في هذه السنة حصر عسكر علي بن يحيى صاحب افريقية مدينة تونس وبها احمد بن خراسان وضيق على من بها فصالحه صاحبها على ما اراد وفيها فتح أيضا جبل وسلات بافريقية واستولى عليه وهو جبل منيع ولم يزل اهله طول الدهر يفسدون ويشكون بالناس ويقطعون الطريق فلما استقر ذلك منهم سير اليهم جيشا فكان اهل الجبل ينزلون الى الجيش ويقاتلون اشد قتال فعمل قائد الجيش الحيلة في الصعود الى الجبل من شعب لم يكن احد يظن انه يصعد منه فلما صار في اعلاه في طائفة من اصحابه ثار اليه اهل الجبل فصبر لهم وقاتلهم فيمن معه اشد قتال وتتابع الجيش في الصعود اليه فانهزم اهل الجبل وكثر القتل فيهم ومنهم من رمى نفسه فتكسر ومنهم من افلت واحتمى جماعة كثيرة بقصر في الجبل فلما أحاط بهم الجيش طلبوا ان يرسل اليهم من يصلح حالهم فارسل اليهم جماعة من العرب والجند فثار بهم أولئك بالسلاح فقتلوا بعضهم وطلع الباقون الى أعلى القصر ونادوا أصحابهم من الجيش فأتوهم وقاتلوهم بعضهم من أعلى القصر وبعضهم من أسفله فالقى من فيه من أهل الجبل أيديهم فقتلوا كلهم

*(ذكر الفتنة بطوس)*

في هذه السنة في عاشوراء كانت فتنة عظيمة بطوس في مشهد علي بن موسى الرضا عليه السلام وسببها ان علويا خاصم في المشهد يوم عاشوراء بعض فقهاء طوس فادى ذلك الى مضاربة وانقطعت الفتنة ثم استعان كل منهما بحزبه فثارت فتنة عظيمة حضرها جميع أهل طوس وأحاطوا بالمشهد وخربوه وقتلوا من وجدوا فقتل بينهم جماعة ونهبت أموال جمة وافترقوا وترك أهل المشهد الخطبة أيام الجمعات فيه فبنى عليه عضد الدين فرامرز بن علي سورا منيعا يحتمي به من بالمشهد على من يريده بسوء وكان بناؤه سنة خمس عشرة وخمسمائة

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة وقعت النار في الحظائر المجاورة للمدرسة النظامية ببغداد فاحترقت الاخشاب التي بها واتصل الحريق الى درب السلسلة وتطاير الشرر الى باب المراتب فاحترقت منه عدة دور واحترقت خزانة كتب النظامية وسلمت الكتب لان الفقهاء لما أحسوا بالنار نقلوها وفيها توفي عبد الله بن يحيى بن محمد بن بهلول أبو محمد الاندلسي السرقسطي وكان فقيها فاضلا ورد نحو العراق سنة خمسمائة وسار الى خراسان فسكن مرو الروذ فمات بها وله شعر حسن فمنه

ومهفهف يختال في أبراده * مرح القضيب اللدن تحت البارح
أبصرت في مرآة فكري خده * فحكيت فعل جفونه بجوارحي
ما كنت أحسب ان فعل توهمي * يقوى تعديه فيجرح جارحي
لا غرو ان جرح التوهم خده * فالسحر يعمل في البعيد النازح

وفيها في شعبان توفي أبو القاسم علي بن محمد بن أحمد بن بيان الرزاز ومولده في صفر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن مخلد وأبي القاسم بن بشران وفيها توفي أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني رئيس الشافعية بمرو ومولده سنة ست وأربعين وأربعمائة وسمع الحديث الكثير وصنف وله فيه أمال حسنة وتكلم على الحديث فأحسن ما شاء وفيها توفي محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني أبو الخطاب الفقيه الحنبلي

ولاية قهستان فاجابه اليها * وأمر له بالنشر وعليها * وجبى الى ذلك بخلع عرقه عنه الداعه * وكسته عنه العز في الاختلاط بالجماعة * فأوى الى قهستان ساكن الجاش * ظاهر الرياش * أثيث الجناح * مريع المسرح والمراح * الى ان سنح للامير سبكتكين عبور النهر لتدبير امر الترك وكتب اليه يستنهضه الى مجمع اركان الدولة واعيانها لضرب معهم بسهم الغناء في كفاية الامر الحازب * وممانعة الخصم المغالب * فحملته تقوى العواقب * واساءة الظن بالنوائب * وطراءة عهده بخبر أخيه فبادرع من لباس الهوان * وجرع من

ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة وتفقه على أبي يعلى بن الفراء

(ثم دخلت سنة احدى عشرة وخمسمائة)

*(ذكر وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود)*

في هذه السنة في الرابع والعشرين من ذي الحجة توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان وكان ابتداء مرضه في شعبان وانقطع عن الركوب وتزايد مرضه ودام وأرجف عليه بالموت فلما كان يوم عيد النحر حضر السلطان وحضر ولده السلطان محمود على السماط فنهب الناس ثم اذن لهم فدخلوا الى السلطان محمد وقد تكلف القعود لهم وبين يديه سماط كبير فأكلوا وخرجوا فلما انتصف ذو الحجة ايس من نفسه فاحضر ولده محمودا وقبله وبكى كل واحد منهما وامره ان يخرج ويجلس على تخت السلطنة وينظر في امور الناس وعمره اذ ذاك قد زاد على اربع عشرة سنة فقال لوالده انه يوم غير مبارك يعني من طريق النجوم فقال صدقت ولكن على ابيك واما عليك فمبارك بالسلطنة فخرج وجلس على التخت بالتاج والسوارين وفي يوم الخميس الرابع والعشرين احضر الامراء واعلموا بوفاته وقرئت وصيته الى ولده محمود يأمره بالعدل والاحسان وفي الجمعة الخامس والعشرين منه خطب لمحمود بالسلطنة وكان مولد السلطان محمد ثامن عشر شعبان من سنة اربع وسبعين واربعمائة وكان عمره سبعا وثلاثين سنة واربعة اشهر وستة ايام واول ما دعي له بالسلطنة ببغداد في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وقطعت خطبته عدة دفعات على ما ذكرناه ولقي من المشاق والاخطار ما لا حد عليه فلما توفي أخوه بركيارق صفت له السلطنة وعظمت هيبته وكثرت جيوشه وأمواله وكان اجتمع الناس عليه اثنتي عشرة سنة وستة أشهر

*(ذكر بعض سيرته)*

كان عادلا حسن السيرة شجاعا فمن عدله انه اشترى مماليك من بعض التجار وأحالهم بالثمن على عامل خوزستان فاعطاهم البعض ومطل بالباقي فحضروا مجلس الحكم وأخذوا معهم غلمان القاضي فلما رآهم السلطان قال للحاجب انظر ما حال هؤلاء فسألهم عن حالهم فقالوا لنا خصم يحضر معنا مجلس الحكم فقال من هو قالوا السلطان وذكروا قصتهم فاعلمه ذلك فاشتد عليه وا كره وامر باحضار العامل وأمره بايصال أموالهم والجعل الثقيل ونكل به حتى يمتنع غيره عن مثل فعله ثم انه كان يقول بعد ذلك لقد ندمت ندما عظيما حيث لم احضر معهم مجلس الحكم فيقتدي بي غيري ولا يمتنع احد عن الحضور فيه واداء الحق ومن عدله انه كان له خازن يعرف بابي احمد القزويني قتله الباطنية فلما قتل امر بعرض الخزانة فعرض عليه تيادرج فيه جوهر كثير نفيس فقال ان هذا الجوهر عرضته على منذ ايام وهو في ملك اصحابه وحمله الى خادم ليحفظه وينظر من اصحابه فيسلم اليهم فسأل عنهم وكانوا تجارا غرباء وقد تيقنوا ذهابه وايسوا منه فسكتوا فاحضرهم وسلمه اليهم ومن عدله انه اطلق المكوس والضرائب في جميع البلاد ولم يعرف منه فعل قبيح وعلم الامراء سيرته فلم يقدم احد منهم على الظلم وكفوا عنه ومن محاسن اعماله ما فعله مع الباطنية على ما نذكره

*(ذكر حال الباطنية ايام السلطان محمد)*

كأس الذل والامتحان على ترك الميسر وألا دلاء ببعض المعاذير وعلم ان تقاعده عن اجابته سورته عند فراغه لمداعشاله ويكسبه خطبا لا يطيق به استقلالا فبادر الى نيسابور مغتنما خلو خراسان عن حماتها وطابقه أبو نصر ابن محمود الحاجب على فعله ورأيه تظاهرا على الاستظهار بجمع المال واثبات اصناف الرجال وحين سمع الامير سبكتكين بخبرهما بادر بالكتاب الى سيف الدولة في الاصدار الى نيسابور وامده باخيه بغراجق والي هراة لنقض ما امر من امرهما وحسم ما نجم من شرهما فسار اليهما ولم يرض بهما حتى الحط على اثرهما من بلخ

قد تقدم ذكر ما اعتمده من حصر قلاعهم ونحن نذكرههنا زيادة اهتمامه بامرهم فانه رحمه الله تعالى لما علم ان مصالح البلاد والعباد منوطة بمحو آثارهم واخراب ديارهم وملك حصونهم وقلاعهم جعل قصدهم دأبه وكان فى ايامه المقدم عليهم والقيم بامرهم الحسن بن الصباح الرازى صاحب قلعة ألموت وكانت ايامه قد طالت وله منذ ملك قلعة ألموت ما يقارب ستا وعشرين سنة وكان المجاورون له فى اقبح صورة من كثرة غزواته عليهم وقتله واسره رجالهم وسبى نسائهم فسير اليه السلطان العساكر على ما ذكرناه فعادت من غير بلوغ غرض فلما اعضل داؤه ندب لقتاله الامير انوشتكين شيركير صاحب آبة وساوة وغيرهما فملك منهم عدة قلاع منها قلعة كلام ملكها فى جمادى الاولى سنة خمس وخمسمائة وكان مقدمها يعرف بعلى بن موسى فامنه ومن معه وسيرهم الى ألموت وملك منهم أيضا قلعة بيرة وهى على سبعة فراسخ من قزوين وأمنهم وسيرهم الى ألموت ايضا وسار الى قلعة الموت فيمن معه من العساكر وامده السلطان بعدة من الامراء فحصرهم وكان هو من بينهم صاحب القريحة والبصيرة فى قتالهم مع جودة رأى وشجاعة فبنى عليها مساكن يسكنها هو ومن معه وعين لكل طائفة من الامراء اشهرا يقيمونها فكانوا ينوبون ويحضرون وهو ملازم الحصار وكان السلطان ينقل اليه الميرة والذخائر والرجال فضاق الامر على الباطنية وعدمت عندهم الاقوات وغيرها فلما اشتد عليهم الامر نزلوا نساءهم وابناءهم مستأمنين ويسألون ان يفرج لهم ولرجالهم عن الطريق ويؤمنوا فلم يجابوا الى ذلك وأعادهم الى القلعة قصدا ليموت الجميع جوعا وكان ابن الصباح يجرى لكل رجل منهم فى اليوم رغيفا وثلاث جوزات فلما بلغ بهم الامر الى الحد الذى لا مزيد عليه بلغهم موت السلطان محمد فقويت نفوسهم وطابت قلوبهم ووصل الخبر الى العسكر المحاصر لهم بعدهم بيوم وعزموا على الرحيل فقال شيركير ان رحلنا عنهم وشاع الامر نزلوا الينا وأخذوا ما اعددناه من الاقوات والذخائر والرأى أن نقيم على قلعتهم حتى نفتحها وان لم يكن المقام فلابد من مقام ثلاثة أيام حتى ينفد ما ثقلنا وما اعددناه ونحرق ما نعجز عن حمله لئلا يأخذه العدو فلما سمعوا قوله علموا صدقه فتعاهدوا على الاتفاق والاجتماع فلما امسوا رحلوا من غير مشاورة ولم يبق غير شيركير ونزل اليه الباطنية من القلعة فدافعهم وقاتلهم وحمى من تخلف من سوقة العسكر واتباعه ولحق بالعسكر فلما فارق القلعة غنم الباطنية ما تخلف عندهم

*(ذكر حصار قابس والمهدية)*

فى هذه السنة جهز على بن يحيى صاحب افريقية أسطولا فى البحر الى مدينة قابس وحصرها وسبب ذلك ان صاحبها رافع بن مكن الدهمانى انشأ مركبا بساحلها ليحمل التجار فى البحر وكان ذلك آخر ايام الامير يحيى فلم ينكر يحيى ذلك جريا على عادته فى المداراة فلما ولى على الامر بعد ابيه أنف من ذلك وقال لا يكون لاحد من اهل افريقية ان يناوينى فى اجراء المراكب فى البحر بالتجار فلما خاف رافع ان يمنعه على التجأ الى الملك رجار ملك الفرنج بصقلية واعتضد به فوعده رجار أن ينصره ويعينه على اجراء مركبه فى البحر وانفذ فى الحال اسطولا الى قابس فاجتازوا بالمهدية فحينئذ تحقق على اتفاقهما وكان يكذبه فلما جاز اسطول رجار بالمهدية اخرج على اسطوله فى اثره فتوافى الجميع الى قابس فلما رأى صاحبها اسطول الفرنج والمسلمين لم يخرج

كالشهاب فى اثر العفاريت * فلم يرع أبا القاسم وابن محمود غير اطلال الجيوش عليهما فارتحلا مطايا الهرب * وسارا الى استوا متقيين حد القضب * وركب الاميران اكتافهما يشلانهما شل النعم حتى لفظتهما حدود خراسان الى تخوم جرجان * وامتد الامير سبكتكين الى طوس فأناخ بها الى أن تطاير خبر اقباله فزاد فى حفزهما للانهزام * واعجالهما دون المقام * وعطف اليه سيف الدولة وبغراجق بعد فراغهما * من تفريغ خراسان عنهما * مجددين العهد به * وقد كان فخر الدولة على بن بويه قد تقرب الى الامير سبكتكين عند مقامه ببلخ على سبيل الملاطفة بجملة

مركب فعاد اسطول الفرنج وبقي اسطول علي يحصر رافعا بقابس مضيقا عليها ثم عادوا الى المهدية وعادى رافع في المخالفة لعلي وجمع قبائل العرب وسار بهم حتى نزل على المهدية محاصرا لها ونادع عليا وقال انني انما جئت للدخول في الطاعة وطلب من يسعى في الصلح وانفاذه فكتب اقواما لم يجبه عن ذلك بحرف واخرج العساكر وحملوا على رافع ومن معه حملة منكرة فالحقوهم بالبيوت ووصل العسكر الى البيوت فلما راى ذلك النساء صحن وولولن فعادت العرب وعاودت القتال واشتد حينئذ الامر الى المغرب ثم افترقوا وقد قتل من عسكر رافع بشر كثير ولم يقتل من جند علي غير رجل واحد من الرجالة ثم خرج عسكر علي مرة أخرى فاقتتلوا اشد من القتال الاول كان الظهور فيه لعسكر علي فلما رأى رافع انه لا طاقة له بهم رحل عن المهدية ليلا الى القيروان فمنعه اهلها من دخولها فقاتلهم اياما قلائل ثم دخلها فارسل علي اليه عسكرا من المهدية فحصروه فيها الى ان خرج عنها وعاد الى قابس ثم ان جماعة من أعيان افريقية من العرب وغيرهم سألوا عليا في الصلح فامتنع ثم أجاب الى ذلك وتعاهدوا عليه

•(ذكر الوحشة بين رجار والامير علي)•

كان رجار صاحب صقلية بينه وبين الامير علي صاحب افريقية مودة وكيدة الى ان أعان رافعا كما تقدم قبل فاستوحش كل منهما من صاحبه ثم بعد ذلك خاطبه رجار بما لم تجر عادتهم به فتأكدت الوحشة فارسل رجار رسالة فيها خشونة فاحترز علي منه وأمر بتجديد الاسطول واعداد الاهبة للقاء العدو وكاتب المرابطين بمراكش في الاجتماع معه على الدخول الى صقلية فكف رجار عما كان يعتمده

•(ذكر قتل صاحب حلب واستيلاء ايلغازي عليها)•

في هذه السنة قتل لؤلؤ الخادم وكان قد استولى على قلعة حلب واعمالها بعد وفاة الملك رضوان وولي اتابكية ولده ألب ارسلان فلما مات أقام بعده في الملك سلطانشاه بن رضوان وحكم في في دولته أكثر من حكمه في دولة أخيه فلما كان هذه السنة سار منها الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم بن مالك صاحبها فلما كان عند قلعة نادر نزل يريق الماء فقصده جماعة من أصحابه الاتراك وصاحوا ارنب ارنب وأوهموا انهم يتصيدون ورموه بالنشاب فقتل فلما قتل نهبوا خزانته فخرج اليهم أهل حلب فاستعادوا ما أخذوه وولي أتابكية سلطانشاه بن رضوان شمس الخواص ياروقتاش فبقي شهرا وعزلوه وولي بعده أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وقيل كان سبب قتل لؤلؤ انه أراد قتل سلطانشاه كما قتل أخاه ألب أرسلان قبله ففطن به أصحاب سلطانشاه فقتلوه وقيل كان قتله سنة عشر وخمسمائة والله أعلم ثم ان أهل حلب خافوا من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي فلما تسلمه لم يجد فيه مالا ولا ذخيرة لان الخادم كان قد فرق الجميع وكان الملك رضوان قد جمع فاكثر ففرقه القصير أولاده فلما رأى ايلغازي خلو البلد من الاموال صادر جماعة من الخدم بمال صانع به الفرنج وهادنهم مدة يسيرة تكون بمقدار مسيره الى ماردين وجمع العساكر والعود فلما تمت الهدنة سار الى ماردين على هذا العزم واستخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش

•(ذكر عدة حوادث)•

من المبار. ومال من العين
والبين على سبيل النثاره
اقتناما لمحبته. واستخلاصا
لرضاه وموافقته. فقابله
الامير سبكتكين باضعافه
من الالطاف. وزاده عليها
ثلاثة من الفيلة الثقاف
وأرسل بها المعروف بعبد الله
الكاتب أحد ثقاته فنمى الى
فخر الدولة تجسسه عليه عند
اجتيازه. وغوامض الطرق
المفضية الى بلاده. فكتب
الى الامير سبكتكين يشير
الى ان رسول المرء لسانه.
وعنوان ضميره وترجمانه.
وان فلانا ورد فخالف باطن
افعاله ظاهر مقاله. وكان
من بعض فصوله انه لو اراد
لعلم أن سرير الملك لم يستقر في
سرة الارض الا بغلب غلب
وأسود

في هذه السنة في رابع عشر صفر انخسف القمر انخسافا كاملا وفي هذه الليلة هجم الفرنج على ربض حماة من الشام وقتلوا من أهلها ما يزيد على مائة رجل وعادوا وفيها في يوم عرفة كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد وخربت ببغداد دور كثيرة بالجانب الغربي وفيها مات احمد المغربي ببغداد وكان من عباد الله الصالحين له كرامات وقبره يزار بها وفي هذه السنة في شوال توفي أبو علي محمد بن سعد بن ابراهيم بن نبهان الكاتب وعمره مائة سنة وكان عالي الاسناد روى عن أبي علي بن شاذان وغيره والحسن بن أحمد بن جعفر أبو عبد الله الشقاق الفرضي الحاسب وكان واحد عصره في علم الفرائض والحساب وسمع الحديث من أبي الحسين بن المهتدي وغيره وفيها مات الكزايكس ملك القسطنطينية وملك بعده ابنه يوحنا وسلك سيرته وفيها مات دوقس انطاكية وكفى الله شره

*(ثم دخلت سنة اثنتي عشرة وخمسمائة)*

*(ذكر ما فعله السلطان محمود بالعراق وولاية البرسقي شحنكية بغداد)*

لما توفي السلطان محمد وملك بعده ابنه محمود ودبر دولته الوزير الربيب أبو منصور أرسل الى الخليفة المستظهر بالله يطلب ان يخطب له ببغداد فخطب له في الجمعة ثالث عشر المحرم وكان شحنة بغداد بهروز ثم ان الامير دبيس بن صدقة كان عند السلطان محمد مذ قتل والده على ما ذكرناه فأحسن اليه واقطعه اقطاعا كثيرا فلما توفي السلطان محمد خاطب السلطان محمودا في العود الى بلده الحلة فاذن له في ذلك فعاد اليها فاجتمع عليه خلق كثير من العرب والاكراد وغيرهم وكان آقسنقر البرسقي مقيما بالرحبة وهي اقطاعه وليس بيده من الولايات شئ فاستخلف عليها ابنه عز الدين مسعودا وسار الى السلطان محمد قبل موته عازما على مخاطبته في زيادة اقطاعه فبلغه وفاة السلطان محمد قبل وصوله الى بغداد وسمع مجاهد الدين بهروز بقربه من بغداد فارسل اليه يمنعه من دخولها فسار الى السلطان محمود فلقيه توقيع السلطان بولاية شحنكية بغداد وهو بحلوان وعزل بهروز وكان الامراء عند السلطان يريدون البرسقي ويتعصبون له ويكرهون مجاهد الدين بهروز ويحسدونه لقربه كان عند السلطان محمد وخافوا ان يزداد تقدما عند السلطان محمود فلما ولي البرسقي شحنكية بغداد هرب بهروز الى تكريت وكانت له ثم ان السلطان ولي شحنكية بغداد الامير منكوبرس وهو من أكابر الامراء وقد حكم في دولة السلطان محمود فلما أعطي الشحنكية سير اليها ربيبه الامير حسين بن أزبك أحد الامراء الاتراك وهو صاحب اسداباذ لينوب عنه ببغداد والعراق وفارق السلطان من باب همذان واتصل به جماعة الامراء البكجية وغيرهم فلما سمع البرسقي خاطب الخليفة المستظهر بالله لأمره بالتوقف الى ان يكاتب السلطان ويفعل ما يرد به الامر عليه فارسل اليه الخليفة فاجاب ان رسم الخليفة بالعود عدت والا فلا بد من دخول بغداد فجمع البرسقي أصحابه وسار اليه فالتقوا واقتتلوا فقتل اخ لحسين وانهزم هو ومن معه وعادوا الى عسكر السلطان فكان ذلك في شهر ربيع الاول قبل وفاة المستظهر بالله بايام

*(ذكر وفاة المستظهر بالله)*

في هذه السنة سادس عشر شهر ربيع الآخر توفي المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي

سود خزهذا الكلام في صدره * وخدش وجه الحال التي كان خطبها لفخر الدولة الى وده * ثم أردف كتابه ذلك بابي القاسم الرسول أحد وجوه بابه وأصحبه مشافهة مشتملة على ذكر الحال التي يروم عمارتها في مودته * وتحصيل رضاه وموافقته * وان الرضى متبرع له بالرعاية الوافرة * وبل الحال بسلال المصاهرة * ولكنه يرى نظام ذلك وقوامه بما يوجبه من مواصلته * وعمارة حاله من ذات صدره * وسأله أن يثق بالاخلاص له من قلبه * والاسعاف بما تحت يدي ملكه وملكه * وأن ينطوي له على مثل ما يبذله من نفسه * لتحصد المرائر * وتنأكد الاواصر * ويستمر التحالف

بامر الله وكان مرضه التراقي وكان عمره احدى واربعين سنة وستة أشهر وستة ايام وخلافته
اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوما ووزر له عميد الدولة أبو منصور بن جهير
وسديد الملك أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم بن جهير
ومجد الدين أبو المعالي هبة الله بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين بن محمد وناب عن
الوزارة امين الدولة أبو سعد بن الموصلايا وقاضي القضاة أبو الحسن علي بن الدامغاني ومضى في
ايامه ثلاثة سلاطين خطب لهم بالحضرة وهم تاج الدولة تتش بن الب ارسلان والسلطان بركيارق
ومحمد ابنا ملكشاه ومن غريب الاتفاق انه لما توفي السلطان الب ارسلان توفي بعده القائم
بامر الله ولما توفي السلطان ملكشاه توفي بعده المقتدي بامر الله ولما توفي السلطان محمد توفي
بعده المستظهر بالله

* (ذكر بعض أخلاقه وسيرته) *

كان رضي الله عنه لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى
أعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمة تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير
مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت الى قوله ولم يعرف منه تلون وانحلال عزم باقوال اصحاب
الاغراض وكانت ايامه ايام سرور للرعية فكانها من حسنها اعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح بذلك
وسر به واذا تعرض سلطان أو نائب له الى أذى أحد بالغ في انكار ذلك والزجر عنه وكان حسن
الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها أحد يدل على فضل غزير وعلم واسع ولما توفي صلى عليه ابنه
المسترشد بالله وكبر اربعا ودفن في حجرة له كان يألفها ومن شعره قوله

أذاب حر الهوى في القلب ما جمدا * لما مددت الى رسم الوداع يدا
وكيف أسلك نهج الاصطبار وقد * أرى طرائق في مهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرا بما وعدا
ان كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

* (ذكر خلافة الامام المسترشد بالله) *

لما توفي المستظهر بالله بويع ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس أحمد بن
المستظهر بالله وكان ولي عهد قد خطب له ثلاثا وعشرين سنة فبايعه أخواه ابنا المستظهر بالله
وهما أبو عبد الله محمد وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي بامر الله وغيرهم من الامراء
والقضاة والائمة والاعيان وكان المتولي لاخذ البيعة القاضي أبو الحسن الدامغاني وكان نائبا
عن الوزارة فاقره المسترشد بالله عليها ولم يأخذ البيعة قاض غيره هذا واحمد بن أبي دواد فانه
أخذها للواثق بالله والقاضي أبو علي اسمعيل بن اسحق أخذها للمعتضد بالله ثم ان المسترشد عزل
قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب أبي منصور وزير السلطان
محمود وكان والده خطب في معنى ولده حتى استوزر وقبض على صاحب المخزن أبي طاهر يوسف
ابن احمد الحزي

* (ذكر هرب الامير أبي الحسن اخي المسترشد وعوده) *

لما اشتغل الناس ببيعة المسترشد بالله ركب أخوه الامير أبو الحسن بن المستظهر بالله سفينة

والتآلف * ويرتفع التخالف
والتضاد * فاحسن الامير
سبكتكين اجابته الى
ما طلبه * وأنكحه من سر
ما خطبه * ووقفت الحال
بينهما عن الشوائب *
وانبتت عن وجوه القادح
والمعائب * واستأمن
أبو القاسم بن سيمجور الى
فخر الدولة عند اليأس من
خراسان * فاستدناه الى
دامغان وقومس وجرجان
وفرض له ولمن اشتملت *
جريدته عليهم من حاشيته
ورجاله ما لا يدر عليهم
وسنأتي على بقية ذكره
في موضعه ان شاء الله تعالى
(قال) وورد على الامير
سبكتكين مؤنس الخادم
رسولا عن الرضي يبشره
بمن يرشح للوزارة خلوا
مكانها بعد أبي نصر بن أبي

ومعه ثلاثة نفر وانحدر الى المدائن وسار منها الى دبيس بن صدقة بالحلة فاكرمه دبيس وعلم منه
وفاة المستظهر بالله واقام له الاقامات الكثيرة فلما علم المسترشد بالله خبره اهمه ذلك واقلقه
وأرسل الى دبيس يطلب منه اعادته فاجاب بانني عبد الخليفة وواقف عند امره ومع هذا فقد
استذم بي ودخل منزلي فلا أكرهه على أمر أبدا وكان الرسول نقيب النقباء شرف الدين علي بن
طراد الزينبي فقصد الامير أبا الحسن وتحدث معه في عوده وضمن له عن الخليفة كل ما يريده
فاجاب الى العود وقال انني لم أفارق أخي لشر أريده وانما الخوف حملني على مفارقته فاذا أمنني
قصدته وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد فعاد النقيب واعلم الخليفة
الحال فاجاب الى ما طلب منه ثم حدث من أمر البرسقي ودبيس ومنكوبرس ما ذكرناه فتأخر
الحال وأقام الامير أبو الحسن عند دبيس الى ثاني عشر صفر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثم سار
عن الحلة الى واسط وكثر جمعه وقوي الارجاف بقوته وملك مدينة واسط وخيف جانبه فتقدم
الخليفة المسترشد بالله بالخطبة لولي عهده ولده أبي جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة
فخطب له ثاني ربيع الآخر ببغداد وكتب الى البلاد بالخطبة له وأرسل الى دبيس بن مزيد
في معنى الامير أبي الحسن وانه الآن قد فارق جواره ومد يده الى بلاد الخليفة وما يتعلق به
وأمره بقصده ومعاجلته قبل قوته فأرسل دبيس العساكر اليه ففارق واسط وقد تحير هو
وأصحابه فضلوا الطريق ووصلت عساكر دبيس فصادفوهم عند الصلح فنهبوا أثقاله وهرب
الاكراد من أصحابه والاتراك وعاد الباقون الى دبيس وبقي الامير أبو الحسن في عشرة من
أصحابه وهو عطشان وبينه وبين الماء خمسة فراسخ وكان الزمان قيظا فايقن بالتلف وتبعه
بدويان فاراد الهرب منهما فلم يقدر فاخذاه وقد اشتد به العطش فسقياه وحملاه الى دبيس
فسيره الى بغداد وحمله الى الخليفة بعد ان بذل له عشرين ألف دينار تحمل الى الدار العزيزة
وكان بين خروجه عنها وعوده اليها أحد عشر شهرا ولما دخل على المسترشد بالله قبل قدمه وقبله
المسترشد وبكيا وأنزله دارا حسنة كان هو يسكنها قبل ان يلي الخلافة وحمل اليه الخلع والتحف
الكثيرة وطيب نفسه وأمنه

* (ذكر مسير الملك مسعود وجيوش بك الى العراق وما كان بينهما وبين البرسقي ودبيس) *

في هذه السنة في جمادى الاولى برز البرسقي ونزل باسفل الرقة في عسكره ومن معه وأظهر أنه على
قصد الحلة واجلاء دبيس بن صدقة عنها وجمع دبيس جموعا كثيرة من العرب والاكراد وفرق
الاموال الكثيرة والسلاح وكان الملك مسعود ابن السلطان محمد بالموصل مع اتابكه أي ابه
جيوش بك فأشار عليهما جماعة ممن عندهما بقصد العراق فانه لا مانع دونه فسارا في جيوش
كثيرة ومع الملك مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وقسيم الدولة زنكي
ابن آقسنقر جد ملوكنا الآن بالموصل وكان من الشجاعة في الغاية ومعهم أيضا صاحب
سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكرباوي بن خراسان التركماني صاحب البوازيج فلما علم
البرسقي قربهم خافهم وكان البرسقي قديما قد جعله السلطان محمد اتابك ولده مسعود على
ما ذكرناه وانما كان خوفه من جيوش بك فلما قاربوا بغداد سار اليهم ليقاتلهم ويصدهم فلما
علم مسعود وجيوش بك ذلك ارسلوا اليه الامير كرباوي في الصلح واعلمه أنهم انما جاؤا نجدة له

---

زيد عن براعها ويستقل
بأعباء الكفاءة فيها فوكل
الاختيار فيها الى رأيه *
وأظهر مظاهرة من كان من
ورائه * فاختير أبو المظفر
محمد بن ابراهيم البرغشي
لها * وحبي بالخلعة
والكرامة فيها * فكفل
بالامر كفالة الندب الحدب *
وقام بالتدبير قيام المنقح
المشذب * الى أن اختطف
الرضى أجله * وعثر بحياته
أمله * وعطف الامير
سبكتكين بعد ذلك الى بلخ
وعاد سيف الدولة الى
نيسابور وقد كان أبو الحسن
ابن أبي علي بن سيمجور
مقيما بقاين عند الوقعة
بناحية طوس فلما سمع
بانكشاف عسكر أبيه
ركب المسافة نحو الرى فآواه
فخر الدولة وأكرمه * وخلع

على دبيس واصطلحوا وتعاهدوا واجتمعوا ووصل مسعود الى بغداد ونزل بدار المملكة ووصلهم الخبر بوصول الامير عماد الدين منكبرس المقدم ذكره في جيش كثير فسار البرسقي عن بغداد نحوه ليحاربه ويمنعه عنها فلما علم به منكبرس قصد النعمانية وعبر دجلة هناك واجتمع هو ودبيس بن صدقة وكان دبيس قد خاف من الملك مسعود والبرسقي فبنى أمره على المسايرة والملاطفة فاهدى الى مسعود هدية حسنة وللبرسقي وجيوش بك فلما وصله خبر وصول منكبرس راسله واستماله واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر واجتمعا وكل واحد منهما قوي بصاحبه فلما اجتمعا سار الملك مسعود والبرسقي وجيوش بك ومن معهم الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس فلما وصلوا المدائن اتتهم الاخبار بكثرة الجمع معهما فعاد البرسقي والملك مسعود وعبرا نهر صرصر وحفظا المخاضات عليه ونهب الطائفتان السواد نهبا فاحشا نهر الملك ونهر صرصر ونهر عيسى وبعض دجيل واستبيح النساء فارسل المسترشد بالله الى الملك مسعود والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد ويأمر بالموادعة والمصالحة وكان الرسل سديد الدولة بن الانباري والامام الاسعد الميهني مدرس النظامية فانكر البرسقي ان يكون جرى منهم شيء من ذلك وأجاب الى العود الى بغداد فوصل من أخبره ان منكبرس ودبيسا قد جهزا ثلاثة آلاف فارس مع منصور أخي دبيس والامير حسين بن ازبك ربيب منكبرس وساروا وعبروا عند درزيجان ليقطعوا المخاضة عند ديالى الى بغداد لخلوها من عسكر يحميها ويمنع عنها فعاد البرسقي الى بغداد وعبر الجسر لئلا يخاف الناس ولم يعلموا الخبر وخلف ابنه عز الدين مسعودا على عسكره بصرصر واستصحب معه عماد الدين زنكي بن آقسنقر ووصل الى ديالى ومنع عسكر منكبرس من العبور فاقام يومين فأتاه كتاب ابنه عز الدين مسعود يخبره ان الصلح قد استقر بين الفريقين فانكسر نشاطه حيث جرى هذا الامر ولم يعلم به وعاد فعبر بغداد وعبر الى الجانب الغربي وعبر منصور وحسين فسار الى عسكرهما خلفه فوصلوا بغداد عند نصف الليل فنزلا عند جامع السلطان وسار البرسقي الى الملك مسعود فاخذ بركه وماله وعاد الى بغداد فخيم عند القنطرة العتيقة واصعد الملك مسعود وجيوش بك فنزلا عند البيمارستان واصعد دبيس ومنكبرس فخيما تحت الرقة وأقام عز الدين مسعود بن البرسقي عند منكبرس منفردا عن أبيه وكان سبب هذا الصلح ان جيوش بك كان قد ارسل الى السلطان يطلب الزيادة له وللملك مسعود فوصل كتاب الرسول من العسكر يذكر انه لقي من السلطان احسانا كثيرا وانه أقطعهم اذربيجان فلما بلغه رحيلكم الى بغداد اعتقد انكم قد عصيتم عليه فعاد عما كان استقر ويقول ان السلطان قد جهز عسكرا الى الموصل فوقع الكتاب بيد منكبرس فارسله الى جيوش بك وضمن له اصلاح السلطان له وللملك مسعود وكان منكبرس متزوجا بأم الملك مسعود واسمها سرجهان وكان يؤثر مصلحته لذلك واستقر الصلح وخاف البرسقي ان يمنع منه فاتفقا على ارسال العسكر الى درزيجان لينفذ مقابلة البرسقي ليشغلوا العسكر منه ويقع الاتفاق فكان الامر في ضميرهم على ما تقدم وكان البرسقي محببا الى اهل بغداد لحسن سيرته فيهم فلما استقر الصلح ووصلوا الى بغداد تفرق عن البرسقي أصحابه وجموعه وبطل ما كان يحدث به نفسه من التغلب على العراق بغير أمر السلطان وسار عن العراق الى الملك مسعود فاقام معه

علية فضله وكرمه وأمر له بخمسين ألف درهم مشاهرة تدر عليه عند ولاد كل شهر واضاف اليه من المبار والصلات ووجوه الاحبية والكرامات ما تميز به عن أشكاله رعاية لحق ابيه فيه ونصابه موصول مثله في جملة أوليائه وحملة أياديه فاغراه سوء القضاء ودرك الشقاء بالهرب من مفترش الراحة ومتوسد الدعة ومضطجع الرفاهية ومرتقى السلامة والعافية حتى زخ بنفسه في غمة الشرور الى كورة نيسابور مطارعة لهوى له كان زعم بها انطلق ان استتاره يطوي خبره ويخفي عنه وأثره الى ان يقضي من هواه وطره فلم يرعه الا احاطة الطلب به من حوالي مستتره فاستشرى كما يحترس

واستقر منكبرس فى شحنكية بغداد وودعه دبيس بن صدقة وعاد الى الحلة بعدان طالب بدار أبيه بدرب فيروز وكانت قد دخلت فى جامع القصر ببغداد فصولح عنها بمال وأقام منكبرس ببغداد يظلم ويعسف الرعية ويصادرهم فاختفى أرباب الاموال وانتقل جماعة الى حريم دار الخلافة خوفا منه وبطلت معايش الناس وأكثر أصحابه الفساد حتى ان بعض أهل بغداد زفت اليه امرأة تزوجها فعلم بعض أصحاب منكبرس فاتاه وكسر الباب وجرح الزوج عدة جراحات وابتنى بزوجته فكثر الدعاء ليلا ونهارا واستغاث الناس لهذه الحال واغلقوا الاسواق فأخذ الجندى الى دار الخلافة فاعتقل أياما ثم أطلق وسمع السلطان بما يفعله منكبرس ببغداد فارسل اليه يستدعيه ويحثه على اللحوق به وهو يغالط ويدافع وكلما طلبه السلطان لج فى جمع الاموال والمصادرات فلما علم أهل بغداد تغير السلطان عليه واستدعاءه اياه طمعوا فيه فسار حينئذ منكبرس عنهم خوفا ان يثوروا به وكفى الناس شره وظهر من كان مستترا

*(ذكر وفاة ملك الفرنج وما كان بين الفرنج وبين المسلمين)*

فى ذى الحجة من سنة احدى عشرة وخمسمائة توفى بغدوين ملك القدس وكان قد سار الى ديار مصر فى جمع الفرنج قاصدا ملكها والتغلب عليها وقوى طمعه فى الديار المصرية وبلغ مقابل تنيس وسبح فى النيل فانتقض جرح كان به فلما أحس بالموت عاد الى القدس فمات ووصى ببلاده للقمص صاحب الرها وهو الذى كان اسره جكرمش وأطلقه جاولى سقاوو واتفق ان هذا القمص كان قد سار الى القدس يزور بيعة قمامة فلما وصى اليه بالملك قبله واجتمع له القدس والرها وكان اتابك طغتكين قد سار عن دمشق لقتال الفرنج فنزل بين دير أيوب وكفر بصل باليرموك فخفيت عنه وفاة بغدوين حتى سمع الخبر بعد ثمانية عشر يوما وبينهم نحو يومين فاتته رسل ملك الفرنج بطلب المهادنة فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التى بينهم من جبل عوف والحنانة والصلت والغور فلم يجب الى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين الى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين واعلمه المقدم عليهم ان صاحبهم تقدم اليه بالوقوف عند رأى طغتكين والتصرف على ما يحكم به فاقاموا بعسقلان نحو شهرين ولم يؤثروا فى الفرنج أثرا فعاد طغتكين الى دمشق فأتاه الصريخ بان مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من اعماله يعرف بالحبس ويعرف بحصن جلدك سلمه اليهم المستحفظ به وقصدوا الاذرعات فنهبوها فارسل اليهم تاج الملوك بورى بن طغتكين فانحازوا عنه الى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقتل فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها وأسروا وقتلوا خلقا كثيرا وعاد الفل الى دمشق على أسوأ حال فسار طغتكين الى حلب وبها ايلغازى فاستنجده وطلب منه المعاضدة على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب اتاه الخبر بان الفرنج قصدوا حوران من اعمال دمشق فنهبوا وقتلوا وسبوا وعادوا فاتفق رأى طغتكين وايلغازى على عود طغتكين الى دمشق وحمايته بلاده وعود ايلغازى الى ماردين وجمع العساكر والاجتماع على حرب الفرنج فصالح ايلغازى من يليه من الفرنج على ما تقدم ذكره وعبر الى ماردين لجمع العساكر وكان

الضب من جحره * وعلوا به الى الحبس من فوره * وحمل بعد ذلك الى معتقل أبيه * الى أن نفذ محتوم القضاء فيه * فيا له من أسر هدّ أسره * وختم بطابع الشقاء عمره * ورحم الله أم المؤمنين أم سلمة حيث تقول

لو كان معتصما من زلة أحد
كانت لعائشة الرتبى على الناس

قد ينزع الله من قوم عقولهم
حتى يتم الذى يقضى على الراس

وكان أميرك الطوسى قد اختلط بعسكر الامير سيف الدولة فلما عن له عبور النهر لتدبير أمر الترك رأى الاحتياط فى الاستيثاق منه فألحق بأبى على وذويه الى أن حاق بهم القضاء * وحق لهم الانقضاء *

ما ذكره سنة ثلاث عشرة انشاء الله تعالى

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة انقطع الغيث وعدمت الغلات في كثير من البلاد وكان أشده بالعراق فغلت الأسعار وأجلى أهل السواد وتقوت الناس بالنخالة وعظم الأمر على أهل بغداد بما كان يفعله منكبرس بهم وفيها أسقط المسترشد بالله من الإقطاع المختص به كل جور وأمر أن لا يؤخذ الا ما جرت به العادة القديمة وأطلق ضمان غزل الذهب وكان صناع السقلاطون والممزج وغيرهم ممن يعمل منه يلقون شدة من العمال عليها وأذى عظيما وفيها تأخر مسير الحاج تأخرا ارجف بسببه بانقطاع الحج من العراق فرتب الخليفة الأمير نظر خادم أمير الجيوش يمن وولاه من أمر الحج ما كان يتولاه أمير الجيوش وأعطاه من المال ما يحتاج اليه في طريقه وسيره فادركوا الحج وظهرت كفايته ونظر وفيها وصل مركبان كبيران فيهما تجارة وجماعة من الفرنج بالشام فغرقا وكان الناس قد خافوا منهم فأمنوا وفيها وصل رسول ايلغازي صاحب حلب وماردين الى بغداد يستنفر على الفرنج ويذكر ما فعلوا بالمسلمين في الديار الجزرية وأنهم ملكوا قلعة عند الرها وقتلوا أميرها ابن عطير فسيرت الكتب بذلك الى السلطان محمود وفيها نقل المستظهر الى الرصافة وجميع من كان مدفونا بدار الخلافة وفيهم جدة المستظهر أم المقتدي وكانت وفاتها بعد المستظهر ورأت البطن الرابع من أولادها وفيها كثر أمر العيارين بالجانب الغربي من بغداد فعبر اليهم نائب الشحنة في خمسين غلاما أتراكا فقاتلهم فانهزم منهم ثم عبر اليهم من الغد في مائتي غلام فلم يظفر بهم ونهب العيارون بعض قطفتا وفي هذه السنة في شعبان توفي أبو الفضل بكر بن محمد بن علي بن الفضل الأنصاري من ولد جابر بن عبد الله وهو من بلد بخارا وكان من أعيان الفقهاء الحنفية حافظا للمذهب وتوفي أبو طالب الحسين بن محمد بن علي بن الحسن الزينبي نقيب النقباء ببغداد في صفر واستقال من النقابة فوليها أخوه طراد وكان من أكابر الحنفية وروى الحديث الكثير وفيها في ذي الحجة توفي أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن منده الأصبهاني المحدث المشهور من بيت الحديث وله فيه تصانيف حسنة وفيها توفي أبو الفضل أحمد بن الخازن وكان أديبا ظريفا حسن الشعر فمنه قوله وقد قصد زيارة صديق له فلم يره فادخله غلمانه الى بستان في الدار وحمام فقال في ذلك

وافيت منزله فلم أر صاحبا ... الا تلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة ... لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جحيمه ... فشكرت رضوانا ورأفة مالك

(ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة)

## (ذكر عصيان الملك طغرل على أخيه السلطان محمود)

كان الملك طغرل بن محمد لما توفي والده بقلعة سرجهان وكان مولده سنة ثلاث وخمسمائة في المحرم وأقطعه والده سنة أربع ساوة وآوة وزنجان وجعل أتابكه الأمير شيركير الذي تقدم ذكره في حصار قلاع الاسماعيلية فازداد ملك طغرل بما افتتحه شيركير من قلاعهم فأرسل اليه السلطان محمود الأمير كنتغدي ليكون أتابكه ومدبر الأمر ويحمله اليه فلما وصل اليه حسن له مخالفة

كذلك يفعل الله ما يشاء * ولما استقر الأمير سبكتكين بلخ بعد منصرفه من طوس ورد عليه الخبر بنفوذ قضاء الله تعالى في أبي علي ومن كان معه في حلق الوثاق * واستتبع خبر موت الملوك والعظماء بأطراف خراسان والعراق * في مدة اتصلت كعوب أيامها * وتناسقت فرائد نظامها * (فكأنهم كانوا على ميعاد) وذلك أنه تلا خبره خبر مأمون بن محمد بن علي بن مأمون والى الجرجانية في فتك طائفة من أصحابه به في مأدبة صنعها صاحب جيشه له فاستحالت المأدبة * مندبة * والدعوة مناحة والغناء عويلا * والسرور حزنا طويلا * وردفه خبر الرضي في مرضة لم تمتد فيها أيامه *

أخيه وترك الجىء اليه واتفقا على ذلك وسمع السلطان محمود الخبر فارسل شرف الدين انوشروان ابن خالد ومعه خلع وتحف وثلاثون ألف دينار ووعد أخاه باقطاع كثير زيادة على ماله اذا قصده واجتمع به فلم تقع الاجابة الى الاجتماع وأجاب كنتغدى باننا فى طاعة السلطان واى جهة أراد قصدناها ومعنا من العساكر ما تقاوم بها من يرسم بقصده فبينما الخوض معهم فى ذلك ركب السلطان محمود من باب همذان فى عشرة آلاف فارس جريدة فى جمادى الاولى وكتم مقصده وعزم على ان يكبس أخاه والامير كنتغدى فرأى احد خواصه تركيا من أصحاب الملك طغرل فاعلم السلطان به فقبض عليه فعلم رفيق كان معه الحال فسار عشرين فرسخا فى ليلة ووصل الى الامير كنتغدى وهو سكران فايقظه بعد جهد واعلمه الحال فقصد الملك طغرل فعرفه ذلك واخذه متخفيا وقصد قلعة سمران فضلا عن الطريق الى قلعة سرجهان وكانا قد فارقاها وجعا العساكر وكان ضلالهما هداية لهما الى السلامة فان السلطان محمودا جعل طريقه على سمران وقال انها حصنهما الذى فيه الذخائر والاموال واذا علما بوصوله اليها سارا اليها فربما صادفهما فى الطريق فسلما منه بما ظناه عطبا لهما ووصل السلطان الى العسكر فكبسه ونهبه وأخذ من خزانة أخيه ثلثمائة ألف دينار وذلك المال الذى أنفذه له وأقام السلطان محمود بزنجان وتوجه منها الى الرى ونزل طغرل من سرجهان ولحق هو وكنتغدى بكنجة وقصده أصحابه فقويت شوكته وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه محمود

*(ذكر الحرب بين سنجر والسلطان محمود)*

فى هذه السنة فى جمادى الاولى كانت حرب شديدة بين سنجر وابن أخيه السلطان محمود ونحن نذكر سياقة ذلك قد ذكرنا سنة ثمان وخمسمائة مسير السلطان سنجر الى غزنة وفتحها وما كان منه فيها ثم عاد عنها الى خراسان فلما بلغه وفاة أخيه السلطان محمد وجلوس ولده السلطان محمود فى السلطنة وهو زوج ابنة سنجر لحقه حزن عظيم لموت أخيه وأظهر من الجزع والحزن مالم يسمع بمثله وجلس للعزاء على الرماد واغلق البلد سبعة أيام وتقدم الى الخطباء بذكر السلطان محمد بمحاسن أعماله من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك وكان سنجر يلقب بناصر الدين فلما توفى أخوه محمد تلقب بمعز الدين وهو لقب ابيه ملكشاه وعزم على قصد بلد الجبل والعراق وما بيد محمود ابن أخيه فندم على قتل وزيره أبى جعفر محمد بن فخر الملك أبى المظفر بن نظام الملك وكان سبب قتله انه وحش الامراء واستخف بهم فابغضوه وكرهوه وشكوا منه الى السلطان وهو بغزنة فاعلمهم انه يؤثر قتله وليس يمكنه فعل ذلك بغزنة وكان سنجر قد تغير على وزيره لاسباب منها انه أشار عليه بقصد غزنة فلما وصل الى بست أرسل ارسلانشاه صاحبها الى الوزير وضمن له خمسمائة ألف دينار ليثنى سنجر عن قصده فاشار عليه بمصالحته والعود عنه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر ومنها انه نقل عنه انه أخذ من غزنة أموالا جليلة عظيمة المقدار ومنها ما ذكر من ايحاشه الامراء وغير هذه الاسباب فلما عاد الى بلخ قبض عليه وقتله وأخذ ماله وكان له من الجواهر والاموال مالا يحد عليه والذى وجد له من العين ألفا ألف دينار فلما قتله استوزر بعده شهاب الاسلام عبد الرزاق بن أخى نظام الملك ويعرف بابن الفقيه الا انه لم تكن له منزلة ابن فخر الملك عند الناس فى علو المنزلة فلما اتصل به وفاة أخيه ندم على قتله لانه كان يبلغ به من الاغراض

حتى ألم به حمامه * وانتقل الى ترابه * بعد شبابه * وكانت وفاته يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة سبع وثمانين وثلثمائة ولقبه كتاب بابه بالرضى فرحمة الله عليه رحمة تبرد ضريحه * وتروح روحه وريحه * فقد كان طود الملك زال بزواله * وزلت عن مراسيه بزلزاله * وتتابعت المصائب على الامير سبكتكين بعده فى تلك المدة بشقيقة له كانت أعز أهله عليه وبأولاد صغار * وغلمان دار * وهلم جرا الى ان سقط على الفراش * وأيس من الانتعاش * فتاق الى غزنة استرواحا الى طيب هوائها * واستشفاء بنسيم أرضها وغمر مائها * فأخذ

والتقى ما لا يلتقيه بكثرة العساكر ليميل الناس اليه وجعله عندهم ثم ان السلطان محمودا أرسل الى
عمه سنجر شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغايرك بن اليزن ومعهما الهدايا والتحف
وبذل له النزول عن مازندران وحمل مائتي ألف دينار كل سنة فوصلا اليه وابلغاه الرسالة فتجهز
ليسير الى الري فأشار عليه شرف الدين انوشروان بترك القتال والحرب فكان جوابه في ذلك ان
ولد أخي صبي وقد تحكم عليه وزيره والحاجب علي فلما سمع السلطان محمود بمسيره وتقدم
ووصول الامير أنز في مقدمته الى جرجان تقدم الى الامير علي بن عمر وهو أمير حاجب السلطان
محمد وبعده صار أمير حاجب السلطان محمود بالمسير وضمن لهما كثيرا من العساكر والامراء
فاجتمعوا في عشرة آلاف فارس فساروا الى ان قاربوا مقدمة سنجر التي عليها الامير أنز فراسله
الامير علي بن عمر يعرفه وصية السلطان محمد بتعظيم سنجر والرجوع الى أمره ونهيه والقبول
منه وانه ظن ان سنجر يحفظ السلطنة على ولده السلطان محمود وأخذ عليه بذلك العهود فليس
لنا أن نخالفه وحيث جئتم الى بلادنا لا نحتمل ذلك ولا نغضي عليه وقد علمت ان معك خمسة
آلاف فارس فانا ارسل اليك أقل منهم لتعلم انكم لا تقاومونا ولا تقوون بنا فلما سمع الامير أنز ذلك
عاد عن جرجان ولحقه بعض عسكر السلطان محمود فأخذوا قطعة من سواده وأسروا عددا من
أصحابه وكان السلطان محمود قد وصل الى الري وهو بها وعاد الامير علي بن عمر اليه فشكره على
فعله وأثنى عليه وعلى عسكره الذين معه وأشير على السلطان محمود بملازمة الري والمقام بها
وقيل ان عساكر خراسان اذا علموا بمقامك فيها لا يفارقون حدودهم ولا يتعدون ولا يتهيأ لهم
بقبول ذلك وضجر من المقام وسار الى جرجان ووصل السلطان محمود الامير منكبرس بن البرسقي
في عشرة آلاف فارس والامير منصور بن صدقة أخو دبيس والامراء البكجية وغيرهم وسار محمود
الى همذان وتوفي بها وزيره الربيب واستوزر ابا طالب السميرمي وبلغه وصول عمه سنجر الى
الري فسار نحوه قاصدا قتاله فالتقيا بالقرب من ساوة ثاني جمادى الاولى من السنة وكان عسكر
السلطان محمود قد عرفوا المفازة التي بين يدي عسكر سنجر وهي ثمانية أيام فسبقوهم الى الماء
وملكوه عليهم وكان العسكر الخراساني في عشرين ألفا ومعهم ثمانية عشر فيلا اسم كبيرها
باذهو ومن الامراء الكبار ولد الامير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزمشاه محمد والامير
أنز والامير قماج واتصل به علاء الدولة كرشاسف بن فرامرز بن كاكويه صاحب يزد وهو صهر
السلطان محمد وسنجر على اختهما وكان اخص الناس بالسلطان محمد فلما تولى السلطان محمود
تأخر عنه فاقطع بلده لقراجة الساقي الذي صار صاحب بلاد فارس فسار مستنجدا علاء الدولة
الى سنجر وهو من ملوك الديلم وعرف سنجر الاحوال والطريق الى قصد البلاد وما فعله الامراء
من اخذ الاموال وما هم عليه من اختلاف الاهواء وحسن قصد البلاد وكان عسكر السلطان
محمود ثلاثين ألفا ومن الامراء الكبار الامير علي بن عمر أمير حاجب والامير منكبرس واتابكه
غزغلي وبنو برسق وسنقر البخاري وقراجة الساقي ومعه تسعمائة جمل من السلاح واستهان
عسكر محمود بعسكر عمه بكثرتهم وشجاعتهم وكثرة خيلهم فلما التقوا ضعفت نفوس الخراسانية
لما رأوا الهذا العسكر من القوة والكثرة فانهزمت ميمنة سنجر وميسرته واختلط أصحابه
واضطرب أمرهم وسار المنهزمون لا يلوون على شئ ونهب من أثقالهم شئ كثير وقتل أهل

المقدور عليه بالمرصد * واخترمته يد المنون دون المقصد * فنقل في تابوت الى غزنة ومن العجب العاجب في أمره انى حضرته ذات يوم وقد جرى حديث العلل في اقبالها وزوالها فقال وهو يشير الى كاتبه أبي الفتح مثلنا أيها الشيخ في اختطاف المنايا أرواحنا مثل القطيع يعمد الجزاز الى الشاة منها فيطرحها الى الارض ويوثق قوائمها للجز فلا تزال تقاسي خلاف العادة * وتضطرب خوف الابادة * الى ان يقضي الجزاز منها وطره فيصل وثاقها ويحسن اطلاقها *

السواد كثيرا منهم ووقف سنجر بين الفيلة في جمع من أصحابه وبازائه السلطان محمود ومعه اتابكه غزغلى فالجأت سنجر الضرورة عند تفاقم الخطب عليه ان يقدم الفيلة للحرب وكان من بقى معه قد أشاروا عليه بالهزيمة فقال اما النصر او القتل واما الهزيمة فلا فلما تقدمت الفيلة ورآها خيل محمود تراجعت باصحابها على اعقابها فاشفق سنجر على السلطان محمود فى تلك الحال وقال لاصحابه لا تفزعوا الصبى بحملات الفيلة فكفوها عنهم وانهزم السلطان محمود ومن معه فى القلب وأسر اتابكه غزغلى فكان يكاتب السلطان ويعده انه يحمل اليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك فاعتذر بالعجز فقتله وكان ظالما قد بالغ فى ظلم أهل همذان فعجل الله عقوبته ولما تم النصر والظفر للسلطان سنجر أرسل من أعاد المنهزمين من أصحابه اليه ووصل الخبر الى بغداد فى عشرة أيام فارسل الامير دبيس بن صدقة الى المسترشد بالله فى الخطبة للسلطان سنجر فخطب له فى السادس والعشرين من جمادى الاولى وقطعت خطبة السلطان محمود وأما السلطان محمود فانه سار من الكسرة الى اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميرمى والامير على بن عمر وقراجة واما سنجر فانه سار الى همذان فرأى قلة عسكره واجتماع العساكر على ابن أخيه فراسله فى الصلح وكانت والدته تشير عليه بذلك وتقول قد استوليت على غزنة واعمالها وما وراء النهر وملكت ما لا حد عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كاحدهم وكانت والدة سنجر هى جدة السلطان محمود فاجاب الى قولها ثم كثرت العساكر عند سنجر منهم البرسقى وكان عند الملك مسعود باذربيجان من حين خروجه عن بغداد الى هذه الغاية فقوى بهم فعاد الرسول وابلغه عن الامراء الذين مع السلطان محمود انهم لا يصالحونه حتى يعود الى خراسان فلم يجب الى ذلك وسار من همذان الى كرج واعاد مراسلة السلطان محمود فى الصلح ووعده أن يجعله ولى عهده فاجاب الى ذلك واستقر الامر بينهما وتحالفا عليه وسار السلطان محمود الى عمه سنجر فى شعبان فنزل على جدته والدة سنجر وأكرمه عمه وبالغ فى ذلك وحمل له السلطان محمود هدية عظيمة فقبلها ظاهرا وردها باطنا ولم تقبل منه سوى خمسة أفراس عربية وكتب السلطان سنجر الى سائر الاعمال التى بيده كخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بان يخطب للسلطان محمود بعده وكتب الى بغداد مثل ذلك واعاد عليه جميع ما أخذ من البلاد سوى الرى وقصد باخذها ان تكون له فى هذه الديار لئلا يحدث السلطان محمود نفسه بالخروج

*(ذكر غزاة ايلغازى بلاد الفرنج)*

فى هذه السنة سار الفرنج من بلادهم الى نواحى حلب فملكوا بزاعة وغيرها واخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن بحلب من الذخائر ما يكفيها شهرا واحدا وخافهم اهلها خوفا شديدا ولو مكنوا من القتال لم يبق بها احد لكنهم منعوا من ذلك وصانعوا الفرنج اهل حلب على ان يقاسموهم على املاكهم التى بباب حلب فارسل اهل البلد الى بغداد يستغيثون ويطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان الامير ايلغازى صاحب حلب ببلد ماردين يجمع العساكر والمتطوعة للغزاة فاجتمع عليه نحو عشرين ألفا وكان معه أسامة بن المبارك بن شبل الكلابى والامير طغان أرسلان بن المكر صاحب بدليس وارزن وسار بهم الى الشام عازما على قتال الفرنج فلما علم الفرنج قوة عزمهم على لقائهم وكانوا ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ساروا فنزلوا قريبا من الاثارب

فترتاح لما يتاح لها من الصبا * ولما يعاد اليها من روح الحياء * حتى اذا كان من قابل عاد الجزاز لعادته فيها فطفقت لها بين أمل وياس ونفرة واستئناس * تظن ان الامر كما عهدت تارة وتخشى خلاف العادة أخرى الى ان يقع الافراج عنها فتطفر فرحى بالنجاة * وتعود مرحى فى النبات * فما هى الا الثالثة حتى يسلمها الجزاز الى الجزار فيمر الشفرة على ودجيها أوثق ما كانت بالعادة وأبعدها من المخافة * وآمنها من الآفة * كذلك نحن فيما يتعاقب علينا من الامراض ويستمر بنا من الاوصاب بينا نحسن الظن بما يطرق منها اذ قامت

بموضع يقال له تل عفرين بين جبال ليس لها طريق الا من ثلاث جهات وفي هذا الموضع قتل شرف الدولة مسلم بن قريش وظن الفرنج ان أحدا لا يسلك اليهم لضيق الطريق فاخلدوا الى المطاولة وكانت عادتهم اذا راوا قوة من المسلمين وراسلوا ايلغازي يقولون له لا تتعب نفسك بالمسير الينا فنحن واصلون اليك فاعلم أصحابه بما قالوه واستشارهم فيما يفعل فاشار وا بالركوب من وقته وقصدهم ففعل ذلك وسار اليهم ودخل الناس من الطرق الثلاثة ولم تعتقد الفرنج ان أحدا يقدم عليهم لصعوبة المسلك اليهم فلم يشعروا الا واوائل المسلمين قد غشيتهم فحمل الفرنج حملة منكرة فولوا منهزمين فلقوا باقي العسكر متتابعة فعادوا معهم وجرى بينهم حرب شديدة واحاطوا بالفرنج من جميع جهاتهم واخذهم السيف من سائر نواحيهم فلم يفلت منهم غير نفر يسير وقتل الجميع وأسروا وكان في جملة الاسرى نيف وسبعون فارسا من مقدميهم وحملوا الى حلب فبذلوا في نفوسهم ثلاثمائة الف دينار فلم يقبل منهم وغنم المسلمون منهم الغنائم الكثيرة واما سيرجال صاحب انطاكية فانه قتل وحمل رأسه وكانت الوقعة منتصف شهر ربيع الاول فمامدح به ايلغازي في هذه الوقعة قول العظيمي

قل ماتشاء فقولك المقبول • وعليك بعد الخالق التعويل

واستبشر القرآن حين نصرته • وبكى لفقد رجاله الانجيل

ثم تجمع من سلم من المعركة مع غيرهم فلقيهم ايلغازي أيضا فهزمهم وفتح منهم حصن الاثارب وزردنا وعاد الى حلب وقرر أمرها واصلح حالها ثم عبر الفرات الى ماردين

•(ذكر وقعة أخرى مع الفرنج)•

في هذه السنة سار جوسلين صاحب تل باشر في جمع من الفرنج نحو مائتي فارس من طبرية فكبس طائفة من طي يعرفون ببني خالد فاخذهم واخذ غنائمهم وسالهم عن بقية قومهم من بني ربيعة فاخبروه انهم من وراء الحزن بوادي السلالة بين دمشق وطبرية فقدم جوسلين مائة وخمسين فارسا من أصحابه وسار هو في خمسين فارسا على طريق آخر وواعدهم الصبح ليكبسوا بني ربيعة فوصلهم الخبر بذلك فارادوا الرحيل فمنعهم أميرهم من بني ربيعة وكانوا في مائة وخمسين فارسا فوصلهم المائة والخمسون من الفرنج معتقدين ان جوسلين قد سبقهم أو سيدركهم فاضل الطريق وتساوت العدتان فاقتتلوا وطاعنت العرب خيولهم فجعلوا أكثرهم رجالة وظهر من أميرهم شجاعة وحسن تدبير وجودة رأي فقتل من الفرنج سبعون وأسر اثنا عشر من مقدميهم بذل كل واحد في فداء نفسه مالا جزيلا وعدم من الاسرى واما جوسلين فانه ضل في الطريق وبلغه خبر الوقعة فسار الى طرابلس فجمع بها جمعا واسرى الى عسقلان فاغار على بلدها فهزمه المسلمون هناك فعاد مخذولا

•(ذكر قتل منكوبرس)•

في هذه السنة قتل الامير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد وقد تقدم حاله وكان سبب قتله انه لما انهزم مع السلطان محمود وعاد الى بغداد نهب عدة مواضع من طريق خراسان واراد دخول بغداد فسير اليه دبيس بن صدقة من منعه فعاد وقد استقر الصلح بين السلاطين سنجر ومحمود فقصد السلطان سنجر فدخل اليه ومعه سيف وكفن فقال له انا لا أؤاخذ احدا وسلمه الى

الواعية • وسارت بها الناعية • فكان بين هذا القتيل وبين ان قضى نحبه قدر معقار النعل فقضينا العجب بعدما أملاه المقدور في شانه على لسانه وقد كان قبل وفاته استجد عمارة الدار المعروفة بشهلاباد وانفق عليها مالا عظيما فلم يتمتع بسكناها حتى خذله الرجاء • وحق عليه القضاء • واعتاقها ولده من بعده فاهملوا أمرها حتى تداعت بالخراب وسمعت بعض الافاضل ينشد وقد اجتاز على بابها بعده في مدة يسيرة

عليك سلام الله من منزل قفر • فقد هجت لي شوقا قديما وماتدري

عهدتك مغشورا جديدا فلم أخل

السلطان محمود وقال هذا مملوكك فاصنع به ما تريد فأخذه وكان في نفسه منه غيظ شديد لاسباب منها انه لما توفي السلطان محمد أخذ سريته والدة الملك مسعود قهرا قبل انقضاء عدتها ومنها جراءته عليه واستبداده بالامور دونه ومسيره الى شحنكية بغداد والسلطان كاره لذلك لكنه لم يقدر على منعه ومنها ما فعله بالعراق من الظلم الى غير ذلك فقتله صبرا وأراح العباد والبلاد من شره

*(ذكر قتل الامير على بن عمر)*

في هذه السنة أيضا قتل الامير على بن عمر حاجب السلطان محمد وكان قد صار أكبر أمير مع السلطان محمود وانقادت العساكر له فحسده الامراء وأفسدوا حاله مع السلطان محمود وحسنوا له قتله فعلم فهرب الى قلعة برجين وهي بين بروجرد وكرج وكان بها أهله وماله وسار منها في مائتي فارس الى خوزستان وكانت بيد أقبوري بن برسق وابن أخويه أرغلى بن يلبكي وهندو بن زنكي فارسل اليهم وأخذ عهودهم بامانه وحمايته فلما سار اليهم أرسلوا عسكرا منعوه من قصدهم فلقوه على ستة فراسخ من تستر فاقتتلوا فانهزم هو وأصحابه فوقف به فرسه فانتقل الى غيره فتشبث ذيله بسرجه الاول فازاله فعاود التعلق فابطأ فادركوه واسروه وكاتبوا السلطان محمودا في امره فامرهم بقتله فقتل وحمل رأسه اليه

*(ذكر الفتنة بين المرابطين واهل قرطبة)*

في هذه السنة وقيل سنة اربع عشرة كانت فتنة بين عسكر امير المسلمين على بن يوسف وبين اهل قرطبة وسببها ان امير المسلمين استعمل عليها ابا بكر يحيى بن رواد فلما كان يوم الاضحى خرج الناس متفرجين فمد عبد من عبيد ابي بكر يده الى امرأة فامسكها فاستغاثت بالمسلمين فاغاثوها فوقع بين العبيد واهل البلد فتنة عظيمة ودامت جميع النهار والحرب بينهم قائمة على ساق فادركهم الليل فتفرقوا فوصل الخبر الى الامير أبي بكر فاجتمع اليه الفقهاء والاعيان فقالوا المصلحة ان تقتل واحدا من العبيد الذين أثاروا الفتنة فانكر ذلك وغضب منه وأصبح من الغد واظهر السلاح والعدد يريد قتال أهل البلد فركب الفقهاء والاعيان والشبان من أهل البلد وقاتلوه فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه وتسلقوا اليه فهرب منهم بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر واحرقوا جميع دور المرابطين ونهبوا أموالهم واخرجوهم من البلد على أقبح صورة واتصل الخبر بامير المسلمين فكره ذلك واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم فاجتمع له منهم جمع عظيم فعبر اليهم سنة خمس عشرة وخمسمائة وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد ان يحمي دمه وحريمه وماله فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم وسعوا في الصلح فاجابهم الى ذلك على ان يغرم أهل قرطبة المرابطين ما نهبوه من أموالهم واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم

*(ذكر ملك على بن سكمان البصرة)*

في هذه السنة استولى على بن سكمان على البصرة وسبب ذلك ان السلطان محمدا كان قد اقطع البصرة الامير آقسنقر البخاري فاستخلف بها نائبا يعرف بسنقر البياتي فاحسن السيرة الى حدان الماء بالبصرة ملح فاقام سفنا وجرارا للضعفاء والسابلة تحمل لهم الماء العذب فلما توفي

صروف النوى تبلى مغانيك
في شهر
فلحا الله دنيا ما من ضبة تأكل
أولادها عقوقا* وجافية
لا ترعى لاضيافها أذمة
وحقوقا* والى الله المشتكى
من صرف الزمان* وريب
الحدثان* ورثاه أبو الفتح
البستي كاتبه بقوله
قلت اذ مات ناصر الدين والدو
لة حياه ربه بالكرامة
وتداعت جموعه بافتراق
هكذا هكذا تقوم القيامة
وقوله أيضا
توكل على الله في كل ما
تحاوله واتخذه وكيلا
ولا يخدعنك شرب صفا
ذأتي قليلا وأروى غليلا
فان الزمان يذل العزيز
ويجعل كل جليل ضئيلا

السلطان محمود عزم هذا الامير سنقر على القبض على امير اسمه غزغلي مقدم الاتراك الاسماعيلية وهو من كوز وحج بالناس على البصرة عدة سنين وعلى امير آخر اسمه سنقر الب وهو مقدم الاتراك البلدقية فاجتمعا عليه وقبضاه وقيداه واخذا القلعة وما وجدا له ثم ان سنقر الب اراد قتله فمنعه غزغلي فلم يقبل منه فلما قتله وثب غزغلي على سنقر الب فقتله ونادى في الناس بالسكون واطمانوا وكان امير الحاج من البصرة هذه السنة امير اسمه علي بن سكمان احد الامراء البلدقية وكان في نفس غزغلي عليه حقد حيث تم الحج على يده ولانه خاف ان يأخذ بثار سنقر الب اذ هو مقدم البلدقية فارسل غزغلي الى عرب البرية يامرهم بقصد الحاج ونهبهم فطمعوا بذلك وقصدوا الحاج فقاتلوهم وحماهم ابن سكمان وابلى بلاء حسنا وجعل يقاتلهم وهو سائر نحو البصرة الى ان بقي بينه وبين البصرة يومان فارسل اليه غزغلي يمنعه من قصد البصرة فقصد العوني اسفل دجلة فحذر العرب يقاتلونه فلما وصل الى العوني حمل على العرب حملة صادقة فهزمهم وسار غزغلي الى علي بن سكمان في عدد كثير وكان علي في قلة فتضاربا واقتتلت الطائفتان فاصابت فرس غزغلي نشابة فسقط وقتل وسار علي الى البصرة فدخلها وملك القلعة واقر عمال آقسنقر البخاري ونوابه وكاتبه بالطاعة وكان عند السلطان وسأله ان يكون نائبا عنه بالبصرة فلم يجبه آقسنقر الى ذلك فطرد حينئذ نواب آقسنقر واستولى على البلد وتصرف تصرف الاصحاب مستبدا واستقر فيه واحسن السيرة الى سنة اربع عشرة فسير السلطان محمود الامير آقسنقر البخاري في عسكر الى البصرة فاخذها من علي بن سكمان

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة أمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل عنها وفيها في ربيع الاول توفي الوزير ربيب الدولة وزير السلطان محمود ووزر بعده الكمال السميرمي وكان ولد ربيب الدولة وزير المسترشد فعزل واستعمل بعده عميد الدولة ابو علي بن صدقة ولقب جلال الدين وهذا الوزير هو عم الوزير جلال الدين ابي الرضا صدقة الذي وزر للراشد وللاتابك زنكي على ما نذكره وفيها ظهر قبر ابراهيم الخليل وقبور ولديه اسحق ويعقوب عليهم السلام بالقرب من البيت المقدس ورآهم كثير من الناس لم تبل اجسادهم وعندهم في المغارة قناديل من ذهب وفضة هكذا ذكره حمزة ابن اسد التميمي في تاريخه والله اعلم وفيها في المحرم توفي قاضي القضاة ابو الحسن علي بن محمد الدامغاني ومولده في رجب سنة تسع واربعين واربعمائة وولي القضاء بباب الطاق من بغداد الى الموصل وله من العمر ست وعشرون سنة وهذا شيء لم يكن لغيره ولما توفي ولي قضاء القضاة الاكمل ابو القاسم علي بن ابي طالب الحسين بن محمد الزينبي وخلع عليه ثالث صفر وفيها هدم تاج الخليفة على دجلة للخوف من انهدامه وهذا التاج بناه امير المؤمنين المكتفي بعد سنة تسعين ومائتين وفيها تأخر الحج فاستغاث الناس وارادوا كسر المنبر بجامع القصر فارسل الخليفة الى دبيس بن صدقة ليساعد الامير نظر على تسيير الحاج فاجاب الى ذلك وكان خروجهم من بغداد ثاني عشر ذي القعدة وتوالت عليهم الامطار الى الكوفة وفيها ارسل دبيس بن صدقة القاضي ابا جعفر عبد الواحد بن احمد الثقفي قاضي الكوفة الى ايلغازي بن ارتق بماردين يخطب ابنته

ألم تر ناصر دين الاله
وكان المهيب العظيم الجليلا
أعد الخيول وقاد الخيول
وصير كل عزيز ذليلا
وخف الملوك به خاضعين
وزفوا اليه رعيلا رعيلا
فلما تمكن من أمره
وصارله الشرق الا قليلا
واوهمه العز أن الزمان
اذا رامه ارتد عنه كليلا
أتته المنية مغتالة
وسلت عليه حساما صقيلا
فلم تغن عنه حماة الرجال
ولم يجد قيل عليه قتيلا
كذلك يفعل بالشامتين
ويفنيهم الدهر جيلا فجيلا
ولبعض كتاب أهل العصر فيه
مضى الامير نصير الدين منفصما
في قبره بساع أثبت ملها

فزوجها منه ايلغازى وحملها الثقفى معه الى الحلة واجتاز بالموصل وفيها فى جمادى الاولى توفى أبو الوفا على بن عقيل بن محمد بن عقيل شيخ الحنابلة فى وقته ببغداد وكان حسن المناظرة سريع الخاطر وكان قد اشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته على أبى الوليد فاراد الحنابلة قتله فاستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور وله مصنفات من جملتها كتاب الفنون

(ثم دخلت سنة أربع عشرة وخمسمائة)*

*(ذكر عصيان الملك مسعود على أخيه السلطان محمود والحرب بينهما)

فى هذه السنة فى ربيع الاول كان المصاف بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ومسعود حينئذ له الموصل واذربيجان وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة كان يكاتب جيوش بك أتابك مسعود ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة وكان غرضه ان يختلفوا فينال من الجاه وعلو المنزلة ما ناله أبوه باختلاف السلاطين بركيارق ومحمد ابنى ملكشاه على ما ذكرناه وكان قسيم الدولة البرسقى أتابك الملك مسعود قد فارق شحنكية بغداد وقد اقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وبينه وبين دبيس عداوة محكمة فكاتب دبيس جيوش بك يشير عليه بقبض البرسقى وينسبه الى الميل الى السلطان محمود وبذل له مالا كثيرا على قبضه فعلم البرسقى ذلك ففارقهم الى السلطان محمود فاكرمه واعلى محله وزاد فى تقديمه واتصل الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن على الاصبهانى الطغرائى بالملك مسعود فكان ولده أبو المؤيد محمد بن أبى اسمعيل يكتب الطغرا مع الملك فلما وصل والده استوزره مسعود بعد ان عزل أبا على بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة بباب خوى فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهر ما هم عليه من ذلك فبلغ السلطان محمود الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان اقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود فقوى طمعهم واسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر فاجتمع اليه خمسة عشر الفا فسار ايضا اليهم فالتقوا عند عقبة اسداباذ منتصف ربيع الاول واقتتلوا من بكرة الى آخر النهار وكان البرسقى فى مقدمة السلطان محمود وابلى يومئذ بلاء حسنا فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار واسر منهم جماعة كثيرة من اعيانهم ومقدميهم واسر الاستاذ ابو اسماعيل وزير مسعود فامر السلطان بقتله وقال قد ثبت عندى فساد دينه واعتقاده فكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صنعة الكيمياء وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس اموالا لا تحصى واما الملك مسعود فانه لما انهزم اصحابه وتفرقوا قصد جبلا بينه وبين الوقعة اثنا عشر فرسخا فاختفى فيه ومعه غلمان صغار فارسل ركابيه عثمان الى اخيه يطلب له الامان فسار الى السلطان محمود واعلمه حال اخيه مسعود فرق له وبذل له الامان وامر آقسنقر البرسقى بالمسير اليه وتطييب قلبه واعلامه بعفوه عنه واحضاره فكان مسعود بعد ان ارسل يطلب الامان قد وصل بعض الامراء اليه وحسن له اللحاق بالموصل وكانت له ومعها اذربيجان واشار عليه بمكاتبة دبيس بن

قد كان مدة ما قد عاش منتصبا
لله والدين والاسلام منتقما
كالليث والغيث طبعا ان حمى وهمى
والنجم والرجم شكلا ان سما ورمى
يا من أسال رقاب الكاشحين دما
من بعد فقدك ابكيت العيون دما
لئن اناخ صروف الدهر ساحته
فانظر الى الملك والاسلام لا بجرما
فالدين منثلم والملك منهدم
وظل حبل العلا والمجد منصرما
وردف الحادثة به النعى بفخر الدولة على بن بويه وكانت

صدقة ليجتمع به ويكثر جمعه ويعاود طلب السلطنة فسار معه من مكانه ووصل البرسقي فلم يره فاخبر بمسيره فسار في اثره وعزم على طلبه ولو الى الموصل وجد في السير فادركه على ثلاثين فرسخا من مكانه ذلك وعرفه عفو اخيه عنه وضمن له ما اراد واعاده الى العسكر فامر السلطان محمود العساكر باستقباله وتعظيمه ففعلوا ذلك وامر السلطان ان ينزل عند والدته وجلس له واحضره واعتنقا وبكيا وانعطف عليه محمود ووفى له بما بذله وخلطه بنفسه في كل افعاله فعد ذلك من مكارم محمود وكانت الخطبة بالسلطنة لمسعود باذربيجان وبلاد الموصل والجزيرة ثمانية وعشرين يوما واما اتابكه جيوش بك فانه سار الى عقبة اسداباذ ينتظر الملك مسعود فلم يره وانتظره بمكان آخر فلم يصل اليه فلما ايس منه سار الى الموصل ونزل بظاهرها وجمع الغلات من السواد اليها واجتمع اليه عسكره فلما سمع بما فعله السلطان مع اخيه وانه عنده علم انه لا مقام له على هذا الحال فسار كانه يريد الصيد فوصل الى الزاب وقال لمن معه اني قد عزمت على قصد السلطان محمود والمخاطرة بنفسي فسار اليه فوصل وهو بهمذان ودخل اليه فطيب قلبه وأمنه واحسن اليه واما دبيس فانه كان بالعراق فلما بلغه خبر انهزام الملك مسعود نهب البلاد واخربها وفعل فيها الافاعيل القبيحة الى ان اتاه رسول السلطان محمود وطيب قلبه فلم يلتفت

*(ذكر حال دبيس وما كان منه)*

لما كان منه ببغداد وسوادها من النهب والقتل والفساد ما لم يجر مثله ارسل اليه الخليفة المسترشد بالله رسالة ينكر عليه ويامره بالكف فلم يفعل فارسل اليه السلطان وطيب قلبه وامره بمنع اصحابه عن الفساد فلم يقبل وسار بنفسه الى بغداد وضرب سرادقه بازاء دار الخلافة واظهر الضغائن التي في نفسه وكيف طيف براس ابيه وتهدد الخليفة وقال انك أرسلت تستدعي السلطان فان اعدته والا فعلت وصنعت فاعيد جواب رسالته ان عود السلطان وقد سار عن همذان غير ممكن ولكنا نصلح حالك معه وكان الرسول شيخ الشيوخ اسماعيل فكف على ان تسير الرسل في الاتفاق بينه وبين السلطان وعاد عن بغداد في رجب ووصل السلطان في رجب الى بغداد فارسل دبيس زوجته ابنة عميد الدولة بن جهير اليه ومعها مال كثير وهدية نفيسة وسال الصفح عنه فأجيب الى ذلك على قاعدة امتنع منها ولزم لجاجه ونهب بشير السلطان فسار السلطان عن بغداد في شوال الى قصد دبيس بالحلة واستصحب الف سفينة ليعبر فيها فلما علم دبيس مسير السلطان ارسل يطلب الامان فامنه وكان قصده ان يغالطه ليتجهز فارسل نساءه الى البطيحة واخذ امواله وسار عن الحلة بعد ان نهبها الى ايلغازي ملتجئا اليه ووصل السلطان الى الحلة فلم ير احدا فبات بها ليلة واحدة وعاد واقام دبيس عند ايلغازي وتردد معه ثم انه ارسل اخاه منصورا في جيش من قلعة جعبر الى العراق فنظر الحلة والكوفة وانحدر الى البصرة وارسل الى يرنقش الزكوي يساله ان يصلح حاله مع السلطان فلم يتم امره فارسل الى اخيه دبيس يعرفه ذلك ويدعوه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة فدخلها وملكها وارسل الى الخليفة والسلطان يعتذر ويعد من نفسه الطاعة فلم يجب الى ذلك وسيرت اليه العساكر فلما قاربوه فارق الحلة ودخل الى الازير وهو نهر سنداد ووصل العسكر اليها وهي فارغة قد اجلى اهلها عنها ولم يمكنهم الاقامة فكانت الميرة تنقل من بغداد وكان

وفاته في شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة وكان سبب انقراضه انه فرغ القلعة التي استجدها على جبل طبرك من تماما للانس فاشتهى طرائح من لحم البقر فصرت بين يديه واحدة وطفق اصحابه يشهبون له من اطايبها وهو ينال منها واتبعها بعناقيد كرم ودارت عليه الكؤس بينها ملاى ولا تقلم بنشب أن لوى جوفه واتصل على الآلام صونه الى ان هجم عليه موته ورثاه ابو الفرج الساوي بقوله

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي
فقولي مضحك والفعل مبكي

مقدم العسكر سعد الدولة برنقش الزكوي فترك بالحلة خمسمائة فارس وبالكوفة جماعة اخرى فحفظا الطريق على دبيس وارسل الى عسكر واسط ليحفظوا طريق البطيحة ففعلوا ذلك وعبر عسكر السلطان الى دبيس فبقى بين الطائفتين نهر يخاض فيه مواضع فتراسل برنقش ودبيس واتفقا على ان يرسل دبيس اخاه منصورا رهينة ويلازم الطاعة ففعل وعاد العسكر الى بغداد سنة ست عشرة

*(ذكر خروج الكرج الى بلاد الاسلام وملك تفليس)*

في هذه السنة خرج الكرج وهم الخزر الى بلاد الاسلام وكانوا قديما يغيرون فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه الى آخر أيام السلطان محمد فلما كان هذه السنة خرجوا ومعهم قفجاق وغيرهم من الامم المجاورة لهم فتكاتب الامراء المجاورون لبلادهم واجتمعوا منهم الامير ايلغازي ودبيس بن صدقة وكان عنده والملك طغرل بن محمد وأتابكه كنتغدى وكان لطغرل بلد اران ونقجوان الى أرس فاجتمعوا وساروا الى الكرج فلما قاربوا تفليس وكان المسلمون في عسكر كثير يبلغون ثلاثين ألفا فالتقوا واصطف الطائفتان للقتال فخرج من القفجاق مائتا رجل فظن المسلمون انهم مستأمنون فلم يحترزوا منهم ودخلوا بينهم ورموا بالنشاب فاضطرب صف المسلمين فظن من بعد انها هزيمة فانهزموا وتبع الناس بعضهم بعضا منهزمين ولشدة الزحام صدم بعضهم بعضا فقتل منهم عالم عظيم وتبعهم الكفار عشرة فراسخ يقتلون ويأسرون فقتل أكثرهم وأسروا أربعة آلاف رجل ونجا الملك طغرل وايلغازي ودبيس وعاد الكرج فنهبوا بلاد الاسلام وحصروا مدينة تفليس واشتد قتالهم لمن بها وعظم الامر وتفاقم الخطب على اهلها ودام الحصار الى سنة خمس عشرة فملكوها عنوة وكان أهلها لما اشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيها وخطيبها الى الكرج في طلب الامان فلم تصغ الكرج اليهما فاحرقوهما ودخلوا البلد قهرا وغلبة واستباحوه ونهبوه ووصل المستنفرون منهم الى بغداد مستصرخين ومستنصرين سنة ست عشرة فبلغهم ان السلطان محمودا بهمذان فقصدوه واستغاثوا به فسار الى اذربيجان واقام بمدينة تبريز شهر رمضان وانفذ عسكرا الى الكرج وسيرد ذكر ما كان منهم ان شاء الله تعالى

*(ذكر غزوات ايلغازي هذه السنة)*

في هذه السنة أرسل المسترشد بالله خلعا مع سديد الدولة ابن الانباري لنجم الدين ايلغازي وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج ويأمره بابعاد دبيس عنه وسار أبو علي بن عمار الذي كان صاحب طرابلس مع ابن الانباري الى ايلغازي ليقيم عنده يعبر الاوقات بما يقوم به عليه فاعتذر بابعاد دبيس ووعد به ثم سار الى الفرنج وكان قد جمع لهم جمعا فالتقوا بموضع اسمه ذات البقل من أعمال حلب فاقتتلوا واشتد القتال وكان الظفر له ثم اجتمع ايلغازي وأتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج في معرة قنسرين يوما وليلة ثم أشار أتابك طغتكين بالافراج عنهم كيلا يحملهم الخوف على ان يستقتلوا ويخرجوا الى المسلمين فربما ظفروا وكان أكثر خوفه من دبر خيل التركمان وجودة خيل الفرنج فافرج لهم ايلغازي فساروا عن مكانهم وتخلصوا وكان ايلغازي لا يطيل المقام في بلد الفرنج لانه كان يجمع التركمان للطمع فيحضر

يفخر الدولة اعتبروا فاني
اخذت الملك منه بسيف
هلك
وقد كان استطال على البرايا
ونظم جمعهم في سلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما
لقال لها اعتوا اف منك
ولو زهر النجوم أتت رضاه
تأبى ان يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما اسر البرايا
اسير القبر في ضيق وضنك
اقدر أنه لو عاد يوما
الى الدنيا تسربل ثوب نسك
دعي يا نفس فكرك في ملوك
مضوا بل لانقراضك ويك
فابكي
ولا يغني هلاك الليث شيأ
عن الظبي السليب قميص
مسك
هي الدنيا اشبهها بشهد

أحد منهم ومعه جراب فيه دقيق وشاة ويعد الساعات لغنية يتعجلها ويعودفاذا طال مقامهم تفرقوا ولم يكن له من الاموال مايفرقها فيهم

(ذكر ابتداء أمر محمد بن تومرت وعبد المؤمن وملكهما)

في هذه السنة كان ابتداء أمر المهدى أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت العلوى الحسنى وقبيلته من المصامدة تعرف بهرغة في جبل السوس من بلاد المغرب نزلوا به لما فتحه المسلمون مع موسى بن نصير ونذكر أمره وأمر عبد المؤمن هذه السنة الى ان فرغ من ملك المغرب لتتبع بعض الحادثة بعضا وكان ابن تومرت قد رحل في شبيبته الى بلاد الشرق في طلب العلم وكان فقيها فاضلا عالما بالشريعة حافظا للحديث عارفا بأصولى الدين والفقه متحققا بعلم العربية وكان ورعا ناسكا ووصل في سفره الى العراق واجتمع بالغزالى والكيا واجتمع بأبي بكر الطرطوشى بالاسكندرية وقيل انه جرى له حديث مع الغزالى فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالى ان هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لامثالنا كذا قال بعض مؤرخى المغرب والصحيح انه لم يجتمع به فحج من هناك وعاد الى المغرب ولما ركب البحر من الاسكندرية مغربا غير المنكر في المركب وألزم من به باقامة الصلاة وقراءة القرآن حتى انتهى الى المهدية وسلطانها حينئذ يحيى ابن تميم سنة خمس وخمسمائة فنزل بمسجد قبلى مسجد السبت وليس له سوى ركوة وعصا وتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرؤن عليه أنواع العلوم وكان اذا مر به منكر غيره وازاله فلما كثر ذلك منه احضره الامير يحيى مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه واحترمه وسأله الدعاء ورحل عن المدينة واقام بالمنستير مع جماعة من الصالحين مدة وسار الى بجاية ففعل فيها مثل ذلك فأخرج منها الى قرية بالقرب منها اسمها ملالة فلقيه بها عبد المؤمن بن على فرأى فيه من النجابة والنهضة ما تفرس فيه التقدم والقيام بالامر فسأله عن اسمه وقبيلته فأخبره انه من قيس عيلان ثم من بنى سليم فقال ابن تومرت هذا الذى بشر به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ان الله ينصر هذا الدين في آخر الزمان برجل من قيس فقيل من أى قيس فقال من بنى سليم فاستبشر بعبد المؤمن وسر بلقائه وكان مولد عبد المؤمن في مدينة تاجرة من أعمال تلمسان وهو من عائذ قبيل من كومية نزلوا بذلك الاقليم سنة ثمانين ومائة ولم يزل المهدى ملازما للامر بالمعروف والنهى عن المنكر في طريقه الى ان وصل الى مراكش دار ملك امير المسلمين يوسف بن على بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات اكثر مما عاينه في طريقه فزاد في امره بالمعروف ونهيه عن المنكر فكثر اتباعه وحسنت ظنون الناس فيه فبينما هو في بعض الايام في طريقه اذ رأى اخت امير المسلمين في موكبها ومعها من الجوارى الحسان عدة كثيرة وهن مسفرات وكانت هذه عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويتلثم الرجال فحين رأى النساء كذلك انكر عليهن وامرهن بستر وجوههن وضرب هو واصحابه دوابهن فسقطت اخت امير المسلمين عن دابتها فرفع امره الى امير المسلمين على بن يوسف فاحضره واحضر الفقهاء ليناظروه فأخذ يعظه ويخوفه فبكى امير المسلمين وامر ان يناظره الفقهاء فلم يكن فيهم من يقوم له لقوة ادلته في الذى فعله وكان عند امير المسلمين بعض وزرائه يقال له مالك بن وهيب فقال يا امير المسلمين ان هذا والله لا يريد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر انما يريد اثارة فتنة والغلبة على بعض النواحى فاقتله وقلدنى

بسم وجيفة طلبت بمالك

هي الدنيا كمثل الطفل بينا

يقهقه اذ بكى من بعد ضحك

ألا يا قومنا انتبهوا فانا

نحاسب في القيامة غير شك

فأما مأمون بن محمد فان ابنه

عليا ولى الامر من بعده

وتسارع الناس الى بيعته

وعاد الملك به الى بهائه

ورونقه وأما الرضى فقد

كان عهد بملكه الى ابنه أبى

الحرث منصور بن نوح

فلما استعز به ومضى لسبيله

تناصر على بيعته الاولياء

والحشم وفرق بقايا الاموال

وخبايا الذخائر والاعلاق

في اعطياتهم ورتبهم

ارزاقهم حتى استوسقت

دمه فلم يفعل ذلك فقال اذلم تقتله فاحبسه وخلده في السجن والا اثار شرا لايمكن تلافيه فاراد
حبسه فمنعه رجل من أكابر الملثمين يسمى بيان بن عثمان فامر باخراجه من مراكش فسار الى
اغمات ولحق بالجبل فسار فيه حتى لحق بالسوس الذى فيه قبيلة هرغة وغيرهم من المصامدة
سنة أربع عشرة فاتوه واجتمعوا حوله وتسامع به أهل تلك النواحى فوفدوا عليه وحضر
اعيانهم بين يديه وجعل يعظهم ويذكرهم بايام الله ويذكر لهم شرائع الاسلام وما غير منها
وما حدث من الظلم والفساد وانه لايجب طاعة دولة من هذه الدول لاتباعهم الباطل بل
الواجب قتالهم ومنعهم عماهم فيه فاقام على ذلك نحو سنة وتابعه هرغة قبيلته وسمى اتباعه
الموحدين وأعلمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر بالمهدى الذى يملأ الارض عدلا وان مكانه
الذى يخرج منه المغرب الاقصى فقام اليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا لايوجد
هذا الافيك فانت المهدى فبايعوه على ذلك فانتهى خبره الى أمير المسلمين فجهز جيشا من
أصحابه وسيرهم اليه فلما قربوا من الجبل الذى هو فيه قال لاصحابه ان هؤلاء يريدونى وأخاف
عليكم منهم فالرأى ان أخرج بنفسى الى غير هذه البلاد لتسلموا انتم فقال له ابن توفيان من
مشايخ هرغة هل تخاف شيأ من السماء فقال لا بل من السماء تنصرون فقال ابن توفيان
فليأتنا كل من في الارض ووافقه جميع قبيلته فقال المهدى ابشروا بالنصر والظفر بهذه
الشرذمة وبعد قليل تستأصلون دولتهم وترثون أرضهم فنزلوا من الجبل ولقوا جيش أمير
المسلمين فهزموهم وأخذوا اسلابهم وقوى ظنهم في صدق المهدى حيث ظفروا كما ذكر لهم
وأقبلت اليه افواج القبائل من الحلل التى حوله شرقا وغربا وبايعوه وأطاعه قبيلة هنتاتة
وهى من أقوى القبائل فأقبل عليهم واطمأن اليهم وأتاه رسل اهل تينملل بطاعتهم وطلبوه اليهم
فتوجه الى جبل تينملل واستوطنه والف لهم كتابا في التوحيد وكتابا في العقيدة ونهج لهم
طريق الادب بعضهم مع بعض والاقتصار على القصير من الثياب القليل الثمن وهو يحرضهم
على قتال عدوهم واخراج الاشرار من بين اظهرهم وأقام بتينملل وبنى له مسجدا خارج المدينة
فكان يصلى فيه الصلوات هو ومن معه عنده ويدخل البلد بعد العشاء الآخرة فلما رأى
كثرة أهل الجبل وحصانة المدينة خاف ان يرجعوا عنه فأمرهم ان يحضروا بغير سلاح ففعلوا
ذلك عدة ايام ثم انه أمر أصحابه ان يقتلوهم فخرجوا عليهم وهم غارون فقتلوهم في ذلك المسجد
ثم دخل المدينة فقتل فيها واكثر وسبى الحريم ونهب الاموال فكانت عدة القتلى خمسة عشر
الفا وقسم المساكن والارض بين اصحابه وبنى على المدينة سورا وقلعة على رأس جبل عال
وفي جبل تينملل انهار جارية واشجار وزروع والطريق اليه صعب فلا جبل احصن منه وقيل
انه لما خاف أهل تينملل نظر فرأى كثيرا من اولادهم شقرا زرقا والذى يغلب على الآباء السمرة
وكان لامير المسلمين عدة كثيرة من المماليك الفرنج والروم يغلب على الوانهم الشقرة وكانوا
يصعدون الجبل في كل عام مرة ويأخذون مالهم فيه من الاموال المقررة لهم من جهة السلطان
فكانوا يسكنون بيوت أهله ويخرجون أصحابها منها فلما رأى المهدى أولادهم سألهم مالى أراكم
سمر الالوان وأرى أولادكم شقرا زرقا فاخبروه خبرهم مع مماليك أمير المسلمين فقبح الصبر على هذا
وأزرى عليهم وعظم الامر عندهم فقالوا له فكيف الحيلة في الخلاص منهم وليس لنا بهم قوة فقال

أمور الجماعه * واتسقت
الكلم في الطاعه * وبقى أبو
المظفر محمد بن ابراهيم على
الوزارة وأما الامير بكتكين
فقد كان عهد الى ولده
اسمعيل واستخلفه على أعماله
* وأوصى اليه بامور أولاده
وعياله * فجمع وجوه قواده
وحجابه على طاعته ومتابعته *
* والرضا بامالته وولايته *
فلما طرق الناعى به تبادروا
الى عقد البيعة له وامضاء
الوصية فيه واستقر اسمعيل
بعد قضاء المأتم على سرير
الامارة وأمر بفض الختوم
عن بيت الخزانة وصب
الاموال * حتى أرضى الرجال *
وأما فخر الدولة فان عسكر
الديلم اجتمعوا على ولده الامير

اذا حضروا عندكم فى الوقت المعتاد وتفرقوا فى مساكنكم فليقم كل رجل منكم الى نزيله فليقتله واحفظوا جبلكم فانه لا يرام ولا يقدر عليه فصبروا حتى حضروا ولئك العبيد فقتلوهم على ما قرر لهم المهدى فلما فعلوا ذلك خافوا على نفوسهم من أمير المسلمين فامتنعوا فى الجبل وسدوا ما فيه من طريق يسلك اليهم فقويت نفس المهدى بذلك ثم ان أمير المسلمين أرسل اليهم جيشا قويا فحصروهم فى الجبل وضيقوا عليهم ومنعوا عنهم الميرة فقلت عند أصحاب المهدى الاقوات حتى صار الخبز معدوما عندهم وكان يطبخ لهم كل يوم من الحسا ما يكفيهم فكان قوت كل واحد منهم ان يغمس يده فى ذلك الحسا ويخرجها فما علق عليها اقتنع به ذلك اليوم فاجتمع أعيان أهل تينملل وأرادوا اصلاح الحال مع أمير المسلمين فبلغ الخبر بذلك المهدى بن تومرت وكان معه انسان يقال له أبو عبد الله الونشريشى يظهر البله وعدم المعرفة بشئ من القرآن والعلم وبزاقه يجرى على صدره وهو كانه معتوه ومع هذا فالمهدى يقربه ويكرمه ويقول ان لله سرا فى هذا الرجل سوف يظهر وكان الونشريشى يلازم الاشتغال بالقرآن والعلم فى السر بحيث لا يعلم أحد ذلك منه فلما كان سنة تسع عشرة وخاف المهدى من أهل الجبل خرج يوما لصلاة الصبح فرأى الى جانب محرابه انسانا حسن الثياب طيب الريح فاظهر انه لا يعرفه وقال من هذا فقال انا أبو عبد الله الونشريشى فقال له المهدى ان أمرك لعجب ثم صلى فلما فرغ من صلاته نادى فى الناس فحضروا فقال ان هذا الرجل يزعم انه الونشريشى فانظروه وحققوا أمره فلما أضاء النهار عرفوه فقال له المهدى ما قصتك قال انى أتانى الليلة ملك من السماء فغسل قلبى وعلمنى الله القرآن والموطأ وغيره من العلوم والاحاديث فبكى المهدى بحضرة الناس ثم قال له فنحن نمتحنك فقال افعل وابتدأ يقرأ القرآن قراءة حسنة من اى موضع سئل وكذلك الموطأ وغيره من كتب الفقه والاصول فعجب الناس من ذلك واستعظموه ثم قال لهم ان الله تعالى قد أعطانى نورا أعرف به أهل الجنة من أهل النار وآمركم ان تقتلوا أهل النار وتتركوا أهل الجنة وقد أنزل الله تعالى ملائكة الى البئر التى فى المكان الفلانى يشهدون بصدقى فسار المهدى والناس معه وهم يبكون الى تلك البئر وصلى المهدى عند رأسها وقال يا ملائكة الله ان أبا عبد الله الونشريشى قد زعم كيت وكيت فقال من بها صدق وكان قد وضع فيها رجالا يشهدون بذلك فلما قيل ذلك من البئر قال المهدى ان هذه مطهرة مقدسة قد نزل اليها الملائكة والمصلحة ان تطم لئلا يقع فيها نجاسة أو ما لا يجوز فالقوا فيها من الحجارة والتراب ما طمها ثم نادى فى أهل الجبل بالحضور الى ذلك المكان فحضروا للتمييز فكان الونشريشى يعمد الى الرجل الذى يخاف ناحيته فيقول هذا من أهل النار فيلقى من الجبل مقتولا والى الشاب الغر ومن لا يخشى فيقول هذا من أهل الجنة فيترك على يمينه فكان عدة القتلى سبعين ألفا فلما فرغ من ذلك أمن على نفسه وأصحابه واستقام أمره هكذا سمعت جماعة من فضلاء المغاربة يذكرون فى التمييز وسمعت منهم من يقول ان ابن تومرت لما رأى كثرة أهل الشر والفساد فى أهل الجبل أحضر شيوخ القبائل وقال لهم انكم لا يصح لكم دين ولا يقوى الا بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واخراج المفسدين بينكم فابحثوا عن كل من عندكم من أهل الشر والفساد فانهوهم عن ذلك فان انتهوا والا فاكتبوا اسماءهم وارفعوها الى لانظر فى أمرهم ففعلوا ذلك وكتبوا له اسماءهم من كل

مجد الدولة أبى طالب رستم ابن فخر الدولة تفويض الامر اليه • واستقلال نظام الملك عليه • ولقبه السلطان مجد الدولة وكهف الامة • وسيأتى بيان حال كل واحد منهم فى موضعه على الاثر وأنشدنى أبو منصور الثعالبى لنفسه فى جمادى هذه السنة وشغل أحوالها وتفانى أمر اثنائها قصيدة منها هذه الابيات

أرى مذ عامان أملاك عصرنا * تصيح بهم للموت والقتل صائح
فنوح بن منصور طوته يد الردى
على حسرات ضمنتها الجوانح
وبالبؤس منصور وفى يوم مرخص
تفرق عنه ملكه وهو طائح

قبيلة ثم أمرهم بذلك مرة ثانية وثالثة ثم جمع المكتوبات فأخذ منهما ما تكرر من الاسماء فأثبتها عنده ثم جمع الناس قاطبة ورفع الاسماء التي كتبها ودفعها الى الونشريشي المعروف بالبشير وأمره ان يعرض القبائل ويجعل أولئك المفسدين في جهة الشمال ومن عداهم من جهة اليمين ففعل ذلك وأمر ان يكتف من على شمال الونشريشي فكتفوا وقال ان هؤلاء شقياء قد وجب قتلهم وأمر كل قبيلة ان يقتلوا أشقياءهم فقتلوا عن آخرهم فكان يوم التمييز ولما فرغ ابن تومرت من التمييز رأى أصحابه الباقين على نيات صادقة وقلوب متفقة على طاعته فجهز منهم جيشا وسيرهم الى جبال اغمات وبها جمع من المرابطين فقاتلوهم فانهزم اصحاب ابن تومرت وكان اميرهم ابو عبد الله الونشريشي وقتل منهم كثير وجرح عمر الهنتاتي وهو من أكبر أصحابه وسكن حسه ونبضه فقالوا مات فقال الونشريشي اما انه لم يمت ولا يموت حتى يملك البلاد فبعد ساعة فتح عينيه وعادت قوته اليه فافتتنوا به وعادوا منهزمين الى ابن تومرت فوعظهم وشكرهم على صبرهم ثم لم يزل بعدها يرسل السرايا في اطراف بلاد المسلمين فاذا رأوا عسكرا تعلقوا بالجبل فامنوا وكان المهدي قد رتب أصحابه مراتب فالاولى يسمون ايت عشرة يعني اهل عشرة واولهم عبد المؤمن ثم ابو حفص الهنتاتي وغيرهما وهم اشرف اصحابه واهل الثقة عنده والسابقون الى متابعته والثانية ايت خمسين يعني اهل خمسين وهم دون تلك الطبقة وهم جماعة من رؤساء القبائل والثالثة ايت سبعين يعني اهل سبعين وهم دون التي قبلها وسمى عامة أصحابه والداخلين في طاعته موحدين فاذا ذكر الموحدون في اخبارهم فانما يعني أصحابه واصحاب عبد المؤمن بعده ولم يزل امر ابن تومرت يعلو الى سنة اربع وعشرين فجهز المهدي جيشا كثيفا يبلغون اربعين الفا اكثرهم رجالة وجعل عليهم الونشريشي وسير معهم عبد المؤمن فنزلوا وساروا الى مراكش فحصروها وضيقوا عليها وبها امير المسلمين علي بن يوسف فبقي الحصار عليها عشرين يوما فأرسل امير المسلمين الى متولي سجلماسة يأمره ان يحضر ومعه الجيوش فجمع جيشا كثيرا وسار فلما قارب عسكر المهدي خرج اهل مراكش من غير الجهة التي اقبل منها فاقتتلوا واشتد القتال وكثر القتل في اصحاب المهدي فقتل الونشريشي اميرهم فاجتمعوا الى عبد المؤمن وجعلوه اميرا عليهم ولم يزل القتال بينهم عامة النهار وصلى عبد المؤمن صلاة الخوف الظهر والعصر والحرب قائمة ولم تصل بالمغرب قبل ذلك فلما رأى المصامدة كثرة المرابطين وقوتهم اسندوا ظهورهم الى بستان كبير هناك والبستان يسمى عندهم البحيرة فلهذا قيل وقعة البحيرة وعام البحيرة وصاروا يقاتلون من جهة واحدة الى ان ادركهم الليل وقد قتل من المصامدة اكثرهم وحين قتل الونشريشي دفنه عبد المؤمن فطلبه المصامدة فلم يروه في القتلى فقالوا رفعته الملائكة ولما جنهم الليل سار عبد المؤمن ومن سلم من القتلى الى الجبل

## * (ذكر وفاة المهدي وولاية عبد المؤمن) *

لما سير الجيش الى حصار مراكش مرض مرضا شديدا فلما بلغه خبر الهزيمة اشتد مرضه وسأل عن عبد المؤمن فقيل هو سالم فقال ما مات أحد الامر قائم وهو الذي يفتح البلاد ووصى اصحابه باتباعه وتقديمه وتسليم الامر اليه والانقياد له ولقبه أمير المؤمنين ثم مات المهدي وكان عمره احدى وخمسين سنة وقيل خمسا وخمسين سنة ومدة ولايته عشرين سنة وعاد عبد المؤمن الى

وفرق عنه الشمل بالسمل فاغتدى
اسيرا ضريرا تنتحيه الجوائح
وصاحب مصر قد مضى لسبيله
ووالى الجبال قد علته الصفائح
وصاحب جرجانية في ندامة
ترمده طرف من البين طامح
تساقوا كؤس الراح ثم تشاربوا
كؤس المنايا والدماء سوافح
خوارزم شاه شاه وجه نعيمه
وعن له يوم من النحس كالح
وكان علاء في الارض يخبطها
أبو علي الى أن طوحته المطاوح
فعارضه ناب من الشر أعصل
ولاح له طير من الشؤم بارح
وصاحب بست ذلك الضيغم الذي
براثنه للمشرقين مفاتح

تيقل واقام بها يتألف القلوب ويحسن الى الناس وكان جوادا مقصدا مالى الحروب ثابتا
فى الهزاهز الى ان دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة فتجهز وسار فى جيش كثير وجعل
يمشى مع الجبل الى ان وصل الى تادلة فمانعه اهلها وقاتلوه فقهرهم وقصدها وسائر البلاد التى
تليها ومشى فى الجبال يفتح ما امتنع عليه واطاعته صنهاجة الجبل وكان امير المسلمين قد جعل ولى
عهده ابنه سير فمات فاحضر امير المسلمين ابنه تاشفين من الاندلس وكان اميرا عليها فلما حضر
عنده جعله ولى عهده سنة احدى وثلاثين وجعل معه جيشا وسار يمشى فى الصحراء قبالة عبد
المؤمن فى الجبال وفى سنة اثنتين وثلاثين كان عبد المؤمن فى النواظر وهو جبل عال مشرف
وتاشفين فى الوطأة ويخرج من الطائفتين قوم يتراءون ويتطاردون ولم يكن بينهما لقاء ويسمى
عام النواظر وفى سنة ثلاث وثلاثين توجه عبد المؤمن مع الجبل فى الشعراء حتى انتهى الى جبل
كرناطة فنزل فى ارض صلبة بين شجر ونزل تاشفين قبالته فى الوطأة فى ارض لانبات فيها وكان
الفصل شاتيا فتوالت الامطار اياما كثيرة لا تقلع فصارت الارض التى فيها تاشفين واصحابه
كثيرة الوحل تسوخ فيه قوائم الخيل الى صدورها ويعجز الرجل عن المشى فيها وتقطعت
الطرق عنهم فاوقدوا رماحهم وقرابيس سروجهم وهلكوا جوعا وبردا وسوء حال وكان عبد
المؤمن واصحابه فى ارض خشنة صلبة فى الجبل لا يبالون بشئ والميرة متصلة اليهم وفى ذلك
الوقت سير عبد المؤمن جيشا الى وجرة من اعمال تلمسان ومقدمهم ابو عبد الله محمد بن رقو وهو
من ايت خمسين فبلغ خبرهم الى محمد بن يحيى بن فانو متولى تلمسان فخرج فى جيش من الملثمين
فالتقوا بموضع يعرف بخندق الخمر فهزمهم جيش عبد المؤمن وقتل محمد بن يحيى وكثير من
اصحابه وغنموا ما معهم ورجعوا فتوجه عبد المؤمن بجميع جيشه الى غمارة فاطاعوه قبيلة بعد
قبيلة واقام عندهم مدة وما برح يمشى فى الجبال وتاشفين يحاذيه فى الصحارى فلم يزل عبد المؤمن
كذلك الى سنة خمس وثلاثين فتوفى امير المسلمين على بن يوسف بمراكش وملك بعده ابنه تاشفين
فقوى طمع عبد المؤمن فى البلاد الا انه لم ينزل الصحراء وفى سنة ثمان وثلاثين توجه عبد المؤمن
الى تلمسان فنازلها وضرب خيامه فى جبل باعلاها ونزل تاشفين على الجانب الآخر من البلد
وكان بينهم مناوشة فبقوا كذلك الى سنة تسع وثلاثين فرحل عبد المؤمن عنها الى جبل تاجرة
ووجه جيشا مع عمر الهنتاتى الى مدينة وهران فهاجمها بغتة ودخل هو وجيشه فيها فسمع ذلك
تاشفين فسار اليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر فى شهر رمضان سنة تسع
وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة يعظمها اهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة
على البحر وباعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار اليه تاشفين فى نفر
يسير من اصحابه مختفيا لم يعلم به الا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع اولئك
الجماعة الصالحين فبلغ الخبر الى عمر بن يحيى الهنتاتى فسار لوقته بجميع عسكره الى ذلك
المتعبد واحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه ان يؤخذ ركب فرسه وحمل
عليه الى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة فهلك ورفعت جثته على خشبة وقتل كل
من كان معه وقيل ان تاشفين قصد حصنا هناك على رابية وله فيه بستان كبير فيه من كل الثمار
فاتفق ان عمر الهنتاتى مقدم عسكر عبد المؤمن سير سرية الى ذلك الحصن لعلمه بضعف من فيه

اناخ به من صدمة الدهر كالكل
فلم يغن عنه والقضاء سانح
خيول كامثال السيول سوابح
فيول كامثال الجبال سوارح
جيوش لقد اربت على عدد الحصى
تغص بها ايعانها والصحاصح
ودارت على صمصام دولة بويه
* دوائر سوء تلتهين فوادح
وقد جازوا الى الجوزجان
قناطر السماة
نواقته المنايا الطوائح
وذاق الحبوب قد جب عمره *
فقاظ ولم يدبه فى الارض نائح
مضوا الى مدى عامين
واختطفتهم *
عقاب اذا طارت تغز
الجوارح
وكان بنو سامان اطواد عزة *
فاخضعها صرف الدهر وهى
اباطح

ولم يعلموا ان تاشفين فيه فالقوا النار فى بابه فاحترق فاراد تاشفين الهرب فركب فرسه فوثب الفرس من داخل الحصن الى خارج السور فسقط فى النار فأخذ تاشفين فاعترف فأرادوا حمله الى عبد المؤمن فمات فى الحال لان رقبته كانت قد اندقت فصلب وقتل كل من معه وتفرق عسكره ولم يعد لهم جماعة وملك بعده اخوه اسحق بن على بن يوسف ولما قتل تاشفين ارسل عمر الى عبد المؤمن بالخبر فجاء من تاجرة فى يومه بجميع عسكره وتفرق عسكر امير المسلمين واحتمى بعضهم بمدينة وهران فلما وصل عبد المؤمن دخلها بالسيف وقتل فيها ما لا يحصى ثم سار الى تلمسان وهما مدينتان بينهما شوط فرس احدهما تاجررت وبها عسكر المسلمين والا آخر اقادير وهى بناء قديم فامتنعت اقادير وغلقت ابوابها وتاهب اهلها للقتال واما تاجررت فكان فيها يحيى بن الصحراوية فهرب منها بعسكره الى مدينة فاس وجاء عبد المؤمن اليها فدخلها لما فر منها العسكر ولقيه اهلها بالخضوع والاستكانة فلم يقبل منهم ذلك وقتل اكثرهم ودخلها عسكره ورتب امرها ورحل عنها وجعل على أقادير جيشا يحصرها وسار الى مدينة فاس سنة اربعين فنزل على جبل مطل عليها وحصرها تسعة اشهر وفيها يحيى بن الصحراوية وعسكره الذين فروا من تلمسان فلما طال مقام عبد المؤمن عمد الى نهر يدخل البلد فسكره بالاخشاب والتراب وغير ذلك فمنعه من دخول البلد وصار بحيرة تسير فيها السفن ثم هدم السكر فجاء الماء دفعة واحدة فخرب سور البلد وكل ما يجاور النهر من البلد واراد عبد المؤمن ان يدخل البلد فقاتله اهله خارج السور فتعذر عليه ما قدره من دخوله وكان بفاس عبد الله بن خيار الجيانى عاملا عليها وعلى جميع اعمالها فاتفق هو وجماعة من اعيان البلد وكاتبوا عبد المؤمن فى طلب الامان لاهل فاس فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من أبوابها فدخله عسكره وهرب يحيى بن الصحراوية وكان فتحها آخر سنة اربعين وخمسمائة وسار الى طنجة ورتب عبد المؤمن أمر مدينة فاس وأمر فنودى فى أهلها من ترك عنده سلاحا وعدة قتال حل دمه فحمل كل من فى البلد ما عندهم من سلاح اليه فأخذه منهم ثم رجع الى مكناسة ففعل باهلها مثل ذلك وقتل من بها من الفرسان والاجناد واما العسكر الذى كان على تلمسان فانهم قاتلوا أهلها ونصبوا المجانيق وابراج الخشب وزحفوا بالدبابات وكان المقدم على أهلها الفقيه عثمان فدام الحصار نحو سنة فلما اشتد الامر على أهل البلد اجتمع جماعة منهم وراسلوا الموحدين أصحاب عبد المؤمن بغير علم الفقيه عثمان وادخلوهم البلد فلم يشعر اهله الا والسيف يأخذهم فقتل أكثر أهله وسبيت الذرية والحريم ونهب من الاموال ما لا يحصى ومن الجواهر ما لا تحد قيمته ومن لم يقتل بيع باوكس الاثمان وكان عدة القتلى مائة ألف قتيل وقيل ان عبد المؤمن هو الذى حصر تلمسان وسار منها الى فاس والله اعلم وسير عبد المؤمن سرية الى مكناسة فحصروها مدة ثم سلمها اليهم أهلها بالامان فوفوا لهم وسار عبد المؤمن من فاس الى مدينة سلا ففتحها وحضر عنده جماعة من أعيان سبتة فدخلوا فى طاعته فاجابهم الى بذل الامان وكان ذلك سنة احدى واربعين

*(ذكر ملك عبد المؤمن مدينة مراكش)*

لما فرغ عبد المؤمن من فاس وتلك النواحى سار الى مراكش وهى كرسى مملكة الملثمين وهى من أكبر المدن وأعظمها وكان صاحبها حينئذ اسحق بن على بن يوسف بن تاشفين وهو صبى فنازلها

أما لك فيهم عبرة مستفادة*
بلى ان نهج الاعتبار لواضح*
تسل عن الدنيا ولا تخطبنها*
ولا تخطبن قتالة من تناكح
فليس يفى مرجوها بمخوفها*
ومكروهها اما تدبرت راجح
لقد قال فيها الواصفون فأكثروا*
وعندى لها وصف لعمرك صالح
سلاف قصاراه ذعاف ومركب
شهى اذا استلذذته فهو جامح
وشخص جميل يونق الناس حسنه
ولكن له أسرار سوء قبائح
ولما أفضى أمر الامارة الى
أبى الحرث منصور بن نوح
وهو فى حدقة البلوغ و يفع

وكان نزوله عليها سنة احدى واربعين فضرب خيامه في غربيها على جبل صغير وبنى عليه مدينة له ولعسكره وبنى بها جامعا وبنى له بناء عاليا يشرف منه على المدينة ويرى أحوال أهلها وأحوال المقاتلين من أصحابه وقاتلها قتالا كثيرا وأقام عليها احد عشر شهرا فكان من بها من المرابطين يخرجون يقاتلونهم بظاهر البلد واشتد الجوع على أهلها وتعذرت الاقوات عندهم ثم زحف اليهم يوما وجعل لهم كمينا وقال لهم اذا سمعتم صوت الطبل فاخرجوا وجلس هو باعلى المنظرة التي بناها يشاهد القتال وتقدم عسكره وقاتلوا وصبروا ثم انهم انهزموا لاهل مراكش ليتبعوهم الى الكمين الذى لهم فتبعهم الملثمون الى ان وصلوا الى مدينة عبد المؤمن فهدموا أكثر سورها وصاحت المصامدة بعبد المؤمن ليأمر بضرب الطبل ليخرج الكمين فقال لهم اصبروا حتى يخرج كل طامع في البلد فلما خرج أكثر أهله أمر بالطبل فضرب وخرج الكمين عليهم ورجع المصامدة المنهزمون الى الملثمين فقتلوهم كيف شاؤا وعادت الهزيمة على الملثمين فمات في زحمة الابواب مالا يحصيه الا الله سبحانه وكان شيوخ الملثمين يدبرون دولة اسحق بن على ابن يوسف لصغر سنه فاتفق ان انسانا من جملتهم يقال له عبد الله بن أبي بكر خرج الى عبد المؤمن مستأمنا واطلعه على عوراتهم وضعفهم فقوى الطمع فيهم واشتد عليهم البلاء ونصب عليهم المنجنيقات والابراج وفنيت اقواتهم وأكلوا دوابهم ومات من العامة بالجوع ما يزيد على مائة ألف انسان فانتن البلد من ريح الموتى وكان بمراكش جيش من الفرنج كان المرابطون قد استنجدوا بهم فجاؤا اليهم نجدة فلما طال عليهم الامر راسلوا عبد المؤمن يسألون الامان فاجابهم اليه ففتحوا له بابا من ابواب البلد يقال له باب اغمات فدخلت عساكره بالسيف وملكوا المدينة عنوة وقتلوا من وجدوا ووصلوا الى دار امير المسلمين فاخرجوا الامير اسحق وجميع من معه من امراء المرابطين فقتلوا وجعل اسحق يرتعد رغبة في البقاء ويدعو لعبد المؤمن ويبكي فقام اليه الامير سير بن الحاج وكان الى جانبه مكتوفا فبزق في وجهه وقال تبكي على ابيك وامك اصبر صبر الرجال فهذا رجل لا يخاف الله ولا يدين بدين فقام الموحدون اليه بالخشب فضربوه حتى قتلوه وكان من الشجعان المعروفين بالشجاعة وقدم اسحق على صغر سنه فضربت عنقه سنة اثنتين واربعين وهو آخر ملوك المرابطين وبه انقرضت دولتهم وكانت مدة ملكهم سبعين سنة وولى منهم اربعة يوسف وعلى وتاشفين واسحق ولما فتح عبد المؤمن مراكش اقام بها واستوطنها واستقر ملكه ولما قتل عبد المؤمن من اهل مراكش فاكثر فيهم القتل اختفى كثير من اهلها فلما كان بعد سبعة ايام امر فنودي بامان من بقي من اهلها فخرجوا فاراد اصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم وقال هؤلاء صناع واهل الاسواق من ننتفع به فتركوا وامر باخراج القتلى من البلد فاخرجوهم وبنى بالقصر جامعا كبيرا وزخرفه فاحسن عمله وأمر بهدم الجامع الذي بناه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ولقد اساء يوسف بن تاشفين في فعله بالمعتمد بن عباد وارتكب بحبسه على الحالة المذكورة اقبح مركب فلا جرم سلط الله عليه في عقابه من اربى في الاخذ عليه وزاد فتبارك الحي الدائم الملك الذي لا يزول ملكه وهذه سنة الدنيا فاف لها ثم اف نسأل الله ان يختم اعمالنا بالحسنى ويجعل خير ايامنا يوم نلقاه بمحمد وآله

*(ذكر ظفر عبد المؤمن بدكالة)*

الشباب وعند مشتعل المركة ومستضيح النجابة ومستوضح الاصالة والاصابة . أقام أبا المظفر محمد بن ابراهيم وزيرا . وفوض الملك الى فائق كفالة وتدبيرا . وكان عبد الله بن عزير اتقى شوكة الامير سيف الدولة عند قصده بخارا بالاصعاد الى الاعالي فلما انقرضت حياة الرضى أطمع أبا منصور محمد بن الحسين الاسبيجابي في صحابة الجيش بخراسان وحمله على الاغذار به الى بخارا مستعينا بايلك الخان . على نيل الارب المنشود . واصابة الغرض المقصود .

فى سنة ثلاث واربعين وخمسمائة سار بعض المرابطين من الملثمين الى دكالة فاجتمع اليه قبائلها وصاروا يغيرون على اعمال مراكش وعبد المؤمن لا يلتفت اليهم فلما كثر ذلك منهم سار اليهم سنة أربع واربعين فلما سمعت دكالة بذلك انحشروا كلهم الى ساحل البحر فى مائتى ألف راجل وعشرين ألف فارس وكانوا موصوفين بالشجاعة وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر وكان الموضع الذى فيه دكالة كثير الحجر والحزونة فكمنوا فيه كمناء ليخرجوا على عبد المؤمن اذا سلكه فمن الاتفاق الحسن له انه قصدهم من غير الجهة التى فيها الكمناء فانحل عليهم ما قدروه وفارقوا ذلك الموضع فأخذهم السيف فدخلوا البحر فقتل اكثرهم وغنمت ابلهم واغنامهم وأموالهم وسبى نساؤهم وذراريهم فبيعت الجارية الحسناء بدراهم يسيرة وعاد عبد المؤمن الى مراكش مظفرا منصورا وثبت ملكه وخافه الناس فى جميع المغرب واذعنوا له بالطاعة

*(ذكر حصر مدينة كتندة)*

فى هذه السنة يعنى سنة اربع عشرة وخمسمائة خرج ملك من ملوك الفرنج بالاندلس يقال له ابن ردمير فسار حتى انتهى الى كتندة وهى بالقرب من مرسية فى شرق الاندلس فحصرها وضيق على أهلها وكان أمير المسلمين على بن يوسف حينئذ بقرطبة ومعه جيش كثير من المسلمين والاجناد المتطوعة فسيرهم الى ابن ردمير فالتقوا واقتتلوا اشد القتال وهزمهم ابن ردمير هزيمة منكرة وكثر القتل فى المسلمين وكان فيمن قتل أبو عبد الله بن الفراء قاضى المرية وكان من العلماء العاملين والزهاد فى الدنيا العادلين فى القضاء

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة كسر بلك بن ارتق عفراس الرومى وقتل من الروم خمسة آلاف رجل على قلعة سرمان من بلد ايدكان واسر عفراس وكثيرا من عسكره وفيها اغار جوسلين الفرنجى صاحب الرها على جيوش العرب والتركمان وكانوا نازلين بصفين غربى الفرات وغنم من أموالهم وخيلهم ومواشيهم شيأ كثيرا ولما عاد خرب بزاعة وفيها تسلم أتابك طغتكين صاحب دمشق مدينة تدمر والشقيف وفيها أمر السلطان محمود الامير جيوش بك بالمسير الى حرب أخيه طغرل فسار اليه فسمع طغرل واتابكه كنتغدى ذلك فسارا الى كنجة من بين يدى العسكر ولم يجر قتال وفيها فى المحرم توفى خالصة الدولة أبو البركات احمد بن عبد الوهاب بن السيبى صاحب المخزن ببغداد وولى مكانه الكمال أبو الفتوح حمزة بن طلحة المعروف بابن البقشلام والد علم الدين الكاتب المعروف وفى جمادى الاولى منها توفى أبو سعد عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيرى الامام ابن الامام وكان أخذ العلم من قرابته والطريقة أيضا ثم استفاد أيضا من امام الحرمين أبى المعالى الجوينى وسمع الحديث من جماعة ورواه وكان حسن الوعظ سريع الخاطر ولما توفى جلس الناس فى البلاد البعيدة للعزاء به حتى فى بغداد برباط شيخ الشيوخ

*(ثم دخلت سنة خمس عشرة وخمسمائة)*

*(ذكر اقطاع البرسقى الموصل)*

فنهض ايلك اصاحبتهما * وسار الى باب سمرقند بهما * حتى اذا اناخ ببرج على ظاهرها أتاه أبو منصور فى خف من غلمانه زائرا فاحتبسه بعلة الطعام * وأصحابه بين التجسيم والاستجمام * فأمر به وبابن عزيز فشدا فى حلق الوثاق وقرنا فى قرن الاعتقال وارسل الى فائق فلما أتاه ابدله * ورفع محله * وخفف عن مكانه اكباره * وضم اليه ثلاثة آلاف رجل وأمره بالمسير الى بخارا على مقدمته فسار على مارسم له فلما بلغ ابا الحرث خبر اقدامه ارتج عليه وجه

في هذه السنة في صفر أقطع السلطان محمود مدينة الموصل وأعمالها وما يضاف اليها كالجزيرة وسنجار وغيرها الامير آقسنقر البرسقي وسبب ذلك انه كان في خدمة السلطان محمود ناصحا له ملازما له في حروبه كلها وكان له الاثر الحسن في الحرب المذكورة بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود وهو الذي أحضر الملك مسعودا عند أخيه السلطان محمود فعظم ذلك عند السلطان محمود ولما حضر جيوش بك عند السلطان محمود وبقيت الموصل بغير أمير ولى عليها البرسقي وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الفرنج وأخذ البلاد منهم فسار اليها في عسكر كثير وملكها وأقام يدبر امورها ويصلح أحوالها

*(ذكر وفاة الامير علي وولاية ابنه الحسن افريقية)*

في هذه السنة توفي الامير علي بن يحيى بن تميم صاحب افريقية في العشر الاخير من ربيع الآخر وكان مولده بالمهدية وقد تقدم من حروبه وأعماله ما يستدل به على علو همته ولما توفي ولي الملك بعده ابنه الحسن بعهد أبيه وقام بأمر دولته صندل الخصي لانه كان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة لا يستقل بتدبير الملك فقام صندل في الحفظ والاحتياط فلم تطل ايامه حتى توفي فوقع الاختلاف بين أصحابه وقواده كل منهم يقول انا المقدم على الجميع وبيدي الحل والعقد فما زالوا كذلك الى ان فوض أمور دولته الى قائد من أصحاب ابيه يقال له أبو عزيز موفق فصلحت الامور

*(ذكر قتل أمير الجيوش)*

في هذه السنة في الثالث والعشرين من رمضان قتل أمير الجيوش الافضل بن بدر الجمالي وهو صاحب الامر والحكم بمصر وكان ركب الى خزانة السلاح ليفرقه على الاجناد على جاري العادة في الاعياد فسار معه عالم كثير من الرجالة والخيالة فتأذى بالغبار فأمر بالبعد عنه وسار منفردا معه رجلان فصادفه رجلان بسوق الصياقلة فضرباه بالسكاكين فجرحاه وجاء الثالث من ورائه فضربه بسكين في خاصرته فسقط عن دابته ورجع أصحابه فقتلوا الثلاثة وحملوه الى داره فدخل عليه الخليفة وتوجع له وسأله عن الاموال فقال اما الظاهر منها فابو الحسن ابن أسامة الكاتب يعرفه وكان من أهل حلب وتولى أبوه قضاء القاهرة واما الباطن فابن البطائحي يعرفه فقالا الاصدق فلما توفي الافضل نقل من أمواله ما لا يعلمه الا الله تعالى وبقي الخليفة في داره نحو أربعين يوما والكتاب بين يديه والدواب تحمل وتنقل ليلا ونهارا ووجد له من الاعلاق النفيسة والاشياء الغريبة القليلة الوجود ما لا يوجد مثله لغيره واعتقل أولاده وكان عمره سبعا وخمسين سنة وكانت ولايته بعد أبيه ثمانية وعشرين سنة منها آخر أيام المستنصر وجميع ايام المستعلي الى هذه السنة من ايام الآمر وكان الاسماعيلية يكرهونه لاسباب منها تضييقه على امامهم وتركه ما يجب عندهم سلوكه معهم ومنها ترك معارضة أهل السنة في اعتقادهم والنهي عن معارضتهم واذنه للناس في اظهار معتقداتهم والمناظرة عليها فكثر الغرباء ببلاد مصر وكان حسن السيرة عادلا حكي انه لما قتل وظهر الظلم بعده اجتمع جماعة واستغاثوا الى الخليفة وكان من جملة قولهم انهم لعنوا الافضل فسألهم عن سبب لعنهم اياه فقالوا انه عدل وأحسن السيرة ففارقنا بلادنا وأوطاننا وقصدنا بلده لعدله فقد أصابنا بعده هذا الظلم فهو كان سبب ظلمنا فأحسن الخليفة اليهم وأمر بالاحسان الى الناس ومنها ان صاحبه

الصواب * وصبر عليه زجل الغراب * واعلته قناعة الناسر عن التدبير * فبادر الى العبور بمن معه من كبير وصغيره ودخل فاتق بخارا فبادر الى التراب * ولثم خد الارض وجلس مجالس الحجاب * واظهر القلق والاكتئاب لاختلال أبي المرشد دار عزه وشرفه * ومقر الماضين من سلفه * ويمم مشايخ بخارا اليه في مسألته تقديم الاياب * وتعجيل الانقلاب * فوثق اذ ذاك به وامر بالكتاب اليه

الآمر باحكام الله صاحب مصر وضع عليه وسبب ذلك ما ذكرناه قبل فقصد الامر بتمام ما اراد الآمر ان يضع عليه من يقتله اذا دخل عليه قصره للسلام او في ايام الاعياد فمنعه من ذلك ابن عمه ابو الميمون عبد المجيد وهو الذي ولي الامر بعده بمصر وقال له في هذا الفعل شناعة وسمعة لانه قد خدم دولتنا هو وابوه خمسين سنة ولم يعلم الناس منهم الا النصح لنا والمحبة لدولتنا وقد سار ذلك في اقطار البلاد فلا يجوز ان يظهر منا هذه المكافاة الشنيعة ومع هذا فلا بد وان نقيم غيره مكانه ونعتمد عليه في منصبه ونمكن مثله او ما يقاربه فيخاف ان نفعل به مثل فعلنا بهذا فيحذر من الدخول الينا خوفا على نفسه وان دخل علينا كان خائفا مستعدا للامتناع وفي هذا الفعل منهم ما يسقط المنزلة والرأي ان تراسل ابا عبد الله بن البطائحي فانه الغالب على أمر الافضل والمطلع على سره وتعده ان توليه منصبه وتطلب منه ان يدبر الامر في قتله ان يقاتله اذا ركب فاذا اظفرنا بمن قتله قتلناه واظهرنا الطلب بدمه والحزن عليه فنبلغ غرضنا و يزول عنا قبح الاحدوثة ففعلوا ذلك فقتل كما ذكرناه ولما قتل ولي بعده ابو عبد الله بن البطائحي الامر ولقب المامون وتحكم في الدولة فبقي كذلك حاكما في البلاد الى سنة تسع عشرة فصلب كما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر عصيان سليمان بن ايلغازي على ابيه)*

في هذه السنة عصا سليمان بن ايلغازي بن ارتق على ابيه بحلب وقد جاوز عمره عشرين سنة حمله على ذلك جماعة من عنده فسمع والده الخبر فسار مجدا لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذرا فامسك عنه وقبض على من كان اشار عليه بذلك منهم امير كان قد التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه اسمه ناصر فقلع عينيه وقطع لسانه ومنهم انسان من اهل حماة من بيت قرناص كان قد قدمه ايلغازي على اهل حلب وجعل اليه الرياسة بها فجازاه بذلك وقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فمات واحضر ولده وهو سكران فاراد قتله فمنعه رقة الوالد فاستبقاه فهرب الى دمشق فارسل طغتكين يشفع فيه فلم يجبه الى ذلك واستناب بحلب سليمان ابن اخيه عبد الجبار بن ارتق ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين

*(ذكر اقطاع ميافارقين ايلغازي)*

في هذه السنة اقطع السلطان محمود مدينة ميافارقين للامير ايلغازي وسبب ذلك انه ارسل ولده حسام الدين تمرتاش وعمره سبع عشرة سنة الى السلطان ليشفع في دبيس بن صدقة و يبذل عنه الطاعة وحمل الاموال والخيل وغيرها وان يضمن الحلة كل يوم بالف دينار وفرس وكان المتحدث عنه القاضي بهاء الدين ابو الحسن علي بن القاسم بن الشهرزوري فتردد الخطاب في ذلك ولم يتحصل حال فلما اراد العود اقطع السلطان اباه مدينة ميافارقين وكانت مع الامير سكمان صاحب خلاط فتسلمها ايلغازي وبقيت في يده ويد اولاده الى ان ملكها صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ثمانين وخمسمائة سنذكر ذلك ان شاء الله تعالى

*(ذكر حصر بلك بن بهرام الرها واسر صاحبها)*

في هذه السنة سار بلك بن بهرام ولد اخي ايلغازي الى مدينة الرها فحصرها وبها الفرنج وبقي على حصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها فجاءه انسان تركماني واعلمه ان جوسلين صاحب الرها

في اجداده على طاعته وتقربه* فكان مفتتح ما خوطب به* من جمل المخالصة ولاء الله زماما بيده* والمناصحة اماما يهديه ويرشده* فيعود وقوفه حيث وقفته هذه ومجود تصرفه حيث صرفته تلك وارتاح ابو الحرث للانصراف* حين أمن جانب الخلاف* وسبق قبل صريمة الرأي بكتوزون مولاهم وهو الموسوم اذ ذاك بالحجبة الكبيرة على بابه الى نيسابور على قيادة الجيوش ولقبه بسنان الدولة ثم عبر النهر عائدا وراءه فتلقاه فائق مقيما رسم العبودة* ومؤديا فرض الطاعة المحمودة* وانكفأ به الى بخارا واستقام له الامر* وخمد ذلك الجمر* وقد كان بين فائق

وسروج قد جمع من عنده من الفرنج وهو عازم على كبسه وكان قد تفرق عن بلك اصحابه وبقي في اربعمائة فارس فوقف مستعدا لقتالهم واقبل الفرنج فمن لطف الله تعالى بالمسلمين ان الفرنج وصلوا الى ارض قد نضب عنها الماء فصارت وحلا فغاصت خيولهم فيه فلم تتمكن مع ثقل السلاح والفرسان من الاسراع والجري فرماهم اصحاب بلك بالنشاب فلم يفلت منهم احد وأسر جوسلين وجعل في جلد جمل وخيط عليه وطلب منه ان يسلم الرها فلم يفعل وبذل في فداء نفسه أموالا جزيلة واسرى كثيرة فلم يجبه الى ذلك وحمله الى قلعة خرتبرت فسجنهما واسر معه ابن خالته واسمه كليام وكان من شياطين الكفار واسر ايضا جماعة من فرسانه المشهورين فسجنهم معه

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة توفيت جدة السلطان محمود لابيه وهي والدة السلطان سنجر وكانت تركية تعرف بخاتون السفرية وكان موتها بمرو فجلس محمود ببغداد للعزاء بها وكان عزاء لم يشاهد مثله الناس وفيها توفي الخطير محمد بن الحسين الميبذي ببلاد فارس وهو في وزارة الملك سلجوق ابن السلطان محمد وكان قديما وزر للسلطانين بركيارق ومحمد وكان حليما سمع ان الابيوردي هجاه فلما سمع الهجو مضه فعض على ابهامه وصفح عنه وخلع عليه ووصله وفيها توفي الشهاب ابو المحاسن عبد الرزاق بن عبد الله وزير السلطان سنجر وهو ابن اخي نظام الملك وكان تفقه قديما على امام الحرمين الجويني فكان يفتي ويوقع ووزر بعده ابو طاهر سعد بن علي بن عيسى القمي وتوفي بعد شهور فوزر بعده عثمان القمي وفيها في جمادى الاولى اوقع اتابك طغتكين بطائفة من الفرنج فقتل منهم واسر وارسل من الاسرى والغنيمة للسلطان وللخليفة وفيها تضعضع الركن اليماني من البيت الحرام زاده الله شرفا من زلزلة وانهدم بعضه وتشعث بعض حرم النبي صلى الله عليه وسلم وتشعث غيره من البلاد وكان بالموصل كثيرها وفيها احترقت دار السلطان كان قد بناها مجاهد الدين بهروز للسلطان محمد ففرغت قبل وفاته يسير فلما كان الآن احترقت وسبب الحريق ان جارية كانت تختضب ليلا فاسندت شمعة الى الخيش فاحترق وعلقت النار منه في الدار واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد عليه من الجواهر والحلي والفرش والثياب واقيم الغسالون يخلصون الذهب وما امكن تخليصه وكان الجوهر جميعه قد هلك الا الياقوت الاحمر وترك السلطان الدار لم يجدد عمارتها وتطير منها لان اباه لم يتمتع بها ثم احترق فيها من اموالهم الشيء العظيم واحترق قبلها باسبوع جامع اصبهان وهو من اعظم الجوامع واحسنها احرقه قوم من الباطنية ليلا وكان السلطان قد عزم على اخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق باشارة الوزير السميرمي عليه بذلك فتجدد من هذين الحريقين ماهاله واتعظ فاعرض عنه وفيها في ربيع الآخر انقض كوكب عشاء وصار له نور عظيم وتفرق منه اعمدة عند انقضاضه وسمع عند ذلك صوت هدة عظيمة كالزلزلة وفيها ظهر بمكة انسان علوي وامر بالمعروف فكثر جمعه ونازع امير مكة ابن ابي هاشم وقوي امره وعزم على ان يخطب لنفسه فعاد ابن ابي هاشم وظفر به ونفاه عن الحجاز الى البحرين وكان هذا العلوي من فقهاء النظامية ببغداد وفيها الزم السلطان أهل الذمة ببغداد بالغيار فجرى فيه مراجعات

* ويكتوزون مضيعة * واحنة في الصدور قديمة * فاستخلصه أبو الحرث على الاغماض فيها والاغضاء عنها * والعفو عما حزف صدفوسها * استجلابا لانقياده سماق الطاعة * واستجماعا لاهوائهم في المتابعة * واظهر الانقياد * وحلف بما أراد * واستقرت أمور السامانية على بكتوزون بجبي أموال خراسان لأبي الحرث من غير منازع * ولا مدافع * الى أن طارت النعرة في رأسه فارتقى من قصد سلطانه وولي نعمته الى ما عرض به الملك * والهلك * والدولة * والعولة * وأرخ الدهر بعار لا يرحض عنه وضره * ولا يدفع عن وجهه قتره

انتهت الى ان قرر عليهم للسلطان عشرون الف دينار وللخليفة اربعة آلاف دينار وفيها احضر السلطان محمود واخوه الملك مسعود عند الخليفة فخلع عليهما وعلى جماعة من اصحاب السلطان منهم وزيرها ابو طالب السميرمي وشمس الملك عثمان بن نظام الملك والوزير أبو نصر احمد بن محمد بن حامد المستوفي وعلى غيرهم من الامراء وفيها في ذي القعدة وهو الحادي والعشرون من كانون الثاني سقط بالعراق جميعه من البصرة الى تكريت ثلج كثير وبقي على الارض خمسة عشر يوما وسمكه ذراع وهلكت اشجار النارنج والاترج والليمون فقال فيه بعض الشعراء

يا صدور الزمان ليس بوفر * ما رأيناه في نواحي العراق

انما عم ظلمكم سائر الخلـق فشابت ذوائب الآفاق

وفيها هبت بمصر ريح سوداء ثلاثة ايام فاهلكت كثيرا من الناس وغيرهم من الحيوانات وفيها توفي ابو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات المشهورة وهزارسب ابن عوض الهروي وكان قد سمع الحديث كثيرا

*(ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة)*

*(ذكر طاعة الملك طغرل لاخيه السلطان محمود)*

وفي المحرم من هذه السنة اطاع الملك طغرل اخاه السلطان محمودا وكان قد خرج عن طاعته كما ذكرناه وقصد اذربيجان في السنة الخالية ليتغلب عليها وكان اتابكه كنتغدي يحسن له ذلك ويقويه عليه فاتفق أنه مرض وتوفي في شوال سنة خمس عشرة وكان الامير آقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة عند السلطان محمود ببغداد فاستأذنه في المضي الى اقطاعه فاذن له فلما سار عن السلطان ظن انه يقوم مقام كنتغدي من الملك طغرل فسار اليه واجتمع به واشار عليه بالمكاشفة لاخيه السلطان محمود وقال له اذا وصلت الى مراغة اتصل بك عشرة آلاف فارس وراجل فسار معه فلما وصلوا الى اردبيل أغلقت ابوابها دونهم فساروا عنها الى قريب تبريز فاتاهم الخبر ان السلطان محمودا سير الامير جيوش بك الى اذربيجان واقطعه البلاد وانه نزل مراغة في عسكر كثيف من عند السلطان فلما تيقنوا ذلك عدلوا الى خونج وانتقض عليهم ما كانوا فيه وراسلوا الامير شيركير الذي كان اتابك طغرل ايام ابيه يدعونه الى انجادهم وقد كان كنتغدي قبض عليه بعد موت السلطان محمد على ما ذكرناه ثم اطلقه السلطان سنجر فعاد الى اقطاعه ابهر وزنجان وكاتبوه فاجابهم واتصل بهم وسار معهم الى ابهر فلم يتم لهم ما أرادوا فراسلوا السلطان بالطاعة فاجابهم الى ذلك فاستقرت القاعدة اول هذه السنة وتمت

*(ذكر حال دبيس بن صدقة وما كان منه)*

قد ذكرنا سنة اربع عشرة حال دبيس بن صدقة وصلحه على يد برنقش الزكوي ومقامه بالحلة وعود برنقش الى السلطان ومعه منصور بن صدقة اخو دبيس وولده رهينة فلما علم الخليفة بذلك لم يرض به وراسل السلطان محمودا في ابعاد دبيس عن العراق الى بعض النواحي وتردد الخطاب في ذلك وعزم السلطان على المسير الى همذان فاعاد الخليفة الشكوى من دبيس وذكر انه يطالب الناس بحقوده منهم لقتل ابيه وأن يحضر السلطان آقسنقر البرسقي من الموصل ويوليه

*(ذكر ما جرى بين الامير سيف الدولة والامير اسمعيل أخيه بعد انتصابه في الامارة منصب أبيه)*

ولما اخترم الامير سبكتكين واستقر الامر على اسمعيل طمع أهل العسكر الى مال البيعة فأمر به فأطلق لهم استحقاقهم من العين * استصلاحا لذات البين * ثم لما أحس القوم خورا في عوده * ورخاوة في عنان تدبيره لحداثة سنه وطراءة شبابه ولاشفاقه على نفسه من جانب أخيه وقصده * وانتزاعه الامر من يده * فاستوطؤا مركب الطمع واستسهلوا جانب التحكم وتحزبوا للمطالبة بزيادات على الراتب لهم حتى استغرق ذلك ما خلفه الامير سبكتكين وخلفه

نصف كسه بغداد والعراق وجعله في وجه دبيس فقبل السلطان ذلك واحضر البرسقي فلما وصل اليه زوجه والدة الملك مسعود وجعله شحنة بغداد وامره بقتال دبيس ان تعرض الى البلاد وسار السلطان من بغداد في صفر من هذه السنة وكان مقامه ببغداد سنة وسبعة اشهر وخمسة عشر يوما فلما فارق بغداد والعراق تظاهر دبيس بامور تأثر بها المسترشد بالله وتقدم الى البرسقي بالمسير اليه وازعاجه عن الحلة فاريل البرسقي الى الموصل واحضر عساكره وسار الى الحلة واقبل دبيس نحوه فالتقوا عند نهر بشير شرق الفرات واقتتلوا فانهزم عسكر البرسقي وكان سبب الهزيمة انه رأى في ميسرته خللا وبها الامراء البكجية فامر بالقاشيته وان تنصب عند الميسرة ليقوى قلوب من بها الامارات والخيمة وقد سقطت ظنوا جاعن هزيمة فانهزموا وتبعهم الناس والبرسقي وقيل بل اعطى رقعة فيها ان جماعة من الامراء منهم اسمعيل البكجي يريدون القتل به فانهزم وتبعه العسكر ودخل بغداد تالى ربيع الآخر وكان في جملة العسكر نصر بن النفيس بن مهذب الدولة احمد بن ابن أبي الجبر وكان ناظرا بالبطيحة لزعيان تحكم بها من السلطان لانها كانت من جملة اقطاعه وحضر ايضا المظفر بن حماد بن ابي الجبر وبينهما عداوة شديدة فالتقيا عند الانهزام بساباط نهرملك فقتله المظفر ومضا الى واسط مختفيا وسار منها الى البطيحة وتغلب عليها وكاتب دبيسا واطاعه واما دبيس فانه لم يعرض ثم لم يملك ولا غيره وارسل الى الخليفة انه على الطاعة ولولا ذلك لاخذ البرسقي وجميع من معه وسأل ان يخرج الناظر الى القرى التي تخاص الخليفة لقبض دخلها وكانت الوقعة في حزيران وحمى البلد فاحمدانا لمئة فيه وترددت الرسل بينهما فاستقرت القاعدة ان يقبض المسترشد بالله على وزيره جلال الدين ابي على بن صدقة ليعود الى الطاعة فقبض على الوزير ونهبت داره ودور أصحابه والتجأ المرهرب ابن اخيه جلال الدين أبو الرضا الى الموصل ولما سمع السلطان خبر الوقعة قبض على منصور بن صدقة أخي دبيس وولده ورفعهما الى قلعة برجين وهي قبا وركرج ثم ان دبيسا امر جماعة من أصحابه بالمسير الى اقطاعهم بواسط فساروا اليها فمنعهم اتراك واسط فجهز دبيس اليهم عسكرا مقدمهم مهلهل بن أبي العسكر وأرسل الى المظفر بن أبي الجبر بالبطيحة ليتفق مع مهلهل ويساعده على قتال الواسطيين فاتفقا على ان تكون الوقعة تاسع رجب وأرسل الواسطيون الى البرسقي يطلبون منه المدد فامدهم بجيش من عنده وعجل مهلهل في عسكر دبيس ولم ينتظر المظفر ظنا منه انه بمفرده ينال منهم ما أراد وينفرد بالفتح فالتقى هو والواسطيون ثامن رجب فانهزم مهلهل وعسكره وظفر الواسطيون وأخذ مهلهل أسيرا وجماعة من أعيان العسكر وقتل ما يزيد على ألف قتيل ولم يقتل من الواسطيين غير رجل واحد وأما المظفر بن أبي الجبر فانه أصعد من البطيحة ونهب وافسد وجرى من أصحابه القبيح فلما قارب واسطا سمع بالهزيمة فعاد منحدرا وكان في جملة ما أخذ العسكر الواسطي من مهلهل تذكرة بخط دبيس يأمره فيها بقبض المظفر بن أبي الجبر ومطالبته باموال كثيرة أخذها من البطيحة فارسلوا الخط الى المظفر وقالوا هذا خط الذي تختاره وقد احفظت الله تعالى والخلق كلهم لاجله فمال اليهم وصار معهم فلما جرى على أصحاب دبيس من الواسطيين ما ذكرناه شرع من ساعده في الشر وبلغه ان السلطان كحل اخاه فجز شعره ولبس السواد ونهب البلاد وأخذ كل ما للخليفة بنهر ملك فاجلى الناس الى بغداد

الا ان الله تعالى ايع الاستظهار به فاضطر اسمعيل الى ان ينزع ثيابا وبدأ بما تعامن عن أطماعهم الى المدة التي كانت مذخورة له بغزنة فلو بقوا على جملتهم في التصعب عليه لاسرع تمزق شمل تلك الاموال * وتفرق جميع الاولياء والرجال * ولما ورد على الامير سيف الدولة نعي أبيه * وتقضى أيام المصيبة فيه * بادر بالكتاب الى اخيه اسمعيل في التعزية * عن عارض الرزية * واتبعه بأبي الحسن الجولي في اذكاره بحق الكبر وما يجب له بحكم الرياسة على أهل البيت وتعريفه انه منه بمنزلة العين الباصرة اواعز * واليد الباطشة اوامض * وانه مبالغ في أمره كل ما يرضاه

وسار عسكر واسط الى النعمانية فاجلوا عنها عسكر دبيس واستولوا عليها وجرى بينهم هنالك وقعة كان الظفر للواسطيين وتقدم الخليفة الى البرسقي بالتبريز الى حرب دبيس فبرز في رمضان وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

## *(ذكر قتل السميرمي)*

وفي هذه السنة قتل الوزير الكمال أبو طالب السميرمي وزير السلطان محمود سلخ صفر وكان قد برز مع السلطان ليسير الى همذان فدخل الحمام وخرج بين يديه الرجالة والخيالة وهو في موكب عظيم فاجتاز بسوق المدرسة التي بناها خمارتكين التتشي واجتاز في منفذ ضيق فيه حظائر الشوك فتقدم أصحابه لضيق الموضع فوثب عليه باطني وضربه بسكين فوقعت في البغلة وهرب الى دجلة وتبعه الغلمان فخلا الموضع فظهر رجل آخر فضربه بسكين في خاصرته وجذبه عن البغلة الى الارض وضربه عدة ضربات وعاد أصحاب الوزير فحمل عليهم رجلان باطنيان فانهزموا منهم ثم عادوا وقد ذبح الوزير مثل الشاة فحمل قتيلا وبه نيف وثلاثون جراحة وقتل قاتلوه ولما كان في الحمام كان المنجمون يأخذون له الطالع ليخرج فقالوا هذا وقت جيد وان تأخرت يفوت طالع السعد فاسرع وركب وأراد ان يأكل طعاما فمنعوه لاجل الطالع فقتل ولم ينفعه قولهم وكانت وزارته ثلاث سنين وعشرة اشهر وانتهب ماله واخذ السلطان خزائنه ووزر بعده شمس الملك بن نظام الملك وكانت زوجة السميرمي قد خرجت هذا اليوم في موكب كبير معها نحو مائة جارية وجمع من الخدم والجميع بمراكب الذهب فلما سمعن بقتله عدن حافيات حاسرات وقد تبدلن بالعز هوانا وبالمسرة احزانا فسبحان من لا يزول ملكه وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس سيئ السيرة فلما قتل اطلق السلطان ما كان جدده من المكوس وما وضعه على التجار والباعة

## *(ذكر القبض على ابن صدقة وزير الخليفة ونيابة علي بن طراد)*

في جمادى الاولى قبض الخليفة على وزيره جلال الدين بن صدقة وقد تقدم ذكره قبل واقيم نقيب النقباء شرف الدين علي بن طراد الزينبي في نيابة الوزارة فارسل السلطان الى المسترشد بالله في معنى وزارة نظام الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك وكان اخاه شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود فاجيب الى ذلك واستوزر في شعبان وكان قد وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة ثم عزل ولزم دارا استجدها ببغداد الى الآن فلما خلع على نظام الملك وجلس في الديوان طلب ان يخرج ابن صدقة عن بغداد فلما علم ابن صدقة ذلك طلب من الخليفة ان يسير الى حديثة عانة ليكون عند الامير سليمان بن مهارش فأجيب الى ما طلب وسار الى الحديثة فخرج عليه في الطريق انسان من مفسدي التركمان يقال له يونس الحرامي فاسره ونهب اصحابه فخاف الوزير ان يعلم دبيس فارسل الى يونس وبذل له مالا يأخذه منه للعداوة التي بينهما فتقرر الامر مع يونس على الف دينار يعجل منها ثلثمائة ويؤخر الباقي الى ان يرسله من الحديثة وراسل عامل بلد الفرات في تخليصه وانفاذ من يضمن الباقي الذي عليه فاعمل العامل الحيلة في ذلك فاحضر انسانا فلاحا والبسه ثيابا فاخرة وطيلسانا وأركبه وسير معه غلمانا وأمره ان يمضي الى يونس ويدعي انه قاضي بلد الفرات ويضمن الوزير منه بما بقي من المال فسار الى السوادي

ويهواه * ويتعلق به مناه * وأن الامير سبكتكين انما افرده بالوصية لاغفال المنية اياه عن وضعها منه موضع الاستحقاق للضرورة العارضة من بعد المسافة وتقاذف الشقة * وان الرأي فيما سنه من توقيته حكم الرياسة * ومشاطرته الارث من ذخائر الامارة * وافراده بغزنة التي هي وكر عشيرته وحامته * ومعشش خاصته وعامته * على أن يحفظ عليه مكانه من بلخ وما يليها * أو ينقله الى نيسابور على ما كان يدبره من اعمالها ونواحيها * فاستشعر اسمعيل ما كتب الله عليه من النكبة في ايامه حتى كأنه يراه رأي العيان * ويدرس عليه كتاب البرهان * فلم يرده على

الى يونس فلما حضر عند الوزير ويونس احترما وضمن السوادى الوزير منه وقال له اقيم عندك
الى ان يصل المال مع صاحب لك تتقدم مع الوزير فاعتقد يونس صدق ذلك واطلق الوزير ومعه
جماعة من أصحابه فلما وصل المدينة قبض على من معه منهم فاطلق يونس ذلك السوادى والمال
الذى أخذه حتى أطلق الوزير أصحابه وعلم الحيلة التى تمت عليه ولما سار الوزير من عند يونس
لقى انسانا فانكره فاخذه فرأى معه كتابا من دبيس الى يونس يبذل ستة آلاف دينار ليسلم الوزير
اليه وكان خلاصه من أعجب الاشياء

*(ذكر قتل جيوش بك)*

فى هذه السنة قتل الامير جيوش بك الذى كان صاحب الموصل وقد ذكرنا خروجه على السلطان
محمود وعوده الى خدمته فلما رضى عنه أقطعه أذربيجان وجعله مقدم عسكره فجرى بينه وبين
جماعة من الامراء منافرة ومنازعات فاغروا به السلطان فقتله فى رمضان على باب تبريز وكان
تركيا من مماليك السلطان محمد عادلا حسن السيرة ولما ولى الموصل والجزيرة كان الاكراد بتلك
الاعمال قد انتشروا وكثر فسادهم وكثرت قلاعهم والناس معهم فى ضيق والطريق خائفة
فقصدهم وحصر قلاعهم وفتح كثيرا منها بلد الهكارية و بلد الزوزان وبلد البشنوية وخافه
الاكراد وتولى قصدهم بنفسه فهربوا منه فى الجبال والشعاب والمضايق وامنت الطرق واتسع
الناس واطمأنوا وبقى الاكراد لا يجسرون أن يحملوا السلاح لهيبته

*(ذكر وفاة ايلغازى وأحوال حلب بعده)*

فى هذه السنة فى شهر رمضان توفى ايلغازى بن أرتق بميافارقين وملك ابنه حسام الدين تمرتاش
قلعة ماردين وملك ابنه سليمان ميافارقين وكان بحلب ابن أخيه بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار
ابن أرتق فبقى بها الى ان أخذها ابن عمه

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة أقطع السلطان محمود الامير آقسنقر البرسقى مدينة واسط وأعمالها مضافا الى ولاية
الموصل وغيرها مما بيده وشحنكية العراق فلما أقطعها البرسقى سير اليها عماد الدين زنكى بن
آقسنقر الذى كان والده صاحب حلب وأمره بحمايتها فسار اليها فى شعبان ووليها وقد ذكرنا
اخبار زنكى فى كتاب الباهر فى ذكر ملكه وملك اولاده الذين هم ملوكنا الآن مستقصاة. وفيها
ظهر معدن نحاس بديار بكر قريبا من قلعة ذى القرنين وفيها زاد الفرات زيادة عظيمة لم يعهد
مثلها فدخل الماء الى ربض قلعة جعبر وكان الفرات حينئذ بالقرب منها فغرق أكثر دوره
ومساكنه وحمل فرسا من الربض وألقاه من فوق السور الى الفرات وفيها بنيت مدرسة بحلب
لاصحاب الشافعى وفيها توفيت ابنة السلطان سنجر زوج السلطان محمود وفيها فى شعبان قدم الى
بغداد البرهان أبو الحسن على بن الحسين الغزنوى وعقد مجلس الوعظ فى جميع المواضع وورد
بعده أبو القاسم على بن يعلى العلوى ونزل رباط شيخ الشيوخ ووعظ فى جامع القصر والتاجية
ورباط سعادة وصار له قبول عند الحنابلة وحصل له مال كثير لانه أظهر موافقتهم وورد بعده
أبو الفتوح الاسفراينى ونزل برباط شيخ الشيوخ أيضا ووعظ فى هذه المواضع وفى النظامية
واظهر مذهب الاشعرى فصار له قبول كثير عند الشافعية وحضر مجلسه الخليفة المسترشد بالله

الاباء والالتواء * وتعريض
تلك الاموال للاتواء *
وتوسط والى الجوزجان
ابو الحرث الفريغونى
بينهما على ان يكون ناقض
الخلاف * ويقفهما
على نقطة العدل والانصاف
* واراد كلا منهما على
التلاق قبل لسانه كل
منهما انسابما يقترحه من
مراد * ويقدحه من
زناد * اذ كانت لوجوه
المشافهة حرمة يعز مثلها
على ظهر البعاد * فى حال
التحيز والانفراد * فاما
الامير سيف الدولة فانه
رأى ذلك صوابا * فاوجب
من نفسه اسعافا واطلاعا *
واما اسمعيل فانه تبعن
الاجابة وطلب الامر بعين
الاستزابة * ورأى التسمح
بما يقترح عليه من مال الارث

وسلم اليه رباط الارجوانية والدة المقتدى بالله بدرب زاخى وفيها توفى عبد الله بن أحمد بن عمر أبو محمد السمرقندى اخو أبى القاسم بن السمرقندى ومولده بدمشق سنة أربع وأربعين وأربعمائة ونشأ ببغداد وسمع الصريفينى وابن النقور وغيرهما وسافر الكثير وكان حافظا للحديث عالما به وفى ذى الحجة توفى عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف أبو طالب ومولده سنة ست وثلاثين وأربعمائة وسمع البرمكى والجوهرى والعشارى وكان ثقة حافظا للحديث

*(ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة)*

*(ذكر مسير المسترشد بالله لحرب دبيس)*

فى هذه السنة كان الحرب بين الخليفة المسترشد بالله وبين دبيس بن صدقة وكان سبب ذلك ان دبيسا أطلق عفيفا خادم الخليفة وكان مأسورا عنده وحمله رسالة فيها تهديد للخليفة بارسال البرسقى الى قتاله وتقويته بالمال وان السلطان كحل أخاه وبالغ فى الوعد ولبس السواد وجز شعره وحلف لينهبن بغداد ويخربها فاغتاظ الخليفة لهذه الرسالة وغضب وتقدم الى البرسقى بالتبريز الى حرب دبيس فبرز فى رمضان سنة ست عشرة وتجهز الخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فأتاه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة فى عقيل وأتاه قرواش بن مسلم وغيرهما وأرسل دبيس الى نهر ملك فنهب وعمل أصحابه كل عظيم من الفساد فوصل أهله الى بغداد فأمر الخليفة فنودى ببغداد لا يتخلف من الاجناد أحد ومن أحب الجندية من العامة فليحضر فجاء خلق كثير ففرق فيهم الاموال والسلاح فلما علم دبيس الحال كتب الى الخليفة يستعطفه ويسأله الرضا عنه فلم يجب الى ذلك وأخرجت خيام الخليفة فى العشرين من ذى الحجة من سنة ست عشرة فنادى أهل بغداد النفير النفير الغزاة الغزاة وكثر الضجيج من الناس وخرج منهم عالم كثير لا يحصون كثرة وبرز الخليفة رابع عشرى ذى الحجة وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفى يده القضيب وفى وسطه منطقة حديد صينى ونزل الخيام ومعه وزير نظام الدين أحمد بن نظام الملك ونقيب الطالبيين ونقيب النقباء على بن طراد وشيخ الشيوخ صدر الدين اسمعيل وغيرهم من الاعيان وكان البرسقى قد نزل بقرية جهارطاق ومعه عسكره فلما بلغهم خروج الخليفة عن بغداد عادوا الى خدمته فلما رأوا الشمسة ترجلوا بأجمعهم وقبلوا الارض بالبعد منه ودخلت هذه السنة فنزل الخليفة مستهل المحرم بالحديثة بنهر الملك واستدعى البرسقى والامراء واستحلفهم على المناصحة فى الحرب ثم ساروا الى النيل ونزلوا بالمباركة وعبى البرسقى أصحابه ووقف الخليفة من وراء الجميع فى خاصته وجعل دبيس أصحابه صفا واحدا ميمنة وميسرة وقلبا وجعل الرجالة بين يدى الخيالة بالسلاح وكان قد وعد أصحابه بنهب بغداد وسبى النساء فلما تراءت الفئتان بادر أصحاب دبيس وبين ايديهم الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهى ولم ير فى عسكر الخليفة غير قارئ ومسبح وداع فقامت الحرب على ساق وكان مع اعلام الخليفة الامير كرباوى بن خراسان وفى الساقة سليمان بن مهارش وفى ميمنة عسكر البرسقى الامير أبو بكر بن الياس مع الامراء البكجية فحمل عنتر بن أبى العسكر فى طائفة من عسكر دبيس على ميمنة البرسقى فتراجعت على اعقابها وقتل ابن اخ للامير أبى بكر البكجى وعاد عنتر وحمل حملة

وان كان قادحا كله اهون عليه من ذلك مراما * وأيسر احتمالا والتزاما * ذعرا تمكن من نفسه * ورعبا سرى الى صميم قلبه * وخيفة سالت به فى أودية الظنون * ونفرته عن ضم القوادم للسكون *
وانشدته ذات يوم ابياتا لسيف الدولة فى أخيه ناصر الدولة الحمدانيين معرضا بالالفة التى هى اوطأ مهادا * وأخصب مرتعا ومرادا * وهى
رضيت لك العليا وان كنت اهلها
وقلت لهم بينى وبين أخى فرق
ولم يك لى عنها نكول وانما
تغافلت عن حقى فتم لك الحق

ثانية على هيئة الحية فيكان مثالها فى الرجوع على اعقابها كحالها الاول فلما رأى عسكر واسط
ذلك ومقدمهم الشهيد عماد الدين زنكى بن آقسنقر حملوا هم ومعه على عنتر ومن معه واتوهم
من ظهورهم فبقى عنتر فى الوسط وعماد الدين وعسكر واسط من ورائه والامراء البكجية بين يديه
فاسر عنتر واسر معه بريك بن زائدة وجميع من معهما ولم يفلت احد وكان البرنقى واقفا على
نشز من الارض وكان الامير آقبورى فى الكمين فى خمسمائة فارس فلما اختلط الناس خرج
الكمين على عسكر دبيس فانهزموا جميعهم والقوا انفسهم فى الماء فغرق كثير منهم وقتل كثير
ولما رأى الخليفة اشتداد الحرب جرد سيفه وكبر وتقدم الى الحرب فلما انهزم عسكر دبيس
وحملت الاسرى الى بين يديه أمر الخليفة ان تضرب اعناقهم صبرا وكان عسكر دبيس عشرة
آلاف فارس واثنى عشر ألف راجل وعسكر البرنقى ثمانية آلاف فارس وخمسة آلاف راجل ولم
يقتل من أصحاب الخليفة غير عشرين فارسا وحصل نساء دبيس وسراريه تحت الاسر سوى بنت
ايلغازى وبنت عميد الدولة بن جهير فانه كان تركهما فى المشهد وعاد الخليفة الى بغداد فدخلها
يوم عاشوراء من هذه السنة ولما عاد الخليفة الى بغداد ثار العامة بها ونهبوا مشهد باب التبن
وقلعوا أبوابه فانكر الخليفة ذلك وأمر نظرا أمير الحاج بالركوب الى المشهد وتأديب من فعل
ذلك وأخذ ما نهب ففعل واعاد البعض وخفى الباقى عليه وأما دبيس بن صدقة فانه لما انهزم
نجا بفرسه وسلاحه وادركته الخيل ففاتها وعبر الفرات فرآه امرأة عجوز وقد عبر فقالت له دبير
جئت فقال دبير من لم يجئ واختفى خبره بعد ذلك وأرجف عليه بالقتل ثم ظهر أمره انه قصد غزية
من عرب نجد فطلب منهم ان يحالفوه فامتنعوا عليه وقالوا انا نسخط الخليفة والسلطان ثم رحل
الى المنتفق واتفق معهم على قصد البصرة وأخذها فساروا اليها ودخلوها ونهبوا أهلها
وقتل الامير سخت كان مقدم عسكرها وأجلى أهلها فارسل الخليفة الى البرنقى يعاتبه على
اهماله أمر دبيس حتى تم له من أمر البصرة ما أخربها فتجهز البرنقى للانحدار اليه فسمع دبيس
ذلك ففارق البصرة وسار على البر الى قلعة جعبر والتحق بالفرنج وحضر معهم حصار حلب
وأطمعهم فى اخذها فلم يظفروا بها فعادوا عنها ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل ابن السلطان محمد
فاقام معه وحسن له قصد العراق وسنذكره سنة تسع وعشرين ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك الفرنج حصن الاثارب)*

فى هذه السنة فى صفر ملك الفرنج حصن الاثارب من أعمال حلب وسبب ذلك انهم كانوا قد
أكثروا قصد حلب وأعمالها بالاغارة والتخريب والتحريق وكان بحلب حينئذ بدر الدولة سليمان
ابن عبد الجبار بن أرتق وهو صاحبها ولم يكن له بالفرنج قوة وخافهم فهادنهم على أن يسلم
الاثارب ويكفوا عن بلاده فأجابوه الى ذلك وتسلموا الحصن وتمت الهدنة بينهم واستقام أمر
الرعية باعمال حلب وجلبت اليهم الاقوات وغيرها ولم تزل الاثارب بايدى الفرنج الى ان ملكها
اتابك زنكى بن آقسنقر على ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك بلك حران وحلب)*

فى هذه السنة فى ربيع الاول ملك بلك بن بهرام مدينة حران وكان حصرها فلما ملكها سار عنها
الى مدينة حلب وسبب مسيره اليها انه بلغه ان صاحبها بدر الدولة قد سلم قلعة الاثارب الى الفرنج

ولابد لى من ان اكون مصليا
اذا كنت أرضى أن يكون
لك السبق
نزحت عن مقاصدها من
ذرعه • وطاشت سهامها
دون الغرض المقصود بها
من سعه • وبعمل الامير
سيف الدولة بتدبير ماعراه
واستصحابه الرفق على الخرق •
وايثاره الرتق على الفتق •
وميله المداراه • على اللاجاه •
والمواتاه • على المناواه •
واختياره البر على الجفاء •
وادخاره الكى لآخر الدواء •
حتى اذا غار نجم الهوادة
ورق جلباب الحشمة استعد
لاتيان الامر من بابه • ورد
المنتزع منه الى نصابه •
وخاطب الامير ابا الحرث
بما عن له من الهم الذى
لا يسعه غير تلافيه •

فعظم ذلك عليه وعلم عجزه عن حفظ بلاده فقوى طمعه في ملكها فسار اليها ونازلها في ربيع الاول وضايقها ومنع الميرة عنها وأحرق زروعها فسلم اليه ابن عمه البلد والقلعة بالامان غرة جمادى الاولى من السنة وتزوج ابنة الملك رضوان وبقى مالكها الى ان قتل على ما نذكره

*(ذكر الحرب بين الفرنج والمسلمين بافريقية)*

قد ذكرنا ان الامير على بن يحيى صاحب افريقية لما استوحش من رجار صاحب صقلية جدد الاسطول الذى له وكثر عدده وعدده وكاتب أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين بمراكش بالاجتماع معه على قصد جزيرة صقلية فلما علم رجار ذلك كف عن بعض ما كان يفعله فاتفق ان عليا مات سنة خمس عشرة وولى ابنه الحسن وقد ذكرناه فلما دخلت سنة ست سير امير المسلمين اسطولا ففتحوا نقوطرة بساحل بلاد قلورية فلم يشك رجار ان عليا كان سبب ذلك فجد في تعمير الشوانى والمراكب وحشد فاكثر ومنع من السفر الى افريقية وغيرها من بلاد الغرب فاجتمع له من ذلك ما لم يعهد مثله قيل كان ثلثمائة قطعة فلما انقطعت الطريق عن افريقية توقع الامير الحسن بن على خروج العدو الى المهدية فأمر باتخاذ العدد وتجديد الاسوار وجمع المقاتلة فاتاه من أهل البلاد ومن العرب جمع كثير فلما كان في جمادى الآخرة سنة سبع عشرة سار الاسطول الفرنجى في ثلثمائة قطعة فيها الف فرس وفرس واحد الا انهم لما ساروا من مرسى على فرقتهم الريح وغرق منهم مراكب كثيرة ونازل من سلم منهم جزيرة قوصرة ففتحها وقتل من بها وسبى وغنموا وساروا عنها فوصلوا الى افريقية ونازلوا الحصن المعروف بالديماس أواخر جمادى الاولى فقاتلهم طائفة من العرب كانوا هناك والديماس حصن منيع في وسطه حصن آخر وهو مشرف على البحر وسير الحسن من عنده من الجموع الى الفرنج وأقام هو بالمهدية في جمع آخر يحفظها وأخذ الفرنج حصن الديماس وجنود المسلمين محيطة بهم فلما كان بعد ليال اشتد القتال على الحصن الداخل فلما كان الليل صاح المسلمون صيحة عظيمة ارتجت لها الارض وكبروا فوقع الرعب في قلوب الفرنج فلم يشكوا ان المسلمين يهجمون عليهم فبادروا الى شوانيهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيولهم وغنم المسلمون منها اربعمائة فرس ولم يسلم معهم غير فرس واحد وغنم المسلمون جميع ما تخلف عن الفرنج وقتلوا كل من عجز عن الطلوع الى المراكب فلما صعد الفرنج الى مراكبهم اقاموا بها ثمانية ايام لا يقدرون على النزول الى الارض فلما أيسوا من خلاص أصحابهم الذين في الديماس ساروا والمسلمون يكبرون عليهم ويصيحون بهم واقامت عساكر المسلمين على حصن الديماس في امم لا يحصون كثرة فحصروه فلم يمكنهم فتحه لحصانته وقوته فلما عدم الماء على من به من الفرنج وضجروا من مواصلة القتال ليلا ونهارا فتحوا باب الحصن وخرجوا فقتلوا عن آخرهم وذلك يوم الاربعاء منتصف جمادى الآخرة من السنة وكانت مدة اقامتهم في الحصن ستة عشر يوما ولما رجع الفرنج مقهورين أرسل الامير الحسن البشرى الى سائر البلاد وقال الشعراء في هذه الحادثة فاكثروا وتركنا ذلك خوف التطويل

*(ذكر استيلاء الفرنج على خرتبرت وأخذها منهم)*

في هذه السنة في ربيع الاول استولى الفرنج على خرتبرت من بلاد ديار بكر وسبب ذلك ان بلك

وشمل كافة الوسع والطاقة فيه * فسار في خواص غلمانه ورجاله * وقواده المنتدبين لاتباع مثاله * الى هراة واستأنف بها مكاتبة اسمعيل بين وعد ووعيد * وتقمئة وتهديد * وترجيح بين اليأس والامل * وتنبيه على موقف الندامة والخجل * فلم يغن ذلك عنه قبيلا * ولم ينقض من قوى عقده سحيلا * وتراجعت المكاتبات بينهما حتى جد مزاح الكلام * واشتد لقح الخصام * وأعيا فصل الامر الا بحد الحسام * ودعا الامير سيف الدولة عمه بغراجق الى مساعدته وموافقته * واتباع مصلحة البيت بمتابعته * فتسارع الى طاعته * وأقر بالحق

ابن بهرام بن ارتق كان صاحب خرتبرت فحصر قلعة كركر وهي تقارب خرتبرت فسمع الفرنج بالشام الخبر فسار بغدوين ملك الفرنج في جمعه اليه ليرحله عنها خوفا ان يقوى عليهم فلما سمع بلك بقربه منه رحل اليه والتقيا في صفر واقتتلا فانهزم الفرنج وأسر ملكهم ومعه جماعة من أعيان فرسانهم وحبسهم بقلعة خرتبرت وكان بالقلعة أيضا جوسلين صاحب الرها وغيره من مقدمي الفرنج كان قد أسرهم سنة خمس عشرة وسار بلك عن خرتبرت الى حران في ربيع الاول فملكها فاعمل الفرنج الحيلة باستمالة بعض الجند فظهروا وملكوا القلعة فاما الملك بغدوين فانه اخذ الليل جملا ومضى الى بلاده واتصل الخبر بالك صاحبها فعاد في عساكره اليها وحصرها وضيق على من بالقلعة واستعادها من الفرنج وجعل فيها من الجند من يحفظها وعاد عنها

*(ذكر قتل وزير السلطان وعود ابن صدقة الى وزارة الخليفة)*

في هذه السنة قبض السلطان محمود على وزيره شمس الملك عثمان بن نظام الملك وقتله وسبب ذلك انه لما أشار على السلطان بالعود عن حرب الكرج وخالفه وكانت الخيرة في مخالفته تغير عليه وذكره اعداؤه عنده بسوء ونبهوا على تهوره وقلة تحصيله ومعرفته بمصالح الدولة فقد رأى السلطان فيه ثم ان الشهاب أبا المحاسن وزير السلطان سنجر كان قد توفي وهو ابن اخي نظام الملك ووزر بعده أبو طاهر القمي وهو عدو لبيت النظام فسعى مع السلطان سنجر حتى أرسل الى السلطان محمود يأمره بالقبض على وزيره شمس الملك فصادف وصول الرسول وهو متغير عليه فقبض عليه وسلمه الى طغايرك فبعثه الى بلده خلخال فحبسه فيها ثم ان أبا نصر المستوفي الملقب بالعزيز قال للسلطان محمود لا نامن ان يرسل السلطان سنجر يطلب الوزير ومتى اتصل به لا نامن شرا يحدث منه وكان بينهما عداوة فأمر السلطان بقتله فلما دخل عليه السياف ليقتله قال امهلني حتى أصلي ركعتين ففعل فلما صلى جعل يرتعد وقال للسياف سيفي أجود من سيفك فاقتلني به ولا تعذبني فقتل ثاني جمادى الآخرة فلما سمع الخليفة المسترشد بالله ذلك عزل أخاه نظام الدين أحمد من وزارته وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة الى الوزارة وأقام نظام الدين بالمخزن التي في المدرسة النظامية ببغداد واما العزيز المستوفي فانه لم تطل ايامه حتى قتل على ما نذكره جزاء السعي في قتل الوزير

*(ذكر ظفر السلطان محمود بالكرج)*

في هذه السنة اشتدت نكاية الكرج في بلد الاسلام وعظم الامر على الناس لا سيما أهل دربند شروان فسار منهم جماعة كثيرة من اعيانهم الى السلطان وشكوا اليه ما يلقون منهم واعلموه بما هم عليه من الضعف والعجز عن حفظ بلادهم فسار اليهم والكرج قد وصلوا الى شماخي فنزل السلطان في بستان هناك وتقدم الكرج اليه فخافهم العسكر خوفا شديدا وأشار الوزير شمس الملك عثمان بن نظام الملك على السلطان بالعود من هناك فلما سمع أهل شروان بذلك قصدوا السلطان وقالوا له نحن نقاتل مهما انت عندنا وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا فقبل قولهم وأقام بمكانه وبات العسكر على وجل عظيم وهم بنية المصاف فأتاهم الله بفرج من عنده والقى بين الكرج وقفجاق اختلافا وعداوة فاقتتلوا تلك الليلة

---

عليه في متابعته واتباع رايته * وتقدمه الى بيت وبها الامير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين سبكتكين قصادف سيف الدولة منه وليا مطيعا * ووصيفا الى الانقياد سريعا * وهو منه لم يرض بزمام وخطام * ومحبة لم تذلل باسراج والجام * تبرع بالانقياد * وتسرع الى المراد * وجرى في حلبة الطاعة طلق الجواد * ولما سمع اسمعيل برحله الى جانب غزنة سبقه اليها من جانب بلخ مستعيدا للمنافسة * محتشدا للمقارعة والمدافعة * وسار سيف الدولة الى جانب غزنة في عمه وأخيه * وسائر أوليائه ومواليه * حتى أناخ

ورحلوا شبه المنهزمين وكفى الله المؤمنين القتال وأقام السلطان بشروان مدة ثم عاد الى همذان فوصلها فى جمادى الآخرة

*(ذكر الحرب بين المغاربة وعسكر مصر)*

فى هذه السنة وصل جمع كثير من لواتة من الغرب الى ديار مصر فافسدوا فيها ونهبوها وعملوا اعمالا شنيعة فجمع المأمون بن البطائحى الذى وزر بمصر بعد الافضل عسكر مصر وسار اليهم فقاتلهم فهزمهم وأسر منهم وقتل خلقا كثيرا وقرر عليهم خرجا يحملونه كل سنة يقومون به وعادوا الى بلادهم وعاد المأمون الى مصر مظفرا منصورا

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة فى صفر أمر المسترشد بالله بناء سور بغداد وان يجبى ما يخرج عليه من البلد فشق ذلك على الناس وجمع من ذلك مال كثير فلما علم الخليفة كراهة الناس لذلك أمر باعادة ما أخذ منهم فسروا بذلك وكثر الدعاء له وقيل ان الوزير أحمد بن نظام الملك بذل من ماله خمسة عشر ألف دينار وقال نقسط الباقى على أرباب الدولة وكان أهل بغداد يعملون بانفسهم فيه وكانوا يتناوبون العمل يعمل أهل كل محلة منفردين بالطبول والزمور وزينوا البلد وعملوا فيه القباب وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت دار على بن أفلح وكان الخليفة يكرمه فظهر انه ما عين لدبيس يطالعه بالاخبار وجعل الخليفة نقابة العلويين الى على بن طراد نقيب العباسيين وفيها جمع الامير بلك عساكره وسار الى غزاة بالشام فلقيه الفرنج فاقتتلوا فانهزم الفرنج وقتل منهم وأسر بشر كثير من مقدميهم ورجالتهم وفيها كان فى أكثر البلاد غلاء شديد وكان أكثره بالعراق فبلغ ثمن الكارة الدقيق الخشكار ستة دنانير وعشرة قراريط وتبع ذلك موت كثير وامراض زائدة هلك فيها كثير من الناس وفيها فى صفر توفى قاسم بن أبى هاشم العلوى الحسنى أمير مكة وولى بعده ابنه أبو فليتة وكان أعدل منه وأحسن سيرة فاسقط المكوس وأحسن الى الناس وفيها توفى عبد الله بن الحسن بن أحمد بن الحسن أبو نعيم بن أبى على الحداد الاصبهانى ومولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة وهو من أعيان المحدثين سافر الكثير فى طلب الحديث وفيها سار طغتكين صاحب دمشق الى حمص فهجم المدينة ونهبها وأحرق كثيرا منها وحصرها وصاحبها قرجان بالقلعة فاستمد صاحبها طغان ارسلان فسار اليه فى جمع كثير فعاد طغتكين الى دمشق وفيها التقى اسطول مصر اسطول البنادقة من الفرنج فاقتتلوا وكان الظفر للبنادقة وأخذ من اسطول مصر عدة قطع وعاد الباقى سالما وفيها سار الامير محمود بن قراجة صاحب حماة الى حصن افامية فهجم على الربض بغتة فأصابه سهم من القلعة فى يده فاشتد المه فعاد الى حماة وقلع الزج من يده ثم عملت عليه فمات منه واستراح أهل عمله من ظلمه وجوره فلما سمع طغتكين صاحب دمشق الخبر سير الى حماة عسكرا فملكها وصارت فى جملة بلاده ورتب فيها واليا وعسكرا لحمايتها

(ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة)

*(ذكر قتل بلك بن بهرام بن ارتق وملك تمرتاش حلب)*

فى هذه السنة فى صفر قبض بلك بن بهرام بن ارتق صاحب حلب على الامير حسان البعلبكى

ظاهر غزنة وقد تطاير اليه من قبل كتب الاعيان من قواد اسمعيل فى عمالاته عليه لما عرفوه من وهى أمره فى الرياسة * وضعف يده عن حق السياسة * وتردد السفراء بينهما فى الاستصلاح * وكف عادية الكفاح * فأبى الله الا ما كان مقدورا * وجعل الحق مشهورا والحق منصورا * وانتدب الامير سيف الدولة للحرب يعبى المواكب * ويرتب الجيوش كواكب * ودلف الى القتال فى رجال كالرماح * أو كالنهال القماح * يهشون للقراع * هشاشة الاطفال للرضاع * ويرتاحون للكفاح * ارتياح الهيم للماء القراح

صاحب منبج وسار اليها فحصرها فملك المدينة وحصر القلعة فامتنعت عليه فسار الفرنج اليه
ليرحلوه عنها لئلا يقوى بأخذها فلما قاربوه ترك على القلعة من يحصرها وسار فيمن بقي من عسكره
الى الفرنج فلقيهم وقاتلهم فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا وعاد الى منبج فحصرها فبينما هو
يقاتل من بها أتاه سهم فقتله لا يدرى من رماه واضطرب عسكره وتفرقوا وخلص حسان
من الحبس فكان حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي بن ارتق مع ابن عمه بلك فحمله مقتولا الى
ظاهر حلب وتسلمها فى العشرين من ربيع الاول من هذه السنة وزال الحصار عن قلعة منبج
وعاد اليها صاحبها حسان واستقر تمرتاش بحلب واستولى عليها ثم انه جعل فيها نائبا له يثق اليه
ورتب عنده ما يحتاج اليه من جند وغيرهم وعاد الى ماردين لانه رأى الشام كثيرة المخوف من
الفرنج وكان رجلا يحب الدعة والرفاهية فلما عاد الى ماردين أخذت حلب منه على ما نذكره
ان شاء الله تعالى

*(ذكر ملك الفرنج مدينة صور بالشام)*

كانت مدينة صور للخلفاء العلويين بمصر ولم تزل كذلك الى سنة ست وخمسمائة وكان بها وال
من جهة الافضل أمير الجيوش وزير الآمر باحكام الله العلوي يلقب عز الملك وكان الفرنج قد
حصروها وضيقوا عليها ونهبوا بلدها غير مرة فلما كان سنة ست تجهز ملك الفرنج وجمع
عساكره ليسير الى صور فخافهم أهل صور فأرسلوا الى أتابك طغتكين صاحب دمشق يطلبون
منه ان يرسل اليهم أميرا من عنده يتولاهم ويحميهم وتكون البلدة له وقالوا له ان ارسلت الينا
واليا وعسكرا والا سلمنا البلد الى الفرنج فسير اليهم عسكرا وجعل عندهم واليا اسمه مسعود
وكان شهما شجاعا عارفا بالحرب ومكايدها وامده بعسكر وسير اليهم ميرة ومالا فرقه فيهم وطابت
نفوس أهل البلد ولم تغير الخطبة للآمر صاحب مصر ولا السكة وكتب الى الافضل بمصر
يعرفه صورة الحال ويقول متى وصل اليها من مصر من يتولاها ويذب عنها سلمتها اليه وطلب
ان الاسطول لا ينقطع عنها بالرجال والقوة فشكره الافضل على ذلك واثنى عليه وصوب رأيه
فيما فعله وجهز اسطولا وسيره الى صور فاستقام أحوال اهلها ولم يزل كذلك الى سنة ست عشرة
بعد قتل الافضل فسير اليها اسطولا على جاري العادة وامر المقدم على الاسطول ان يعمل
الحيلة على الامير مسعود الوالي بصور من قبل طغتكين ويقبض عليه ويتسلم البلد منه
وكان السبب فى ذلك ان أهل صور اكثروا الشكوى منه الى الآمر باحكام الله صاحب مصر
بما يعتمده من مخالفتهم والاضرار بهم فسار الاسطول فأرسى عند صور فخرج مسعود اليه
للسلام على المقدم عليه فلما صعد الى المركب الذى فيه المقدم اعتقله ونزل البلد واستولى
عليه وعاد الاسطول الى مصر وفيه الامير مسعود فاكرم وأحسن اليه وأعيد الى دمشق واما
الوالي من قبل المصريين فانه طيب قلوب الناس وراسل طغتكين يخدمه بالدعاء والاعتضاد
وان سبب ما فعل هو شكوى أهل صور من مسعود فاحسن طغتكين الجواب وبذل من نفسه
المساعدة ولما سمع الفرنج بانصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وحدثوا نفوسهم
بملكها وشرعوا فى الجمع والتأهب للنزول عليها وحصرها فسمع الوالي بها المصري الخبر فعلم انه
لا قوة له ولا طاقة له على دفع الفرنج عنه لقلة من بها من الجند والميرة فارسل الى الآمر بذلك فرأى

منع الدروب وجوههم فكأنهم
وأبوهم سام أبوهم حام
تخذوا الحنيفة من الحنيفة معاقلا
سكانها الارواح والاجسام
مترسلين الى الحتوف كأنما
بين الحتوف وبينهم أرحام
آساد موت مخدرات ما لها
الا الصوارم والقنا آجام
وبرز اسمعيل بن شابه من
مواليه* وتابعه من رجال
ابيه* وقد احسن الصوف
بفعلته العظام* كانهم أركان
يذبل أو هضاب شمام* ودنا
الفريقان بعضهم من بعض
ضربا بالسيوف البواتك*
وطعنا بالرماح الفواتك*
ورشقا بالسهام من تحت
الترائك* وظلت رحا الحرب
تعركهم بثفالها* وتدور
عليهم باثقالها* الى أن دارت

ان يرد ولاية صور الى طغتكين صاحب دمشق فارسل اليه بذلك فملك صور ورتب بها من الجند وغيرهم ماظن فيه كفاية وسار الفرنج اليهم ونازلوهم فى ربيع الاول من هذه السنة وضيقوا عليهم ولازموا القتال فقلت الاقوات وسئم من بها القتال وضعفت نفوسهم وسار طغتكين الى بانياس ليقرب منهم ويذب عن البلد ولعل الفرنج اذا رأوا قربه منهم رحلوا فلم يتحركوا ولزموا الحصار فأرسل طغتكين الى مصر يستنجدهم فلم ينجدوه وتمادت الايام وأشرف أهلها على الهلاك فراسل حينئذ طغتكين صاحب دمشق وقرر الامر على ان يسلم المدينة اليهم ويمكنوا من بها من الجند والرعية من الخروج منها بما يقدرون عليه من أموالهم ورحالهم وغيرها فاستقرت القاعدة على ذلك وفتحت أبواب البلد وملكه الفرنج وفارقه أهله وتفرقوا فى البلاد وحملوا ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه ولم يعرض الفرنج الى أحد منهم ولم يبق الا الضعيف عجز عن الحركة وملك الفرنج البلد فى الثالث والعشرين من جمادى الاولى من السنة وكان فتحه وهنا عظيما على المسلمين فانه من أحصن البلاد وأمنعها فالله يعيده الى الاسلام ويقر أعين المسلمين بفتحه بمحمد وآله

*(ذكر عزل البرسقى عن شحنكية العراق وولاية برنقش الزكوى)*

فى هذه السنة عزل البرسقى عن شحنكية العراق ووليها سعد الدولة برنقش الزكوى وسبب ذلك ان البرسقى تنزعنه المسترشد بالله فارسل الى السلطان محمود يلتمس منه ان يعزل البرسقى عن العراق ويعيده الى الموصل فاجابه السلطان الى ذلك وأرسل الى البرسقى يأمره بالعود الى الموصل والاشتغال بجهاد الفرنج فلما علم البرسقى الخبر شرع فى جباية الاموال ووصل نائب برنقش فسلم اليه البرسقى الامر وأرسل السلطان ولدا له صغيرا مع أمه الى البرسقى ليكون عنده فلما وصل الصغير الى العراق خرجت العساكر والمواكب الى لقائه وحملت له الاقامات وكان يوم دخوله يوما مشهودا وتسلمه البرسقى وسار الى الموصل وهو ووالدته معه ولما سار البرسقى الى الموصل كان عماد الدين زنكى بن آقسنقر بالبصرة قد سيره البرسقى اليها ليحميها فظهر من حمايته لها ما عجب منه الناس ولم يزل يقصد العرب ويقاتلهم فى حللهم حتى أبعدوا الى البر فارسل اليه البرسقى يأمره باللحاق به فقال لاصحابه قد ضجرنا مما نحن فيه كل يوم للموصل أمير جديد ونريد نخدمه وقد رأيت ان أسير الى السلطان فأكون معه فاشاروا عليه بذلك فسار اليه فقدم عليه باصبهان فأكرمه واقطعه البصرة وأعاده اليها

*(ذكر ملك البرسقى مدينة حلب)*

فى هذه السنة فى ذى الحجة ملك آقسنقر البرسقى مدينة حلب وقلعتها وسبب ذلك ان الفرنج لما ملكوا مدينة صور على ما ذكرناه طمعوا وقويت نفوسهم وتيقنوا الاستيلاء على بلاد الشام واستكثروا من الجموع ثم وصل اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة فاطمعهم طمعا ثانيا لاسيما فى حلب وقال لهم ان أهلها شيعة وهم يميلون الى لاجل المذهب فتى رأونى سلموا البلد الى وبذل لهم على مساعدته بذولا كثيرة وقال اننى أكون ههنا نائبا عنكم ومطيعا لكم فساروا معه اليها وحصروها وقاتلوا قتالا شديدا ووطنوا نفوسهم على المقام الطويل وانهم لا يفارقونها حتى يملكوها وبنوا البيوت لاجل البرد والحر فلما رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم وخافوا

الشمس بجمرات الظهيرة وقد لاذ بالأمان من سبق وعده * وطلع بالاقبال سعده * وعندها حمل الامير سيف الدولة بنفسه فتداعت الزحوف * وتخالطت الصفوف * وخطبت على منابر الرقاب السيوف * وثارت عجاجة أخذت العيون عن الاشباح * وأذهلت النفوس عن الارواح * ونثرت الاعناق بأيدى الصفاح * وأقعصت الجماة من وقع السلاح * وظلت سنابك الخيول تردى على جثث النفوس * وتلعب بأكر الرؤس * تجرى الجياد من القتلى على جبل ومن دمائهم يخضن فى وحل ومن جماجمهم يصعدن فى الشمر

الهلاك وظهر لهم من صاحبهم تمرتاش الوهن والعجز وقلت الاقوات عندهم فلما رأوا ما دفعوا
اليه من هذه الاسباب اعملوا الرأى فى طريق يتخلصون به فرأوا انه ليس لهم غير البرسقى
صاحب الموصل فارسلوا اليه يستنجدونه ويسألونه المجىء اليهم ليسلموا البلد اليه فجمع عساكره
وقصدهم وارسل الى من بالبلد وهو فى الطريق يقول اننى لا أقدر على الوصول اليكم والفرنج
يقاتلونكم الا اذا سلمتم القلعة الى نوابى وصار أصحابى فيها لاننى لا أدرى ما يقدره الله تعالى اذا
أنا لقيت الفرنج فان انهزمنا منهم وليست حلب بيد أصحابى حتى احتمى أنا وعسكرى بها
لم يبق منا أحد وحينئذ تؤخذ حلب وغيرها فاجابوه الى ذلك وسلموا القلعة الى نوابه فلما استقروا
فيها واستولوا عليها سار فى العساكر التى معه فلما أشرف عليها رحل الفرنج عنها وهو يراهم فاراد
من فى مقدمة عسكره ان يحمل عليهم فمنعهم هو بنفسه وقال قد كفينا شرهم وحفظنا بلدنا منهم
والمصلحة تركهم حتى يتقرر أمر حلب ونصلح حالها ونكثر ذخائرها ثم حينئذ نقصدهم ونقاتلهم
فلما رحل الفرنج خرج أهل حلب ولقوه وفرحوا به وأقام عندهم حتى أصلح الامور وقررها

(ذكر عدة حوادث)

فى هذه السنة انقطعت الامطار فى العراق والموصل وديار الجزيرة والشام وديار بكر وكثير من
البلاد فقلت الاقوات وغلت الاسعار فى جميع البلاد ودام الى سنة تسع عشرة وفيها وصل
منصور بن صدقة أخو دبيس الى بغداد تحت الاستظهار ثم مرض بها فاحضر الخليفة الاطباء
وأمرهم بمعالجته وأحضره عنده وجعل فى حجرة وادخل أصحابه اليه وفيها سار دبيس من الشام
بعد رحيله عن حلب وقصد الملك طغرل فاغراه بالخليفة واطمعه فى العراق وكان ما نذكره سنة
تسع عشرة ان شاء الله تعالى وفيها مات الحسن بن الصباح مقدم الاسماعيلية صاحب ألموت
وقد تقدم من أخباره ما يعلم به محله من الشجاعة والرأى والتجربة وفيها أيضا توفى داود ملك
الابخاز وشمس الدولة بن نجم الدين ايلغازى وفيها ثار أهل آمد بمن فيها من الاسماعيلية وكانوا
قد كثروا فقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل فضعف أمرهم بها بعد هذه الوقعة وفيها توفى مفرج بن
محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفرانى وهو من أصحاب الخطيب البغدادى وفيها توفى أحمد
ابن على بن برهان أبو الفتح الفقيه المعروف بابن الحمامى لان أباه كان حماميا وكان حنبليا فتفقه
على ابن عقيل ثم صار شافعيا وتفقه على الغزالى والشاشى

(ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة)

(ذكر وصول الملك طغرل ودبيس بن صدقة الى العراق وعودهما عنه)

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة الى الملك طغرل من الشام فلما وصل اليه لقيه وأكرمه وأحسن
اليه وجعله من أعيان خواصه وامرائه فحسن اليه دبيس قصد العراق وهون أمره عليه
وضمن له انه يملكه فسار معه الى العراق فوصلوا دقوقا فى عساكر كثيرة فكتب مجاهد الدين
بهروز من تكريت يخبر الخليفة بخبرهما فتجهز للمسير ومنعهما وأمر برنقش الزكوى شحنة
العراق ان يكون مستعدا للحرب وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة
العساكر اثنى عشر ألفا سوى الرجالة وأهل بغداد وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه
أرباب الدولة رجالة وخرج من باب النصر وكان قد أمر بفتحه تلك الايام وسماه باب النصر ونزل

ومن ذوائبهم بقعص فى شكل قد نشب أن أسفر قتامها عن متساقط أبدان تحت أبدان وأجسام فوق هام وهام الآخرون على وجوههم يعضون بطول الارض خوفا من حر العقاب. ومن الحساب وانحاز اسمعيل الى قلعة غزنة متحصنا بها فى العاجل من من الطلب الى أن تلطف له الامير سيف الدولة واستنزله على أمان وحسن ضمان. وبالغ فى معروف واحسان

(ذكر ما جرى بين أبى القاسم ابن سيمجور وبكتوزون بعد ذلك)

وقد كان أبو القاسم ابن سيمجور انتقل الى جرجان بعد انقراض فخر الدولة على طاعة والده

صحراء الشماسية ونزل برنقش عند السبتى ثم سار فنزل الناص تاسع صفر فلما سمع طغرل بخروج
الخليفة عدل الى طريق خراسان وتفرق أصحابه فى النهب والفساد ونزل هو برباط جلولاء فسار
اليه الوزير جلال الدين بن صدقة فى عسكر كثير فنزل الدسكرة وتوجه طغرل ودبيس الى
الهارونية وسار الخليفة فنزل بالدسكرة هو والوزير واستقر الامر بين دبيس وطغرل ان يسيرا
حتى يعبرا ديالى وتامرا ويقطعا جسر النهروان ويقيم دبيس ليحفظ المعابر ويتقدم طغرل الى
بغداد فيملكها وينهبها فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا ونزل طغرل بينه وبين ديالى وسار
دبيس على ان يلحقه طغرل فقدر الله تعالى ان الملك طغرل لحقه حمى شديدة ونزل عليهم من
المطر ما لم يشاهد مثله وزادت المياه وجاءت السيول والخليفة بالدسكرة وسار دبيس فى مائتى
فارس وقصد معبرة النهروان وهو تعب سهران وقد لاق هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم
وليس معهم ما يأكلون ظنا منهم ان طغرل واصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعا
قد نالهم البرد واذ قد طلع عليهم ثلاثون جملا تحمل الثياب المخيطة والعمائم والاقبية والقلانس
وغيرها من الملبوس وتحمل أيضا أنواع الاطعمة المصنوعة قد جاءت من بغداد الى الخليفة
فاخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا فى
الشمس مما نالهم تلك الليلة وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار
ووصل الخبر الى الخليفة والعسكر الذين معه ان دبيسا قد ملك بغداد فرحل من الدسكرة
ووقعت الهزيمة على العسكر الى النهروان وتركوا اثقالهم ملقاة بالطريق لا يلتفت اليها أحد
ولولا ان الله تعالى لطف بهم بحمى الملك طغرل وتأخره والا كان قد هلك العسكر والخليفة أيضا
وأخذوا وكان السواقى مملوأة بالوحل والماء من السيل فتمزقوا ولو لحقهم مائة فارس لملكوا
ووصلت رايات الخليفة ودبيس وأصحابه نيام وتقدم الخليفة وأشرف على ديالى ودبيس نازل
غرب النهروان والجسر ممدود شرق النهروان فلما أبصر دبيس شمسة الخليفة قبل الارض بين
يدى الخليفة وقال أنا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده فرق الخليفة له وهم بصلحه
حتى وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه وركب دبيس ووقف بازاء عسكر برنقش الزكوى
يحادثهم ويماجن معهم ثم أمر الوزير الرجالة فعبروا ومدوا الجسر آخر النهار فسار حينئذ دبيس
عائدا الى الملك طغرل وسير الخليفة عسكرا مع الوزير فى اثره وعاد الى بغداد فدخلها وكانت
غيبته خمسة وعشرين يوما ثم ان الملك طغرل ودبيسا عادا وسارا الى السلطان سنجر فاجتازا
بهمذان فقسطا على أهلها مالا كثيرا وأخذوه وعاثوا فى تلك الاعمال فبلغ خبرهم السلطان
محمودا فجد السير اليهم فانهزموا من بين يديه وتبعتهم العساكر فدخلوا خراسان الى السلطان
سنجر وشكيا اليه من الخليفة ويرنقش الزكوى

*(ذكر فتح البرسقى كفرطاب وانهزامه من الفرنج)*

فى هذه السنة جمع البرسقى عساكره وسار الى الشام وقصد كفرطاب وحصرها فملكها من الفرنج
وسار الى قلعة عزاز وهى من أعمال حلب من جهة الشمال وصاحبها جوسلين فحصرها
فاجتمعت الفرنج فارسها وراجلها وقصدوه ليرحلوه عنها فلقيهم وضرب معهم مصافا واقتتلوا
قتالا شديدا صبروا كلهم فيه فانهزم المسلمون وقتل منهم وأسر كثير وكان عدد القتلى أكثر من

فضوى اليه من شذ عنه من
عسكر أخيه * وموالى أبيه *
واتصل به طوائف من أبطال
الاكراد والعرب فاشتدت
بهم مناكبه * واحتدت
أنيابه ومخالبه * وكانت
الحسكة التى ينطوى عليها
فائق ليكتوزون ترصده
بالحبائل * وترميه بأغوال
الغوائل * فأرسل الى أبى
القاسم يحرشه عليه
ويغريه * ويعده ما يليه *
من قيادة الجيوش متى
أجلاه عن مكانه * وجلاه
فى معرض العجز على سلطانه *
حتى أجهضه عن جرجان
تاركا للعين بالضمار * وعارضا
للملك على خطر القمار * فكان
مثله كما قال ابن هرمة

الف قتيل من المسلمين وعاد منهزما الى حلب فخلف بها البرسقي وعاد وعبر الفرات الى الموصل
ليجمع العساكر ويعاود القتال وكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر قتل المأمون بن البطائحي)*

في هذه السنة في رمضان قبض الآمر باحكام الله العلوي صاحب مصر على وزيره أبي عبد الله
ابن البطائحي الملقب بالمأمون وصلبه واخوته وكان ابتداء أمره ان أباه كان من جواسيس
الافضل بالعراق فمات ولم يخلف شيأ فتزوجت امه وتركته فقيرا فاتصل بانسان يتعلم البناء بمصر
ثم صار يحمل الامتعة بالسوق الكبير فدخل مع الحمالين الى دار الافضل أمير الجيوش مرة بعد
أخرى فرآه الافضل خفيفا رشيقا حسن الحركة حلو الكلام فاعجبه فسأل عنه فقيل هو ابن
فلان فاستخدمه مع الفراشين ثم تقدم عنده وكثرت منزلته وعلت حالته حتى صار وزيرا وكان
كريما واسع الصدر قتالا سفاكا للدماء وكان شديد التحرز كثير التطلع الى أحوال الناس من
العامة والخاصة من سائر البلاد مصر والشام والعراق وكثر الغمازون في ايامه وأما سبب قتله
فانه كان قد أرسل الى الامير جعفر أخي الآمر ليقتل الآمر ويجعله خليفة وتقررت القاعدة بينهما
على ذلك فسمع بذلك أبو الحسن بن أبي أسامة وكان خصيصا بالآمر قريبا منه وقد ناله من الوزير
أذى واطراح فحضر عند الآمر واعلمه الحال فقبض عليه وصلبه وهذا جزاء من قابل
الاحسان بالاساءة

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة توفي شمس الدولة سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر وتعرف قديما بقلعة دوسر وفيها
قتل القاضي أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان قتله الباطنية وكان قد مضى
الى خراسان في رسالة الخليفة الى السلطان سنجر فعاد فقتل وكان ذا مروءة وأعزة وتقدم كثير
في الدولة السلجوقية وفي هذه السنة توفي هلال بن عبد الرحمن بن شريح بن عمر بن أحمد وهو من
ولد بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنيته أبو سعد طاف البلاد وسمع وقرأ
القرآن وكان موته بسمرقند

(ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة)

*(ذكر حرب الفرنج والمسلمين بالاندلس)*

في هذه السنة عظم شان ابن ردمير الفرنجي بالاندلس واستطال على المسلمين فخرج في عساكر
كثيرة من الفرنج وجاس في بلاد الاسلام وخاض حتى وصل الى قريب قرطبة وأكثر النهب
والسبي والقتل فاجتمع المسلمون في جيش عظيم زائد الحد في الكثرة وقصدوه فلم يكن لهم به طاقة
فتحصن منهم في حصن منيع له اسمه ارنيسول فحصروه وكبسهم ليلا فانهزم المسلمون وكثر القتل
فيهم وعاد الى بلاده

*(ذكر قصد بلاد الاسماعيلية بخراسان)*

في هذه السنة أمر الوزير المختص أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر بغزو الباطنية
وقتلهم أين كانوا وحيثما ظفر بهم ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشا الى طريثيث
وهي لهم وجيشا الى بيهق من أعمال نيسابور وكان في هذه الاعمال قرية مخصوصة بهم اسمها
طرز ومقدمهم بها انسان اسمه الحسن بن سمين وسير الى كل طرف من أعمالهم جمعا من الجند

واني وتركي ندى الاكرمين
وقدحي بكفي زنادا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء
وملبسة بيض أخرى جناحا
فقصل عنها قاصدا
نيسابور في جماهير أصحابه
ممن ضرستهم وقائع
الحروب * وبجبتهم قوارع
الخطوب * وكوتهم صروف
الايام بمياسمها * ودامتهم
احداث الليالي بمناسمها
وأفرط أبا علي بن أبي
القاسم المعروف بالفقيه على
مقدمته الى اسفراين وبها
بعض قواد بكتوزون
فالتقيا

ووصاهم ان يقتلوا من لقوه منهم فقصد كل طائفة الى الجهة التى سيرت اليها فاما القرية التى
باعمال بيهق فقصدها العسكر فقتلوا كل من بها وهرب مقدمهم وصعد منارة المسجد وألقى
نفسه منها فهلك وكذلك العسكر المنفذ الى طرينيث قتلوا من أهلها فاكثروا وغنموا من
أموالهم وعادوا

*(ذكر ملك الاسماعيلية قلعة بانياس)*

فى هذه السنة عظم أمر الاسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس فى ذى القعدة منها
وسبب ذلك ان بهرام ابن أخت الاسداباذى لما قتل خاله ببغداد كما ذكرناه هرب الى الشام وصار
داعى الاسماعيلية فيه وكان يتردد فى البلاد ويدعو أوباش الناس وطغامهم الى مذهبه
فاستجاب له منهم من لا عقل له فكثر جمعه الا انه يخفى شخصه فلا يعرف وأقام بحلب مدة ونفق
على ايلغازى صاحبها وأراد ايلغازى ان يعتضد به لاتقاء الناس شره وشر أصحابه لانهم كانوا
يقتلون كل من خالفهم وقصد من يتمسك بهم وأشار ايلغازى على طغتكين صاحب دمشق
بان يجعله عنده لهذا السبب فقبل رأيه وأخذه اليه فاظهر حينئذ شخصه واعلن عدوته فكثر
اتباعه من كل من يريد الشر والفساد واعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغينانى قصدا للاعتضاد
به على ما يريده فعظم شره واستفحل أمره وصار اتباعه أضعافا مما كانوا فلولا ان عامة دمشق
يغلب عليهم مذاهب أهل السنة وانهم يشددون عليه فيما ذهب اليه لملك البلد ثم ان بهرام رأى
من أهل دمشق فظاظة وغلظة عليه فخاف عاديتهم فطلب من طغتكين حصنا يأوى اليه هو ومن
اتبعه فاشار الوزير بتسليم قلعة بانياس اليه فسلمت اليه فلما سار اليها اجتمع اليه أصحابه من كل
ناحية فعظم حينئذ خطبه وحلت المحنة بظهوره واشتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين
لاسيما أهل السنة والستر والسلامة الا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرف واحد خوفا من
سلطانهم أولا ومن شر الاسماعيلية ثانيا فلم يقدم أحد على انكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر

*(ذكر قتل البرسقى وملك ابنه عز الدين مسعود)*

فى هذه السنة ثامن ذى القعدة قتل قسيم الدولة آقسنقر البرسقى صاحب الموصل بمدينة الموصل
قتلته الباطنية يوم جمعة بالجامع وكان يصلى الجمعة مع العامة وكان قد رأى تلك الليلة
فى منامه ان عدة من الكلاب ثاروا به فقتل بعضها ونال منه الباقى ما اذاه فقص رؤياه
على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره عدة ايام فقال لا أترك الجمعة لشئ أبدا
فغلبوا على رايه ومنعوه من قصد الجمعة فعزم على ذلك فأخذ المصحف يقرأ فيه فأول ما رأى
وكان أمر الله قدرا مقدورا فركب الى الجامع على عادته وكان يصلى فى الصف الاول فوثب
عليه بضعة عشر نفسا عدة الكلاب التى رآها فجرحوه بالسكاكين فجرح هو بيده منهم ثلاثة
وقتل رحمه الله وكان مملوكا تركيا خيرا يحب أهل العلم والصالحين ويرى العدل ويفعله وكان من
خير الولاة يحافظ على الصلوات فى أوقاتها ويصلى من الليل متهجدا حكى لى والدى رحمه الله عن
بعض من كان يخدمه قال كنت فراشا معه فكان يصلى كل ليلة كثيرا وكان يتوضأ هو بنفسه
ولا يستعين باحد ولقد رأيته فى بعض ليالى الشتاء بالموصل وقد قام من فراشه وعليه فرجية
صغيرة وبرو بيده ابريق فمشى نحو دجلة ليأخذ ماء فمنعنى البرد من القيام ثم انى خفته فقمت بين

هناك على حومة الحرب * وتساقيا كؤس الطعن والضرب * وتداركت الامداد على ابى على لقرب
الحطى بينه وبين صاحبه فقتل عنه اصحاب بكتوزون منهزمين الى نيسابور وقد

يديه لاتخذ الابريق منه فمنعنى وقال يا مسكين ارجع الى مكانك فانه برد فاجتهدت لآخذ الابريق فلم يعطنى وردنى الى مكانى ثم توضأ وقام يصلى ولما قتل كان ابنه عز الدين مسعود بحلب يحفظها من الفرنج فارسل اليه اصحاب ابيه بالخبر فسار الى الموصل ودخلها اول ذى الحجة وأحسن الى أصحاب ابيه واقر وزيره المؤيد ابا غالب بن عبد الخالق بن عبد الرزاق على وزارته واطاعه الامراء والاجناد وانحدر الى خدمة السلطان محمود فأحسن اليه وأعاده ولم يختلف عليه أحد من أهل بلاد أبيه ووقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم فقيل انهم كانوا يجلسون الى اسكاف بدرب ايليا فاحضر ووعد الاحسان ان اقر بهم فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه الى الآن فقطعت يداه ورجلاه وذكره ورجم بالحجارة فمات ومن العجب ان صاحب انطاكية ارسل الى عز الدين بن البرسقي يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر وكان قد سمعه الفرنج قبل لشدة عنايتهم بمعرفة الاحوال الاسلامية ولما استقر عز الدين فى الولاية قبض على الامير بابكر بن ميكائيل وهو من اكابر الامراء وطلب منه ان يسلم ابن اخيه قلعة اربل الى الامير فضل وابى على ابنى ابى الهيجاء وكان ابن اخيه قد اخذها منه سنة سبع عشرة فراسل ابن اخيه فسلم اربل الى المذكورين

## (ذكر الاختلاف الواقع بين المسترشد بالله والسلطان محمود)

كان قد جرى بين يرنقش الزكوى شحنة بغداد وبين نواب الخليفة المسترشد بالله نفرة فتهدده الخليفة فخافه على نفسه فسار عن بغداد الى السلطان محمود فى رجب من هذه السنة فشكا اليه وحذره جانب الخليفة واعلمه انه قد قاد العساكر ولقى الحروب وقويت نفسه وانه عازم على قصد العراق ويخرج بغداد ازداد قوة وهما ومنعك عنه وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيدك فتوجه السلطان نحو العراق فارسل اليه الخليفة يعرفه ما البلاد واهلها عليه من الضعف والوهن بسبب دبيس وافساد عسكره فيها وان الغلاء قد اشتد بالناس لعدم الغلات والاقوات لهرب الاكرة من بلادهم ويطلب منه ان يتأخر هذه الدفعة الى ان يصلح حال البلاد ثم يعود اليها فلا مانع له عنها وبذل له على ذلك مالا كثيرا فلما سمع السلطان هذه الرسالة قوى عنده ما قرره الزكوى وابى ان يجيب الى التأخر وصمم العزم وسار اليها مجدا فلما بلغ الخليفة الخبر عبر هو واهله وحرمه ومن عنده من اولاد الخلفاء الى الجانب الغربى فى ذى القعدة مظهرا للغضب والانتزاح عن بغداد ان قصدها السلطان فلما خرج من داره بكى الناس جميعهم بكاء عظيما لم يشاهد مثله فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه وبلغ منه كل مبلغ فارسل يستعطف الخليفة ويسأله العود الى داره فاعاد الجواب انه لا يمن عوده هذه الدفعة فان الناس هلكى بشدة الغلاء وخراب البلاد وانه لا يرى فى دينه ان يزداد ما بهم وهو يشاهدهم فان عاد السلطان والا رحل هو عن العراق لئلا يشاهد ما يلقى الناس بمجىء العساكر فغضب السلطان لذلك ورحل نحو بغداد واقام الخليفة بالجانب الغربى فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو من خواصه فى عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقى واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب

التقموا بين جرجان ونصر وقتل وامير وداراب القاسم فهرب عنه ورجع الجنوب حتى ناخ بنيسابور مستظلا بشوكة رجاله وشكا ابطاله فارسل اليه يكتوزون

الشرقي وكان عفيف بالجانب الغربي فارسل اليه عماد الدين يحذره القتال ويأمره بالانتزاح عنها فأبى ولم يفعل فعبر اليه عماد الدين واقتتلوا فانهزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة وأسر مثلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينهما ثم ان الخليفة جمع السفن جميعها اليه وسد أبواب دار الخلافة سوى باب النوبى وأمر حاجب الباب ابن الصاحب بالمقام فيه لحفظ الدار ولم يبق من حواشي الخليفة بالجانب الشرقي سواه ووصل السلطان الى بغداد في العشرين من ذي الحجة ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونزلوا في دور الناس فشكا الناس ذلك الى السلطان فأمر باخراجهم وبقي فيها من له دار وبقي السلطان يراسل الخليفة بالعود ويطلب الصلح وهو يمتنع وكان يجري بين العسكرين مناوشة والعامة من الجانب الغربي يسبون السلطان أفحش سب ثم ان جماعة من عسكر السلطان دخلوا دار الخلافة ونهبوا التاج وحجر الخليفة أول المحرم سنة احدى وعشرين وضج أهل بغداد من ذلك فاجتمعوا ونادوا الغزاة فاقبلوا من كل ناحية ولما رآهم الخليفة خرج من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه وأمر بضرب الكوسات والبوقات ونادى باعلى صوته يالهاشم وأمر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة وكان له في الدار ألف رجل مختفين في السراديب فظهروا وعسكر السلطان مشتغلون بالنهب فأسر منهم جماعة من الامراء ونهب العامة دار وزير السلطان ودور جماعة من الامراء ودار عز الدين المستوفي ودار الحكيم أوحد الزمان الطبيب وقتل منهم خلق كثير في الدروب ثم عبر الخليفة الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد وأمر بحفر الخنادق فحفرت بالليل وحفظوا بغداد من عسكر السلطان ووقع الغلاء عند العسكر واشتد الامر عليهم وكان القتال كل يوم عليهم عند أبواب البلد وعلى شاطئ دجلة وعزم عسكر الخليفة على ان يكبسوا عسكر السلطان فغدر بهم الامير أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل وخرج كأنه يريد القتال فالتحق هو وعسكره بالسلطان وكان السلطان قد أرسل الى عماد الدين بواسط يأمره ان يحضر هو بنفسه ومعه المقاتلة في السفن وعلى الدواب في البر فجمع كل سفينة في البصرة الى بغداد وشحنها بالرجال المقاتلة وأكثر من السلاح وأصعد فلما قارب بغداد أمر كل من معه في السفن وفي البر بلبس السلاح واظهار ما عندهم من الجلد والنهضة فسارت السفن في الماء والعسكر في البر على شاطئ دجلة قد انتشروا وملؤا الارض برا وبحرا فرأى الناس منظرا عجيبا كبر في أعينهم وملأ صدورهم وركب السلطان والعسكر الى لقائهم فنظروا الى ما لم يروا مثله وعظم عماد الدين في أعينهم وعزم السلطان على قتال بغداد حينئذ والجد في ذلك في البر والماء فلما رأى الامام المسترشد بالله الامر على هذه الصورة وخروج الامير أبي الهيجاء من عنده أجاب الى الصلح وترددت الرسل بينهما فاصطلحا واعتذر السلطان مما جرى وكان حليما يسمع سبه باذنه فلا يعاقب عليه وعفا عن أهل بغداد جميعهم وكان أعداء الخليفة يشيرون على السلطان باحراق بغداد فلم يفعل وقال لا تساوي الدنيا فعل مثل هذا وأقام ببغداد الى رابع شهر ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وحمل الخليفة من المال اليه كل ما استقرت القاعدة عليه وأهدى له سلاحا وخيلا وغير ذلك فعرض السلطان ببغداد فأشار عليه الاطباء بمفارقتها فرحل الى همذان فلما وصلها عوفي

يعلمان الحروب سجال * وحسن الظن بعواقبها محال * وان في قرع باب البغي تعرضا للبلاء * واستئذانا على سوء القضاء * وانما يصر على الكفاح * من لم يجد وجها للصلح والصلاح *

*(ذكر مصاف بين طغتكين اتابك والفرنج بالشام)*

في هذه السنة اجتمعت الفرنج وملوكها وقمامصتها وكنودها وساروا الى نواحي دمشق فنزلوا بمرج الصفر عند قرية يقال لها شجنا بالقرب من دمشق فعظم الامر على المسلمين واشتد خوفهم وكاتب طغتكين اتابك صاحبها امراء التركمان من ديار بكر وغيرها وجمعهم وكان هو قد سار عن دمشق الى جهة الفرنج واستخلف بها ابنه تاج الملوك بورى فكان كلما جاءت طائفة احسن ضيافتهم وسيرهم الى ابيه فلما اجتمعوا سار بهم طغتكين الى الفرنج فالتقوا اواخر ذى الحجة واقتتلوا واشتد القتال فسقط طغتكين عن فرسه فظن اصحابه انه قتل فانهزموا وركب طغتكين فرسه ولحقهم وتبعهم الفرنج وبقى التركمان لم يقدروا ان يلحقوا بالمسلمين في الهزيمة فتخلفوا فلما رأوا فرسان الفرنج قد تبعوا المنهزمين وان معسكرهم وراجلهم ليس له مانع ولا حام حملوا على الرجالة فقتلوهم ولم يسلم منهم الا الشريد ونهبوا معسكر الفرنج وخيامهم واموالهم وجميع ما معهم وفي جملته كنيسة فيها من الذهب والجواهر ما لا يقوم كثرة فنهبوا ذلك جميعه وعادوا الى دمشق سالمين لم يعدم منهم احد ولما رجع الفرنج من اثر المنهزمين ورأوا رجالتهم قتلى واموالهم منهوبة تموا منهزمين لا يلوى الاخ على اخيه وكان هذا من الغريب ان طائفتين تنهزمان كل واحدة منهما من صاحبتها

فاما من كان في فسحة من الراى ونفسة من الاختيار فانه ينفس بنفسه عن التغرير بها في مباشرة القتال * ومساورة الابطال * ومقاساة الاهوال * وان الراى له ان يعدل الى

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة حصر الفرنج رفنية من ارض الشام وهى بيد المسلمين وضيقوا على اهلها فملكوها وفيها توفى ابو الفتح احمد بن محمد بن محمد الغزالى الواعظ وهو اخو الامام ابى حامد محمد وقد ذمه ابو الفرج بن الجوزى باشياء كثيرة منها روايته في وعظه الاحاديث التى ليست له بصحيحة والعجب انه يقدح فيه بهذا وتصانيفه هو ووعظه محشو به مملوء منه نسأل الله ان يعيذنا من الوقيعة في الناس ثم ياليت شعرى اما كان للغزالى حسنة تذكر مع ما ذكر من المساوى التى نسبها اليه لئلا ينسب الى الهوى والغرض

(ثم دخلت سنة احدى وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر ولاية الشهيد اتابك زنكى شحنكية العراق)*

في هذه السنة في ربيع الاخر اسند السلطان محمود شحنكية العراق الى عماد الدين زنكى بن آقسنقر وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما اصعد من واسط في التجمل والجمع الذى ذكرناه وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحى القيام الذى عجز غيره عنه عظم في صدر السلطان وصدور امرائه فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلى شحنكية العراق ويأمن معه من الخليفة فاعتبر امراءه واعيان دولته فلم ير فيهم من يقوم في هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار في ذلك فكل اشار به وقالوا لا نقدر على رقع هذا الخرق واعادة ناموس هذه الولاية ولا تقوى نفس احد على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين زنكى فوافق ما عنده فاسند اليه الولاية وفوضها اليه مضافة الى ماله من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأن قلبه من جهة العراق فكان الامر كما ظن

*(ذكر عود السلطان عن بغداد ووزارة انوشروان بن خالد)*

في هذه السنة في عاشر ربيع الآخر سار السلطان محمود عن بغداد بعد تقرير القواعد بها ولما عزم على المسير حمل اليه الخليفة الخلع والدواب الكثيرة فقبل ذلك جميعه وسار ولما بعد عن بغداد قبض على وزيره ابي القاسم على بن القاسم الانساباذي في رجب لانه اتهمه بمالاة المسترشد بالله اقيامه في امره واقام الصلح مقاما ظهر اثره فسعى به اعداؤه فلما قبض عليه ارسل السلطان الى بغداد احضر شرف الدين انوشروان بن خالد وكان مقيما بها فلما علم بذلك جاءته الهدايا من كل احد حتى من الخليفة وسار عن بغداد خامس شعبان فوصل الى السلطان وهو باصبهان فخلع عليه خلع الوزارة وبقي فيها نحو عشرة اشهر ثم استعفى منها وعزل نفسه وعاد الى بغداد في شعبان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة واما الوزير ابو القاسم فانه بقي مقبوضا الى ان خرج السلطان سنجر الى الري سنة اثنتين وعشرين فاخرجه من الحبس في ذي الحجة واعاده الى وزارة السلطان محمود وهي الوزارة الثانية

*(ذكر وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي الموصل واعمالها)*

في هذه السنة توفي عز الدين مسعود بن البرسقي وهو صاحب الموصل وكان موته بمدينة الرحبة وسبب مسيره اليها انه لما استقامت اموره في ولايته وراسل السلطان محمودا وخطب له ولاية ما كان ابوه يتولاه من الموصل وغيرها فاجاب السلطان الى ما طلب فرتب الامور وقرر ها فكثر جنده وكان شجاعا شهما فطمع في التغلب على بلاد الشام فجمع عساكره وسار الى الشام يريد قصد دمشق فابتدأ بالرحبة فوصل اليها ونازلها وقام يحاصرها فاخذه مرض حاد وهو محاصر لها فتسلم القلعة ومات بعد ساعة فندم من بها على تسليمها اليه ولما مات بقي مطروحا على بساط لم يدفن وتفرق عنه عسكره ونهب بعضهم بعضا فشغلوا عنه ثم دفن بعد ذلك وقام بعده اخ له صغير واستولى على البلاد مملوك للبرسقي يعرف بالجاولي ودبر امر الصبي وارسل الى السلطان يطلب ان يقرر البلاد على ولد البرسقي وبذل الاموال الكثيرة على ذلك وكان الرسول في هذا الامر القاضي بهاء الدين ابو الحسن على بن القاسم الشهرزوري وصلاح الدين محمد امير حاجب البرسقي فحضرا دركاه السلطان ليخاطبا في ذلك وكانا يخافان جاولي ولا يرضيان بطاعته والتصرف بما يحكم به فاجتمع صلاح الدين ونصير الدين جقر الذي صار نائبا عن اتابك عماد الدين بالموصل وكان بينهما مصاهرة وذكر له صلاح الدين ما ورد فيه وافشى اليه سره فخوفه نصير الدين من جاولي وقبح عنده طاعته وقرر في نفسه انه انما ابقاه وامثاله لحاجته اليهم ومتى اجيب الى مطلوبه لا يبقى على احد منهم وتحدث معه في المخاطبة في ولاية عماد الدين زنكي وضمن له الولايات والاقطاع الكثيرة وكذلك للقاضي بهاء الدين الشهرزوري فاجابه الى ذلك واحضره معه عند القاضي بهاء الدين وخاطباه في هذا الامر وضمنا له كل ما اراده فوافقهما على ما طلبا وركب هو وصلاح الدين الى دار الوزير وهو حينئذ شرف الدين انوشروان بن خالد وقالا له قد علمت انت والسلطان ان ديار الجزيرة والشام قد تمكن الفرنج منها وقويت شوكتهم بها فاستولوا على اكثرها وقد اصبحت ولايتهم من حدود ماردين الى عريش مصر ما عدا البلاد الباقية بيد المسلمين وقد كان البرسقي مع شجاعته وتجربته وانقياد العساكر اليه يكف بعض

قهستان ليتجزا من الامير ابى الحرث ولاية هراة معها رعاية لحق خدمته وقدمته* وسابق مواته واذمته * فضربه ابو القاسم باذن مستكة عن الانتصاح * منسدة عن الصلاح* وحمله

عادتهم وشرهم فقد قتل ازداد طمعهم وهذا ولده طفل صغير ولا بد للبلاد من رجل شهم شجاع
ذي رأي وتجربة يذب عنها ويحفظها ويحمي حوزتها وقد انهينا الحال لئلا يجري خلل أو وهن
على الاسلام والمسلمين فيختص اللوم بنا ويقال لم لا انهيتما جلية الحال فرفع الوزير قولهما
الى السلطان فاستصوبه وشكرهما عليه واحضرهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا
جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه تقربا الى خزانة السلطان مالا جليلا فأجاب السلطان
الى توليته لما يعلمه من كفايته لما يليه فاحضره وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وسار فبدأ
بالبوازيج ليملكها ويتقوى بها ويجعلها ظهره لانه خاف من جاولي انه ربما صده عن البلاد فلما
دخل البوازيج سار منها الى الموصل فلما سمع جاولي بقربه من البلد خرج الى تلقيه ومعه
جميع العسكر فلما رآه جاولي نزل عن فرسه وقبل الارض بين يديه وعاد في خدمته الى الموصل
فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وسيره اليها وأقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر
قواعدها وولى نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل اليه سائر دزدارية القلاع وجعل
صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها وزاده أملاكا واقطاعا
واحتراما وكان لا يصدر الا عن رأيه فلما فرغ من أمر الموصل سار عنها الى جزيرة ابن عمر وبها
مماليك البرسقي فامتنعوا عليه فحصرهم وراسلهم وبذل لهم البذول الكثيرة ان سلموا فلم يجيبوه
الى ذلك فجد في قتالهم وبينه وبين البلد دجلة فأمر الناس فالقوا أنفسهم في الماء ليعبروا الى
البلد ففعلوا وعبر بعضهم سباحة وبعضهم في السفن وبعضهم في الاكلاك وتكاثروا على أهل
الجزيرة وكانوا قد خرجوا عن البلد الى أرض بين الجزيرة ودجلة تعرف بالزلاقة ليمنعوا من يريد
عبور دجلة فلما عبر العسكر اليهم قاتلوهم ومانعوهم فتكاثر عسكر عماد الدين عليهم فانهزم
أهل البلد ودخلوه وتحصنوا باسواره واستولى عماد الدين على الزلاقة فلما رأى من بالبلد ذلك
ضعفوا ووهنوا وايقنوا ان البلد يملك سلما أو عنوة فارسلوا يطلبون الامان فأجابهم الى ذلك
وكان هو أيضا مع عسكره بالزلاقة فسلموا البلد اليه فدخله هو وعسكره ثم ان دجلة زادت تلك
الليلة زيادة عظيمة فلقت سور البلد وصارت الزلاقة ماء فلو اقام ذلك اليوم لغرق هو وعسكره
ولم ينج منهم احد فلما رأى الناس ذلك أيقنوا بسعادته وايقنوا ان امرا هذا بدايته لعظيم ثم
سار عن الجزيرة الى نصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش صاحب ماردين فلما نازلها سار حسام
الدين الى ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان بن ارتق وهو صاحب حصن كيفا وغيرها فاستنجده
على اتابك زنكي فوعده النجدة بنفسه وبجمع عسكره وعاد تمرتاش الى ماردين وارسل رقاعا على
اجنحة الطيور الى نصيبين يعرف من بها من العسكر انه وابن عمه سائران في العسكر الكثير
اليهم وانا سنزيح عماد الدين عنهم ويأمرهم بحفظ البلد خمسة ايام فبينما اتابك في خيمته اذ سقط طائر
على خيمة تقابله فامر به فصيد فرأى فيه رقعة فقرأها وعرف ما فيها فأمر ان يكتب غيرها يقول
فيها انني قصدت ابن عمي ركن الدولة وقد وعدني النصرة وجمع العساكر وما يتأخر عن الوصول
اكثر من عشرين يوما ويأمرهم بحفظ البلد هذه المدة الى ان يصلوا وجعلها في الطائر وارسله
فدخل نصيبين فلما وقف من بها على الرقعة سقط في ايديهم وعلموا انهم لا يقدرون ان يحفظوا
البلد هذه المدة فارسلوا الى الشهيد وصالحوه وسلموا البلد اليه فبطل على تمرتاش وداود ما كانا

الادلال بقاله وبجاهه على التحكم والتعصب * والتمنع والتعصب * واهاب بعسكره الى الحرب * فاصطبحوا على مساقاة الطعان والضراب * ومعاناة الحراب * ببيض الصفاح وزرق الحراب *

عزما عليه وهذا من غريب ما يسمع فلما ملك نصيبين سار عنها الى سنجار فامتنع من بها عليه ثم صالحوه وسلموا البلد اليه وسير منها الشحن الى الخابور فملكه جميعه ثم سار الى حران وهى للمسلمين وكانت الرها وسروج والبيرة وتلك النواحى جميعها للفرنج وأهل حران معهم فى ضر عظيم وضيق شديد لخلو البلاد من حام يذب عنها وسلطان يمنعها فلما قارب حران خرج أهل البلد وأطاعوه وسلموا اليه فلما ملكها أرسل الى جوسلين صاحب الرها وتلك البلاد وراسله وهادنه مدة يسيرة وكان غرضه أن يتفرغ لاصلاح البلاد وجند الاجناد وكان أهم الامور اليه ان يعبر الفرات الى الشام ويملك مدينة حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقر الصلح بينهم وأمن الناس ونحن نذكر ملك حلب ان شاء الله تعالى

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة قتل معين الملك ابو نصر احمد بن الفضل وزير السلطان سنجر قتلته الباطنية وكان له فى قتالهم آثار حسنة ونية صالحة فرزقه الله الشهادة وفيها ولى السلطان شحنكية بغداد مجاهد الدين بهروز لما سار اتابك زنكى الى الموصل وفيها رتب الحسن بن سلمان فى تدريس النظامية ببغداد وفيها اوقع السلطان سنجر بالباطنية فى ألموت فقتل منهم خلقا كثيرا قيل كانوا يزيدون على عشرة آلاف نفس وتوفى هذه السنة على بن المبرك ابو الحسن المقرى المعروف بابن الفاعوس الحنبلى ببغداد فى شوال وكان صالحا وفى شوال توفى محمد بن عبد الملك بن ابراهيم بن احمد ابو الحسن بن ابى الفضل الهمذانى الفرضى صاحب التاريخ

(ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر ملك اتابك عماد الدين زنكى مدينة حلب)*

فى هذه السنة اول المحرم ملك عماد الدين زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وقلعتها ونحن نذكر كيف كان سبب ملكها فنقول قد ذكرنا ملك البرسقى لمدينة حلب وقلعتها سنة ثمان عشرة واستخلافه بها ابنه مسعودا ولما قتل البرسقى سار مسعود عنها الى الموصل وملكها واستناب بحلب اميرا اسمه قومان ثم انه ولى عليها اميرا اسمه قتلغ ابه وسيره بتوقيع الى قومان بتسليمها فقال بينى وبين عز الدين علامة لم ارها ولا اسلم الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود بن البرسقى حسن التصوير فعاد قتلغ ابه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا وعرف الناس موته فسلم الرئيس فضائل بن بديع البلد واطاعه المقدمون به واستنزلوا قومان من القلعة بعد ان صح عنده وفاة صاحبه مسعود واعطوه الف دينار وتسلم قتلغ القلعة فى الرابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة احدى وعشرين فظهر منه بعد ايام جور شديد وظلم عظيم ومد يده الى اموال الناس لاسيما التركات فانه اخذها وتقرب اليه الاشرار فنفرت قلوب الناس منه وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذى كان قديما صاحبها فاطاعه اهلها وقاموا ليلة الثلاثاء ثانى شوال فقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ ابه وكان اكثرهم يشربون فى البلد صبحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ ابه فيها بمن معه فحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم ينصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى المدينة فصونع بمال

ذا هلين عن مصرع الغرور*
واثقين بمطلع النجح والظفر*
وعى يكتنزون رجاله القتالة*
وأشباله الاتراك* فى سائر
من أطلقهم رايته من قواد
الامراء ابى الحرث وأنصاره*
والمعتقدين بذمة شعاره*

فعاد عنها ثم وصل بعده صاحب انطاكية في جمع من الفرنج فخندق المسلمون حول القلعة فمنع الداخل والخارج اليها من ظاهر البلد واشرف الناس على الخطر العظيم الى منتصف ذي الحجة من السنة وكان عماد الدين قد ملك الموصل والجزيرة فسير الى حلب الامير سنقر دراز والامير حسن قراقوش وهما من اكابر امراء البرسقي وقد صارا معه في عسكر قوي ومعهما التوقيع من السلطان بالموصل والجزيرة والشام فاستقر الامر أن يسير بدر الدولة بن عبد الجبار وقتلغ ابه الى الموصل الى عماد الدين فسارا اليه واقام حسن قراقوش بحلب واليا عليها ولاية مستعارة فلما وصل بدر الدولة وقتلغ ابه الى عماد الدين اصلح بينهما ولم يرد واحدا منهما الى حلب وسير حاجبه صلاح الدين محمد الباغيسياني اليها في عسكر فصعد الى القلعة ورتب الامور وجعل فيها واليا وسار عماد الدين زنكي الى الشام في جيوشه وعساكره فملك في طريقه مدينة منبج وبزاعة وخرج اهل حلب اليه فالتقوه واستبشروا بقدومه ودخل البلد واستولى عليه ورتب اموره واقطع اعماله الاجناد والامراء فلما فرغ من الذي اراده قبض على قتلغ ابه وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره بحلب فمات قتلغ ابه واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعبر واستجار بصاحبها فاجاره وجعل عماد الدين في رياسة حلب ابا الحسن على ابن عبد الرزاق ولولا ان الله تعالى من على المسلمين بملك اتابك بلاد الشام لملكها الفرنج لانهم كانوا يحصرون بعض البلاد الشامية واذا علم ظهير الدين طغتكين بذلك جمع عساكره وقصد بلادهم وحصرها واغار عليها فيضطر الفرنج الى الرحيل لدفعه عن بلادهم فقدر الله تعالى أنه توفي هذه السنة فخلا لهم الشام من جميع جهاته من رجل يقوم بنصرة اهله فلطف الله بالمسلمين بولاية عماد الدين ففعل بالفرنج ما نذكره ان شاء الله تعالى

## (ذكر قدوم السلطان سنجر الى الري)

في هذه السنة خرج السلطان سنجر من خراسان الى الري في جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبيس بن صدقة لما وصل اليه هو والملك طغرل على ما ذكرناه لم يزل يطمعه في العراق ويسهل عليه قصده ويلقي في نفسه أن المسترشد بالله والسلطان محمود متفقان على الامتناع منه ولم يزل به حتى اجابه الى المسير الى العراق فلما سار ووصل الى الري وكان السلطان محمود بهمذان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبيس فلما جاءه الرسول بادر الى المسير الى عمه فلما وصل اليه امر العسكر جميعه بلقائه واجلسه معه على التخت وبالغ في أكرامه واقام عنده الى منتصف ذي الحجة ثم عاد السلطان سنجر الى خراسان وسلم دبيسا الى السلطان محمود ووصاه باكرامه واعادته الى بلده ورجع محمود الى همذان ودبيس معه ثم سارا الى العراق فلما قاربا بغداد خرج الوزير الى لقائه وكان قدومه تاسع المحرم سنة ثلاث وعشرين وكان الوزير ابو القاسم الانساباذي قد قبض السلطان محمود عليه فلما اجتمع بالسلطان سنجر امر باطلاقه فاطلقه وقرره سنجر في وزارة ابنته التي زوجها السلطان محمود فلما وصل معه الى بغداد أعاده محمود الى وزارته في الرابع والعشرين من المحرم وهي وزارته الثانية

## (ذكر عدة حوادث)

في هذه السنة ثامن صفر توفي اتابك طغتكين صاحب دمشق وهو غلام الملك تتش بن الب

فالتقوا قبالة قرية تدعى بنجبة بظاهر نيسابور واجتلى ابو القاسم منهم نجوما ورجوما * ولاقت بكارته المقاق قروما * واشتبكت الحرب بينهم فيها بالمناصل * وضربا بالمعاول ووخزا بأطراف العوامل * واشتعل أصحاب أبي القاسم فيهم كالنار

أرسلان وكان عاقلا خيرا كثير الغزوات والجهاد للفرنج حسن السيرة في رعيته مؤثرا للعدل فيهم وكان لقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الملوك بوري وهو أكبر أولاده بوصية من والده بالملك واقر وزير أبيه أبا علي طاهر بن سعد المزدقاني على وزارته وفيها مستهل رجب توفي الوزير جلال الدين أبو علي بن صدقة وزير الخليفة وكان حسن السيرة جميل الطريقة متواضعا محبا لاهل العلم مكرما لهم وله شعر حسن فمنه في مدح المسترشد بالله

وجدت الورى كالماء طعما ورقة * وان أمير المؤمنين زلاله

وصورت معنى العقل شخصا مصورا * وان أمير المؤمنين مثاله

ولولا طريق الدين والشرع والتقى * لقلت من الاعظام جل جلاله

واقيم في النيابة بعده شرف الدين علي بن طراد الزينبي ثم جعل وزيرا وخلع عليه آخر شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وعشرين ولم يوزر للخلفاء من بني العباس هاشمي غيره وفيها هبت ريح شديدة اسودّ لها الآفاق وجاءت بتراب احمر يشبه الرمل وظهر في السماء اعمدة كأنها نار فخاف الناس وعدلوا الى الدعاء والاستغفار فانكشف عنهم ما يخافونه

(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة)

*(ذكر قدوم السلطان محمود الى بغداد)*

في هذه السنة في المحرم قدم السلطان محمود بغداد بعد عوده من عند عمه السلطان سنجر ومعه دبيس بن صدقة ليصلح حاله مع الخليفة المسترشد بالله فتأخر دبيس عن السلطان ثم دخل بغداد ونزل بدار السلطان واسترضى عنه الخليفة فامتنع الخليفة من الاجابة الى ان تولى دبيس شيئا من البلاد وبذل مائة ألف دينار لذلك وعلم اتابك زنكي أن السلطان يريد أن يولي دبيس الموصل فبذل مائة ألف دينار وحضر بنفسه الى خدمة السلطان فلم يشعر السلطان به الا وهو عند الستر وحمل معه الهدايا الجليلة فاقام عند السلطان ثلاثة أيام وخلع عليه وأعاده الى الموصل وخرج السلطان يتصيد فعمل له الشيخ المزرفة دعوة عظيمة امتار منها جميع عسكر السلطان وأدخله الى حمام في داره وجعل فيها عوض الماء ماء الورد فاقام السلطان الى رابع جمادى الآخرة وسار عنها الى همذان وجعل بهروز على شحنكية بغداد وسلمت اليه الحلة أيضا

*(ذكر ما فعله دبيس بالعراق وعود السلطان الى بغداد)*

لما رحل السلطان الى همذان ماتت زوجته وهي ابنة السلطان سنجر وهي التي كانت تعنى بامر دبيس وتدافع عنه فلما ماتت انحل امر دبيس ثم ان السلطان مرض مرضا شديدا فاخذ دبيس ابنا له صغيرا وقصد العراق فلما سمع المسترشد بالله بذلك جند الاجناد وحشد وكان بهروز بالحلة فهرب منها فدخلها دبيس في شهر رمضان فلما سمع السلطان الخبر عن دبيس أحضر الاميرين قزل والاحمديلي وقال انتما ضمنتما دبيسا مني واريده منكما فسار الاحمديلي الى العراق الى دبيس ليكف شره عن البلاد ويحضره الى السلطان فلما سمع دبيس الخبر ارسل الى الخليفة يستعطفه ويقول ان رضيت عني فانا أرد أضعاف ما اخذت وأكون العبد المملوك فتردد الرسل ودبيس يجمع الاموال والرجال فاجتمع معه عشرة آلاف فارس وكان قد وصل في ثلثمائة فارس ووصل الاحمديلي بغداد في شوال وسار في أثر دبيس ثم ان السلطان سار الى

في دقاق العوسج * أو يبيس العرفج * ضربا هبرا * وطعنا نترا * ورميا سعرا * وطرحوا ميمنتهم على ميسرتهم طردا ودحرا * وقهرا وقسرا * حتى اذا ظنوا ان قوادم الهزيمه * قد أفرخت لهم * من خوافي الغنيمه * صك

العراق فلما سمع دبيس بذلك أرسل اليه هدايا جليلة المقدار وبذل ثلثمائة حصان منعلة بالذهب
ومائتي الف دينار ليرضى عنه السلطان والخليفة فلم يجبه الى ذلك ووصل السلطان الى بغداد
في ذي القعدة فلقيه الوزير الزينبي وأرباب المناصب فلما تيقن دبيس وصوله رحل الى البرية
وقصد البصرة وأخذ منها أموالا كثيرة وما للخليفة والسلطان هناك من الدخل فسير السلطان
اثره عشرة آلاف فارس ففارق البصرة ودخل البرية

## (ذكر قتل الاسماعيلية بدمشق)

قد ذكرنا فيما تقدم قتل ابراهيم الاسداباذي ببغداد وهرب ابن اخته بهرام الى الشام وملكه
قلعة بانياس ومسيره اليها ولما فارق دمشق اقام لهم خليفة يدعو الناس الى مذهبه فكثروا
وانتشروا وملك هو عدة حصون من الجبال منها القدموس وغيره وكان بوادي التيم من
اعمال بعلبك اصناف مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم واميرهم اسمه
الضحاك فسار اليهم بهرام سنة اثنتين وعشرين وحصرهم وقاتلهم فخرج اليه الضحاك في
الف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كثيرة وقتل بهرام وانهزم
من سلم وعادوا الى بانياس على اقبح صورة وكان بهرام قد استخلف في بانياس رجلا من اعيان
اصحابه اسمه اسمعيل فقام مقامه وجمع شمل من عاد اليه منهم وبث دعاته في البلاد وعاضده
المزدقاني أيضا وقوى نفسه على ما عنده من الاستهزاء بهذه الحادثة والهم بسببها ان
المزدقاني اقام بدمشق عوض بهرام انسانا اسمه ابو الوفا فقوي امره وعلا شأنه وكثر اتباعه
وقام بدمشق فصار المستولي على من بها من المسلمين وحكمه اكثر من حكم صاحبها تاج الملوك
ثم ان المزدقاني راسل الفرنج ليسلم اليهم مدينة دمشق ويسلموا اليه مدينة صور واستقر الامر
بينهم على ذلك وتقرر بينهم الميعاد يوم جمعة ذكروه وقرر المزدقاني مع الاسماعيلية ان يحتاطوا
ذلك اليوم بأبواب الجامع فلا يمكنون احدا يخرج منه ليجيء الفرنج ويملكوا البلاد فبلغ
الخبر تاج الملوك صاحب دمشق فاستدعى المزدقاني اليه فحضر وخلا معه فقتله تاج الملوك
وعلق رأسه على باب القلعة ونادى في البلد بقتل الباطنية فقتل منهم ستة آلاف نفس وكان
ذلك منتصف رمضان من السنة وكفى الله المسلمين شرهم ورده على الكافرين كيدهم ولما بلغت
هذه الحادثة بدمشق على الاسماعيلية خاف اسمعيل والي بانياس ان يثور به وبمن معه الناس
فيهلكوا فراسل الفرنج وبذل لهم تسليم بانياس اليهم والانتقال الى بلادهم فأجابوه فسلم القلعة
اليهم وانتقل هو ومن معه من أصحابه الى بلادهم ولقوا شدة وذلة وهوانا وتوفي اسمعيل أوائل
سنة أربع وعشرين وكفى الله المؤمنين شرهم

## (ذكر حصر الفرنج دمشق وانهزامهم)

لما بلغ الفرنج قتل المزدقاني والاسماعيلية بدمشق عظم عليهم ذلك وتأسفوا على دمشق حيث
لم يتم لهم ملكها وعمتهم المصيبة فاجتمعوا كلهم صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب
طرابلس وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم ومن وصل اليهم في البحر للتجارة والزيارة فاجتمعوا في
خلق عظيم نحو الفي فارس واما الراجل فلا يحصى وساروا الى دمشق ليحصروها ولما سمع تاج
الملوك بذلك جمع العرب والتركمان فاجتمع معهم ثمانية آلاف فارس ووصل الفرنج في ذي الحجة

بكتمور زوين قلب ابي القاسم بجملة ازالهم عن المقام وأعلنهم للانهزام فانساعوا مخذولين مفلولين يقودهم الخجل ويسوقهم الخوف والوجل وقبض في منهزمهم على ابي القاسم الفقيه احمد

فنازلوا البلد وارسلوا الى اعمال دمشق لجمع الميرة والاغارة على البلاد فلما سمع تاج الملوك ان جمعا كثيرا قد ساروا الى حوران لنهبه واحضار الميرة سير أميرا من امرائه يعرف بشمس الخواص في جمع من المسلمين اليهم وكان خروجهم في ليلة شاتية كثيرة المطر ولقوا الفرنج من الغد فواقعوهم واقتتلوا وصبر بعضهم لبعض فظفر بهم المسلمون وقتلوهم فلم يفلت منهم غير مقدمهم ومعه أربعون رجلا واخذوا ما معهم وهي عشرة آلاف دابة موقرة وثلثمائة اسير وعادوا الى دمشق لم يمسهم قرح فلما علم من عليها من الفرنج ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب فرحلوا عنها شبه المنهزمين واحرقوا ما تعذر عليهم حمله من سلاح وميرة وغير ذلك وتبعهم المسلمون والمطر شديد والبرد عظيم يقتلون كل من تخلف منهم فكثر القتلى منهم وكان نزولهم ورحيلهم في ذي الحجة من هذه السنة

*(ذكر ملك عماد الدين زنكي مدينة حماة)*

في هذه السنة ملك عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل مدينة حماة وسبب ذلك انه عبر الفرات الى الشام واظهر انه يريد جهاد الفرنج وارسل الى تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق يستنجده ويطلب منه المعونة على جهادهم فاجاب الى المراد وارسل من أخذ له العهود والمواثيق فلما وصلت التوثقة جرد عسكرا من دمشق مع جماعة من الامراء وارسل الى ابنه سونج وهو بمدينة حماة يأمره بالنزول الى العسكر والمسير معهم الى زنكي ففعل ذلك فساروا جميعهم فوصلوا اليه فاكرمهم واحسن لقاءهم وتركهم اياما ثم انه غدر بهم فقبض على سونج ولد تاج الملوك وعلى جماعة الامراء المقدمين ونهب خيامهم وما فيها من الكراع واعتقلهم بحلب وهرب من سواهم وسار من يومه الى حماة فوصل اليها وهي خالية من الجند الحماة الذابين فملكها واستولى عليها ورحل عنها الى حمص وكان صاحبها قرجان بن قراجة معه في عسكره وهو الذي أشار عليه بالغدر بولد تاج الملوك فقبض عليه ونزل على حمص وحصرها وطلب من قرجان صاحبها ان يأمر نوابه وولده الذين فيها بتسليمها فأرسل اليهم بالتسليم فلم يقبلوا منه ولا التفتوا الى قوله فأقام عليها محاصرا لها ومقاتلا لمن فيها مدة طويلة فلم يقدر على ملكها فرحل عنها عائدا الى الموصل واستصحب معه سونج بن تاج الملوك ومن معه من الامراء الدمشقيين وترددت الرسل في اطلاقهم بينه وبين تاج الملوك واستقر الامر على خمسين ألف دينار فاجاب تاج الملوك الى ذلك ولم ينتظم بينهم أمر

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة ملك بيمند صاحب انطاكية حصن القدموس من المسلمين وفي هذه السنة أيضا وثب الاسماعيلية على عبد اللطيف بن الخجندي رئيس الشافعية باصبهان فقتلوه وكان ذا رياسة عظيمة وتحكم كثير وفي هذه السنة توفي الامام أبو الفتح اسعد بن أبي نصر الميهني الفقيه الشافعي مدرس النظامية ببغداد وله طريقة مشهورة في الخلاف وتفقه على أبي المظفر السمعاني وكان له قبول عظيم عند الخليفة والسلطان وسائر الناس وفيها توفي حمزة بن هبة الله بن محمد بن الحسن الشريف العلوي الحسني النيسابوري سمع الحديث الكثير ورواه ومولده سنة تسع وعشرين وأربعمائة وجمع مع شرف النسب شرف النفس والتقوى وكان زيدي المذهب

اركان ابي علي في ايامه * بشهور رأيه ودهائه * ومذكور عنائه ومضائه * وعلى عدة من قواده ووجوه سواده * وفرابو القاسم في نفر اذ عسكره هائما على وجهه حتى امتد به الوجيف اليه

## (ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

### (ذكر ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند من محمد خان وملك محمود بن محمد خان المذكور)

في هذه السنة في ربيع الاول ملك السلطان سنجر مدينة سمرقند وسبب ذلك انه كان قد رتب فيها لما ملكها ارسلان خان محمد بن سليمان بن بغراخان داود فاصابه فالج فاستناب ابنا له يعرف بنصرخان وكان شهما شجاعا وكان بسمرقند انسان علوي فقيه مدرس اليه الحل والعقد والحكم في البلد فاتفق هو ورئيس البلد على قتل نصرخان فقتلاه ليلا وكان أبوه محمد خان غائبا فعظم عليه واشتد وكان له ابن آخر غائب في بلاد تركستان فأرسل اليه واستدعاه فلما قارب سمرقند خرج العلوي ورئيس البلد الى استقباله فقتل العلوي في الحال وقبض على الرئيس وكان والده أرسلان خان قد ارسل الى السلطان سنجر يستدعيه ظنا منه ان ابنه لا يتم أمره مع العلوي والرئيس فتجهز سنجر وسار يريد سمرقند فلما ظفر ابن أرسلان خان بهما ندم على استدعاء السلطان سنجر فارسل اليه يعرفه انه قد ظفر بالعلوي والرئيس وانه وابنه على الطاعة ويسأله العود الى خراسان فغضب سنجر من ذلك وأقام أياما فبينما هو في الصيد اذ رأى اثني عشر رجلا في السلاح التام فقبض عليهم وعاقبهم فاقروا ان محمد خان أرسلهم ليقتلوه فقتلهم ثم سار الى سمرقند فملكها عنوة ونهب بعضها ومنع من الباقي وتحصن منه محمد خان ببعض تلك الحصون فاستنزله السلطان سنجر بامان بعد مدة فلما نزل اليه أكرمه وأرسله الى ابنته زوجة السلطان سنجر فبقي عندها الى ان توفي وأقام سنجر بسمرقند مدة حتى أخذ المال والسلاح والخزائن وسلم البلد الى الامير حسن تكين وعاد الى خراسان فلم يلبث حسن تكين ان مات فملك سنجر بعده عليها محمود بن محمد خان بن سليمان بن داود المقدم ذكره وقيل ان السبب غير ما ذكرناه وسيرد ذكره سنة ست وثلاثين لحاجة الى ذكره هنالك

### (ذكر فتح عماد الدين زنكي حصن الاثارب وهزيمة الفرنج)

لما فرغ عماد الدين زنكي من أمر البلاد الشامية حلب واعمالها وما ملكه وقرر قواعده عاد الى الموصل وديار الجزيرة ليستريح عسكره ثم أمرهم بالتجهز للغزاة فتجهزوا واعدوا واستعدوا وعاد الى الشام وقصد حلب فقوي عزمه على قصد حصن الاثارب ومحاصرته لشدة ضرره على المسلمين وهذا الحصن بينه وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ بينها وبين انطاكية وكان من به من الفرنج يقاسمون حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحا لاهل حلب بظاهر باب الجنان بينها وبين البلد عرض الطريق وكان أهل البلد معهم في ضر شديد وضيق كل يوم قد اغاروا عليهم ونهبوا اموالهم فلما رأى الشهيد هذه الحال صمم العزم على حصر هذا الحصن فسار اليه ونازله فلما علم الفرنج بذلك جمعوا فارسهم وراجلهم وعلموا ان هذه وقعة لها ما بعدها فحشدوا وجمعوا ولم يتركوا من طاقتهم شيأ الا واستنفدوه فلما فرغوا من أمرهم ساروا نحوه فاستشار اصحابه فيما يفعل وكل اشار بالعود عن الحصن فان لقاء الفرنج في بلادهم خطر لا يدرى على أي شئ تكون العاقبة فقال لهم ان الفرنج متى رأونا قد عدنا من أيديهم طمعوا وساروا في أثرنا وخربوا بلادنا ولا بد من لقائهم على كل حال ثم ترك الحصن وتقدم اليهم فالتقوا

قهستان وذلك يوم الجمعة لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وكتب يكتوزون الى بخارا بذكر الفتح وما يسر الله عليه من عسكر المبيض فسر الجيهاني وولي الصدور

واصطفوا للقتال وصبر كل فريق لخصمه واشتد الامر بينهم ثم ان الله تعالى انزل نصره على المسلمين فظفروا وانهزم الفرنج اقبح هزيمة ووقع كثير من فرسانهم في الاسر وقتل منهم خلق كثير وتقدم عماد الدين الى عسكره بالاثخان وقال هذا اول مصاف عملناه معهم فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم ففعلوا ما أمرهم ولقد اجتزت بتلك الارض سنة اربع وثمانين وخمسمائة ليلا فقيل لي ان كثيرا من العظام باق الى ذلك الوقت فلما فرغ المسلمون من ظفرهم عادوا الى الحصن فتسلموه عنوة وقتلوا وأسروا كل من فيه وأخربه عماد الدين وجعله دكا وبقي الى الآن خرابا ثم سار منه الى قلعة حارم وهي بالقرب من انطاكية فحصرها وهي أيضا للفرنج فبذل له أهلها نصف دخل بلد حارم وهادنوه فاجابهم الى ذلك وعاد عنهم وقد استدار المسلمون بتلك الاعمال وضعفت قوى الكافرين وعلموا ان البلاد قد جاءها ما لم يكن لهم في حساب وصار قصاراهم حفظ ما بايديهم بعد ان كانوا قد طمعوا في ملك الجميع

*(ذكر ملك عماد الدين زنكي أيضا مدينة سرجي ودارا)*

لما فرغ من أمر الاتابك وتلك النواحي عاد الى ديار الجزيرة وكان قد بلغه عن حسام الدين تمرتاش بن ايلغازي صاحب ماردين وابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب حصن كيفا قوارص فعاد اليهم وحصر مدينة سرجي وهي بين ماردين ونصيبين فاجتمع حسام الدين وركن الدولة وصاحب آمد وغيرهم وجمعوا خلقا كثيرا من التركمان بلغت عدتهم عشرين ألفا وساروا اليه فتصافوا بتلك النواحي فهزمهم عماد الدين وملك سرجي فحكى لي والدي قال لما انهزم ركن الدولة داود قصد بلد جزيرة ابن عمر ونهبه فبلغ الخبر عماد الدين فسار نحو الجزيرة وأراد دخول بلد داود ثم عاد عنه لضيق مسالكه وخشونة الجبال التي في الطريق وسار الى دارا فملكها وهي من القلاع في تلك الاعمال

*(ذكر وفاة الآمر وخلافة الحافظ العلوي)*

في هذه السنة ثاني ذي القعدة قتل الآمر باحكام الله أبو علي بن المستعلي العلوي صاحب مصر خرج الى متنزه له فلما عاد وثب عليه الباطنية فقتلوه لانه كان سيء السيرة في رعيته وكانت ولايته تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعمره أربعا وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيد الله الذي ظهر بسجلماسة وبنى المهدية بافريقية وهو أيضا العاشر من الخلفاء العلويين من أولاد المهدي أيضا ولما قتل لم يكن له ولد بعده فولي بعده ابن عمه الميمون عبد المجيد ابن الامير أبي القاسم بن المستنصر بالله ولم يبايع بالخلافة وانما بويع له لينظر في الامر نيابة حتى يكشف عن حمل أن كان للآمر فتكون الخلافة فيه ويكون هو نائبا عنه ومولد الحافظ بعسقلان لان اباه خرج من مصر اليها في الشدة فاقام بها فولد ابنه عبد المجيد هناك ولما ولي استوزر أبا علي أحمد بن الافضل بن بدر الجمالي واستبد بالامر وتغلب على الحافظ وحجر عليه واودعه في خزانة ولا يدخل اليه الا من يريده أبو علي وبقي الحافظ له اسم لا معنى تحته ونقل أبو علي كل ما في القصر الى داره من الاموال وغيرها ولم يزل الامر كذلك الى ان قتل أبو علي سنة ست وعشرين فاستقامت أمور الحافظ وحكم في دولته وتمكن من ولايته وبلاده

*(ذكر عدة حوادث)*

ما خلا فالقافلة فانه اغتنم واهتم * وكاد أن يعقد المآتم * وسار أبو القاسم بعد ارتياشه * وانتعاشه * الى بوشنج متصكا في اعمالها وأموالها * ونواحيه يكتنزون لانتزاعها من يده وتوسط السفراء بينهم

في هذه السنة توفيت الخاتون ابنة السلطان سنجر وهي زوجة السلطان محمود وفيها قتل بيند
القرمجي صاحب القلاكية وفيها توفي نصير الدين محمود بن مؤيد الملك بن نظام الملك في شعبان
ببغداد ووقع الحريق في داره بعد وفاته وفي حظائر الحطب والسوق التتشي فذهب من الناس
أموال كثيرة وفيها وزر الرئيس أبو الفوارس المفرج بن الحسن بن الصوفي لصاحب دمشق تاج
الملوك وفيها كان الرصد بالدار السلطانية شرقي بغداد وتولاه البديع الاصطرلابي ولم يتم وفيها
ظهر ببغداد عقارب طيارة ذوات شوكتين فنال الناس منها خوف شديد واذى عظيم وفيها في
ذي الحجة خرج الملك مسعود بن محمد من خراسان وكان عند عمه السلطان سنجر ووصل الى ساوة
ووقع الارجاف ان عزمه على مخالفة اخيه السلطان محمود فقوي وان عمه سنجر امره بذلك
فاستشعر السلطان محمود وسار عن بغداد الى همذان فلما وصل الى كرمانشاهان وصل اليه
اخوه الملك مسعود ورشده ولم يظهر للارجاف أثر فاقطعه السلطان مدينة كنجة واعمالها وسيره
اليها وفيها كانت زلزلة عظيمة في ربيع الاول بالعراق وبلد الجبل والموصل والجزيرة فخربت
كثيرا وفيها ملك السلطان محمود قلعة الموت وفيها توفي ابراهيم بن عثمان بن محمد ابو اسحق
الغزي من أهل غزة مدينة بفلسطين من الشام ومولده سنة احدى واربعين واربعمائة وهو من
الشعراء المجيدين فمن قوله من قصيدة يصف فيها الاتراك

في فتية من جيوش الترك ما تركت ٭ للرعد كراتهم صوتا ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة ٭ حسنا وان قوتلوا كانوا عفاريتا

وله في الزهد

انما هذه الحياة متاع ٭ والسفيه الغوي من يصطفيها
ما مضى فات والمؤمل غيب ٭ ولك الساعة التي انت فيها

وفيها توفي الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن احمد بن محمد الدباس ابو عبد الله البغدادي الشاعر
المعروف بالبارع اخو ابي الكرم بن فاخر النحوي لامه ولد سنة ثلاث واربعين واربعمائة وله
شعر مليح فمنه قوله

ردي على الكرى ثم اهجري سكني ٭ فقد قنعت بطيف منك في الوسن
لا تحسبي النوم قد اوحشت اطلبه ٭ الا رجاء خيال منك يؤنسني
تركتني والهوى فردا اغالبه ٭ ونام ليلك عن هم يؤرقني

وهي طويلة وفيها توفي هبة الله بن القاسم بن محمد بن عطاء بن محمد ابو سعد المهراني النيسابوري
ومولده سنة احدى وثلاثين واربعمائة وكان محدثا حافظا صالحا

(ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة)

٭(ذكر اسر دبيس بن صدقة وتسليمه الى عماد الدين زنكي)٭

في هذه السنة في شعبان اسر تاج الملوك بوري بن طغتكين صاحب دمشق الامير دبيس بن
صدقة صاحب الحلة وحمله الى اتابك الشهيد زنكي بن آقسنقر وسبب ذلك انه لما فارق البصرة
على ما ذكرناه جاء قاصدا الى الشام من صرخد يستدعيه اليها لان صاحبها كان خصيا فتوفي
هذه السنة وخلف جارية سرية له فاستولت على القلعة وما فيها وعلمت انها لا يتم لها ذلك الا ان

على وصلة انعقدت بينهما
ورهنه أبو القاسم ابنه
المعروف بابي سهل فارتفع
من بينهما الخلاف وحصل
الاتفاق والائتلاف وعاد
أبو القاسم الى قهستان وكر
بكتوزون الى نيسابور في

تتصل برجل له قوة ونجدة فوصف لها دبيس بن صدقة وكثرة عشيرته وذكر لها حاله وماهو عليه بالعراق فارسلت تدعوه الى صرخد لتتزوج به وتسلم القلعة ومافيها من مال وغيره اليه فاخذ الادلاء معه وسار من ارض العراق الى الشام فضل به الادلاء بنواحي دمشق فنزل بناس من كلب كانوا شرقي الغوطة فاخذوه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق فحبسه عنده وسمع اتابك عماد الدين زنكي الخبر وكان دبيس يقع فيه وينال منه فارسل الى تاج الملوك يطلب منه دبيسا ليسلمه اليه ويطلق ولده ومن معه من الامراء المأسورين وان امتنع من تسليمه سار الى دمشق وحصرها وخربها ونهب بلدها فأجاب تاج الملوك الى ذلك وأرسل أتابك سونج بن تاج الملوك والامراء الذين معه وأرسل تاج الملوك دبيسا فايقن دبيس بالهلاك ففعل زنكي معه خلاف ماظن واحسن اليه وحمل له الاقوات والسلاح والدواب وسائر امتعة الخزائن وقدمه حتى على نفسه وفعل معه مايفعل مع أكابر الملوك ولما سمع المسترشد بالله بقبضه بدمشق أرسل سديد الدولة بن الانبارى وأبابكر بن بشر الجزرى من جزيرة ابن عمر الى تاج الملوك يطلب منه ان يسلم دبيسا اليه لما كان منه مقابه من عداوة الخليفة فسمع سديد الدولة بن الانبارى بتسليمه الى عماد الدين وهو فى الطريق فسار الى دمشق ولم يرجع وذم اتابك زنكي بدمشق واستخف به وبلغ الخبر عماد الدين فارسل الى طريقه من يأخذه اذا عاد فلما رجع من دمشق قبضوا عليه وعلى ابن بشر وحملوهما اليه فاما ابن بشر فاهانه وجرى فى حقه مكروه واما ابن الانبارى فسجنه ثم ان المسترشد بالله شفع فيه فاطلق ولم يزل دبيس مع زنكي حتى انحدر معه الى العراق على مانذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود)*

فى هذه السنة فى شوال توفى السلطان محمود ابن السلطان محمد بهمذان وكان قبل مرضه قد خاف وزيره ابو القاسم الانساباذى من جماعة من الامراء واعيان الدولة منهم عزيز الدين ابو نصر احمد بن حامد المستوفى والامير أنوشتكين المعروف بشيركير وولده عمر وهو امير حاجب السلطان وغيرهم فاما عزيز الدين فارسله مقبوضا عليه الى مجاهد الدين بهروز بتكريت ثم قتل بها واما شيركير وولده فقتلا فى جمادى الآخرة ثم ان السلطان مرض وتوفى فى شوال واقعد ولده الملك داود فى السلطنة باتفاق من الوزير ابى القاسم واتابكه آقسنقر الاحمديلى وخطب له فى جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمذان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت فلما أطمأن الناس وسكنوا سار الوزير بأمواله الى الرى فأمن فيها حيث هى للسلطان سنجر وكان عمر السلطان محمود لما توفى نحو سبع وعشرين سنة وكانت ولايته للسلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما وكان حليما كريما عاقلا يسمع مايكره ولايعاقب عليه مع القدرة قليل الطمع فى أموال الرعايا عفيفا عنها كافا لاصحابه عن التطرق الى شئ منها

*(ذكر عدة حوادث)*

فى هذه السنة ثار الباطنية بتاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق فجرحوه جرحين فبرأ أحدهما وتنمر الآخر وبقى فيه ألمه الا انه يجلس للناس ويركب معهم على ضعف فيه . وفيها توفى الامير ابو الحسن بن المستظهر بالله اخو المسترشد بالله فى رجب وفيها فى شوال توفى الحسن

رجب هذه السنة وخرت بين قاتق وابى المظفر محمد بن ابراهيم البرغشى ملاحاة فى تدبير الاعمال والاموال فأرصد لها بالسوء وقصده بالمكروه * من اكثر الوجوه * فلاذ بأبى الحرث

ابن سلمان بن عبد الله ابو على الفقيه الشافعى الواعظ مدرس النظامية ببغداذ واصله من
الزوزان والخطيب ابو نصر احمد بن عبد القاهر المعروف بابن الطوسى خطيب الموصل توفى فى
ربيع الاول وحماد بن مسلم الدباس الرحبى الزاهد المشهور صاحب الكرامات وسمع الحديث
وله اصحاب وتلامذة كثيرون سار واوراًيت الشيخ ابا الفرج بن الجوزى يذمه ويثلبه ولهذا
الشيخ اسوة بغيره من الصالحين فان ابن الجوزى قد صنف كتابا اسماه تلبيس ابليس لم يبق فيه على
احد من سادة المسلمين وصالحيهم وهبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيبانى الكاتب
ومولده سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة سمع ابا على بن المذهب وابا طالب بن غيلان وغيرهما وهو
راوى مسند احمد بن حنبل والغيلانيات وغيرها ومحمد بن الحسن بن على بن الحسن ابو غالب
الماوردى ولد سنة خمسين واربعمائة بالبصرة وسمع الحديث الكثير وروى سنن ابى داود
السجستانى وكان صالحا

(ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة)

●(ذكر قتل ابى على وزير الحافظ ووزارة يانس وموته)●

فى هذه السنة فى المحرم قتل الافضل ابو على بن الافضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ لدين الله
العلوى صاحب مصر وسبب قتله انه كان قد حجر على الحافظ ومنعه ان يحكم فى شئ من الامور
قليل أو جليل واخذ ما فى قصر الخلافة الى داره واسقط من الدعاء ذكر اسمعيل الذى هو جدهم
واليه تنسب الاسماعيلية وهو ابن جعفر بن محمد الصادق واسقط من الاذان حى على خير العمل ولم
يخطب للحافظ وأمر الخطباء ان يخطبوا له بالقاب كتبها لهم وهى السيد الافضل الاجل سيد
ممالك أرباب الدول والحامى عن حوزة الدين وناشر جناح العدل على المسلمين الاقربين
والابعدين ناصر امام الحق فى حالتى غيبته وحضوره والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب
رأيه وتدبيره أمين الله على عباده وهادى القضاة الى اتباع شرع الحق واعتماده ومرشد دعاة
المؤمنين بواضح بيانه وارشاده مولى النعم ورافع الجور عن الامم ومالك فضيلتى السيف والقلم
أبو على أحمد بن السيد الاجل الافضل شاهنشاه أمير الجيوش وكان امامى المذهب يكثر ذم
الآمر والتناقص به فنفر منه شيعة العلويين ومماليكهم وكرهوه وعزموا على قتله فخرج فى
العشرين من المحرم من هذه السنة الى الميدان يلعب بالكرة مع أصحابه فكمن له جماعة منهم
مملوك افرنجى كان للحافظ فخرجوا عليه فحمل الفرنجى عليه فطعنه فقتله وحزوا رأسه وخرج
الحافظ من الخزانة التى كان فيها ونهب الناس دار أبى على وأخذ منها ما لا يحصى وركب الناس
والحافظ الى داره فاخذ ما بقى فيها وحمله الى القصر وبويع يومئذ الحافظ بالخلافة وكان قد بويع
له بولاية العهد وان يكون كافلا للحمل ان كان للآمر فلما بويع بالخلافة استوزر أبا الفتح يانس
الحافظى فى ذلك اليوم بعينه ولقب أمير الجيوش وكان عظيم الهيبة بعيد الغور كثير الشر
فخافه الحافظ على نفسه وتحيل منه يانس فاحتاط ولم يأكل عنده شيأ ولا شرب فاحتال عليه
الحافظ بأن وضع له فى فراشه فى بيت الطهارة سما وهو ما فاعتقل به فوقع الدود فى سفله وقيل له
متى قمت من مكانك هلكت فكان يعالج بان يجعل اللحم الطرى فى المحل فيعلق به الدود فيخرج
ويجعل عوضه فقارب الشفاء فقيل للحافظ انه قد صلح وان تحرك هلك فركب اليه الحافظ كأنه

من قصده واستأمنه على
نفسه فأتى داره وأدر
عليه مباره وأتاه فاتق
بماله تمكنه منه وايثاره
به يجيبه بالرد واغلظ له فى
القول فخرج من مجلسه على
خذ متنكب يحدث بالانقطاع
الى التركه

يعوده فقام له ومشى بين يديه وقعد الحافظ عنده ثم خرج من عنده فتوفي من ليلته وكان موته في السادس والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ولما مات بانس استوزر الحافظ ابنه حسنا وخطب له بولاية العهد وسيرد ذكر قتله سنة تسع وعشرين وانما ذكرت ألقاب ابي علي تعجبا منها ومن حماقة ذلك الرجل فان وزير صاحب مصر وحده اذا كان هكذا فينبغي ان يكون وزير السلاطين السلجوقية كنظام الملك وغيره يدعون الربوبية على ان تربة مصر هكذا تولد ألا ترى الى فرعون يقول انا ربكم الاعلى والى اشياء اخر لا نطيل بذكرها

## *(ذكر حال السلطان مسعود والملكين سلجوقشاه وداود واستقرار السلطنة بالعراق لمسعود)*

لما توفي السلطان محمود ابن السلطان محمد وخطب ببلاد الجبل واذربيجان لولده الملك داود على ما ذكرناه سار الملك داود من همذان في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين الى زنجان فاتاه الخبر ان عمه السلطان مسعودا قد سار من جرجان ووصل الى تبريز واستولى عليها فسار الملك داود اليه وحصره بها وجرى بينهم ما قتال الى سلخ المحرم سنة ست وعشرين ثم اصطلحا وتأخر الملك داود مرحلة وخرج السلطان مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همذان وأرسل يطلب الخطبة ببغداد وكانت رسل الملك داود وقد تقدمت في طلب الخطبة فاجاب المسترشد بالله ان الحكم في الخطبة الى السلطان سنجر من أراد خطب له وأرسل الى السلطان سنجر ان لا يأذن لاحد في الخطبة فان الخطبة ينبغي أن تكون له وحده فوقع ذلك منه موقعا حسنا ثم ان السلطان مسعودا كاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل وغيرها يستنجده ويطلب مساعدته فوعده النصر فقويت بذلك نفس مسعود على طلب السلطنة ثم ان الملك سلجوقشاه ابن السلطان محمد سار به اتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوزستان في عسكر كثير الى بغداد فوصل اليها قبل وصول السلطان مسعود ونزل في دار السلطان واكرمه الخليفة واستحلفه لنفسه ثم وصل رسول السلطان مسعود يطلب الخطبة ويتهدد ان منعها فلم يجب الى ما طلبه فسار حتى نزل عباسية الخالص وبرز عسكر الخليفة وعسكر سلجوقشاه وقراجة الساقي نحو مسعود الى ان يفرغ من حرب اتابك عماد الدين زنكي وسار يوما وليلة الى المعشوق وواقع عماد الدين زنكي فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزما الى تكريت فعبر فيها دجلة وكان الدزدار بها حينئذ نجم الدين أيوب فاقام له المعابر فلما عبر أمن الطلب وسار الى بلاده لاصلاح حاله وحال رجاله وهذا الفعل من نجم الدين أيوب كان سببا لاتصاله به والمصير في جملته حتى آل بهم الامر الى ملك مصر والشام وغيرهما على ما نذكره وأما السلطان مسعود فانه سار من العباسية الى الملكية ووقعت الطلائع بعضها على بعض ثم لم تزل المناوشة تجري بينه وبين أخيه سلجوقشاه يومين وأرسل سلجوقشاه الى قراجة يستحثه على المبادرة فعاد سريعا وعبر دجلة الى الجانب الشرقي فلما علم السلطان مسعود بانهزام عماد الدين زنكي رجع الى ورائه وأرسل الى الخليفة يعرفه وصول السلطان سنجر الى الري وانه عازم على قصد الخليفة وغيره وان رأيتم ان نتفق على قتاله ودفعه عن العراق ويكون العراق لوكيل الخليفة فانا موافق على ذلك فاعاد الخليفة الجواب يسترقفه وترددت الرسل في الصلح فاصطلحوا على ان يكون العراق

والاخلال بكفالة الملك * حتى سفر بينهما مشايخ بخارا فتنوا فاثنتا عن رأيه واستماحوا الامير أبا الحرث حسن عفوه واغضائه وسير أبو المظفر الى ناحية الجوزجان

لوكل الخليفة وتكون السلطنة لمسعود ويكون سلجوقشاه ولى عهده وضمانة واعلى ذلك وعاد
السلطان مسعود الى بغداد فنزل بدار السلطان ونزل سلجوقشاه فى دار الشحنكية وكان
اجتماعهم فى جمادى الاولى

(ذكر الحرب بين السلطان مسعود وعمه السلطان سنجر)

لما توفى السلطان محمود سار السلطان سنجر الى بلاد الجبال ومعه الملك طغرل ابن السلطان محمد
وكان عنده قد لازمه فوصل الى الرى ثم سار منها الى همذان فوصل الخبر الى الخليفة المسترشد
بالله والسلطان مسعود بوصوله الى همذان فاستقرت القاعدة بينهما على قتاله وان يكون
الخليفة معهم وتجهز الخليفة فتقدم قراجة الساقى والسلطان مسعود وسلجوقشاه نحو السلطان
سنجر وتأخر المسترشد بالله عن المسير معهم فارسل الى قراجة والزمه وقال ان الذى تخاف من
سنجر آجلا انا افعله عاجلا فبرز حينئذ وسار على تريث وتوقف الى ان بلغ الى خانقين واقام بها
وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه ووصلت الاخبار بوصول عماد الدين زنكى ودبيس بن
صدقة الى قريب بغداد فاما دبيس فانه ذكر ان السلطان سنجر اقطعه الحلة وارسل الى المسترشد
بالله يضرع ويسأل الرضا عنه فامتنع من اجابته الى ذلك واما عماد الدين زنكى فانه ذكر ان
السلطان سنجر قد اعطاه شحنكية بغداد فعاد المسترشد بالله الى بغداد وامر اهلها
بالاستعداد للمدافعة عنها وجند اجنادا جعلهم معهم ثم ان السلطان مسعودا وصل الى
دادمرج فلقيهم طلائع السلطان سنجر فى خلق كثير فتأخر السلطان مسعود الى كرمانشاهان
ونزل السلطان سنجر فى اسداباذ فى مائة الف فارس فسار مسعود واخوه سلجوقشاه الى جبلين
يقال لهما كاو وماهى فنزلا بينهما ونزل السلطان سنجر كنكور فلما سمع بانحرافهم اسرع
فى طلبهم فرجعوا الى ورائهم مسيرة اربعة ايام فى يوم وليلة فالتقى العسكران بعولان عند
الدينور وكان مسعود يدافع الحرب انتظارا لقدوم المسترشد فلما بارزه السلطان سنجر لم يجد بدا
من المصاف وجعل سنجر على ميمنته طغرل ابن اخيه محمد وقماج وأميرأميران وعلى ميسرته
خوارزمشاه اتسز بن محمد مع جمع من الامراء وجعل مسعود على ميمنته قراجة الساقى والامير
قزل وعلى ميسرته يرنقش بازدار ويوسف جاووش وغيرهما وكان قزل قد واطأ سنجر على
الانهزام ووقعت الحرب وقامت على ساق وكان يوما مشهودا فحمل قراجة الساقى على القلب
وفيه السلطان سنجر فى عشرة آلاف فارس من شجعان العسكر وبين يديه الفيلة فلما حمل قراجة
على القلب رجع الملك طغرل وخوارزمشاه الى وراء ظهره فصار قراجة فى الوسط فقاتل الى ان
جرح عدة جراحات وقتل كثير من اصحابه واخذ هو اسيرا وبه جراحات كثيرة فلما رأى السلطان
مسعود ذلك انهزم وسلم من المعركة وقتل يوسف جاووش وحسين ازبك وهما من اكابر الامراء
وكانت الوقعة ثامن رجب من هذه السنة فلما تمت الهزيمة على مسعود نزل سنجر واحضر قراجة
فلما حضر قراجة سبه وقال له يا مفسد اى شئ كنت ترجو بقتالى قال كنت ارجو ان اقتلك
وأقيم سلطانا احكم عليه فقتله صبرا وارسل الى السلطان مسعود يستدعيه فحضر عنده وكان
قد بلغ خونج فلما رآه قبله واكرمه وعاتبه على العصيان عليه ومخالفته واعاده الى كنجة واجلس
الملك طغرل ابن اخيه محمد فى السلطنة وخطب له فى جميع البلاد وجعل فى وزارته ابا القاسم

وسند مكانه بابى القاسم
البرمكى فصدقت فيه فراسة
المعروف بالضراب البوشنجى
حيث يقول
وكان ما تقدم الزمان
ورق الوزارة بالبلمى
فاخرنا العمر حتى انتقلت
من البلمى الى البرغشى

الانسابادى وزير السلطان محمود وعاد الى خراسان فرحل الى نيسابور فى العشرين من رمضان سنة ست وعشرين وأما المسترشد بالله فكان منه ما نذكره

*(ذكر مسير عماد الدين زنكى الى بغداد وانهزامه)*

لما سار المسترشد بالله من بغداد وبلغه انهزام السلطان مسعود وعزم على العود الى بغداد فأتاه الخبر بوصول عماد الدين زنكى الى بغداد ومعه دبيس بن صدقة وكان السلطان سنجر قد كاتبهما وأمرهما بقصد العراق والاستيلاء عليه فلما علم الخليفة بذلك أسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربى وسار فنزل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمنارية من دجيل والتقيا بحصن البرامكة سابع عشرى رجب فابتدأ زنكى فحمل على ميمنة الخليفة وبها جمال الدولة اقبال فانهزموا منه وحمل نظر الخادم من ميسرة الخليفة على ميمنة عماد الدين ودبيس وحمل الخليفة بنفسه واشتد القتال فانهزم دبيس واراد عماد الدين الصبر فرأى الناس قد تفرقوا عنه فانهزم أيضا وقتل من العسكر جماعة وأسر جماعة وبات الخليفة هناك ليلته وعاد من الغد الى بغداد

*(ذكر حال دبيس بعد الهزيمة)*

وفيها اعاد دبيس بعد انهزامه المذكور يلوذ ببلاد الحلة وتلك النواحى وجمع جمعا وكانت تلك الولاية بيد اقبال المسترشدى فأمده بعسكر من بغداد فالتقى هو ودبيس فانهزم دبيس واختفى فى أجمة هناك وبقى ثلاثة ايام لم يطعم شيأ ولم يقدر على الخلاص منها حتى أخرجه حماس على ظهره ثم جمع جمعا وقصد واسط وانضم اليه عسكرها وبختيار وشاق وابن ابى الجبر ولم يزل فيها الى ان دخلت سنة سبع وعشرين فنفذ اليهم برنقش بازدار واقبال الخادم المسترشدى فى عسكر فاقتتلوا فى الماء والبر فانهزم الواسطيون ودبيس وأسر بختيار وشاق وغيره من الامراء

*(ذكر وفاة تاج الملوك صاحب دمشق)*

فى هذه السنة فى رجب توفى تاج الملوك بورى بن طغتكين صاحب دمشق وسبب موته ان الجرح الذى كان به من الباطنية وقد ذكرناه اشتد عليه الآن وأضعفه واسقط قوته فتوفى فى الحادى والعشرين من رجب ووصى بالملك بعده لولده شمس الملوك اسمعيل ووصى بمدينة بعلبك واعمالها لولده شمس الدولة محمد وكان بورى كثير الجهاد شجاعا مقداما سد مسد أبيه وفاق عليه وكان ممدحا أكثر الشعراء مدائحه لاسيما ابن الخياط وملك بعده ابنه شمس الملوك وقام بتدبير الامر بين يديه الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وهو حاجب ابيه واعتمد عليه وابتدأ امره بالرفق بالرعية والاحسان اليهم فكثر الدعاء له والقصاد عليه

*(ذكر ملك شمس الملوك حصن اللبوة وحصن راس وحصره بعلبك)*

فى هذه السنة ملك شمس الملوك اسمعيل صاحب دمشق حصن اللبوة وحصن راس وسبب ذلك انهما كانا لابيه تاج الملوك وفى كل واحد منهما مستحفظ يحفظه فلما ملك شمس الملوك بلغه ان أخاه شمس الدولة محمدا صاحب بعلبك قد راسلهما واستمالهما اليه فسلما الحصنين اليه وجعل فيهما من الجند ما يكفيهما فلم يظهر بذلك أثر بل راسل أخاه بلطف يقبح هذه الحال ويطلب ان يعيدهما اليه فلم يفعل فاغضى على ذلك وتجهز من غير ان يعلم أحدا وسار هو وعسكره آخر ذى القعدة فطلب جهة الشمال ثم عاد مغربا فلم يشعر من بحصن اللبوة الا وقد نزل عليهم وزحف

وسوف نقول على ما أرا منه فربيا الى البرمكى وكان أبو القاسم هذا موصوفا بالفضل الا أن أغلب الصفات عليه صفة البخل وحين ولى الوزارة

لوقته فلم يتمكنوا من نصب منجنيق ولا غيره فطلبوا الامان فبذله لهم وتسلم الحصن من يومه وسار من آخر النهار الى حصن راس فبقتهم وجرى الامر فيه على تلك القضية وتسلمه وجعل فيهما من يحفظهما ثم رحل الى بعلبك وحصرها وفيها أخوه شمس الدولة محمد وقد استعد وجمع في الحصن ما يحتاج اليه من رجال وذخائر فحصرهم شمس الملوك وزحف في الفارس والراجل وقاتله أهل البلد على السور ثم زحف عدة مرات فملك البلد بعد قتال شديد وقتلى كثيرة وبقي الحصن فقاتله وفيه أخوه ونصب المجانيق ولازم القتال فلما رأى أخوه شمس الدولة شدة الامر أرسل يبذل الطاعة ويسأل ان يقر على ما بيده وجعل أبوه باسمه فاجابه الى مطلوبه وأقر عليه بعلبك وأعمالها وتحالفوا وعاد شمس الملوك الى دمشق وقد استقامت له الامور

*(ذكر الحرب بين السلطان طغرل والملك داود)*

في هذه السنة في رمضان كانت الحرب بين الملك طغرل وبين ابن أخيه الملك داود بن محمود وكان سببها ان السلطان سنجر أجلس الملك طغرل في السلطنة كما ذكرنا وعاد الى خراسان لانه بلغه ان صاحب ما وراء النهر أحمد خان قد عصى عليه فبادر الى العود لئلا في ذلك الخرق فلما عاد الى خراسان عصى الملك داود على عمه طغرل وخالفه وجمع العساكر باذربيجان وبلاد كنجة وسار الى همذان فنزل مستهل رمضان عند قرية يقال لها وهان بقرب همذان وخرج اليه طغرل وعبى كل واحد منهم أصحابه ميمنة وميسرة وكان على ميمنة السلطان طغرل ابن برسق وعلى ميسرته قزل وعلى مقدمته قراسنقر وكان على ميمنة داود يرنقش الزكوي ولم يقاتل فلما رأى التركمان ذلك نهبوا خيمه وبركه جميعه ووقع الخلف في عسكر داود فلما رأى اتابكه آقسنقر الاحمديلي ذلك ولى هاربا وتبعه الناس في الهزيمة وقبض طغرل على يرنقش الزكوي وعلى جماعة من الامراء وأما الملك داود فانه لما انهزم بقي متحيرا الى أوائل ذي القعدة ثم قدم بغداد ومعه اتابكه آقسنقر الاحمديلي فاكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان وكان الملك مسعود بكنجة فلما سمع انهزام الملك داود توجه نحو بغداد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(ذكر عدة حوادث)*

في هذه السنة قبض المسترشد بالله على وزيره شرف الدين علي بن طراد الزينبي واستوزر انوشروان بن خالد بعد ان امتنع وسأل الاقالة وفي هذه السنة قتل أحمد بن حامد بن محمد أبو نصر مستوفي السلطان محمود الملقب بالعزيز بقلعة تكريت وقد تقدم سبب ذلك سنة خمس وعشرين وفي المحرم منها قتل محمد بن محمد بن الحسين أبو الحسين بن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ومولده في شعبان في سنة احدى وخمسين وأربعمائة وسمع الحديث من الخطيب أبي بكر وابن الحسين ابن المهتدي وغيرهما وتفقه قتله أصحابه غيلة وأخذوا ماله وفي جمادى الاولى توفي أحمد بن عبد الله بن كادش ابو العز العكبري وكان محدثا مكثرا وتوفي فيها ابو الفضل عبد الله بن المظفر ابن رئيس الرؤساء وكان اديبا وله شعر حسن فمنه ما كتبه الى جلال الدين بن صدقة الوزير

أمولانا جلال الدين يا من * اذكره بخدمتي القديمه

ألم تك قد عزمت على اصطناعي * فماذا صد عن تلك العزيمه

*(ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة)*

ناقش أولياء ذلك الباب في أعطياتهم الواجبة * وجراياتهم الراتبة * وعارض أطماعهم في خاصته بزند شحاح * ووجه على الزرقاح * فلم يرعه

*(ذكر ملك شمس الملوك بانياس)*

في هذه السنة في صفر ملك شمس الملوك صاحب دمشق حصن بانياس من الفرنج وسبب ذلك ان الفرنج استضعفوه وطمعوا فيه وعزموا على نقض الهدنة التي بينهم فتعرضوا الى أموال جماعة من تجار دمشق بمدينة بيروت وأخذوها فشكى التجار الى شمس الملوك فراسل في اعادة ما أخذوه وكرر القول فيه فلم يردوا شيأ فحملته الانفة من هذه الحالة والغيظ على ان جمع عسكره وتاهب ولا يعلم أحد أين يريد ثم سار وسبق خبره أواخر المحرم من هذه السنة ونزل على بانياس أول صفر وقاتلها ساعته وزحف اليها زحفا متتابعا وكانوا غير متأهبين وليس فيها من المقاتلة من يقوم به وقرب من سور المدينة وترجل بنفسه وتبعه الناس من الفارس والراجل ووصلوا الى السور فنقبوه ودخلوا البلد عنوة والتجأ من كان من جند الفرنج الى الحصن وتحصنوا به فقتل من البلد كثيرا من الفرنج وأسر كثيرا ونهبت الاموال وقاتل القلعة قتالا شديدا ليلا ونهارا فملكها رابع صفر بالامان وعاد الى دمشق فوصلها سادسه وأما الفرنج فانهم لما سمعوا بنزوله على بانياس شرعوا يجمعون عسكرا يسيرون به اليه فأتاهم خبر فتحها فبطل ما كانوا فيه

*(ذكر حرب بين المسلمين والفرنج)*

في هذه السنة في صفر سار ملك الفرنج صاحب البيت المقدس في خيالته ورجالته الى أطراف أعمال حلب فتوجه اليه الامير اسوار النائب بحلب فيمن عنده من العسكر وانضاف اليه كثير من التركمان فاقتتلوا عند قنسرين فقتل من الطائفتين جماعة كثيرة وانهزم المسلمون الى حلب وتردد ملك الفرنج في أعمال حلب فعاد أسوار وخرج اليه فيمن معه من العسكر فوقع على طائفة منهم فاوقع بهم وأكثر القتل فيهم والاسر فعاد من سلم منهزما الى بلادهم وانجبر ذلك المصاب بهذا الظفر ودخل أسوار حلب ومعه الاسرى ورؤس القتلى وكان يوما مشهودا ثم ان طائفة من الفرنج من الرها قصدوا أعمال حلب للغارة عليها فسمع بهم اسوار فخرج اليهم هو والامير حسان البعلبكي فاوقعوا بهم وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال واسر وامن لم يقتل ورجعوا الى حلب سالمين

*(ذكر عود السلطان مسعود الى السلطنة وانهزام الملك طغرل)*

قد تقدم ذكر انهزام السلطان مسعود من عمه السلطان سنجر وعوده الى كنجة وولاية الملك طغرل السلطنة وانه حارب هو والملك داود بن أخيه محمود وانهزام داود ودخوله بغداد فلما بلغ السلطان مسعود انهزام داود وقصده بغداد سار هو الى بغداد أيضا فلما قاربها لقيه داود وترجل له وخدمه ودخلا بغداد ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر من هذه السنة وخاطب في الخطبة له فاجيب الى ذلك وخطب له ولداود بعده وخلع عليهما ودخلا الى الخليفة فاكرمهما ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود الى اذربيجان وان يرسل الخليفة معهما عسكرا فساروا فلما وصلوا الى مراغة حمل آقسنقر الاحمديلي مالا كثيرا واقامة عظيمة وملك مسعود سائر بلاد اذربيجان وانهزم من بها من الامراء مثل قراسنقر وغيره من بين يديه وتحصن منه كثير منهم بمدينة أردبيل فقصدهم وحصرهم بها وقتل منهم مقتلة عظيمة وانهزم الباقون ثم سار بعد ذلك الى همذان لمحاربة أخيه الملك طغرل فلما سمع طغرل بقربه برز الى لقائه فاقتتلوا الى الظهر

الادبايس الاترالك تهشم
قذاله * وترض عظامه
وأوصاله * ولقد أحسن
من قال
يقول لي دعبل في ثوبه خبل *
ولو ترى ثيابي دعبلا خبلا

ثم انهزم طغرل وقصد الرى واستولى السلطان مسعود على همذان فى شعبان ولما استقر مسعود بهمذان قتل آقسنقر الاحمديلى قتله الباطنية فقيل ان السلطان مسعودا وضع عليه من قتله ثم ان طغرل لما بلغ قم عاد الى أصبهان ودخلها وأراد التحصن بها فسار اليه أخوه مسعود ليحاصره بها فرأى طغرل ان أهل أصبهان لا يطاوعونه على الحصار فرحل عنهم الى بلاد فارس واستولى مسعود على أصبهان وفرح اهلها به وسار من اصبهان نحو فارس يتبع اثر اخيه طغرل فوصل الى موضع بقرب البيضا فاستأمن اليه امير من امراء اخيه معه اربعمائة فارس فأمنه فخاف طغرل من عسكره ان ينحازوا الى اخيه فانهزم من بين يديه وقصد الرى فى رمضان وقتل وزيره ابا القاسم الانساباذى فى الطريق وفى شوال قتله غلمان الامير شيركير الذى سعى فى قتله كما تقدم ذكره وسار السلطان مسعود يتبعه فلحقه بموضع يقال له ذكرا ورفوقع بينهم المصاف هناك فلما اشتبكت الحرب انهزم الملك طغرل فوقع عسكره فى أرض قد نضب عنها الماء وهو وحل فاسر منهم جماعة من الامراء منهم الحاجب تنكر وابن بغرا فاطلقهم السلطان مسعود ولم يقتل فى هذا المصاف الا نفر يسير ورجع السلطان مسعود الى

لا والذى سبك الصهباء من ذهب والكأس ياقوتة ماساد من جلا